

**سيرة حياة العالم الأديب
الدكتور أحمد زكي**

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الدكتور محمد الجوادى

سيرة حياة العالم الأديب
الدكتور أحمد زكى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٣

الغلاف : الفنان محمد حجي
الخطوط: محمود إبراهيم

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩١٨٢ / ٢٠٠٣

I.S.B.N 977 - 01 - 8918 - 9

إهداء .

إلى والدتي الجليلين :
الدكتور عبد الستار مصطفى
والأستاذ علي محمود البطراوي
تحية إعزاز وإجلال وتقدير

التمهيد

والله اعلم
بما فيه
الصلوة والسلام
على سيدنا محمد
والآله الطيبين
الطاهرين

مقدمة الطبعة الثانية

أحمد الله سبحانه وتعالى أن منّ على بكتابة مقدمة الطبعة الثانية لهذا الكتاب، ويتقديم هذه الطبعة بكل ما يشتمل عليه الكتاب كما أعدته منذ ثلاثة عشر عامًا، ولعلها فرصتي الأولى أن أعذر اعتذاراً مكتوباً عما حدث لهذا الكتاب في طبعته الأولى حين اضطرت دار النشر نفسها إلى أن تطبع ثلاثة أرباعه وتترك رבעه الرابع وهو باب البليوجرافيا على الرغم من (وربما بسبب) ضخامة هذا الجزء، ولست أستطيع أن أنكر أنني كنت على الدوام في غاية الألم لهذا الذي حدث لكتابي هذا، ولست أستطيع أن أنكر أيضاً مدى سعادتي اليوم وأنا أستشعر أن الكتاب سوف يكون كاملاً بين يدي القارئ على رفوف المكتبة، فقد عانيت معاناة شديدة في إعداد الجزء البليوجرافي من هذا الكتاب حتى ظهر على هذا النحو. ومن غرائب الأقدار أن هذا الجزء قد قادني من حيث لا أدري إلى تأليف كتابي الكبير عن مجلة الثقافة، فقد وجدت نفسي أفهرس الثقافة كلها من أجل مقالات أحمد زكي لأنه كتب فيها من بدايتها إلى نهايتها تقريباً، وهكذا

أحببت الثقافة وعشقته، وربما كانت مراجعتها سبباً إلى هذا الحب أو سبباً إلى تعميقه، وعلى أية حال فقد أعددت كتابي عنها على مدى سنوات امتدت منذ ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٨ تقريباً ثم صدر هذا الكتاب في نهاية ١٩٩٣ أو مطلع ١٩٩٤، أما كتاب أحمد زكي فقد كنت انتهيت منه على ما أذكر قبل أن أنتهي من دراسة الطب، ولكنه لم يصدر للقراء إلا في ١٩٨٤ حين كنت طبيباً مقيماً. ولست أستطيع أن أتجاهل الاعتراف بأثرية هذا الكتاب على نفسي، ففيه كثير وكثير جداً من نفسي وقلمي وفكري وآرائي، واعتقد أن لهذا عدة أسباب:

- فقد كان أحمد زكي يتناول كثيراً جداً من الأمور التي تحيط بنا والتي نعيشها، ولهذا فقد كنت فيما يبدو غير قادر على أن أخلص للفكرة التي أرادها من دون أن أبدى انطباعي تجاه أفكاره أو تجاه الموضوعات التي تناولها.

- وبالإضافة إلى هذا فقد كانت آراء أحمد زكي وأفكاره تعطى مساحات واسعة من الاهتمامات الفكرية والفعلية والحياتية، وكان هذا يقتضى كثيراً من التقديم والربط والتحليل والإشارة والتعقيب، وكان لابد لهذا كله من أن يصطبغ بأسلوبى وبفكرى.

- أما السبب الثالث والأهم فإنه يكمن في أن أحمد زكي في فكره كان من أصحاب المعاطف الكبيرة الذين يدعون قراءهم ويشجعونهم إلى أن ينضموا بأفكارهم إلى فكره في معالجة ما يعالج وما يتناول وما يعرض له.

ولا أنكر أنني كتبت مسودات هذا الكتاب في حجم أكبر من هذا المائل بين أيدي القراء بكثير وجاهدت نفسي حتى استطعت أن أصل به إلى هذا الحجم الذي في أيدينا، ومع هذا فإنني لا أدري هل أصبت أم أخطأت، وهل ينبغي أن تنال الطباعات التالية توسعة أم اختصارات؟

بيد أنني أحب أن أجاهر بتقصيرنا إلى أبعد الحدود في الإفادة من تراث أحمد زكي ويبدو أننا نرتكب هذا التقصير عن عمد وعن إصرار على الرغم من أن الظواهر تخبرنا بمدى أهمية العناية بتراثه بل وبمدى الكسب المادى الذى يتحقق من جراء نشر هذا التراث، فقد نشرت لأحمد زكي أعمال كثيرة من أعماله المتعددة بعد رحيله فلقيت الإقبال ونفدت طبعاتها (سواء في ذلك ما نشر في الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو في دار الشروق، أو في سلسلة كتاب العربى). ولست أدري علام تبحت لجان تطوير المناهج بينما يضم تراث هذا الرجل مقالات وكتابات تتضافر فيها ذرات العلم والفكر والأدب مع قوة الأسلوب وروعة العرض وجمال الآراء. ولكن لعل هذا يكون تبييناً ويأتى اليوم الذى يتحقق فيه ما نصبوه بأفضل مما نتخيل.

لست أريد أن أترك هذه المقدمة من دون أن أشير إلى أنني كنت أنتوى بالفعل أن أترك الكتاب على نحو ما كتبته فلا أجرى فيه تعديلاً أو تحويراً على الرغم من أن السنوات الخمس عشرة الماضية كانت تحتّم مثل هذا وأكثر من هذا، ولكنني في حقيقة الأمر لم أستطع وهكذا فقد كتبت هذا الكتاب مرة أخرى من أجل هذه الطبعة على الرغم من أنني كنت وما زلت ضعيفاً أشد ما يكون الضعف تجاه النصوص المطبوعة من كتاباتي، وقد استجاب هذا الكتاب في طبعته هذه إلى ما هو معروف عني من ولعي الشديد بالتبديل والتجوير والتغيير والتقديم والتأخير وإعادة الصياغة في كل مخطوطاتي وتجاريبي المطبعية وقد امتد هذا الخلق اليوم إلى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ليجعلها عملاً مختلفاً تماماً عن الطبعة الأولى.

وهكذا تصدر الطبعة الثانية من هذا الكتاب وهي بالنسبة لي عمل جديد ومختلف تماماً عن الطبعة الأولى التي صدرت من قبل، ولكنني بما أخذت به نفسي لا أستطيع أن أقول عنها إلا طبعة ثانية من كتابي فحسب مع اعترافي التام بأن الكتاب في طبعته الثانية مختلف تماماً عن الكتاب في طبعته الأولى.

وانني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب وأن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يتجاوز عما يعلم وعما نعلم وعما هو به منا أعلم.

تقديم الطبعة الأولى

بقلم الأستاذ الدكتور

محمد عبد اللطيف إبراهيم

بقدر ما أسعدني أن يطلب مني الدكتور محمد الجوادى أن أكتب مقدمة هذا الكتاب ، بقدر ما تملكتني رهبة لا أدرى كنهها ، ربما لأنى بعيد بحكم تخصصى عن الكتابة والأدب ، وإن كنت فى مستقبل عمري من عشاقهما ، وربما لأنى أحسست أنى أحاول الغوص فى أعماق بحر حدوده بعيدة ، وأعماقه ساحقة ، يحتاج إلى ملاح ماهر يستطيع بخبرته وسعة أفقه أن يلتمس من دره وصدفاته ما شاء ، وما شاءت له الظروف ، وربما لأن اسم أحمد زكى مرتبط فى ذهني منذ أمد بعيد بقيمة علمية وأدبية كبيرة لا يستطيع الإنسان أن يقيمها وهو راض بما قدر ، وربما لأن هذه الأسباب كلها مجتمعة ، جعلتني أهرب الكتابة عن هذا العالم الجليل الذى عرفته الأجيال السابقة والأجيال الحاضرة كأحد العمالقة الذين أثروا الحياتين العلمية والأدبية فى مصر والوطن العربى على مدى نصف قرن أو يقارب ذلك .

وأعتقد أن ليس من الضرورى أن يكون الإنسان معروفا لك معرفة شخصية حتى تتمكن من

الارتواء من أفكاره والاستمتاع بتجاربه . . وقد عرفت الدكتور أحمد زكى على صفحات المجلات والكتب - وأظن أن معظم محبيه وعشاقه عرفوه عن هذا الطريق فأمنوا به وأخذوا بكتاباته وعشقوا أسلوبه . وأشهد أنه على مدى سنوات عديدة كان العدد الشهرى لمجلة العربى أمل كل قارئ ينتظره فى لهفة ويحرص على اقتنائه فور صدوره ، وكان مقال الدكتور أحمد زكى هو بيت القصيد فى كل عدد ، ففيه كنت تجد من الفكر والمعرفة وسلاسة العرض ورقة الأسلوب ما يجعلك تحرص على اقتناء هذه المجلة فى كل شهر حرصك على زادك من طعام وشراب .

وأشهد أننى سعدت بمطالعة كتاب الدكتور محمد الجوادى ، الذى أتاح لى هذه الفرصة القيمة لأقرأ حياة إنسان أحبه وأقدره ، وأضعه مثلاً أعلى أحتذى به فى مشوار حياته الطويل . ولاشك فى أن هذا الجيل الذى كان منه أحمد زكى ، ذلك الجيل الذى ولد فى أواخر القرن الماضى ، ومارس الحياة فى أوائل القرن الحالى وحتى أواسطه ، هو الجيل الذى حمل مشعل العلم والثقافة إلى معاصريه وإلى الأجيال اللاحقة به حتى عصرنا هذا ، ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل هؤلاء الرواد الذين أخذوا على عاتقهم مسئولية نقل هذه الأمة إلى عالم النور والحضارة والمعرفة .



تخرج الدكتور أحمد زكى فى مدرسة المعلمين العليا فى دفعة ضمت عدداً من أبرز العلماء ورجال التعليم فى مصر ، وكان من أوائل المبعوثين إلى الخارج ، وكان أول مصرى يحصل على دكتوراه العلوم فى الكيمياء ، وعاد ليكون أول أستاذ مصرى فى الكيمياء فى كلية العلوم . وقد تخرج على يديه رجيل من أساتذة العلوم والكيمياء فى الجامعات المصرية والعربية أصبحوا رواداً فى كل مكان يذهبون إليه ، وما زال هؤلاء جميعاً يكونون له التقدير والإعزاز ويفخرون بالتلمذة على يديه .

وعلى الرغم من أستاذيته الفذة ، وفوزه دائماً بحب زملائه فى كلية العلوم وأحقيقته فى العمادة فإنه وجه جهوده إلى تمصير مصلحة الكيمياء ومصلحة الصناعة ، وفى هذا الزمان كم كان ذلك صعباً فى وجود الاستعمار وهيمنته على مصالح الدولة جميعاً .

ولعل أبرز إنجازات الدكتور أحمد زكى فى المجال العلمى هو ذلك الصرح الضخم ، الذى هو المركز القومى للبحوث الذى كان بمثابة إبراز مهم لفاعلية الجانب التطبيقى من العلوم فى حياتنا المعاصرة . ولاشك فى أن المركز القومى للبحوث هو الدعامه القومية التى بنيت عليها لبنات الفكر

لدى الباحث المصرى ، وهو أيضًا التربة الخصبة التى نمت فيها هذه الأفكار فأنثرت وازدهرت ، ووضعت الباحث المصرى فى الموضع الذى يليق به على مستوى الوطن العربى والعالم الدولى . وإن من يحج إلى هذا الصرح الشامخ دارسًا أو باحثًا أو زائرًا لابد أن تحدّثه نفسه بأن مَنْ فكر فيه وسعى لإقامته ورعاه حتى خرج إلى الوجود ، هو بلا أدنى شك ابن بار من أبناء مصر ، خرج من أرضها ، وأظلمته سماءها ، ورواه نيلها ، فأراد أن يرد إليها بعضًا من عطائها ، وكم كان عطاؤه أهلاً بعطائها .



على أن هذا العطاء المتدفق لم يقتصر على وطنه المصرى ، بل امتد ليعم أمته العربية . ولعل أبرز إنجازاته فى هذا المجال : مجلة العربى ، التى يعرفها ملايين القراء العرب من المحيط إلى الخليج . وأشهد أننى عرفت الدكتور أحمد زكى على صفحات هذه المجلة التى اعتبرها عملاً من أعمال الريادة والسيادة فى الثقافة والأدب . وقد خرجت هذه المجلة إلى النور فى وقت تدفق فيه البترول فى صحراء العرب ، فانتقلت الأمة العربية فى طفرة إلى عالم غير الذى كانت تعيشه ، فضاعت أو كادت تضيع معالمها - وأخشى أن أقول إنها عرفت فى العالم الخارجى بأمة اللهو والترف واللامبالاة ، حتى إن شاعرًا عربيًا كبيرًا نادى أعماق هذه الأمة فى وقت من أوقاتها الخالكة ، أن تحاول أن تولى كتبًا ، أن تقرأ كتبًا ، أن يحاول أفرادها أن يذهبوا إلى بلاد الثلج والضبّاب لكى يتعرف عليهم الناس هناك ، ولا يحسبهم نوعًا من الذباب . . أقول : فى هذا الوقت المظلم كانت مجلة العربى كالشمعة المضيئة لا يستطيع الظلام مهما كان كثيفًا وثقيلًا أن يحجب ضوءها . ولقد كنت دائمًا - ومازلت - أقول إنه يكفى دولة الكويت أن تتبنى هذا العمل المجيد الذى قدر له أن يستحوذ على قلوب العرب ، جميعًا وكان بداية طيبة لظهور العديد من أمثال هذه المجلة فى أنحاء شتى من الوطن العربى . . لكم كان أحمد زكى عظيمًا عندما قام بإصدار هذه المجلة ، وتفرغ لها سنوات عدة أعطى فيها من فكره وعلمه وأدبه ما ثبت أقدامها ، وما كان كفيلاً بأن يدفعها دائمًا إلى الأمام حتى وقتنا هذا ، وحتى بعد رحيله ، فما زالت روحه الفياضة تستشف فى صفحاتها ، وما زال فكره يقرأ فى حروفها ، وما زالت - وأدعو الله أن تظل - بإذن الله رسول محبة فى أنحاء الوطن العربى .



١ لا أريد أن أطيل على القارئ ، فسوف يجد بيان إنجازات هذا العالم الجليل على صفحات هذا

الكتاب ، من مؤلفات تتجلى فيها خبرة العالم الأديب الذى وهب من القدرة على التعبير والنظر فى مظاهر القدرة الإلهية ما جعل كتاباته فى هذا المجال فى الدرجة الأولى بين الآثار الأدبية والعلمية معا ، ويتجلى هذا بصفة خاصة فى مؤلفيه : « مع الله فى السماء » ، « مع الله فى الأرض » ناهيك عن مئات المقالات فى المجالات المختلفة وفى المجالات المتعددة من أدب وعلوم وسياسة وطب وغير ذلك .



قد لا أعرف الكثير عن حياتى الدكتور أحمد زكى الوظيفية والسياسية ، وقد لا يهمنى كثيرا أن أمس هذا الجانب ، ولكنى أود أن أشير إلى أنه عندما كان فى مقعد مدير الجامعة كانت له قدرته الخارقة على المواءمة بين حرية الجامعة وسلطة الدولة ، وبين إرادة العقل وإرادات الطلبة ، وهذه ميزات لا يتمتع بها إلا القليل من رجال ذلك الزمان وكل زمان .

وإذ أقرب من نهاية هذه المقدمة تخالجنى مشاعر متعددة : يخالجنى شعور بأننى قد حاولت أن أجوب آفاقا لست ربانها ، وإن كنت أشعر أن هذه المحاولة قد أرهقتنى إلا أننى سعيد بها ، فالعائد منها أكبر من المبدول فيها . . يخالجنى شعور بالغبطة يقودنى إلى شعور بالرغبة فى اتخاذ الرواد الأوائل قدوة نحتذى بها ، وهدفا نسعى إليه . . وأخيرا يخالجنى شعور بالسعادة أن أرى هذا المؤلف الطبيب الشاب يقدم هذا العمل الرائع عن حياة الدكتور أحمد زكى كما قدم من قبل أعمالاً ناجحة فى سلسلة متواصلة عن أعلام علماء مصر المعاصرين . وإذا كان الدكتور محمد الجوادى قد وفق كل التوفيق فى الكتابة عن هؤلاء الأعلام ، فإننى أشهد أنه قد وفق كل التوفيق فى دراسته الطبية ، وهو الآن يشترك معى فى تقديم دروس ناجحة فى الجراحة باللغة العربية . . فأرجو له دوام التوفيق ، وأقدر جهده الرائع ، وحرصه المستمر على إحياء حياة البارزين من العلماء المصريين

دكتور محمد عبد اللطيف إبراهيم

رئيس جامعة الزقازيق

مقدمة الطبعة الأولى

ليس في وسع المؤلف حين يباهى بكتابه وهو يقدمه إلا أن يعترف في الوقت ذاته بأن كتابه كتاب بين دفتين عن كتاب مفتوح عاش تقرأه الناس ، وتقرأ له ، ثم مضى ، والناس لا تزال تقرأه وتقرأ له ، ويأتى هذا الكتاب فيضيف معطوفاً جديداً حين يقال : وتقرأ عنه !

بل ما بال المؤلف تأخذه نفسه إلى جانب الزهو ، فيقول ما معناه إن الناس سوف يقرأون هذا الكتاب ، وبهذا يقرأون عن أحمد زكى ؟ وأنى له ذلك القبول الذى لم يصبح بعد محل بحث ! ولما يخرج كتابه إلى الناس ؟ . . . أهو التفاؤل ؟ أم هو الأمل ؟ . . . أم هو التمنى ؟ أم هو الرجاء ؟ . . . كل ذلك قد يكون ، ولكن الحق الذى لا مرية فيه أن الناس تحب أن تعرف من هو أحمد زكى . . . ووددت لو زاد علمها بهذا الرجل العظيم . . . فإذا كانت حياتنا الثقافية والفكرية فى عقدتها الأخيرين تعاني مع كل العظماء أو الرواد أو العمالقة أو أديباء بعض ذلك حالا قد يستساغ التعبير عنه بقول القائل « إننا نعرف عن حياة أولئك البارزين الشخصية أضعاف ما نعرف عن آثارهم وقدرها » . . . إذا كان الأمر كذلك فالحال مع أحمد زكى هى خلاف ذلك على خط مستقيم !

ولعل في هذا ما كان باعثاً حقيقياً ، ودافعاً حثيثاً للمؤلف حين يلقاه أهل الفضل من الناس ، وقد عرفوا من أمر اهتمامه بتاريخ أعلام علمائنا المعاصرين ما شرف به ، فيسألونه عن كتابه عن الدكتور أحمد زكى ، وعن اليوم الذى يلقون فيه الكتاب ، فكان صاحبنا طيلة ألف يوم مضت يسعد بأن ينهى إليهم أنه انتهى من الكتاب ، وأنه قد دفع به إلى دار النشر الأولى في هذا الوطن !

أما ذلك الجيل الجديد من الشباب الذين هم في الجامعة اليوم أو دونها ، فإنهم يدهشون حين يرون الناس يسخرون من جهلهم بالدكتور أحمد زكى صاحب العربى وبأحمد زكى باشا شيخ العروبة ، في الوقت الذى تراءى في مخيلتهم صورتان لرجلين من أهل الفن في القريب الحاضر في التمثيل والإخراج ! فإذا قدر لهذا الجيل الجديد أن يعرف بعض قدر الدكتور أحمد زكى أو شيخ العروبة ، فسوف يسخر من معلوماته أضعاف ما سخر منه سابقوه في قرارة أنفسهم . . هذا إذا نجح هذا الكتاب في أن يصور للناس بعضاً من أحمد زكى : حياته وفكره وأدبه .



قد يكتشف الناس بعد أربعين عاما ، أو نحو ذلك ، أن أستاذ الجيل الذى نحن منه (إذا كان لا بد أن يكون له من أستاذ ، أو إذا قدر لهذا الجيل أن يكون له من الشأن ما يغرى بالبحث عن أستاذه ، أو إذا بحثوا في شأن أفراد القلة النابذة من هذا الجيل لو أتيح لها أن تتقدم الصفوف في العقود الأولى من القرن الحادى والعشرين) هو الدكتور أحمد زكى . ولعل الرجل نفسه كان يعى هذه الحقيقة ، حين بذل ما بذل - لا نقول من جهده ولكن نقول من نفسه - طيلة مائتى عدد من مجلة العربى التى كانت بلا شك الرحيق الأوسع انتشاراً بين طائفة محبى الثقافة الرفيعة على امتداد الوطن العربى ، بل اللسان العربى . ولعله ، بل إنه كان يعى تماماً أن الأستاذة مع عصره لم تعد كأستاذة لطفى السيد فحسب ، في جريدته أو في جامعة المصريين الوحيدة ، أو نادى محمد على . . وإنما صارت أستاذة الجيل مع الديمقراطية التى سودتها وسائل الاتصال (حتى ولو كانت الديمقراطية السياسية غائبة) ، صارت هذه الأستاذة إلى تلك الوسائل نفسها ، وأصبح هناك في نفس كل طموح إلى هذه الأستاذية تنازع قوى ، قد يكون خفياً ، وقد يكون ظاهراً بين الذبوع والخلود ، بين أستاذة المواقف وأستاذة العقليات . . ولهذا أدرك أحمد زكى ، وظهر أثر إدراكه واضحاً ، أن أستاذية أجيال عصور الفضاء لا بد لها من إلمام واسع وعميق بثقافة رجة عريضة ، تلزم لها التنمية المتواصلة ، ولهذا كان أحمد زكى - في كل أسبوع من أسابيعه ، بل في كل يوم ،

تلميذاً على دققة من الدقائق الجديدة ، وبهذا أصبحت معلوماته ، وأصدق وصف لها القول
الإنجليزي « up to minute » « حتى هذه الدققة » .



ولم يكن أحمد زكى فى حملاته الفكرية ولا فى إنجازاته الإنشائية فى المعاهد والمصالح التى أنشأها
أو أدارها ، من أولى الخنكة الحكومية الذين يحرسون على جسورهم من ورائهم ، بل إنه كان من
مذهب الذين يخاطرون فيقولون إنه يستوى عندهم أن يحرقوا تلك الجسور أو لا يحرقوها . . لأنهم
لا يتقهقرون أبداً . . وهكذا كان أحمد زكى : لم يتقهقر أبداً ، وإنما كان يترك المجال إلى المجال
الآخر لينشئ (أو فينشئ) ويدع وينجز ويتفوق ويخلد ، ولعله لو نظر وراءه فى غضب لذهبت
نظرتة ببعض الآفاق التى حققها فى أى من مواقعه السبعة التى كان له فى كل منها اليد العليا . وقد
كان الرجل : المعلم الناجح فى التعليم الحر ، وكان بعد ذلك طالب البعثة النابغ ، ثم كان
الأستاذ الجامعى المحبوب صاحب المدرسة المرموقة ، ثم قاد تمصير مصلحة الكيمياء ، وتطويرها
على خير ما يكون ، ثم أنشأ المركز القومى للبحوث وشب به على نحو لم يكن لولا وجوده وجهوده ،
ثم ولى الوزارة ، ثم تولى أمر الجامعة فحفظ عليها ثوبها ، ثم ذهب لينشئ للعرب من الكويت
(ولا نقول فى الكويت) مجلة فيها اللسان وفيها الذاكرة وفيها العقل وفيها الروح التى هى من وراء
كل ذلك . ولو أن الشيطان كان قد تملك من نفس أحمد زكى القدر الأيسر الذى يهبى لها أن ترى
الخير فى نظرتها إلى وراء (فى غضب أو فى حسرة) ، أو إلى المضى مع الماضى فى تخيل أو فى خطة ،
لخسرنا من أحمد زكى الكثير ، ولكن ذلك لم يكن لأن الرجل لم يخسر من نفسه شيئاً ، مع أنه
كذلك لم يخسر من دنياه الكثير (ولا حتى القليل) .



وقد يكون الفرق بين أحمد زكى وبين كثير من أنداده الذين حظوا فى حياتهم العامة بكثير من
هناء البال ، هو ذلك الفرق الذى عبرت عنه قصة الراهبين : أحدهما من الدومنيكان ، والثانى
من الجزويت ، كانا فى الدير ، وأرادا التدخين فى أثناء نزهة ، فكان عليهما أن يسأل الرئيس الإذن

بذلك ، وذهبا إليه كل بمفرده وعادا ، فوجد راهب الدومنيكان زميله يدخن ، فدهش وسأله السر الذى جعل الرئيس يأذن له ، بينما رفض طلبه . فسأل الجزويتى زميله : ماذا طلبت من الرئيس ؟ فقال الدومنيكانى : طلبت أن يؤذن لى أن أدخن وأنا أذكر الله ! هنا افتر فم الجزويتى عن ابتسامة وهو ينفخ الدخان ، وقال : أما أنا فقد طلبت أن يؤذن لى أن أذكر الله وأنا أدخن!! . . وقد كان الدكتور أحمد زكى يسأل ، ويسأل ولا يقحم الادعاء بذكر الله ، لأنه كان فيه نزوع الحرية القوى . . ومع هذا كان فى قرارة نفسه القوية ، ومنذ مرحلة مبكرة ، من أشد الناس تحمسا للنظام ، ولو قدر له أن يلخص فلسفته فى هذا الصدد لقال قول القائل : إنه كان يهتم فى شبابه المبكر بالحرية . . ثم أصبح بعد حين يهتم بالنظام . وقد توصل إلى أعظم فلسفة ، وهى أن الحرية من منتجات النظام !

كل أولئك من خلق الرجل ، ومن فضله ، ومن قدره ، سوف يتناوله الباب الأول من هذا الكتاب فى شىء من التفصيل الجميل تتوالى فيه الفقرات على نحو لا يمل منه القارئ ، أو هكذا يود المؤلف لو كان كذلك شعور قارئه . فإن كان الأمر كذلك ، فهلا انتقل المؤلف وقارئه إلى الحديث عن الباب الثانى من هذا الكتاب !



ظل الدكتور أحمد زكى رحمه الله حتى أواخر أيامه عقلاً حاضراً ، وذهناً صافياً ، ونظراً ثاقباً ، وقلباً شاباً ، وصدرًا رحباً ، ونفساً وثابة ، لم يضعف منه من كل ذلك شىء ، إلا القوة التى تحمل كل ذلك ، كل هاتيك السنوات ، قوة العضل ، فمات الرجل بضعف العضلات ، قوى الإيمان والفكر ، والشعور ، وبقي من بعده تراث عريض ، وإنتاج غزير ، وفكر واسع المدى . وكان على المؤلف أن يبحث عن كل ذلك ، وكان عليه أن يتطرق ، وأن يتشعب ، وأن يتفرع . وكان عليه بعد ذلك أن يعود إلى قارئه فلا يضطره إلى التطرق أو التشعب أو التفرع ، وإنما يضع بين يديه ، فكر الرجل ، مرتباً ومبوّناً ، على نحو يتأتى منه تكوين الفكرة عن الفكر ، وتزويد الفكر بالفكر ، وتنقيح الفكر بالفكر ، وإعمال الفكر بالفكر . وإذا نجح المؤلف بالباب الثانى من هذا الكتاب فى أن يحقق أياً من هذه الأمور الأربعة فقد يكفيه ذلك جزءاً ما بذل من جهد .



جمع الدكتور أحمد زكى من مقومات الألمعية ما جمع ، ولكن يبدو لى أن أعظم ما فى شخصيته كان ذلك التوازن الظاهر ، والكامن (أيضاً) فى تلك المقومات التى يعرفها الناس فى عظمتهم يطغى بعضها على بعض . ذلك أنه كان فى الدكتور أحمد زكى ذلك التوازن الظاهر والتعادل الكامن بين إرهاب حاسة الفن ، ودقة نظرة العلم . بين الحرص على المنصب الرفيع والتمسك بالخلق الأرفع ، بين حب الناس وتقدير النفس ، بين سهر الليالى وصحة البدن ، بين قوة العزيمة وشكيمة الزهد ، بين الحضور الجماهيرى ، والوحدة المؤنسة ، بين المعارف الواسعة والصدقات القوية ، بين عمل الأشياء الصغيرة بإتقان وعمل الأشياء الصعبة بسهولة . . . ولم يكن هذا شأن أحمد زكى فى نفسه فحسب ، وإنما كان كذلك فى قلمه وأدبه : ألفاظ من قبل الميلاد ومن قبل الهجرة ، ومعان من بعد القضاء وبعد الذرة ، وشى عثمانى وحشو عصرى ، بديع أنيق فى بيان دقيق ، معان أوربية فى صياغة عربية ، ومعان عربية فى صياغة أوربية ، قصص فى مقال ، ومقال من القصص ، حبكة تنفك فتنشأ عقدة . . . وكل أولئك كان من وراء نتاج أدبى ضخم سوف يحاول الباب الثالث من هذا الكتاب عرض بعض معانيه بأكثر مما يعرض الفن فيه .



وسواء كان القارئ الكريم من الذين يقرءون مقدمة الكتاب بعد الكتاب نفسه ، أو كان من الذين يقرءونها من حيث هى فى الكتاب ، فإننى أود أن أعتذر إليه أن ليس فى إمكان هذا الكتاب أن يضع أحمد زكى بين يديه . وقد يشفع للمؤلف أن يوافق القارئ على أن المثل العليا نجوم لن تستطيع أن تلمسها بيدك ، ولكنك ، تستطيع أن تكون كالبحارة الماهرين ، تتخذها مرشداً لك وتتبعها فتبلغ غايتك .



ها قد بلغنا غايتنا من التعريف بمحتويات هذا الكتاب فهل للمؤلف بعد ذلك أن يفخر بأن كتابه هذا قد جاء ثمرة من ثمرات وقت انقطع فيه بعض الشئ عن القاهرة ؟ هل يريد بذلك أن يعتذر عن بعض ما قد يلحظ قارئه الكريم من عيوب ، يخشاها دائماً المؤلف أن تقف به دون

المكانة التي تحتلها القاهرة من الوطن ؟! ومع هذا فلو كان لهذا الكتاب أن يتميز على كتبي السابقة بشيء ، فقد يكون ذلك في خفة حركة الأفكار في سطره ، وبصفاء الصوت في الكتاب للمترجم له ، وبخلو فصوله إلى حد كبير من تلك التقاطعات ، واستعاذته عن ذلك بشيء من التطويل في شيء من الدوران قد يفهم على أنه تكرار . . ومع هذا يطمح المؤلف إلى أن تكون تلك الخصال الثلاث مما ينال رضا القارئ ، وتقديره لمدينة الزقازيق (لا للمؤلف) ، فهي سر كل تلك الانعكاسات .



أما ما ينبغي للكتاب من تزيين بشكر أصحاب الفضل وراءه ، فينصرف اليوم إلى شقيق عالمنا الكبير ، اللواء حسن عاكف ، وإني لأرجو الله أن يأتي اليوم الذي يجد فيه من تقدير وطنه ، ما هو أهل بهذا الوطن ، وسمائه . وينصرف كذلك إلى أساتذتنا الأجلاء الدكاترة كامل منصور ومصطفى أمين ، ومحمود حافظ ، وعبد المنعم أبو العزم ، وحامد جوهر ، وحسين فوزي ، وصلاح جلال ، ومحمد طنطاوي ، ومنير نصيف ، وإميل سمعان ، وزميل الدكتور سامح خميس ، فلهم جميعاً الشناء الجميل .

د. محمد الجوادى

الباب الأول

حياة
أحمد زكى

ولد الدكتور أحمد زكى بن محمد حسين عاكف فى اليوم الخامس من شهر إبريل سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف (١٨٩٤) فى مدينة السويس ، وكان والده رحمه الله رجلاً مثقفاً ، جمع مكتبة كبيرة ووعاها ، وتعلم فى صغره فى مدرسة فرنسية ، وكان كعادة أغلب أهل العلم والشهادات فى ذلك الوقت من موظفى الحكومة ، وهذا هو ما ذهب بالأسرة إلى السويس حيث ولد عالمنا الجليل ، ثم عادوا إلى القاهرة عام (١٩٠٠) حيث ترعرع .

وكان والد أحمد زكى على صلة بالشيخ محمد عبده ، يتصل به ، ويستمع إليه ، ويأخذ بآرائه . وهى ظاهرة مدهشة [على الأقل فيما يتعلق بى] ، فقد كان والد محمد كامل حسين كذلك ، وكان والد على مصطفى مشرفة كذلك ! وكانت لوالده ميول إلى الكتابة ، وكثيراً ما كان يعلق على ما يقرأ بعبارات وجدها أبناؤه على هوامش كتبه تنم عن سعة أفق ، وسلامة عقيدة . وقد امتد به العمر حتى رأى ابنه الدكتور أحمد زكى عالماً كبيراً وأستاذاً جامعياً ، ومديراً لمصلحة الكيمياء ، ثم توفى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وألف (١٩٤٣) . أما والدته ، فقد توفيت وهو يدرس فى إنجلترا .

كان أحمد زكى أكبر أشقائه ، وكان له شقيقان ، وثلاث شقيقات . فأما الشقيقان . فهما المرحوم الأستاذ محمد أمين عاكف ، وكان من كبار رجال التعليم المصرى ، واللواء حسن عاكف ، أطال الله بقاءه ، عضو جمعية المهندسين الجويين بلندن ، والطيار المصرى اللامع . وأما

الشقيقات الثلاث فقد توفيت وسطاهن « حنيفة » بعد عودتها بشهادة عليا من إنجلترا ، وعملها أستاذة في معهد البنات ، وكانت من أوليات المصريات اللاتى ابتعثن للخارج في سبيل العلم . وأما الشقيقتان الأخريان ، فهما زوجتا الأستاذين عبد الرحمن خضير وكيل وزارة الشئون القروية السابق ، والأستاذ جنيد رئيس تحرير البلاغ عليهم رحمة الله جميعا .



ولما شب الدكتور أحمد زكى عن الطوق بُعث به إلى الكتاب ، فلم يطقه ، وتركه بعد أيام معدودات إلى المدارس الحكومية ، وقد تحدث عالمنا عن تجربته في الكتاب في أكثر من موضع . ودرس الدكتور أحمد زكى سنوات من المرحلة الابتدائية في السويس ثم في القاهرة في مدرسة عباس الابتدائية فالتفوقية الثانوية . وعرف رحمه الله بالجد في التحصيل ، وبروز الشخصية في هاتين المرحلتين ، وبالإضافة إلى هذا كان أحمد زكى الجناح الأيسر لفريق كرة القدم في التفوقية الثانوية ، وحصل عالمنا الجليل على البكالوريا سنة ١٩١١ ، وكان ترتيبه الثالث عشر على القطر المصرى .

آثر أحمد زكى أن يلتحق بمدرسة المعلمين العليا ، فالتحق بها ، وزامل فيها مجموعة من العظماء ، قلما اجتمع عدد كبير منهم في نفس الدفعة ، ومن العجيب أن هؤلاء قد قادوا حركة الثقافة وهم طلبة ، وهم شباب ، ثم تسلموا مقاليد التعليم المصرى لفترة طويلة من الزمان فارتقوا به وحافظوا له على مستوى دولى مرموق . وفي هذه المدرسة زامل الدكتور أحمد زكى الأستاذ محمد فريد أبو حديد الأديب والكاتب وعضو مجمع اللغة العربية وأحد كبار رجال وزارة المعارف ، والدكتور محمد عوض محمد الجغرافى والأديب والوزير النابه وعضو مجمع اللغة العربية وأحد رواد الإصلاح الاجتماعى ، والدكتور أحمد عبد السلام الكردانى - أطال الله بقاءه - أمين جامعة القاهرة ووكيل وزارة المعارف وأول من درس الطيران وهندسته ، وعبد الحميد العبادى المؤرخ والأستاذ الجامعى الكبير وعضو مجمع اللغة العربية ، والأستاذ محمد بدران شيخ المترجمين العرب في العصر الحديث ، وأحد كبار رجال التعليم والثقافة ، والأستاذ محمد شفيق غربال الأستاذ الجامعى ، والمؤرخ الكبير ، والمشرى على إصدار الموسوعة العربية الميسرة ، وعضو مجمع اللغة العربية ، والأستاذ محمد أحمد الغمراوى أحد رجال التعليم والعلم البارزين ، والأستاذين محمد عبد المنعم أبو زهرة ومحمد عبد الوهاب خلاف من كبار رجال وزارة المعارف والجامعة ، والأستاذ محمد كامل سليم الذى اختاره سعد زغلول سكرتيراً خاصاً له ، ثم تدرج في مناصب الحكومة حتى كان سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء المصرى ، كما زامل أحمد زكى غير هؤلاء من الدفعات السابقة واللاحقة .

كانت مجموعة متميزة باتساع الأفق ، وعلو الهمة ، وسمو الغاية . انظر إليها وقد ألفت من بينها وهى على وشك التخرج من مدرسة المعلمين « لجنة التأليف والترجمة والنشر » أعظم مؤسسة

وطنية قامت للنشر في مصر ، واختارت اللجنة ضمناً للنجاح أن تبدأ بالكتب المدرسية ، فعهدت بكتاب « مبادئ الكيمياء » إلى أحمد زكى وأحمد الكردانى لترجمه ، ثم أخرجت اللجنة الكتاب بالعربية ، ليكون المرجع الأول لطلابها ، وبقي هذا الكتاب كذلك لفترة طويلة .



وتخرج أحمد زكى وزملاؤه ، فلم يجدوا أبواب الرزق مغلقة ، ولكنهم وجدوها لا تتسع لهم . كانت الحرب العالمية الأولى قد دقت الأبواب ، وانتشروا في الأرض يبحثون عن عمل يكفل لهم لقمة العيش ، وترددوا في وظائف التدريس بين القاهرة والأقاليم . وعمل أحمد زكى بالتدريس في بعض المدارس . ثم عمل ناظرًا لمدرسة وادى النيل الثانوية بباب اللوق بالقاهرة ، وكانت على مقربة من الجامعة المصرية القديمة ، وكان صاحبها هو والد الفنان يوسف وهبى . وتقوم مكانها اليوم المدرسة الألمانية بباب اللوق .

وقد وصف أحمد زكى حاله وهو ناظر ، وتلاميذه يكبرونه في السن ، وطولهم أكبر ، فقال في طرافة : « ولكن شاربى يفوق شواربهم لأنه يبرم إلى أعلى ، وكانت مودة العصر » ، فاتخذ أحمد زكى منها ضرورة أدبية .

وكانت النفوس في نهايات الحرب العالمية الأولى مشتعلة بالغضب على الإنجليز ، تبغى الخلاص منهم ، وقد اتخذ هذا الغضب بعد مرحلة قصيرة صفة الثورة العامة ، فكانت ثورة سنة ١٩١٩ ، ولكن بدايات هذا العنف كانت عند الشباب من أمثال أحمد زكى وأنداده وطلبته . ويعبر أحمد زكى عن ذلك بقوله إنه كان هو ، ومصطفى عبد الرازق ، ومنصور فهمى ، وأحمد أمين زملاء في مدرسة الثورة . وكانت مهمة الناظر وقتها تنظيم الإضرابات ، وقد خرج طلبة أحمد زكى ذات يوم في تظاهرة تحدى الإنجليز الذين اصطفوا في انتظار مقدم السلطان فؤاد لافتتاح الهلال الأحمر ، وخرجوا في يوم آخر ثم عادوا إلى المدرسة وجاء الإنجليز يلاحقونهم ليلحقوا بهم الأذى ، فلم يجدوا في الفصول إلا الطلبة الصغار وضعاف البنية ، وكان أحمد زكى الناظر قد أخفى الطلبة في البدروم ، وهكذا .

وشارك أحمد زكى في حركة المعلمين لتكوين نقابتهم ، وانتخب سكرتيرًا عامًا لنقابتهم الأولى .



كانت نفس أحمد زكى مشتغلة بالثورة ، ولكنها كانت توافقه كذلك إلى العلم ، وقد رشح أحمد زكى بحكم أوليته لبعثة إلى إنجلترا ، ولكنه حرم منها بسبب رسوبه في الكشف الطبى ، ولكن نفسه ظلت توافقه إلى العلم ، وبدأ يدبر أمر السفر على نفقته الخاصة ، حتى إذا توفر له من ماله ذلك القدر الذى يمكنه من البداية قرر السفر ، وأخذ طريقه إلى إنجلترا ، واختار التخصص في الكيمياء ، هكذا ، دون أن يخطط له أحد أو يوجهه .

وقد قال في ذلك : « ولم يكن للمصريين في نهضتهم الحديثة ، إلى ذلك اليوم علم بهذه الكيمياء . . كانت الكيمياء شيئاً مجهولاً ، أقسامها وحروفها ، سألت فما شفانى عجيب » . وليس في هذا مبالغة إذا ما تذكرنا قصة ترجمة كتاب « مبادئ الكيمياء » التى قام بها عالمنا هو والكردانى .

سافر الدكتور أحمد زكى فالتحق بجامعة نوتنجهام ، والسّر في هذا أن جامعة نوتنجهام كانت الجامعة الوحيدة التى استجابت لطلبه بعدما كتب إلى كل الجامعات البريطانية برغبته في الالتحاق بها . وحين ذهب الدكتور أحمد زكى إلى نوتنجهام ، لم يكن فيها من المصريين إلا اثنان : على مصطفى مشرفة ، ومحمد أحمد الغمراوى . ولم يكن سبقهما إلى الدراسة فيها على ما يُرجح الدكتور زكى إلا النقراشى باشا رحمهم الله جميعاً .

ويصف الدكتور أحمد زكى أيامه الأولى في الجامعة وبين الإنجليز ، فيقول : « كنت في أول أمرى بادى الحس مرهفه ، ثم تعلمت من القوم انثلامه ، وتعودت أن أسير في طرقات الحياة هادئاً بارداً لا أبالى ، وإن تأججت في قلبى مما ألقى ومن ألقى جمرات . والأدب شاع في القوم ، فلكل عطاء شكر ، ولكل أخذ استئذان . والصف ، والطابور ، ولم تكن تعودناه في مصر طمأنناً أنفسنا على الوقوف فيه . . إن القادم الأول له الخدمة الأولى ، وإذن لا بد من ترتيب » .



ثم حانت للدكتور أحمد زكى فرصة للانتقال إلى جامعة ليفربول ، « وهى جامعة أكبر ، والمدينة مدينة أفسح ، والمصريون كانوا فيها كثرة وكان فيهم انبساط ، وعندى انطواء فقل بهم لقائى ، وتنقلت بين الأسر أنزل بها ، فتارة أحمد ، وتارة أذم » .

« وألفت رجال هذه الجامعة ، والفونى ، وحدث لهم ، وحمدوا لى ، وكان أساتذتى بها في العلم أساطين . رأيت الأستاذ الكبير بالى مرة يسير من معمل في الجامعة إلى معمل ، وبين الاثنين

شارع ، وفي يمينه أجهزة ، وفي يسراه ، وهو مثقل بها ، فأسرعت إليه أحمل عنه ، فدفعني في لطف ، فلما ألححت قال لي : « إن كنت مغرماً بحمل الهموم فاحمل هذه عني » . وكان ذا عين واحدة ، والأخرى من زجاج ، فقد ذهب بها في شبابه فرقة جاءت في تجربة كيمياوية لم يحسب لها حساباً » .

« ورأيت ضحى يوم رجلاً طويلاً مهيباً على رأسه شعر طويل منتفش ، وهو يسير في رحاب الجامعة في هالة من الناس . فسرت نحوهم ، فوجدت بينهم أساتذة عرفت ، وأساتذة لم أعرف ، وهم يسدورون في الجامعة بصاحبهم ، وسألت : من الزائر ؟ قيل : أينشتين . فتبعت مع التابعين ، ولم يرتفع من حوله صراخ ، كان الوقار السائد ، وكان السكون فكاننا كنا نسير معه في مأتم » .

قضى أحمد زكي عامًا وعامين يحاول أن تلحقه الحكومة المصرية ببعثتها ، حتى أفلح في النهاية أن يضم إلى البعثة الرسمية . ومن ملف الدكتور أحمد زكي في وزارة المعارف نقل نص هذا الخطاب المؤرخ ١٩٢٢/٢/٩ :

« حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة المعارف .

السلام على سعادتكم ورحمة الله .

قدمت العام الفائت طلباً إلى صاحب المعالي وزير المعارف السابق أطلب فيه إلى الوزارة أن تدجنى ضمن طلبية إرساليتها بإنجلترا ، وقد تسلمت الوزارة طلبى هذا في يونيو الفائت ، وقد وعدتني بلسان الوزير عن طريق قلم الإرسالية على أثر ذلك بالنظر في طلبى هذا العام لأن وقت النظر في إرسالية العام الفائت كان قد تم .

وليس لدى الآن من جديد أزيده على ما طلبته في العام الفائت سوى لفت نظر سعادتكم إلى تقرير قرأه على منذ أسبوعين المستر إليوت رئيس قسم الإرسالية بلندن ، وهو تقرير عنى كته رئيس مدرسة الكيمياء بجامعة ليفربول البروفسور بالى إلى وزارة المعارف ، وفيه أنه لا شك في نبلى درجة الشرف في الكيمياء ومن الصنف الأول في يونيو القادم ، وأنه ينصح لى بالبقاء عامين آخرين في الجامعة لنيل الدكتوراه D. Sc. ، فرجائى من سعادتكم عند النظر في طلبى أن تلحقوا هذا التقرير به ولكم منى الشكر المضاعف » .



وألقى الدكتور أحمد زكى بالبعثة المصرية ، وحصل على بكالوريوس العلوم من ليفربول عام (١٩٢٣) وعلى دكتوراه الفلسفة (Ph. D.) عام (١٩٢٤) ، ثم واصل دراسته في جامعة مانشستر في تلك المنطقة المشهورة بمصانع القطن ، وعمل مع الأستاذ الكبير روبرت روبنسون . وجدّ الدكتور زكى في عمله ، حتى إن الجامعة أعطته مفتاحاً من مفاتيح أبوابها الرئيسة ، ليخرج ويدخل وقتما شاء .

ويحدثنا الدكتور زكى عن موقف الطلبة والجامعات البريطانية من السياسة ، وهو موقف نال إعجابه : « وأحسست أنه كان في الجامعة ، من طلبة وأساتذة ، للسياسة والساسة احتقار ، وعنهما وعنهم ترفع . والسياسة عندهم عمل فردي ، وهى واجب ، ولكنها واجب شخصي كبعض الواجبات والضرورات التي يقوم بها الشخص منا في خلواته » .

لهذا لم يكن عجباً ألا يجد الدكتور زكى في يوم من الأيام في تلك الجامعة تظاهرة أو إضراباً أو تجمعاً أو مناقشات سياسية .. إلخ .

وبعثت به جامعة مانشستر إلى النمسا ، إلى جامعة جراتس ، حيث الأستاذ بريجيل مبتدع التحليل المكروئي للمواد ، وقضى الدكتور زكى أياماً ممتعة في صحبة العالم الكبير ، وتلاميذه الأفاضل ، وطلبة الجامعة الذين يشتغلون بالسياسة على خلاف الإنجليز .



ويعود الدكتور زكى إلى إنجلترا ، وإلى جامعة لندن في عاصمة الإنجليز ، ويتقدم لنيل درجة الدكتوراه في العلوم ، أعلى الدرجات العلمية « D: Sc » فيحصل عليها سنة (١٩٢٨) . ويصف نقاشهم له عند نيل الدرجة ، فيقول : « كان نقاشاً طويلاً ، ذكرني بنقاش الأزهر عند العالمية ، وخلصت منهم خلوص الشعرة ، والسر أنى كنت أعلم بالذى أنا فيه » .

ويحتفظ الدكتور زكى للندن في ذاكرته بالذكرى الطيبة ، وقد كان سعيداً أن يدرس فيها ، وأن يقضى وقتاً في العاصمة : « كنا في محاضرة ، وبعد الفراغ منها علمنا أن الملكة كانت بيننا تستمع ، جاءت من الباب الخلفى الأعلى للمدرج . وخرجت السيدة الشيخة الوقور تنوكة على عكازها ، والكل وقوف في احترام شديد ، ولم ينبس أحد منهم . كان صمتاً أبلغ من الكلام » .

وبحصول الدكتور زكى على درجة الدكتوراه فى العلوم ، أصبح ثالث ثلاثة يحصلون على هذه الدرجة فى مصر ، بعد المغفور لهما على مصطفى مشرفة وعبد العزيز أحمد .

وعاد أحمد زكى إلى وطنه عام (١٩٢٨) ليجد فيه جامعة ناشئة ترحب به أستاذًا مساعدًا للكيمياء العضوية فى كلية العلوم ، وليكون من أوائل المصريين الذين يحظون بهذا الشرف العظيم . وسرعان ما يحصل أحمد زكى على الأستاذية عام (١٩٣٠) ليكون أول أستاذ مصرى فى الكيمياء .

وسوف نتحدث عن أحمد زكى الأستاذ ، ورائد الطلبة ، والباحث ، عندما نفرغ من سرد تاريخ حياته إلى التأمل فى نواحي شخصيته بعد بضع صفحات من هذا الكتاب .



ثم تجرى انتخابات العمادة عام (١٩٣٦) لانتخاب أول عميد مصرى ، فيفوز الدكتور أحمد زكى بأغلبية الأصوات ، يليه الأستاذ حسن أفلاطون ، يليهما الدكتور مشرفة . ولكن حكومة الوفد الحاكمة فى ذلك الوقت تعين مشرفة عميدًا ، والاثنان بل الثلاثة خيار من خيار ، ولكن أحمد زكى يغضب ، ويتكلم نائب فى البرلمان ، ويرد الوزير الكبير فى البرلمان ليقول إن القانون يعطينا هذا الحق (حق اختيار العميد من بين ثلاثة نالوا أكثر الأصوات) ، وهو قانون العمادة الذى كان معمولًا به وقتها ولا يزال * . ويتكلم طه حسين مع مكرم عبيد على نحو ما روى محمود عوض على لسان الدكتور زكى . وتخلو مصلحة الكيمياء من مديرها الأجنبى ، فيذهب إليها أحمد زكى مديرًا ، لا بحكم الترضية فحسب ، ولكن لأن منصب مدير مصلحة الكيمياء لا يجد بين المصريين من هو أصلح له ولا أجدر به منه .

ويبقى أحمد زكى على صلة بالجامعة ، وتتكرر مسألة العمادة فى عام (١٩٣٩) . ويلحون على أحمد زكى فى البقاء بالجامعة ، ولكنه يصمم على التحول من الجامعة ، ويقول إنه جازله ألا يتحول عند الفشل الأول ، أما عند الثانى فقد وجب التحول ، « ومنونى ، فقلت لا أقيم بأرض تزرع الفشل » .

* بعد صدور الطبعة الأولى و فى عهد قريب (١٩٩٤) تم تعديل القانون وإلغاء مبدأ الانتخاب كلية .

وقد ظل أحمد زكى مديراً لمصلحة الكيمياء أحد عشر عاماً ، ينهض فيها بالمصلحة إلى المصاف الأول من معاهد الكيمياء في العالم ، ويجعلها قادرة على الوفاء بحاجة المجتمع المصرى وصناعاته ، وما إلى ذلك من المهام العلمية والتحكيمية التى تقوم بها مصلحة الكيمياء .



ويأخذ الدكتور أحمد زكى يلعب دوره المرموق فى المجتمع المصرى ، فيكتب فى الإصلاح الاجتماعى ، ويكتب أكثر فى الثقافة العلمية ، وتفسح له المجلات الكبرى المجال ، فكان من أعمدة مجلتى الرسالة والثقافة ، ومن محررى الصفحات العلمية الكبرى فى الصحف اليومية واسعة الانتشار .

ولا يفتأ أحمد زكى يكتب مطالباً بإنشاء معهد قومى للبحوث العلمية ، يتولى أمر هذه البحوث فى مصر ، فى سبيل العمل من أجل قيام النهضة المصرية على الأسس العلمية الثابتة . وتتجاوب دعوة أحمد زكى مع دعوات زملائه من العلماء والمفكرين ، حتى تنتهى الحرب العالمية الثانية بالانفجار المروع للقنبلتين الذريتين ، اللتين أبانتا عن خطورة دور العلم . . وينشر الدكتور أحمد زكى على ما يروى أستاذاً الدكتور أبو العزم « كلمة فى إطار أسود يعنى فيها مشروع المجلس الأهلى للبحوث الذى لم ير النور بعد » ، وكانت كلمة لها صداها . ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى خرج قانون مجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث إلى حيز التنفيذ عام (١٩٤٥) ، ويختار الدكتور زكى سكرتيراً عاماً للمجلس بالإضافة إلى منصبه مديراً لمصلحة الكيمياء .

وفى العام التالى (١٩٤٦) تضاف إلى الدكتور أحمد زكى أعباء إدارة « مصلحة الصناعة » ، فتجتمع فى يد الرجل مفاتيح إدارة العلم التطبيقى فى مصر .

وفى سنة ١٩٤٧ يبلغ مجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث مرحلة متقدمة من التنظيم ، وينشأ له جهاز تنفيذى ، ويختار الدكتور زكى ليكون أول مدير للمجلس (بدرجة وكيل وزارة تتبع رئاسة الوزراء مباشرة) . ويبقى عالمنا على هذا الوضع خمس سنوات (١٩٤٧ - ١٩٥٢) ليؤسس المركز القومى للبحوث على خير وجه ، على نحو ما يرويه لنا أستاذاً الدكتور حامد جوهر فيقول : « كما أن له الفضل الأكبر فى نفخ الروح فيه ، فقد دأب على حفز أولى الأمر فى ذلك الوقت على الاهتمام به ، وإخراج مراكز البحوث إلى الوجود . وقد شاءت له دفته العلمية وسمو همته أن تكون هذه المراكز على أحدث ما وصلت إليه العلوم والفنون ، فرأى بثاقب فكره ، وقوة إرادته ، وحسن إدارته

أن يبدأ من حيث انتهى من سبقونا ، ولهذا الغرض كانت رحلاته في أنحاء الدنيا القديمة والحديثة يزور كل المعاهد والمؤسسات العلمية والصناعية والجامعات وكل مكان يكون للبحث العلمي والتطبيقي فيه شأن ، حتى جاء مجمع المراكز القومية للبحوث آية في الإبداع والكمال ، وظل دليلاً عملياً ساطعاً على ما اتصف به في جميع أعماله من دقة علمية متناهية ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أولاهما ما تستحقه من العناية والاهتمام » .

ويرد الدكتور جوهر: « وإني لأستعمل هنا اسم مجمع مراكز البحوث لأنه في الواقع عدد من مراكز البحوث اجتمعت في موقع واحد ، وهكذا قصد فقيدنا الكبير عندما فكر في إنشائها » .

« ولقد توخى قبل أن يتم وضع برنامج المجمع ورسومه ومواصفاته أن يتم ذلك عن طريق مسابقة دولية عالمية ، اشتركت فيها البيوتات الدولية المشهود لها بالخبرة والكفاءة والامتياز ، ثم جاء دور الاختيار من بينها فوكل أمر ذلك إلى هيئة عالمية ممتازة من العلماء اختارها لهذا الغرض بخاصة ، فإذا جاء دور التنفيذ كان سبيله إلى ذلك مناقصات دولية عالمية اختيرت من بينها الهيئة الأصلح والأقدر على ذلك وأشرفت على التنفيذ هيئات خاصة أيضاً لم يكن اختيارها يتم بدون الدقة نفسها التي نالتها عمليات أخرى . وعلى الوتيرة نفسها تم تجهيز هذه المراكز » .

« وكان هو في هذه الأعمال العقل المفكر المدبر المنسق المؤقت ، وقد راعى في كل ذلك حركة التطور السريع التي يشهدها العلم في هذا العصر ، وأهمية بناء العلم والبحوث العلمية والتكنولوجية للجيل الذي كان يعيش فيه والأجيال التي تليه » .

ولا غرو إذن إذا جاء (مجمع البحوث) آية في الإعجاز ، ومثلاً أعلى لما تكون عليه المشروعات العلمية في عصر الفضاء قبل أن يأتي هذا العصر » .

وكان أحمد زكي إبان رئاسته لمجلس البحوث وتعامله المباشر مع رئيس الوزراء والوزراء يعاني أشد المعاناة من عقليات الساسة الذين يتعامل معهم في الوزارات المتعاقبة . فقد كان هؤلاء مشغولين بل مأخوذون بالأمور العاجلة من مشكلات السياسة والجلاء والمفاوضات وأزمة فلسطين وما بعد الحرب العالمية الثانية ، ومن قضايا الانتخابات وتقسيم الدوائر ، وتوزيع الكراسي . ويذكر عالمنا أنه جاءه ذات مرة مهندس يوناني قدير يعرض عليه فكرة إنشاء السد العالي وأقنعه بها ، وذهب به الدكتور زكي إلى الوزير المختص ، فرد عليه هذا الوزير مستنكراً : « أحنا في إيه ولا في إيه ؟ » . لهذا يجد قارئنا في فلسفة الدكتور زكي حملة شديدة على مثل هذه السياسة قصيرة النظر . ولقد كان أحمد زكي لهذا يعارض في شدة وفي استمرار الشعار الذي رفعناه بعد ٥ يونيو قائلين « لا صوت يعلو على صوت المعركة » .



وحين شكل حسين سرى باشا وزارته الخامسة والأخيرة في الثاني من يوليو عام (١٩٥٢) ، اختار أحمد زكى وزيراً للشئون الاجتماعية ، وكان بين الرجلين صداقة وتقدير ، وإذ تم تشكيل الوزارة على عجل ، فقد كلف البوليس بإحضار أحمد زكى ، فذهبوا إليه كأنهم يقبضون عليه ، ويستحثونه الإسراع ، لمقابلة الملك ، في الريدنجات الأسود ، ولم يكن لديه هذا الريدنجات الأسود ، فاستعاره من صديقه الدكتور السنهورى ، وقد صورت الصحافة ذلك الموقف يومها في صورة طريفة ، حيث قالت إنهم قبضوا عليه « بالبيجامة » ليكون وزيراً .

وهكذا دخل أحمد زكى الوزارة ، فاقسم اليمين ، ومضى بعد لقاء الوزراء إلى الوزارة ، فاجتمع بوكلائها وبالمديرين . فلما انفض الاجتماع أسرع إليه الصحفيون يسألونه ماذا هو فاعل ؟ وقد كان لسؤالهم معنى ، فقد كان أحمد زكى من أقطاب المنادين بالإصلاح الاجتماعى ، وها هو ذا قد ولى الأمور . وقال لهم أحمد زكى إنه اقتنع الآن أن هذه هى وزارة الإنتاج فعلاً . . . يقصد إنتاج المادة الإنسانية . وعبر لهم عن أنه شعر بأنه ليس غريباً عن أهل هذه الصناعة لاتصالها بكل ذى فكر . . وانتقل إلى الخطوات التنفيذية التى يزعم القيام بها ، فقال : « إنه لا اعتراض فى الإحسان إلى العاجز المطلق . . أما أنصاف العجزة والأرامل ، فيمكن ابتداء وسائل لتحويلهم من رجال ونساء يحسن إليهم إلى رجال ونساء يستطيعون بهال الضمان أن يقفوا على أرجلهم فينتجوا » . أما كيف الوسيلة إلى ذلك ؟ فقد قال أحمد زكى إنه يرى أن يعطى الراتب الذى يصرفه الضمان هؤلاء أول السنة دفعة واحدة (بدلاً من أن يعطى شهرياً على ١٢ دفعة) وعندئذ يستطيع الواحد من هؤلاء أن يبدأ به مشروعاً نافعاً ترتفع به نفسه من مذلة الإحسان إلى عزة الاستقلال . فهذه فائدة ، ثم الفائدة الأخرى بإخلاء مكانه لآخر من المستحقين الذين يقفون فى طابور الانتظار . هنا قال له الصحفيون : ولكنك ياسيدى الوزير بهذا لا تعتبر الإحسان إلى الفقراء حقاً على الدولة ، كما ينص القانون . فأجابهم أحمد زكى فى بديهة حاضرة قائلاً : إنه حق لاشك فى ذلك ، ولكن الكرامة الإنسانية فوق الحقوق القانونية .



وقد أثار الدكتور أحمد زكى أثناء توليه الوزارة مسألة تحديد النسل ، وكان يدعو إلى التفكير فى الموضوع بجدية وموضوعية ، وكان يقول إنها مشكلة عالمية ولا يكون حلها إلا بزيادة الإنتاج ، وزيادة الأرض ، واتباع الطرق العلمية التى تضمن وفرة الإنتاج ، وإصلاح الصناعة والنهوض بها

حتى تشكل مصدراً من مصادر الدخل التي ينبغي لها أن تسد حاجة الناس .

وكان أحمد زكي يدعو إلى الهجرة . . وكان يحدد أماكنها ، فيجعل على رأسها السودان الذي هو أخوج ما يكون إلى الخبرة المصرية . . ثم البلاد العربية التي تعاني من قلة السكان حتى إنها مهددة بالغزو لهذه القلة . ومضت الأعوام وأثبتت الأيام صواب أفكار عالمنا .

وكان الدكتور أحمد زكي يؤكد أن برامج تحديد النسل يدعو إليها الوعي ، ولا تحكمها القوانين ، ولهذا فإنه لا يريد تحديد النسل عند الأغنياء والقادرين ، ولكنه يريد عند أولئك الذين عانوا الفقر والتعاسة . ولعمري ، إنه أصوب الآراء التي ينبغي أن تبنى عليها البرامج الإعلامية والدعائية لمشروعات تنظيم الأسرة .

ولم تنتج الأيام العشرون التي قضاه الدكتور زكي في الوزارة أن يرى ثمرات برامجه الإصلاحية ، واستقالت وزارة سرى باشا في الثاني والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ لتعقبها وزارة نجيب الهلالي باشا التي لم تمكث أكثر من أربع وعشرين ساعة قامت فيها ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

ولم يكن أحمد زكي سعيداً بالفترة التي قضاه وزيراً ، وقد عبر - عرضاً - بصراحة عن مشاعره تجاه هذه الفترة ، فقال : « وكانت تجربتي في الوزارة تجربة مرة ، عرفت منها أن للحكم ظاهراً يعرفه الناس ، وأن للحكم باطناً لا يعرفونه ، وليس هذا كذلك . رجل مثلي تعود أن يقيس الأطوال بالمتر ، فإذا وجد شيئاً طوله عشرة سنتيمترات لم يستطع أن يقول إنها عشر بوصات ، ولو قرأها عشرون رجلاً من حوله من أهل الحكم وقالوا إنها البوصات لا السنتيمترات . »



وخرج الدكتور أحمد زكي من الوزارة ، فعاد إلى مجلس البحوث في نفس موقعه ، موقع الرأس من المركز ، واستمر في تنفيذ برنامجه الإنشائي والتنظيمي في عهد الثورة ، حتى زاره أحد كبار رجال الحكم ، فلم يبد الفهم أو الاحترام اللائق بالمركز ، فرد الدكتور زكي عليه مباشرة - على ما يروى أستاذنا الدكتور أبو العزم - في كتاب عنوانه : « المجلس الأعلى للبحوث : ماضيه القصير ، وحاضره ، ومستقبله » .

ويبدو أن الأمر في مجلس البحوث لم يعد يلقي القبول في نفس عالمنا ، فذهب الرجل فقدم

استقالته إلى اللواء نجيب ، ونشرت الصحف اليومية ذلك يوم الثانى عشر من أغسطس عام ١٩٥٣ .

بعدها بخمسة أيام ، خرجت الصحف تعلن للناس نبأ اختيار الدكتور أحمد زكى مديراً للجامعة الأولى في البلاد ، جامعة القاهرة . وهكذا أتيح للجامعة الأولى أن يكون مديرها في فترة الاضطرابات (القادمة) هو ذلك الرجل الذى جمع العلم والمنطق والخلق والشخصية ، وكأنها أراد الله للجامعة الحفظ من العاصفة السياسية التى كانت في مارس (عام ١٩٥٤) . وقد تولى أحمد زكى منصبه في السابع عشر من أغسطس (عام ١٩٥٣) ، والبلد بعد الثورة على شفا جرف هار من أزمات سياسية ، يتصيد لها أصحاب الهوى ، الفرصة بين كل حين وآخر ، وقادة الثورة منقسمون على أنفسهم أو على خلاف في بعض الأحيان مع محمد نجيب أو مع بعض المدنيين الذين قبلوا معاونتهم في تولى أمور الحكم .

وأشيع أن الجامعة ستبدأ سنتها متأخرة ، فخرج أحمد زكى ليطمئن الناس أنها ستبدأ في موعدها . ثم بدأت القلاقل داخل الجامعة ، فلم يتوان أحمد زكى عن أن ينشر رأيه يوماً بعد يوم على الناس من خلال الصحافة - أكثر وسائل الإعلام فعالية يومها - إما بقلمه ، وإما على صورة الاستجابة لسؤال الصحفيين الذين يتوافدون عليه ، ولا بد من الإشارة إلى أنهم كانوا يحبون الرجل ويقدرونه . . وكان منطق أحمد زكى في كل ذلك هادئاً حريصاً ، حريصاً على العلم وعلى كعبة العلم وعلى طلاب العلم من أبنائه .

ثم حدث ما لم يكن من حدوثه بد ، ودخلت قوات الشرطة الجامعة في أزمة مارس ، على الرغم من ممانعة أحمد زكى لوزير الداخلية في ذلك ، واعتدى على بعض الطلاب في الحرم ، وذهبوا بهم إلى مستشفى قصر العيني للعلاج ، وذهب أحمد زكى من فوره فزارهم . فلما كان على باب القصر قابله الطلاب وصاح به أحدهم أن يستقيل ، وصاح به آخر أن يبقى ويدافع عما يطالب به الطلاب ، وزادت حيرة أحمد زكى بين الرأيين أو الموقفين اللذين تنازعا قبل مجيئه من الجامعة إلى قصر العيني . وفكر المفكر ، ثم استقر على الرأي الذى صرح به بعد ذلك لسامى جوهر ونشره في الجليل الجديد : « إن مدير الجامعة يجب ألا تستخفه الحوادث هكذا سرعاً ، وإنه قبل أن يستقيل هكذا غضباً لا بد أن يتصل بالمستولين ليعرف الحقيقة فيما جرى ويطلب القصاص ممن أذنب ، وعلى كل حال يزن الموقف الذى كان ، ويقدر إلى أى شىء هو سائر ، ثم هو من بعد ذلك يستقيل نزولاً على رأى الطلاب » .

وقال الدكتور أحمد زكى إنه اختار هذا الموقف بعد أن عرف « أن نجيباً (الرئيس محمد نجيب)

وصاحبه زارا الجرحى مواسين آسفين » ، « واخترتة بعد أن اتصلت بوزير المعارف وهو الصلة بين الجامعة والمسئولين وهو الرئيس الأعلى للجامعة ووافق على ألا يكون اعتقال إلا أن يعقبه اتهام صريح على الناس . . . » .

« وفرحت عندما برت الحكومة بوعدها ، وأردت أن أعلن ما صنع الوزير فنشرت كتاباً أرسلته إليه شكراً للذى صنع وطلباً للمزيد وتشجيعاً لأهل الخير وتقوية لهم . . . هكذا كان عالمنا يفهم الديمقراطية في ذلك الوقت ، ولو فهمها المسئولون يومها كما فهمها أحمد زكى ما انسأقت البلاد إلى ما انسأقت إليه .

واستطرد أحمد زكى يقول لمجلة الجيل الجديد : « اليوم ، ومسئولية الحكم على عاتقنا ، لا بد أن نقدرها ، ولو استقلت في مثل هذه الظروف فإن « الاستقالة عندئذ تكون من تلك الاستقالات الرخيصة التى تهدف إلى كسب هتاف صارخ عاجل . . . وحسبت أن عهد المحبة الزائفة الرخيصة قد ذهب إلى غير رجعة . . . وحسبت أن مصر اليوم في دور يجب أن تتحمل فيه المسئوليات ولو مرة كالعلم . ثم شرح كيف أن المسئولية عن الجامعة بطلابها الثلاثة والعشرين ألفاً وأساتذتها ومدرسيها وفيها ما فيها من التيارات المتلاطمة مرة كالعلم . وقال : « إن أشد الأمور إيلا ما هو ما يجرح الضمير . وختم كلمته في تحذير ذكى واع ، وفطنة زائدة ، ولباقة شديدة فقال : « وقد أتى وقت يثقل الضمير حتى ينوء فيقدم استقالته » . ولكن أحمد زكى لم يقدم استقالته ، وإنما حفظ له الذين لا يريدون استقلال الجامعة ما حفظوا في صدورهم حتى أتيح لهم أن يتخلصوا منه فتخلصوا ، وترك أحمد زكى منصبه يوم الثامن من سبتمبر سنة (١٩٥٤) فكانت مدة رئاسته أقصر مدة قضاها رئيس لجامعة القاهرة منذ لطفى السيد باشا وحتى اليوم .



وترك أحمد زكى أرفع منصب في الجامعة الأولى بعدما حافظ على استقلالها بكل ما وسعته طاقته ، وطاقته مدير الجامعة . وعلى ذكر استقلال الجامعة ، فإن أحمد زكى كان يصرح في فترة مبكرة من رئاسته للصحافة قائلاً : « إن هناك زعماء كانوا إذا ما جاءوا بالحكم أصدروا القرارات بفصل كل طالب يشترك في أى إضراب أو مظاهرة بالهتاف أو بالإشارة أو حتى بالإيلاء ، حتى إذا ما أصبحوا في المعارضة أنفقوا الأموال ، وأشرفوا بأنفسهم على تنظيم الإضرابات في الجامعة ! » .

وتعود الصحافة لتسأل أحمد زكي في مسألة « الطلبة والسياسة » بعد أن ترك الجامعة بفترة طويلة ، فيقول لهم : « إن جرائم هذا الداء لا تزال إلى اليوم في الدماء ، وهى لا يقتلها إلا الجرعة القوية تدفع فى « الشرايين » دفعا ، ولكنها جرعة قاتلة فلا بد من الاستعاضة عنها بجرعات خفاف توزع على الأيام » .

وكان يسأل كثيرا عن استقلال الجامعة ، فيخلص الرأى فى قوله ، إنه قرأ تاريخ الجامعات من القرن الرابع عشر حتى الآن ، « فدلتنى قراءتى وتجاربى أن الاستقلال لا يصنع بالقوانين ولا باللوائح ولا بالبوليس ولكنه يكتسب ويغتصب » ، « والذي أعلمه أن هذا العهد - يقصد عهد الثورة - هو أقمن العهود على أن يمنح الجامعة كل استقلالها على شرط أن تعطى الجامعة أغراض الجامعة وأهدافها كل جد . . وهذا ثمن هذا » .

وكان يدافع عن الطلاب ، فيقول : « اختلطت بالطلاب حتى فى المباح ، فوجدت الطلاب فرادى من خير ما يمكن أن نجد عليه الطلاب أدبا وذكاء وصفاء قلب ، ولكنى لم أجدهم كذلك فى مجموعة » ، ولهذا كانت دعوته الدائمة إلى تربية الروح الأسرية بين الطلبة وأساتذتهم « بهذا يثمر النصح ويجدى التوجيه » .

وكان إذا سمع آراء القائلين بمنع الطلبة من الاشتغال بالسياسة ، اعترض وقال فى وضوح وقوة : « إنه لا يمكن منع الطلبة من الاشتغال بالسياسة ، لأن السياسة الآن ممتزجة بالحياة ، فلم تعد سياسة ملوك ولا سياسة أباطرة ولكنها سياسة شعوب ، والسياسة تؤثر فى حياة الكبير كما تؤثر فى حياة الصغير ، وتؤثر فى الإفطار والغداء والعشاء ، والسياسة بمعنى الحكم دخلت فى كل مرافق الدولة ، وبدون تحرر لا يمكن أن تعيش أمة ، والطلبة هم رجال المستقبل فلا بد أن يفكروا فى كل شىء ، وفى السياسة هذا فى التفكير . . » ويستطرد أحمد زكي ليقرر قرارا غير واضح الهوية : « أما فى العمل ، أما فيما يصنعون من بعد تفكير وكيف يصنعون فأمر لاشك فيه خلاف كبير ! » .

ولعل الظروف الصعبة التى كان الوطن يجتازها لم تكن تتيح له أن يجهر بأكثر من هذا ، فأرى أن يتقدم بالفكر فى هذه النقطة إلى هذه المرحلة وهذا يكفيه . على أن الباب الثانى من هذا الكتاب سيتناول رأى الرجل فى هذا الموضوع بالتفصيل فى أحاديثه الشهرية .



وكانت الجامعة حين تولى أحمد زكي منصب مديرها ، قد بدأت تشهد التحولات التي كان لابد من حدوثها مع العهد الجديد ، عهد الثورة . ولعل أبرز هذه التحولات هو الاتجاه إلى زيادة أعداد الطلاب ، الأمر الذي حدا بالدكتور زكي ورئيسي جامعتي عين شمس والإسكندرية إلى الاجتماع بالمسؤولين ليقرروا وضع حد أدنى لدرجات القبول في الجامعة ، وهي أولى الخطوات التي خطتها الجامعة نحو ما يعرف اليوم بمكتب التنسيق من أجل تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص . وخرج الدكتور زكي بعد الاجتماع وقبل بداية العام الدراسي ١٩٥٣/١٩٥٤ ليعلن أن الجامعة قد حددت القبول بنسبة خاصة . فقبلت ثمانية آلاف منتظمين وأربعة آلاف على سبيل الانتساب ، وعقب مصرحا لمحرر مجلة الجيل في ٢٣/١١/١٩٥٣ « بأن الذين تركوا باب التعليم الجامعي مفتوحا على مصراعيه لآلاف الجارفة كانوا يقومون في نفس الوقت بخدعة غير نظيفة لا يرضاها ضمير أي إنسان » .

وعلى الرغم من هذا الموقف القوي الذي اتخذته أحمد زكي لتحديد أعداد المقبولين في الجامعة ، فإنه كان يدفع الرأي القائل يومها بانحدار أخلاق الطلبة ، وكانت وجهة نظره في هذا « أن الزيادة في الكم تكون على حساب الكيف ، والكم دائما يخرج منه كيف أكبر ولا شك أن عندنا الآن كفايات أكبر وأقدر ولسنا في حاجة إلا إلى جو اطمئنان » . ويردف موضحا أهمية هذا الاطمئنان في تحقيق الروح المطلوبة للجامعة والبحث العلمي . فيقول : « إنه قبل لذة البحث لا بد من تأمين العيش وتأمين العدالة » (الجيل الجديد : ٢١/٩/١٩٥٣) .

ومن التحولات الاجتماعية المهمة التي بدأت الجامعة تواجهها في عهد أحمد زكي قضية التوجه نحو مجانية التعليم الجامعي ، وقد أخذ هذا الاتجاه خطواته تدريجيا إلى الوجود ، في ظل قواعد متدرجة صاغها الجامعيون وشارك الدكتور أحمد زكي في وضع خطوطها العامة ولمساتها الأخيرة ، وكان يرى أن الغرض من المجانية هو محاربة الحرمان من مواصلة الدراسة . ولهذا فإنه كان ينادي من ربع قرن بآلا تعطى المجانية للطلاب الذي يتكرر رسوبه « فرحة بالطلاب الذي يتكرر رسوبه أن نخلى الطريق لغيره من الذين عندهم الاستعداد » .



وفيما يتعلق بالزى الجامعي ، فقد تقرّر زى جامعي في عهد أحمد زكي ، ولكنه كان على سبيل الاختيار ، ومع ذلك لقي الدكتور زكي بعض الهجوم ، فقال إنه لا يعتقد أنه يمكن أن نجبر طلبة الجامعة على ارتداء زى واحد لأن طلبة الجامعة غير طلبة المدارس . وفسر ذلك بأن طلبة الجامعة هم في حكم المواطنين المسؤولين ، لهم رأيهم وظروفهم وأمزجتهم . . ولا ينبغي أن يفرض عليهم زى معين ، وإنما كان الزى الذي تقرّر تعبيراً عن إرادته في أن « يلفت نظر الشباب إلى أن هذا الكرنفال المتناقض من الأزياء لا يجب أن يظل معروضا في كعبة عالية » .

ثم تحدث مستعينا بأفقه الواسع ، وعقله الكبير ، فقال إنه لو قرر الزى إجباريًا فإنه يخشى أن تكون استجابة البنات أسبق لاستجابة الأولاد ، ومرجع ذلك عنده أن المرأة تفوق الرجل في إحساسها بشيء مهم هو الأناقة . . والأناقة أوضح ما تكون في الزى الواحد .

وتصادف أن جاءت نهاية العام الدراسي (١٩٥٤ / ٥٣) مع شهر رمضان ، واختلفت الآراء في مسألة توقيت الامتحانات . هنا ظهرت الروح الجامعية عند أحمد زكى فترك الأمر في جداول الامتحانات للكليات ، وقال : إنها أعرف بظروفها ، وبما أتت من مقررات . . فلما حاول البعض الاصطياد في الماء العكر والإشارة إلى أن الحوادث التي وقعت في الجامعة هي التي أدت إلى هذا ، قال أحمد زكى إنه لا يظن أن في هذا مشكلة ، فإنه يعرف تاريخ الجامعة منذ نشأت ، وقد جاءت عليها بعض السنوات التي لم تستقم فيها الدراسة أكثر من ثلاثة شهور أو أربعة . . وعن مشكلة مجيء رمضان مع موسم الامتحانات استفتى الطلبة مفتى الديار في الإفطار وجوازه ، فأفتاهم بجوازه ، وعقب أحمد زكى - عندما سئل عن رأيه - فقال إن كثيرًا من المسلمين يتخرجون بضميرهم من الأخذ بهذا الرأي .

ومع ظهور نتائج الامتحانات بانث في الأفق مشكلة تعطل الخريجين الذين زادت أعدادهم عن كل حاجة . . وسئل أحمد زكى عن رأيه فقال : « إن التعطل أصبح مشكلة مزمنة ، وإنه يوجد عند غيرنا من الأمم ، وإنه لا يزول إلا بالحروب » . . ولكنه لا ينادى بمثل هذا في مصر ولا يعلل الأمور بوجوده في الخارج ، وإنما يدعو إلى إنشاء « مراكز للتوظيف » لأن العمل في مصر موجود والقادرون عليه موجودون ، ولكن المسألة في إيجاد الصلة المنظمة بين الاثنين . . وهي الفكرة التي اتخذت بعد ذلك اسم « القوى العاملة » .

ولكن أحمد زكى كان ينبه بشدة إلى خطورة التعطل ويقولها في صورة حكمة « ليس أخطر من عامل متعطّل » .



وبرغم كل هذه الأمواج العاتية ، والظروف المتعاقبة ، والمشكلات التي كانت تستنفد الجهد والوقت ، كان أحمد زكى حريصًا على توجيه طلابه ، وإسداء النصح إليهم ، في كل مناسبة يتحينها للحديث إليهم ، وكان يدعوهم إلى التمسك بالأخلاق وتقوية الشخصية ، وكان يقول لهم : « إن الرجل لا يكون بكثرة معارفه ، ولكن بصحة أخلاقه وصلابة نفسه » . وكان يحثهم على استقلال الرأي : « من أكبر مميزات العقل الناضج الاستقلال ، ومن أسوأ صفاته التعبد لكل مستعبد ، فالتبعية عبودية ، وشر ما ينال الناس العبودية لا سيما عبودية الرأي » .

لا شك كان أحمد زكى يقصد بعبودية الرأي انسياق الطلاب إلى تأييد القوى السياسية خارج الجامعة من دون تمحيص لأرائهم التي لن تحتل أمام عقل الطالب النبيه دقائق حتى يتبين زينها .

وكان أحمد زكى يمتد بنصائحه لطلابه إلى فترات الإجازة فيقول لهم إنها جعلت للاستجمام ، والاستجمام يكون بتغيير النشاط لا بالنوم .

وكان يدعوهم إلى القيام بواجبهم نحو ذويهم في قراهم بتثقيف الريف ، وكان يرى أن خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف هي المصاطب !! (١٩٥٤ / ٥ / ١) .

وكان أحمد زكى قبل هذا كله وبعد هذا كله حريصا على توفير احتياجات الجامعة من المعامل والكتب والأدوات ، ولم يكن يتوانى عن إعداد القوائم بمطالبتها وترتيبها ، والذهاب بها في قوة وفي مرحلة مبكرة إلى أولى الأمر يطالبهم بها . وقد نشرت صحف الصباح في ١٩٥٣ / ٩ / ٦ أنه « توجه بالأمس لرياسة مجلس الوزراء وتقدم بطلبات الجامعة للرئيس محمد نجيب حتى تبدأ الجامعة عامها بالعمل فلا ينساق الطلبة وراء فورات الغضب أو التسرب إلى العمل في الميادين المتطرفة . . . » . وسئل عن المبالغ التي طلبها وانتهى يحتاجها ، فقال إنه يتعشم ألا يقل المبلغ المعتمد عن ٦٠ ألف جنيه !!



ولعلنا بعد هذا العرض الطويل لمواقف أحمد زكى مدير الجامعة نستطيع أن نتبين العوامل التي ساعدته على اتخاذ هذه المواقف المشرفة . وليس من شك في أن على رأس هذه العوامل ، علمه ، وخلقه ، وإيمانه بالجامعة ، وخروجه من بين صفوفها ، وفكره النير ، وشخصيته القوية ، وتاريخه الطويل ، ودراسته لماضيها وماضى الجامعات الأخرى . . على أن هناك عاملاً هو عندى أهم من هذه العوامل الثمانية آنفة الذكر - برغم أنها هي التي كونته - هذا العامل هو الذى جعل لأراء أحمد زكى قيمة ، ولصوته مدى يسمع ، ولتحركاته أثرا عند الناس ، أثر العلم بها عند العامة ، وأثر الاستجابة لها أو تقديرها عند أولى الأمر . ولم يكن هذا العامل إلا أن أحمد زكى كان « شخصية عامة » بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان . فلم يكن أحمد زكى عالماً يعيش في برج عال ، ولا أستاذاً تحده الجامعة ، ولا صاحب خلق ينأى عن المشاركة لينأى عن الخطأ ، ولا مؤمناً بالجامعة

في الجانب النظري حائزًا في البحث عن أى الطرق يؤدي به إلى تطبيق فهمه لها ، ولم يكن أحمد زكى غريبًا عن الجامعة ، ولا كان فكره غريبًا عن فكر الجامعة والفكر الجامع ، ولا كانت شخصيته بالتى تلين أمام الباطل القوى أو التى تبعد عن الحق الضعيف ، ولا كان جاهلاً بماضى جامعة القاهرة ولا الجامعات في الدنيا القديمة والحديثة . . كل أولئك ساعد على تكوين « شخصية عامة » اسمها أحمد زكى ، وهو رجل عنده - بما آتاه الله من موهبة - الاستعداد لأن يكون « شخصية عامة » لها وزنها الذى يظهر أثره في مثل هذه الأحداث .

بقى أن نتأمل في تصاريف القدر فقد كان أحمد زكى يتمنى أن يكون عميدًا لكلية العلوم يسوس أمرها ويربى أجيالها . . ولكن الله لم يشأ له هذا لأنه شاء لمشرفة ، ولأنه شاء لأحمد زكى أن يدخر طاقاته الجامعية جميعًا ربع قرن من الزمان لتظهر في أحرج الأوقات التى مرت بها الجامعة حين جاءتها تيارات التحولين السياسى والاجتماعى دفعة واحدة ، وهى الجامعة الهادئة القائمة على الثبات والاستقرار منذ توليها لطفى السيد وخمسة عشر عامًا رسم فيها سياستها الثابتة ، ثم تلاه على باشا إبراهيم لينهض بها النهوض المحسوب والمطلوب . . رزقها الله في مرحلة التحول بأحمد زكى ، وهو الذى شملت معارفه العلم والفكر والأدب والصحافة ، وأجاد التعبير والتحليل والفهم والتأويل ليوجه دفعتها وسط هذه الأمواج العاصفة . ولهذا فلسنا مبالغًا إذا قلنا إنها إرادة الله أن تحفظ الجامعات المصرية في هذا الوقت بهؤلاء الثلاثة الذين رأسوا الجامعات الثلاث : أحمد زكى ، ومحمد كامل حسين ، ومحمد عوض محمد . على أن أكثرهم بلاء وابتلاء كان أحمد زكى ، وقد كان أكثرهم قدرة على التصدى لهذا الابتلاء الذى أصاب أكثر ما أصاب الجامعة الأولى التى ولى أحمد زكى أمرها .



ترك الدكتور أحمد زكى منصب مدير الجامعة إلى مكتبة بيته يقضى وقته فيها ، يقرأ ويدرس ويراجع ما يكتب ، وكان قد بلغ الستين قبل خروجه من الجامعة بقليل . وكان أحمد زكى مشتاقًا إلى الهدوء وراحة النفس والبال ، فجاءه ما انتهى ، فسعد به ، ولكنه مع ذلك كان يشارك برأيه وفكره في كثير من الأمور ، وبخاصة أن الصحافة كانت تذهب إليه كثيرًا تطلب منه الرأى ، وتنشره على الناس .

ثم فكرت دولة الكويت في إصدار مجلة العربى لتكون للعرب أجمعين ، وكان صاحب الفكرة

هو المغفور له الأمير صباح الأحمد الصباح وكان وقتها رئيساً لدائرة الإعلام . ووقع الاختيار على الدكتور أحمد زكي ، واستجاب الدكتور زكي ، واختار فريق عمل يساعده على إصدار مجلة العربي ، وصدر عددها الأول في ديسمبر عام ١٩٥٨ ، وجهد أحمد زكي في كل صفحة بل في كل ركن من المجلة واضح ، أثره وفكره وقلمه ونظام عقله .

ونجحت المجلة العربية نجاحاً كبيراً بدأت بأربعين ألف نسخة ، وسرعان ما أصبحت تطبع أكثر من مائة ألف نسخة ، فلا تغطي السوق ، ولكنها لا تستطيع زيادة العدد ، لأن طاقة المطابع المخصصة لها لا تسمح لها بذلك إلا مرة واحدة في العام حين تصدر العدد الممتاز مع مطلع العام والذي بلغ توزيعه ربع مليون نسخة .

وتعطي مجلة العربي من نجاح إلى نجاح ، ومن تطوير إلى تطوير ، وتهتم بأمر البلاد العربية والمدن العربية ، والأحوال العربية ، والتاريخ العربي ، وتسجل كل ذلك في استطلاعات مصورة شاملة مستقصية ، أرادها الدكتور زكي على نمط المجلة الجغرافية الأمريكية فجاءت لا تقل عنها دقة وروعة وجمالاً .

وتهتم مجلة العربي بالقضايا الفكرية ، فتناقشها على مستوى عال رفيع ، وتتيح الفرصة للرأي والرأي الآخر دون سلطة ولا بيزنطية ، وتفتح بابها لرسائل قرائها وتقديراتهم وتعليقاتهم وتصويباتهم ، وتطلب رأيهم في كل مرحلة تقدم فيها على تطوير نفسها .

وتتولى مجلة العربي قضية الأسرة والمرأة اهتماماً متزايداً فتبسط المسائل الطيية ، وتكرر النصائح لربة البيت ولرب البيت ، لا فيما يتعلق بنظم التغذية والصحة فحسب ، ولكن في طرق التربية والتوجيه ورعاية الأبناء في جميع مراحلهم .

وتستكتب مجلة العربي أعلام القلم العربي في كل المجالات ، كل في مجاله الذي برز فيه ، وتكثر فيها نسبة أساتذة الجامعة والتكنوقراطيين لأن أحمد زكي كان حريصاً على المستوى الرفيع للمادة التي تقدمها المجلة .

ويستطيع أحمد زكي بحكمته أن يتعد بالمجلة عن النزاعات والمعارك العربية الجانبية ، فيجنب مجلته الخوض في هذه المجالات على نحو ما فصل القول فيه في افتتاحية العدد الممتاز (يناير ١٩٦٦) .



ولم يكن على مجلة العربي رقيب واحد ، وإنما كان عليها عدد كبير من الرقباء بقدر ما تدخل من بلاد ، ولكن أحمد زكي كان قادرًا على أن يحافظ لمجلته على حرية القول وحرية الدخول إلى كل هذه البلدان ، ويكفى للتدليل على ذلك أن مجلة العربي لم تمنع من دخول مصر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر إلا مرة واحدة .

وكان أحمد زكي يتأى بالعربي عن أن تكون موضعًا لأحقاد أو تصفية حسابات . كانت العربي للعروبة تعبر عن انتصاراتها وانتكاساتها ، وواقعها والأمل الذي تؤمله لها . وقد خرج عدد مجلة العربي التالي للنكسة ٥ يونيو (يوليو ١٩٦٧) أسود الغلاف ضامًا بين دفتيه تحقيقًا مؤثرًا عن الحرب ، وقد سماها أحمد زكي بالنكسة لا بالنكبة (ليكون منها شفاء) .

وحين انتقل عبد الناصر إلى رحمة الله ، وضعت العربي صورته في افتتاحيتها ووضع أحمد زكي تحت صورة عبد الناصر قول الشاعر :

« ولقد نظرتك والردى بك محقق والداء ملء معالم الجثمان »

على الرغم من أن أحمد زكي لم يكن رجل عبد الناصر ، بل وقد عانى منه ، ولكنها العروبة والوطنية والتعبير الصادق .

وحين كان الرئيس السادات يعاني في أول عهده - في كثير من الأحيان - من الصحافة العربية غير الناضجة ، كانت العربي في حديث الشهر لرئيس تحريرها تزن الأمور بالميزان العلمي الدقيق ، بحكمة العقل والمنطق ، منطلقة من عقلية تقدمية راقية .

وحين استرد العرب كرامتهم في حرب أكتوبر ، خصصت العربي أعدادًا ثلاثة متوالية واكبت بها بالصورة والقلم أعظم نصر حققه العرب ونتائجه وآثاره ورؤية العالم له .

وأفسحت مجلة العربي مع ذلك مساحات كبيرة للمشكلة الفلسطينية ، والأوضاع المترتبة عليها .

وأناحت المجلة لقارئها العربي أن يتابع التطورات العالمية والمتغيرات الدولية والمسائل التي أثارت العالم لفترات طويلة كحرب فيتنام في متابعة دقيقة ، ومعالجة وافية مع العناية باستخلاص العبرة بطريقة فنية تبعد عن الأسلوب المباشر الفج .



ومن خلال باب أنباء الطب والعلم والاختراع ، استطاع الدكتور أحمد زكي بنفسه أن يجعل القارئ العربي قادراً على متابعة وملاحقة التطورات العلمية في العالم كله شهراً بشهر في هذه المجالات الثلاثة : من الطب استكشافاً وعلاجاً وعقاقير جديدة ، والعلم ونظرياته وابتكاراته . . . والاختراعات العلمية الجديدة في الصناعة ، والزراعة ، والحياة اليومية ، وشتى النواحي التي غزتها التكنولوجيا .

وأراد الدكتور أحمد زكي أن يجعل في متناول كل أسرة موسوعة طبية شاملة تسد حاجتهم في الإسعافات الأولية في حالات المرض المفاجئ والحوادث ، فكان الباب الرائع الذي يجب فيه الدكتور زكي بنفسه ثم (نخبة من الأطباء بعد ذلك) عن أسئلة القراء .

ولم يكتف الدكتور زكي بذلك ، وإنما وضع خطة استطاع من خلالها تعريف القراء بالأمراض الشائعة جميعاً ، مرضاً مرضاً في كل عدد من أعداد المجلة ، واستكتب الدكتور زكي مجموعة من الأطباء الكبار للحديث عن هذه الأمراض على نحو منهجي ، وكتب الدكتور أحمد زكي نفسه بعض هذه الفصول .

وكانت مجلة العربي تحرص على أن تكون مجلة جامعة تتيح للمستويات الثقافية العلمية أن تقرأ في غير تخصصها . وكانت نظرية أحمد زكي في ذلك - كما عبر في يناير عام ١٩٦٨ - أن « أستاذ الطب تلميذ غالباً عندما يتصفح مقالاً في فلسفة الأديان ، وأستاذ الفقه الإسلامي تلميذ غالباً عندما يتصفح مقالاً في نفسية المراهقين والمراهقات ، وأستاذ التاريخ تلميذ غالباً عندما يقرأ مقالاً في إنتاج الكهرباء من الذرة . . . وهكذا » .

وفي عبارة أخرى عبر الدكتور أحمد زكي عن هذا المعنى في العدد التاسع (أغسطس عام ١٩٥٩) فقال إن العربي « للطائفة المثقفة : هي للطبيب في غير طب ، وللعالم في غير علم ، وللنفساني في غير نفس ، وللجغرافي في غير جغرافيا ، وللأديب في غير أدب » .

ومع هذا فالرجل المتخصص قد يقرأ في علمه أو أدبه فيلذ له طريقة عرضه .

وقد استطاعت المجلة أن تتجنب « الأكاديمية المفرقة » . جاء ذلك من إيمان أحمد زكي بأن المجلة العامة لها مستوى تقف عنده لا تتعداه ، فإذا هي تعدته ، وطرقت موضوعاتها تخصصاً ، وبلغت التخصص ، وبولوع في التخصص ، لم يفهمها إلا المتخصص ، وإذن تنقلب المجلة إلى مجموعة مقالات عالية التخصص ، لا يفهم منها القارئ المتخصص إلا موضوعاً واحداً ، ولن نجد في الدنيا هذه الحال .



وكان أحمد زكى يعطى عناية خاصة للناحية الفنية في المجلة . وكانت هذه الناحية بالذات في مجلة العربى من المزايا الظاهرة والواضحة التى تمتاز بها المجلة (لأول نظرة) على المجلات العربية المعاصرة .

وبالإضافة إلى التنسيق والتبويب الرائعين اللذين كانت المجلة تمتاز بهما ، فقد كانت صورها معبرة ، واضحة التعبير . وإن كل صورة من هاتيك تصلح للحصول على جائزة صحفية بالمعنى المقصود . وبالإضافة إلى الصور كانت هناك الرسوم البيانية عند الحاجة إليها تنطق بالمعنى المقصود ، وكانت هناك أيضًا الرسوم التوضيحية التى كان الدكتور زكى يكلف بها الفنان « حاكم » لتحتل أماكن معينة من محدث الشهر .

وكانت مجلة العربى على عهد الدكتور أحمد زكى تولى غلافها أهمية خاصة ، وكثيرًا ما كانت تضع عليه ، على حد تعبير الدكتور أحمد زكى « زهرات من نباتنا حية ، ناطقة ، محتشمة » . ولكن هذا لم يرق للبعض ، فكتبوا يطلبون أن تختار المجلة لغلافها صورًا من الحجر الأصم تخرج بها من المتاحف « أثرًا من الآثار المحفوظة لترى النور » . ونشرت المجلة رأى المعارضين ، وردت عليهم بوجهة نظرهما ، وسارت على نهجها الذى سارت ، عليه وبخاصة أنها كانت تختار هذه الصورة من واقع المادة التى يحتويها العدد .

أما الصور الفنية التاريخية ، فقد أفسحت لها العربى الغلاف الداخلى (ص ٢) حيث كانت تعرض أبرز اللوحات العالمية وما إليها من الآثار والتحف الفنية من شتى العصور . كانت المجلة تعنى بالتثقيف الفنى من خلال هذه القناة ، فكانت تفرد من صفحاتها مواضع للحديث عن النواحي الفنية والجمالية والتاريخية للأثر الفنى الذى صورته فى صفحة من صفحاتها .

وكان الدكتور أحمد زكى يحرص على تحقيق النسب العادلة بين البلاد العربية فى اهتمام العربى ، سواء فى الاستطلاعات المصورة أو الموضوعات الصحفية الأخرى .

وكانت العربى على صلة دائمة بقرائها فى أكثر من بريد ، فهناك بريد القراء التقليدى يحمل الرغبات والآراء ، والتعليقات ، وما يعتقد أنه التصويبات ، والتعليقات . وبالإضافة إلى ذلك هناك باب « أنت تسأل ونحن نجيب » فيه الإجابات الشافية الوافية عن أسئلة القراء فى المعلومات العامة . أما أسئلتهم فى الطب فكان لها بابها الذى تحدثنا عنه .

وحتى مقال رئيس التحرير نفسه كان يتفاعل فى أحيان كثيرة مع رغبات وتعليقات قرائه . وأشهر مثل لذلك هو مقال الدكتور زكى عن الجدل وآدابه (فبراير عام ١٩٧٣) الذى كان صدى

لما وقع في نفسه من استياء أو دهشة لمواقف وقفها بعض القراء من مقال للأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري .



ومن الطريف على سبيل المثال أن نذكر أن كتاب العربى من أعلام الفكر الإسلامى قد تولوا وزارة الأوقاف المصرية على التعاقب سواء قبل نشأة العربى أو بعد كتابتهم فى العربى . وقد كان كتاب العربى - كقرائها - منتشرين فى بلاد العروبة جميعاً .

وقد كسبت العربى كثيراً - لا كسباً مادياً - وإنما قراء جيل بأكمله . ولم تكسب المجلة رواجها هذا بإثارة الغرائز الجنسية ، ولا باستغلال بسائط المفاهيم الشعبية ، ولا العواطف الجماهيرية . . . كسبت العربى بجماهيرها الحقيقية ، وبطرح اللغو جانباً ، وبالجواب الصائب بعد الدرس المتأنى .

ولا بد من أن نشير هنا بالتقدير لفريق العمل الذى عاون الدكتور زكى فى المجلة : الأستاذ يوسف زعلواوى ، والأستاذ منير نصيف ، والأستاذ محمد طنطاوى ، والأستاذ أوسكار مبرى ، والأستاذ سليم زبال .

وقد كان ثلثا العربى تقريباً يكتبان فى دار الدكتور زكى ، على حين كان الثلث الثالث بأقلام الكتاب غير المتفرغين . وهنا لا بد أن نذكر أن عالمنا الجليل لم يكن يشترط لنشر المقال اسم صاحبه ، وإنما كان يهمه فى المقال المقال نفسه موضوعاً ، وطريقة معالجة .

وقد بذل الدكتور أحمد زكى طيلة سبعة عشر عاماً قضاها مع « العربى » فى الكويت جهداً ضخماً ، حتى أخرج هذا العدد الضخم من أعدادها « قرابة مائتين » وكان أحمد زكى يعد مجلة العربى كتاباً شهرياً لا مجلة فحسب . . ولم يكن مدده فى هذه الجهود (كما عبر الفريق الذى عمل معه فيها) قوة بدن ، إذ كان يمعن فى الشيخوخة ومتاعبها ، وإنما كان مدده من حماسة نفسه ، وشعوره العميق بالمسئولية والأمانة ، وغيرته على عمله كأشد ما تكون غيرة الكريم على عرضه ، وقد أعانه على ذلك تيقظ ذهنه ، كأنه فى معركة حاسمة يتعرض فيها المحارب لأوخم العواقب عند أدنى هفوة .

"وكم من كلمة واحدة ، وقف عندها طويلاً ليفتح المعاجم والمراجع ، أو يسأل الخبيرين بها ، حتى يستوثق من صوابها ودقتها ومعناها المقصود ، وإذا كانت أعجمية حرص على أن تكتب بحروف لاتينية ، وإذا كانت مشكلة النطق ضبط منها ما يزيل إشكالها ، حتى يسهل النطق بها صحيحة ، وقد بذل هذا الجهد شهراً فشهراً ، بل يوماً فيوماً ، وساعة بعد ساعة " .



بقيت نقطة جديدة بالتأمل : هل كان الدكتور زكي صحفياً ؟ الأمر في هذا ليس بحثاً عن إضافة تضاف إلى شخصية العالم ذي الأفق الواسع ، ولكننا إذا قلنا إن الدكتور زكي كان صحفياً فإننا نهدف في المقام الأول إلى تقدير الصحافة ، كمهنة لا يبرع فيها من هو غريب عليها .

كتب الدكتور زكي في البلاغ والثقافة والرسالة والهلل وفي غيرها من الصحف ، وليس في الكتابة للصحف ما يكفي ليكون المرء صحفياً ، فهو من هذه الناحية كاتب صحفى (حسب الاصطلاح) فحسب . ورأس الدكتور زكي تحرير الهلال وتحزير العربي ، والصحافة العربية المعاصرة تنبئنا أن رئاسة التحرير لا تعنى بالضرورة أن يكون من تولاه صحفياً ، ولكننا إذا وجدنا رجلاً وقد أسس مجلة على النحو الذي فصلنا القول فيه عن قرب لم يكن في وسعنا إلا أن نضعه - بعدما وضع نفسه - بين أعلام الصحافة وأعمدتها .

لا أريد أن أحدثك عن كفاية الدكتور زكي وقدراته الصحفية في عبارات نظرية ، فقد أوردت بطريقة غير مباشرة أمثلة رائعة على دقة هذا الحس ورفقه في فقرات سابقة كان أحمد زكي فيها في موضع المسئول الذي يجيب على أسئلة الصحفيين .

وقد نضيف هنا أن نطلب إلى قارئنا أن يرجع إلى عدد مجلة الإثنين (١٨ / ١٠ / ١٩٥٤) ليطالع صفحتين جعلتهما المجلة كمجلة مستقلة وتركت للدكتور زكي مهمة تحريرها . . هنالك تظهر لك كفاية صحفية على نطاق ضيق - كما ظهرت على النطاق الواسع - وتجسد الدكتور زكي وقد جعل في مجلة ذات صفحتين ثمانية أبواب متكاملة وشاملة : كلمة العدد ، رسالة إلى الشباب ، حكمة العدد ، نكتة الأسبوع ، تعاريف ، قصة ، الصيدلاني الذي قال بانتهاء العالم ، من ألبوم الطفولة .

ومن المؤكد أن الحديث عن كفاية أحمد زكي الصحفية بعيد كل ما أثبتته في أعظم مجلة عربية في القرن العشرين أسسها ورأس تحريرها قد يصبح نوعاً من أنواع التزويد غير المقبول . قد نستطيع أن نقول إن رئاسته لتحرير الهلال من قبل قد ساعدت على هذا النجاح السامق كما ساعدته موهبته وفطرته وثقافته . ولكنى أعتقد أنه لا محل لكل هذا الحديث ولا لبعضه بعد كل النجاح الذي حققه أحمد زكي بالفعل في المجال الصحفي .



وطوال المدة التي قضاها الدكتور أحمد زكي في الكويت ، كان يحظى بالاحترام والتقدير الزائد من أهل الكويت حكومة وشعباً ، لا لعلمه وقلمه ومكانته فحسب ، ولكن لأن الرجل كان قادراً على أن يبقى دائماً كتوما للسر ، محترماً لأهل البلد وتصرفاتهم في بلدهم ، ولسياستهم ، لا يتدخل في شيء من ذلك كله ، وهو الذي يعيشه كل يوم . كان أحمد زكي يعرف ، ويدرك تمام الإدراك الخطوط الفاصلة بين الأخلاق التي تبدو وكأنها متشابهة ، ولا يفصل بين الخلق الحميد والآخر غير الحميد إلا خط رفيع ، حين يتعداه المرء يخرج الأمر من خلق يحمد إلى خلق يذم .

وقد أعطت الكويت للدكتور أحمد زكي الحرية الكاملة في المجلة ، وسجلت المجلة ذلك على غلافها الداخلي « تصدرها وزارة الإعلام . . ووزارة الإعلام غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء » . ومع هذا فقد أعطى الدكتور أحمد زكي المثل الأعلى في الحرية المسئولة ، وتقدير شرف الكلمة .

وكان أحمد زكي طوال هذه المدة يبقى في الكويت معظم وقته ، ويزور القاهرة على فترات متقطعة طوال العام ، يحضر جلسات مجمع اللغة العربية في مؤتمره السنوي ، ويزور أصدقاءه وتلامذته في الجامعة ومراكز البحوث .



ينبغي لنا أن نعود الآن لتتبع - بشيء من التأمل - نشاط أحمد زكي في الميادين المختلفة بعدما تتبعناه بطريقة زمنية في مراحل حياته المختلفة .

وأول هذه النشاط كان في لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فقد كان أحمد زكي من أعضائها

البارزين ، وقد طبع كتابه الذى ترجمه بالاشتراك مع الدكتور الكرذانى أربع موات ، اثنتان منها فى الفترة التى كان يدرس فيها فى لندن .

وكان أحمد زكى بلا شك من العلماء الرواد الأوائل الذين بنوا نهضة مصر العلمية فى عصرها الحديث . وقد ساهم أحمد زكى مع نخبة من أعلام الفكر والثقافة فى تأسيس المجمع المصرى للثقافة العلمية سنة (١٩٢٩) ليكون منارة لنشر الثقافة العلمية بين طوائف الشعب المختلفة ، وكان الدكتور زكى من أبرز أعضاء هذا المجمع ، وقد تولى رئاسته فى أوائل الأربعينيات ، وألقى فى مواسمه الثقافية المتعاقبة عددًا من المحاضرات يطالع القارئ بيانها فى الباب الرابع : الجيولوجيا .

وحين بدأ فى مصر الاتجاه إلى إنشاء الجمعيات العلمية فى الفروع المتخصصة من العلم على غرار الجمعيات البريطانية المتخصصة ، كان للدكتور زكى الفضل الأكبر فى تأسيس الجمعية الكيميائية المصرية سنة (١٩٣٨) ، وقد انتخب رئيسًا للجمعية وظل رئيسًا ربيع قرن من الزمان حتى شغلته الحياة ، فأثر الاستقالة من الرئاسة .

وساهم الدكتور أحمد زكى بجهده وافر فى تشجيع إنشاء جمعية خريجي كليات العلوم ، وكان لا بد للشباب الداعين إلى الفكرة - كإجراء رسمى - من أحد الأساتذة يروء حركتهم هذه ، فاختاروا الأستاذ الحبيب إلى قلوبهم أحمد زكى ، فكان يوجههم ولا يفرض عليهم رأيه فى مجلتهم « رسالة العلم » التى أصدروها وسجلوا فيها شكرهم له ، وتقديرهم لموقفه منهم .

وانتهز الدكتور أحمد زكى الفرصة ليستقل أنفاؤه بأنفسهم ، فلما حانت صمم على أن يقوموا بأمر جمعيتهم ومجلتها التى لا تزال تصدر إلى اليوم .

وكان الدكتور زكى بك واحدًا من علمائنا العشرة الذين أسسوا الأكاديمية المصرية للعلوم فى أكتوبر سنة (١٩٤٤) ، أما التسعة الآخرون فهم الأساتذة والدكاترة : على مصطفى مشرفة ، ومحمد خليل عبد الخالق ، وحسن صادق ، وإبراهيم رجب فهمى ، وكامل منصور ، وعلى حسن ومحمد رضا مدور ، ويونس سالم ثابت ، وسعد الله مدور . وقد تولى الدكتور أحمد زكى رئاسة هذه الأكاديمية حين أصبح أكبر الأعضاء سنا حسب ما يقضى به نظام الأكاديمية .

والحق أن هذه الأكاديمية قد استطاعت - على الرغم من بقائها أهلية إلى الآن - أن تنهض بالواجب الذى تنهض به الأكاديميات العلمية الوطنية ، وقد مضت فى سبيل تحقيق أهدافها بخطوات كبيرة ، وواظبت على إصدار مجلتها العلمية رفيعة المستوى بأبحاثها العلمية الدقيقة . وقد تطورت الأكاديمية مع الزمن بحيث صارت تضم اليوم أربعين عالما فى أربع شعب .



كذلك هيأت شخصية أحمد زكى الفذة أن تستعين الحكومات المتعاقبة به في كثير من المواقع ، فكان رحمه الله عضواً في المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية ، وعضواً في مجلس إدارة البنك الصناعي ، وعضواً في مجلس معهد فؤاد الأول للصحراء . ولا شك أن كل هذه المواقع قد أفادت من وجود أحمد زكى فيها يشارك في توجيه دفة الأمور نحو ما يراه صواباً وملائماً بفكره وثقافته وخبرته في الحياة ممارسة وقراءة .

وكان الدكتور أحمد زكى عضواً في مجمع الخالدين و كان واحداً من العشرة الذين ضمهم الفوج الثالث من أعضاء مجمع اللغة العربية سنة (١٩٤٦) ، مع الأساتذة والدكاترة : عبد الرزاق السنهورى ، وإبراهيم بيومى مذكور ، وعبد الوهاب عزام ، وزكى المهندس ومحمود شلتوت ، ود . محمد شرف ، ومصطفى نظيف ، ومحمد فريد أبو حديد ، وعبد الوهاب خلاف ، واستقبلهم جميعاً الأستاذ أحمد أمين ، وقال في شأن الدكتور أحمد زكى : « إنه كيميائي عظيم ، وأديب كبير مزج العلم والأدب ، كما يمزج بين السكر والماء ، فبينما نراه في معمله بين الأنابيب والمحاليل ، نراه في مكتبه يحلل الكلمات ، ويستخرج المعانى ، ويصوغ الأفكار » .

وقد علق أستاذنا الدكتور إبراهيم بيومى مذكور على هذا القول حين رواه في تأبين الدكتور زكى قائلاً : « وقد دلت الأيام على صدق هذه الصورة ودقتها ، فقد رأينا نحن في مجمع الخالدين يحلل الكلمة العلمية تحليلاً أميناً ، كما يحلل الكلمة الأدبية تحليلاً بليغاً » .

وبقى الدكتور أحمد زكى عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة حتى وفاته ، ولم يكن يتاح له حضور جلسات مجلس المجمع الأسبوعية في القاهرة حين كان يقيم في الكويت ، كما ذكرنا ، فكان يحرص على حضور المؤتمرات السنوية وإلقاء بحوث قيمة فيها . وكانت له تعليقات كثيرة على بحوث زملائه الخالدين تنم عن سعة الثقافة ، ودقة الفهم . كما كانت له كثير من الآراء في مجال اللغة واللغة العلمية ، سنعرض لها بشيء من التفصيل في هذا الكتاب .

وقد اشترك الدكتور أحمد زكى في كثير من لجان المجمع ، كما يقول أستاذنا الدكتور مهدى علام ، ولا سيما لجان المصطلحات العلمية كلجنة الكيمياء والطبيعة ولجنة الجيولوجيا ولجنة علوم الأحياء والزراعة . كما أسهم في اللجان الإدارية ، فشارك في أكثر من دورة في لجنة تحديد موعد انعقاد المؤتمر وتعيين أعماله ، وكان عضواً في اللجنة التى تكونت في الدورة الرابعة عشرة لاختيار زى وشارة لأعضاء المجمع . كما اختير الدكتور أحمد زكى عضواً بمجلس إدارة المجمع في دورته الثانية والعشرين وليمثل المجمع في عدة مؤتمرات ، منها المؤتمر الصيدلى الثالث (في الدورة الثالثة) والمؤتمر الصيدلى السابع (في الدورة السادسة والعشرين) ، وفي الاحتفال بمرور ٧٥ عاماً على

المجمع البولونى للعلوم والآداب (فى الدورة الرابعة عشرة) . وكان دائماً ما يحث المجمع على إصدار توصياته من أجل الالتزام بالفصحى فى وسائل الإعلام (الدورة الثالثة والعشرون) .



وفى سنة (١٩٤٧) ، وهى - بالصدفة البحتة - السنة التى تزايدت فيها أعباء الدكتور أحمد زكى الحكومية (مصلحة الكيمياء ، ومصلحة الصناعة ، ومجلس البحوث) عهد إليه آل زيدان ، أصحاب دار الهلال ، برئاسة تحرير الهلال فى عهدها الجديد ، وقد دام هذا العهد أربع سنوات (١٩٤٧ - ١٩٥٠) استطاع الدكتور زكى خلال هذه الفترة أن ينهض بمجلة الهلال نهوضاً وثاباً ، وأضاف إليها كثيراً من الملامح البارزة فى تاريخ حياتها الطويل (وقد كانت وماتزال أقدم المجلات العربية) .

وإذا أراد القارئ أن يدرك طبيعة التجديدات والإضافات التى قدمها الدكتور زكى إبان رئاسته لتحرير الهلال ، ففى استطاعته الرجوع إلى مجلدات هذه الأعداد ، ذلك أنه يصعب على أن يختصر فى سطور قليلة التعبير عن انجازات متعددة ، ومع هذا فإننى أستطيع أن أقول باطمئنان إن جهود أحمد زكى فى الهلال كانت بمثابة إرصاصات لما قدمه بعد ذلك من خلال مجلة العربى : اهتمام بالعلم والطب وصحة الأسرة والمجتمع وفنائه المختلفة ، وتنويع فى الأسلوب الصحفى ، وتوظيف للصورة والكاريكاتور ، وتخصيص أعداد كاملة لموضوعات معينة تحيط بها من جوانبها المختلفة ، وتنويع الفنون الأدبية الإبداعية فى المجلة ، وإتاحة الفرصة للأقلام الجديدة ، وفتح الأبواب لتعليقات القراء وأسئلتهم وآرائهم فى المجلة وتطويرها والاهتمام بتطوير الجوانب الفنية كلها : بنط المجلة ، وحجمها ، وتنسيقها ، وتبويبها .

وفى عهد أحمد زكى كانت مجموعة كتاب الهلال تضم على سبيل المثال : طه حسين ، والعقاد ، وتوفيق دياب ، والمازنى ، وفكرى أباطة ، ، وأمينة السعيد ، وبنيت الشاطى ، ومى زيادة ، وعلى محمود طه ، ومن رجال الحكم : عبد الرحمن الرافعى ، ومحمد على علوبة . هذا بالإضافة إلى كبار الأطباء من أمثال : الدكتور سليمان عزمى وكامل يعقوب ، فضلاً عن بعض كبار علماء التربية وعلم النفس والاجتماع . وكانت الهلال مع ذلك لا تخلو من الطرافة والإبداع ومواكبة الأحداث فى صورة صحفية بارعة .

وقد عبر أحمد زكى فى عدد يونيو (عام ١٩٤٧) عن إيمانه بأن الهلال يجب ألا يقتصر على ما يكتبه أصحاب المكانة المعروفة والصيت الواسع ، بل يجب أن يساعد على إبراز النبوغ الكامن وتشجيع الكفاءات الجديدة ، ولذلك قال : « سنبذل غناية خاصة بفحص ما يرد إلينا من الكتاب الناشئين . ولعلنا بذلك نخدم مواهب هؤلاء الأدباء وجمهور القراء » .

ودعا أحمد زكى كتاب الأقطار العربية الشقيقة للكتابة فى الهلال من خلال الخطة العامة للمجلة .

وكانت الهلال فى عهد أحمد زكى تقدم كثيراً من المواد المترجمة ، وكان مذهب أحمد زكى تجنب الترجمة الحرفية ، إذ إن ما ينشر فى الخارج قد كتب لجمهور غير جمهورنا ، فلا بد من التصرف والاقتباس والسبك من جديد ، « ونحن ننقل عن صحف العالم أجمع ومجلاته وكتبه دون تفضيل جهة على جهة » .



كان الدكتور أحمد زكى كثير السفر والتجوال فى بلاد العالم ، وقد مثل مصر فى معظم المؤتمرات العلمية التى شاركتنا فيها فى الأربعينيات ، وزار الباكستان والهند ووثق الصلات العلمية بينهما وبين مصر ، كما زار معظم البلاد العربية وحرص على وضع برامج للتبادل العلمى معها .

وقام الدكتور أحمد زكى بزيارة طويلة للولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٤٦ م ، تفقد خلالها كثيراً من مراكز البحوث العلمية المنتشرة فى ولاياتها وجامعاتها ، وقد استهدفت هذه الزيارة الوصول إلى صياغة للصورة المثلى فى التخطيط لإنشاء مركز البحوث (المركز القومى للبحوث الآن) ، وقد رافقه فى هذه الزيارة عدد كبير من علمائنا ومبعوثينا الذين كانوا يدرسون وقتها فى الولايات المتحدة . وكان أحمد زكى حريصاً فى هذه الزيارة وفى غيرها من زيارته للبلاد المتقدمة على الدراسة المتأنية للسبل الكفيلة بإيجاد آلية كفيلة بربط العلم النظرى بالجوانب التطبيقية بالحياة من خلال مراكز البحوث . . وقد استطاع أن يستوعب تجارب العالم المتقدم ، وقارن بينها ، واستخلص الخطة والتخطيط الذين وضعهما للمركز القومى للبحوث فى مصر .



زار الدكتور زكى الكويت فى ربيع عام ١٩٥٥ مدعوًا للمشاركة فى الموسم الثقافى ، وكان ذلك عقب تركه رئاسة جامعة القاهرة ، فكان لهذه الدعوة أثر طيب فى نفسه . كما زار بيت الله فى مكة المكرمة غير مرة ، وكتب عن معظم هذه الزيارات فى مواضع متفرقة من المجلات التى كان ينشر فيها .

وزار الدكتور أحمد زكى المغرب العربى فى أوائل الستينيات وأوائل السبعينيات ، وكتب فى العربى عن هذه الزيارات .

وكان الدكتور أحمد زكى كثير الزيارات لإنجلترا بحكم دراسته السابقة فيها ، وبحكم النسب ، وكان من عادته زيارة إنجلترا كل صيف .



هذا وقد حظى الدكتور أحمد زكى بكثير من التكريم فى حياته ، وكان أكثر هذا التكريم من طلابه الذين كانوا يحتفلون به عند كل خطوة كبيرة يخطوها ، ولم يكن هذا إلا تعبيرًا عن متانة الروابط التى ربطت أحمد زكى بكل من عرفوه ، واتصلوا به . . وكان العلماء المصريون طوال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات يعتبرون أحمد زكى « أبا العلماء » وذلك بحكم أسبقيته إلى الدرجات العلمية العليا وأستاذه وامتداد العمر به إلى ما بعد الثمانين!! ، وقد كان كذلك بحق . وعلى الصعيد الرسمى ، منح عالمنا الجليل البكوية من الدرجة الأولى عام (١٩٣٧) ، ونيشان إسماعيل من الدرجة الثالثة عام (١٩٤٦) .



وقد عاش الدكتور أحمد زكى حياته متمتعًا بصحة جيدة . وعلى الرغم من أنه توفى عن واحد وثمانين عامًا فإنه كان يتمتع إلى ما قبل وفاته بأربعة شهور بصحة كاملة ، وعلى حد تعبير مجلة العربى ، وظنى أنه تعبيره شخصيًا « قوى البنية ، مشحوذ الرأى ، يجد الراحة أطيّب الراحة بين القلة القليلة من الأصدقاء ، والكثرة الكاثرة من الكتب » . وكان يبدو وهو فى الستين أقرب منه إلى الشباب . . وقد سئل غير مرة عن سر احتفاظه بشبابه فقال : « إن ذلك راجع إلى الأرومة التى أنا منها . . أعنى الشجرة التى أنجبته ، فأنا من أرومة عمرت طويلاً . . فوالدى مات بعد الثمانين وكذلك أمى ، فالعنصر السليم والدم النقى لهما فضل كبير فيما أتمتع به من شباب وصحة » ، وأما السبب الثانى فهو « الرياضة » وكانت رياضة أحمد زكى فى سنواته المتأخرة هى

المشى ، وروى عن نفسه أنه كان يمشى أحيانا ٨ ساعات فى باريس ، أما فى شبابه فقد فاز بجائزة « القط السعيد » وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وكانت الجائزة آلة تصوير أهداها بعدها بنصف قرن من الزمان إلى حفيده رشاد ، هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا من أنه كان الجناح الأيسر لفريق كرة القدم فى مدرسة التوفيقية الثانوية .

وفىما يتعلق بالأرومة التى كان الدكتور أحمد زكى منها ، روى عالمنا الجليل أنه فى إحدى جلسات مجلس جامعة القاهرة عام (١٩٣٣) كان يجلس إلى جوار الأستاذ درى أستاذ علم التشريح فى طب قصر العيني ، فلاحظ عالمنا أن الدكتور درى يطيل التأمل فى رأس أحمد زكى . . حتى لم يعد بدا أمام أحمد زكى من أن يسأل . . فقال له الأستاذ درى : هل أنت مصرى ؟ قال الدكتور زكى : « ورحت إلى أبى رحمه الله أستفتى ، فعلمت أمرا لم أكن أعرفه . . أن جده التقى بمكة - على الحج - بامرأة من القوقاز من أصل شركسى فتزوجها وعادا إلى مصر . . فكان منها جدى . . ثم أبى وأخيرا أنا » .

وكان أحمد زكى يردف لمن يسأله عن سر احتفاظه بالصحة والعافية بقوله : « إنه أراد أن يثبت اهتمام العلماء بأجسامهم » .



وكان رحمه الله من أنصار الزواج ، وكان يقول : « إنه لا تطيب له صبورة عالم بلا زوج يسكن إليه ، فالعالم يشبع بعلمه جانبيا من جوانب الإنسان ، وهو ذلك العقل ، ويبقى القلب وسائر الجوانب ، وكل هذه لا يشبعها إلا أن يكون الإنسان إنسانا يجرى على أساليب الناس فى العيش » . ويروى لنا أنه كان يفكر قبل سفره إلى إنجلترا فى واحد من أمرين : الزواج أو مواصلة الدراسة ، ثم قال لنفسه : إن الزواج استقرار حاضر يعقبه قلق مستمر ، وفضل السفر على نفقته لاستكمال دراسته ، ثم تزوج فى ليفربول سنة (١٩٢٣) ، وعاشا معا فى بريطانيا ومصر والكويت سنوات طويلة ينعمان بالحب والتفاهم والاستقرار ، ويتشاركان البأساء والضراء ، وتوفى أحمد زكى عن زوجته التى لحقت به بعد عامين .

وفى تحقيق صحفى أجرته آخر ساعة (١٠ / ٨ / ١٩٥٥) تحت عنوان : « الرجال الذين لم تعجبهم المصريات وتزوجوا أجنبيات ، والتقت فيه بالدكتور طه حسين (زوجته فرنسية) والدكتور

أحمد فخرى عالم الآثار (وزوجته ألمانية) والدكتور أحمد زكى (وزوجته إنجليزية) ، سئل الدكتور زكى عن وجهة نظره في زواجه ، فشرح بفكره بعيداً . . وهو يتذكر ذلك الماضى البعيد ، ثم قال : « إن الزواج حظ . . لا يرتبط كثيراً بوطن الزوج أو وطن الزوجة . . والمسألة هى مسألة مزاج وأخلاق . . ولم أجد فيما سمعت من الزوجات صبرا ولا كرما ولا تضحية ولا فهماً ، كتلك التى اخترتها من تحت تلك السماء القاتمة الماطرة ، والتى لا تكاد تكف عن المطر صيفاً أو شتاء . وقد حضرت هى إلى حيث لا مطر ولا سحب . وإنما الشمس الساطعة المحرقة ، فاحتملتها ، وصبرت عليها حتى أصبحت لا تطيق مطراً أو سحاباً . واستطرد يقول : « حقا إن بين المصريين مَنْ يمتزِن بالصبر الطويل المرير . . ولكن الصبر ونقيضه النزق موزعان في الأمم توزيعاً عادلاً . . فإلى جانب الصابرة نجد المتهورة ، وإلى جانب الخليفة نجد سريعة الغضب » .

وقد رزق الدكتور أحمد زكى وزوجته بابتنتها السيدة لبيبة ، ورزقت هذه بابن كان الدكتور أحمد زكى يسعد به كثيراً ولا يفتأ يداعبه ويهتم به ، وهو الدكتور رشاد مصطفى المهندس في كاليفورنيا .



وقد سئل الدكتور أحمد زكى عن سر اكتفائه هو وزوجته بابنة واحدة ، فقال : « إنها ترى أن الحياة مغامرة ، وأن إنجاب الأطفال أقصى المغامرات ، فنحن ننجب الأطفال للشقاء أحياناً وللسعادة أحياناً ، وإن يكن هذا أو هذه فنحن على كل حال ننجبهم للجهاد العنيف ، والحياة الحديثة جهاد عنيف . . وقد رأيت ما رأيت » ، وأضاف عالماً قائلاً : « إن الناس تنجب إن لم يكن للشقاء فهم ينجبون للموت . . وكلانا - يقصد هو وزوجته - من رأى أبى العلاء :

هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

ومع هذا فلنا ثمرة ، وثمره واحدة ، وكان لنا منها صبي » .



وكانت للدكتور أحمد زكى فيلا بالقاهرة هي الدار رقم ١٦ بشارع ٤ بالمعادي ، وكانت من دورين ابتناها بعد عودته واحتفظ بها حتى توفي ، وقد جعل مكتبه في الدور الثاني منها مع حجرات النوم ، وكان بين مكتبه وحجرة نومه باب صغير ، فإذا أرق بعد ثلثي الليل ، وكثيراً ما كان يأرق ، دلف من حجرة نومه إلى حجرة مكتبه ، وأضاء النور وأخذ يقرأ ويقرأ ، وقد يكتب ويكتب . ومن هنا جاء أسم واحد من كتبه « ساعات السحر » ، وهي فصول متفرقة الموضوعات لا يجمعها إلا أنها كتبت في ساعات السحر ، ولهذا رأى أن يسميها بالوقت الذي كتبت فيه جميعاً بعدما تعذر أن يجد لها عنواناً يضمها كلها .

ومن هذا المعنى كان الكاريكاتير الذي نشرته مجلة الهلال (مارس ١٩٥١) للدكتور أحمد زكى مصورة له على أنه « ديك » ، وذلك في الحلقة الأولى من باب جديد اسمه « حديقة الأدباء » اتخذته « الهلال » موضعاً لإبداء الرأي في الكتاب ، وأردف كاتبها طاهر الطناحي على ذلك الكاريكاتير بأبيات من الشعر تقول :

متزوج بعقيق	مقسط بلجين
عليه قريط وشي	مشمس الكمين
قد زين النحر منه	ثنتان كالوردتين
حتى إذا الصبح يبدو	مطرز الطرتين
دعاً فأسمع منا	من كان ذا أذنين

ثم علق على ذلك بقوله : « ذلك هو الديك أو ذلك هو مؤلف (ساعات السحر) . وقد أحسن الرسام في اختيار الديك له . فمن ذا الذي يستيقظ في هذه الساعات أو قيل هذه الساعات إلا أن يكون ديكا ، أو يكون الدكتور أحمد زكى ؟ غير أن الديك يستيقظ ويوقظ النائمين بصياحه ، وزكى يستيقظ ويصبح بصيرير قلمه ، ولا يقلق النائمين بهذا الصرير الموسيقى الجميل » . ومضى طاهر الطناحي في حديثه يركب من العبارات وأسماء كتب أحمد زكى جملاً طريقة المعنى والأسلوب .



كان الدكتور أحمد زكى من العلماء الذين يحرصون على الإيمان ، وكان إيمانه بالله وقدرته عميقاً إلى أبعد الحدود ، بل لعله أبعد علمائنا المعاصرين في هذا شأوا ، إن كان في الإيمان مفاضلة .

وكانت عقليته الدينية على شيء كبير من التفتح والتحرر ، وكان يجاهر بلا خوف أن حديثاً في البخارى لا يمكن أن يكون صحيحاً إذا خالف العقل والدين ، والنبي ﷺ لا يمكن أن يقول ما هو مخالف للوحى والدين .

وخاض الدكتور أحمد زكى سنة ١٩٥٢ معركة اجتماعية مع فضيلة الشيخ حسنين مخلوف ، على صفحات الجرائد ، وكان وقتها مفتى الديار المصرية ، حول المرأة وعمل المرأة ، وطبيعة عمل المرأة ، وانتصر الدكتور زكى في النهاية .

وقد انتدب الدكتور أحمد زكى لتدريس التاريخ الطبيعى في الأزهر في أول عمله بالتدريس بعد تخرجه من مدرسة المعلمين ، فدرس عامى (١٩٢٨ ، ١٩٢٩) ، وذكر ذات درس لطلبته أن ضلوع الإنسان متساوية العدد في اليمين واليسار ، فهاج عليه الطلبة يريدونه أن يوافقهم على اعتقادهم أن الضلوع في الجانب الأيسر تنقص واحداً ، هو الذى خلقت منه حواء ، فأخذهم عالمنا باللين والمنطق والعلم حتى أقنعهم بصواب ما قال . واقتنع الطلاب ، وأحبوا أستاذهم ، وأخذوا يستمعون إلى نصحه ويأخذون بأرائه . ومضى يعمل على توجيههم في تكوين شخصياتهم ، ونصحهم بممارسة الرياضة البدنية لفوائدها الجمّة . وذهب الطلبة يلعبون كرة القدم ، ولبسوا الشورت ، وجمعوا بينه وبين « العمة » فوق رؤوسهم . وهاج ولاية الأمر في الأزهر ، وكان الشيخ مصطفى عبد الرزاق - وهو صديق أحمد زكى - سكرتيراً للمجلس الأعلى للأزهر ، وذهب الشيخ مصطفى (الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد) إلى أحمد زكى فرجاه أن يجعل الأزهرين الشبان يقلعون عن هذه الرياضة التى نصحهم بها . واستجاب عالمنا لرجاء شيخنا ، واستجاب الطلبة لرجاء أستاذهم .



وكان الدكتور أحمد زكى يؤمن بأن العلم وتقدمه سواء في مجال البحوث أو المجال التطبيقى عامل مؤثر في الرقى بالإنسان وأخلاقه ، ولم يكن من أنصار الرأى القائل بغلبة الماديات على هذا العصر ، وعنده أن الشر لا يكون إلا والعقول مظلمة ، ولا يمكن أن ينتج عن تقدم العقول إلا الخير (الإثنين ٢١ / ٢ / ١٩٥٥) . وهو يستلقت النظر إلى أن الناس لم تأمن على سلامتها وأموالها وأرزاقها وبيوتها ورءوسها كما أمنت هذه الأيام ، وأبعد من هذا يتنبأ الدكتور زكى بأن نواحي التقدم العلمى والتكنولوجى سوف تكون أكبر العون على تماسك العقائد عند الناس .

وأصل الإشكالية في رأيه أن العلم والتكنولوجيا ، كليهما ليس فيهما خير أصلاً ، وليس فيهما الشر ، إنما هما كمشروط الجراح يستطيع أن يفتك به ، أو أن يجرح ليشفى ، أو هما كالماء ، تستطيع أن تبل به الظمأ ، وتستطيع أن تسد به الأنفاس وتغرق (من حديثه لمحمود عوض في آخر ساعة ٤ / ١٩٧١) .

ويلخص أستاذنا الدكتور أحمد زكي الرأي في الرد على من يقولون إن المجتمع العلمى هو مجتمع مادى ، فيقول : « هؤلاء القوم من أهل المشرق . . قوم من بيننا يفكرون مثل الثعلب الذى نظر إلى العنب ، فوجده عاليا لا ينال ، فقال إنه الحصرم المر ، وذهب راغبا عنه . إنهم إذن يقولون ذلك عجزا وقصر ذيل ، فلنصبح أولاً مجتمعاً علمياً قبل أن نلعن غيرنا » .
وسوف نولى هذه النقطة كثيراً من التفصيل فى الفصل الخاص بالفكر الفلسفى عند أحمد زكى من الباب الثانى من هذا الكتاب .



عاش الدكتور زكى طيلة حياته وقد سيطرت على عقله التأمل والدارس فكرة وحدة الخلق والخالق ، وأن وحدة هذا الخالق تتراءى فى وحدة خلقه . وكان يعبر عن هذا فى الخمسينيات وهو فى مواقع السلطة ، فيقول : إن أمنيته أن يخلص من المناصب ليتفرغ لكتابة كتاب بعنوان « وحدة الكون » . وفى موضع آخر يقول أحمد زكى ملخصاً هذه الفكرة : « وخرجت على ما أحسب أنه حقيقة الحياة الكبرى : تلك وحدة شاملة تجرى فى هذه الخلائق جميعاً ، على اختلاف صور واختلاف أخلاق ، وهى تجرى فى أرض وسماء ، أو من بها كإيماني بوجودى وإيماني بوجودك . والإيمان بالوجود أول الإيمان . . وتسألنى عن هذه الوحدة ما اسمها ، وأقول : سم ما بدا لك . أما هى عندى : فوحدة من وحدة الله » . قال الدكتور أحمد زكى هذا فى مقدمة كتابه « مع الله فى السماء » ، ثم قال : « وهذا الكتاب ليس بكتاب فى الفلك ولا فى علم الأرض ، ولا فى الفيزياء ، ولا فى الكيمياء . . وما كان له أن يكون ، إنه كتاب إيمان ، وأرجو أن أتبعه بالكتاب الثانى « مع الله فى الأرض » إكمالاً لمعنى الوحدة ، وعلى الله أن أنجزه ، وعلى الله أن أوفق فيه » .

ومضت الأيام ، ونشر الدكتور أحمد زكى سلسلة مقالات ممتعة فى مجلة العربى وجعل عنوانها « وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه . . وقدرة الله تتجلى فى بديع صنعه » ، وكان يعتزم أن يجمع بين

هذه المقالات التى نشرها فيما بين يناير عام ١٩٧٠ وديسمبر عام ١٩٧٤ فى كتاب ، وقد جهز هذا الكتاب بالفعل قبل وفاته ، وأضاف إلى المقالات عددًا آخر من الموضوعات استقام بها نظام الكتاب كموسوعة علمية فى فلسفة وحدة الكون ، وجعل عنوانها « مع الله فى الأرض » ، وقد نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بعد وفاة عالمنا الجليل .



ولم تكن هذه أو تلك هى الموسوعة الوحيدة لأحمد زكى فى المجال العلمى ، وإنما كانت هناك موسوعة أخرى نشرها الدكتور أحمد زكى بداية على صفحات العربى فى الموضوعات العلمية الرئيسة ، ثم جمعت تحت إشرافه وأخرجت إخراجًا رائعًا وصدرت عن دار الشروق ، تحمل نفس الاسم الذى كان أحمد زكى يكتبها تحت عنوانه وهو « فى سبيل موسوعة علمية » . وتعد موسوعة الدكتور أحمد زكى هذه خير ما صدر فى العربية فى هذا المجال .



وقبل الموسوعة وهذين الكتابين « مع الله فى الأرض » ، « مع الله فى السماء » كان الدكتور أحمد زكى قد أصدر فى سنة (١٩٣٨) كتابه « قصة الميكروب » ، كيف كشفه رجاله . وهذا الكتاب فى الأصل من تأليف الدكتور بول دى كريف « Dr. Paul de Kruif » ، وقد نشر الدكتور ترجمة لهذا الكتاب فى مجلة الرسالة ، التى كان الأستاذ أحمد حسن الزيات يصدرها ، وبدأ عالمنا فى نشر الفصول المترجمة منذ فبراير سنة (١٩٣٥) وعلى مدى ثلاث سنوات . وما إن انتهى نشر فصول الكتاب حتى نشرته مجلة الرسالة سنة (١٩٣٨) .

كذلك ترجم الدكتور زكى كتاب « Lady with a spear » الذى ألفته أوجينى كلارك « Eugenie Clark » ، وهى باحثة شابة حكمت فى كتابها عن تجربتها العلمية فى عالم البحار ، وقد اختار الدكتور زكى أن يترجمه تحت عنوان « فى أعماق المحيطات » ، وقد نشرته دار الهلال .

وفى الستينيات عاون الدكتور أحمد زكى مؤسسة فرانكلين على نشر اثنين من أبرز الكتب العالمية التى أخرجتها المؤسسة فى مصر . وأول هذين الكتابين هو كتاب ألفه الدكتور جيمس كونانت

James B. Conant رئيس جامعة هارفارد الأسبق ، وقد ترجمه الدكتور أحمد زكي تحت عنوان «مواقف حاسمة في تاريخ العلم» ، ونشرته دار المعارف سنة (١٩٦٣) .

وأما الكتاب الثانى الذى يحمل اسم « بواتق وأنايب . . قصة الكيمياء » ، فهو ترجمة الدكتور زكى لكتاب العلامة برنارد جافى « Bernard Jaffe » الذى ألفه باسم « Crucibles: the Stroy of Chemistry » ، وهو كتاب كبير الحجم والقيمة كسابقه .

بالإضافة إلى هذه الكتب ذاتة الصيت فقد كان للدكتور زكى جهده فى كتب دراسية أخرى .



وقد كان الدكتور زكى يتجهج فى ترجمته للكتب العلمية منهج الدقة الزائدة فيما يتعلق بحقائق العلم وتاريخه ، ولكنه كان يجمع إليه مذهب التحرر فى تقديم المعلومات وتصويرها . وهو يقول فى هذا المعنى فى تقديمه لكتاب مواقف حاسمة فى تاريخ العلم : « وجنحت فى الترجمة إلى النفع إذا هو عارض التقليد ، وكان لا بد فى كتاب يحكى عن العلم كهذا من ابتداع كلمات فابتدعتها ، فوجدت من الفائدة أن أذكر إلى جانبها لفظها الإنجليزى لفائدة من عرف وألف اللفظ الإنجليزى . كذلك أسماء الأعلام وضعت إلى جانبها مقابلها الأجنبى لمن يريد الرجوع إلى المراجع الأعجمية ليزداد منها علما » . وسوف نتحدث عن أسلوب أحمد زكى فى الترجمة ، بالتفصيل فى فصل خاص من كتابنا هذا .

وقد يلاحظ القارئ من طبيعة هذه الكتب التى ذكرناها لتونا أنها تعنى عناية خاصة بتاريخ العلم ، أو بعبارة أخرى أنها تعرض العلم من خلال تاريخه . وقد جاء هذا نتيجة إيمان أحمد زكى بفعالية هذا الأسلوب فى توصيل حقائق العلم وروحه إلى الجمهور المثقف ، وقد عبر رحمه الله عن هذا المعنى فى تقديمه لكتاب قصة الكيمياء ، فقال إنه « ليس ألد فى أحاديث الناس من قصة ، وليس أمتع فيما يقرأ الناس من قصة ، والعقول قد تخمد من تعب ، ويكاد يغلبها النوم ، حتى إذا قلت قصة ذهب النوم واستيقظت العقول ، وأرهفت الأذان » ، « وتسأل عن سبب ذلك فتعلم أن العقل الواعى من بعض أعماله التعقل ، ومن بعض أعماله التخيل ، والتعقل يطول فيجهد ، والتخيل مركب وطىء ، يركبه الإنسان بأيسر جهد ، ويطير فيخلق به فى أجواء أكثر إنعاشا من جو هو فيه ، وليس أحب للنفس وليس أشهى لها ، من فرس ذى جناحين فى السماء رامح » .

وكان أحمد زكى فى كل ما بذل من جهد فى هذه الناحية ، يعبر عن إيمانه بأن من مسئولية رجل العلم أن يعرف الناس بالقيم العلمية .. ويحىي فيهم سعيهم نحو القيم العلمية . وهكذا عبر للأستاذ محمود عوض فى لقائه معه الذى نشر فى مجلة آخر ساعة وقال : « إن الناس دائماً تهاب العلم ، لأن هناك إشاعة منتشرة تقول إن العلم صعب ، وإن العلم موهبة توجد عند بعض الناس ولا توجد عند البعض الآخر . هذا غير صحيح . إننا جميعاً نبدأ حياتنا من نقطة متساوية ، ولكن اتجاهاتنا تتحدد على الطريق وليس من نقطة البداية نفسها ، ولأن الناس تتصور أن العلم صعب ، فإنك تجد أن الذين يقبلون على كتابة الشعر أو القصة مثلاً هم أضعاف من يقبلون على التخصص العلمى . إن الطريقة المثلى لتقريب العلم للجمهور هى أن يتحدث الناس علمياً فى الأمور التى تتصل بحياتنا اليومية . فكلما قرأ الشخص العادى عن الدور الذى يؤديه له العلم داخل منزله ، وفى مكتبه ، وفى حياته عموماً ، فإن اهتمامه بالعلم وقراءاته سوف تزايد قطعاً » .

على أن هناك مجموعات أخرى من مقالات أستاذنا الدكتور زكى فى مجلة العربى تصلح لأن تقوم كتباً مستقلة بذاتها على غرار هذه الكتب . ومن أمثلة هذه المجموعة أحاديثه فى « الطب المصور » ، ومقالاته الأخرى فى « الأمراض الشائعة » ، وسلسلة أحاديثه عن « الذرة » وعن « الفضاء » .

وإنى لأرجو الله سبحانه وتعالى أن يهين لها من يقوم بهذا الجهد .



وبالإضافة إلى الكتب العلمية الأربعة الكبرى التى نقلها عالمنا الجليل إلى العربية ، فقد أنجز ترجمة اثنتين من عيون الأدب العالمى لاثنتين من كبار الأدباء وأبرزهم فى تاريخ الأدب ، إذ ترجم الدكتور زكى عمليين أدبيين كانا من باب الطرافة عن سيدتين « غادة الكاميليا » و « جان دارك »* .

وتتألق القدرات الأدبية واللغوية والتعبيرية الهائلة لأستاذنا الدكتور أحمد زكى فى ترجمته لهذين

* فى حديث صحفى سأنى ذكره بعد صفحات قليلة قال أحمد زكى إن أحب سيدتين إليه هما جان دارك القديسة وغادة الكاميليا غير القديسة .

الأثرين العظيمين ، وعلى الرغم من أنها قد ترجما عدة ترجمات أخرى إلى العربية إلا أن ترجمة الدكتور زكى لكل من الأثرين تبقى في مقدمة الترجمات .



أما عن أعمال الدكتور زكى التى ألفها فى اللغة العربية ، فبالإضافة إلى كتابيه مع الله ، وبالإضافة إلى الموسوعة العلمية ، فقد أخرج للقارئ العربى خمسة كتب ضمت المجموعات الأولى من مقالاته . فقد جمع الدكتور زكى أحاديثه الإذاعية فى كتابين متعاقبين ، أولهما « سلطة علمية » ، وثانيهما « سلطة علمية أخرى » ، وسيجد القارئ بيانا تفصيليا بفصول الكتابين فى الباب الرابع من هذا الكتاب « البليوجرافيا » .

وقد عثرت فى تراث أستاذنا الدكتور أحمد زكى على كشف بقلمه حصر فيه (٦١) واحداً وستين حديثاً إذاعياً لم تنشر فى « سلطة علمية » ، وبين يدي القارئ أيضاً بيان بهذه الأحاديث فى الباب الرابع الخاص بالبليوجرافيا .

أما كتاب « بين المسموع والمقروء » ، فقد جمع فيه أستاذنا الدكتور زكى ثلاثين قصة صغيرة وأقصوصة بعضها وصله عن طريق السماع ، وبعضها عن طريق القراءة أو هكذا قال هو فى التقديم ، وستناول هذه القصص بشئ من التلخيص والعرض والنقد فى الباب الثالث من كتابنا هذا .

بقى أن نذكر أن الكتاب الرابع « ساعات السحر » بفصوله الاثنين والعشرين كان مختارات من مقالات الدكتور زكى فى الهلال الجديد الذى رأس تحريره ، وفى مجلة الإثنين ، وقد تحدثنا منذ صفحات قليلة عن السر فى تسميته بهذا الاسم .

أما الكتاب الخامس « مع الناس » فيحوى ثلاثة وعشرين فصلاً تتناول كل العلاقات والنواحي التى تكون بين الناس على النحو الذى ستعرضه البليوجرافيا .

كان الدكتور أحمد زكى فيما يبدو لنا أديبا بالسليقة أو بالفطرة ، وقد تحدث عن نفسه فقال : إنه نظم الشعر فى شبابه حين كان فى العشرين من عمره ، ويذكر عالمنا أن أول بيتين قالهما هما هذان البيتان اللذان سجلهما على ظهر صورة شمسية أخذت له :

طيف شمس قد ازدهى بشباب ونضرة

يملاً النفس وسعها من سرور وهجة

ولاشك في أن هذين البيتين يعبران عن اعتداد أحمد زكي بنفسه منذ الشباب ، وهي صفة لازمت من دون إفراط فيها ولا تفريط (في نفسه أيضا) .

ويروى الدكتور زكي أن أولى مقالاته كانت في مجلة « السفور » . وكان المنفلوطي رحمه الله قد نشر مقالاً جرح فيه الشباب ونعى عليهم ، فرد عليه أحمد زكي بمقال جرح فيه الشيوخ ورماهم بجمود العروق وبرود الدم . والطريف أن أحمد زكي قد روى هذه الواقعة حين كان على مشارف الستين ، وقال لمحرر المصور الذي أجرى معه تحقيقاً صحفياً في سلسلة عن أهل الفكر في صوامعهم (٢٧ / ١١ / ١٩٥٣) إنه ألف وهو في مدرسة المعلمين كتاباً سماه « عبث الشباب » جمع فيه كل ما قال من نثر وشعر .

ثم إنه لما تعلم الفرنسية على يد معلمة سويسرية بدأ يطبق العلم على العمل فترجم « غادة الكاميليا » التي نشرها أول ما نشر من مؤلفاته بعد عودته .



ولما سافر أحمد زكي إلى إنجلترا حمل معه كثيراً من كتب الأدب العربي ، وكان قليل الاختلاط بالمصريين والعرب ، ولكنه كان كثير الاختلاط بالأدب العربي المكتوب ، ولعل في هذا سرا من أسرار تميز أسلوب أحمد زكي في بعض العبارات بالتركيبات القديمة على نحو قد لا نجده في أسلوب معاصريه ، وإن لم يكن غريباً على الأسلوب العربي الأصيل .

وكان عالمنا أثناء دراسته في إنجلترا يحرص على أن تكون رسائله إلى أصدقائه وأهله في القاهرة قطعاً أدبية ، وهي طريقة لها أثرها بلاشك في تدريب القلم والرقى بالأسلوب والقدرة على التعبير ، والمثل على نجاحها واضح في أحمد زكي . ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أنه عندما عرف الدكتور أحمد زكي العالم الجليل الشيخ أبو زهرة ، سأله الشيخ « هل لك قرابة بأحمد أمين ؟ فقال : أحمد زكي : لا ، ولكن نسب ، ولكن لماذا هذا السؤال ؟ فقال أبو زهرة : لقد أرسلت إليه رسالة من إنجلترا تصف فيه واقعة موت صديق لك ، فقرأها لنا أحمد أمين في درس الأدب على أنها نموذج حي للأدب الرفيع . وكان أحمد أمين أستاذاً للشيخ أبي زهرة في مدرسة القضاء الشرعي .

ولم يكن أحمد زكي يحتذى في كتاباته أدبياً بالذات ، ولكنه كان متأثراً فيها بخليط من الأدباء ،

وبخاصة الشعراء : المتنبي والبحتري وأبو تمام ومهيار . وكان المتنبي أكثرهم تأثيراً فيه ، وهذا واضح أيضاً في كثرة الأبيات التي يقتبسها أحمد زكي من المتنبي ، وقد عبر عن حبه للمتنبي عندما سئل عن أقرب الشعراء إليه ، فقال : المتنبي وليته ماتتني .

وسألت الأهرام عالمتنا في أوائل الستينيات عن قراءاته ، فقال : إن أكثر مطالعاته في الكتب العلمية ، لكنه يلتمس ما استطاع كتباً سواها ، لكي يستكمل جوانب المعرفة ، ويحاول بهذا الاستكمال إدراك الحكمة التي لا يمكن إدراكها إلا بتجميع أجزاء المعرفة وربطها . واستطرد فقال : إن التخصص لا يجوز أن يصرفنا عن الاتصال بمقدار ما بجوانب المعرفة الأخرى ، بل إن هذا التخصص نفسه يحتاج إلى النظرة الشاملة التي تدنيه من الحكمة ؛ فليس من المجدي أن تعرف متراً واحداً من الكرة الأرضية إلى أعماق أعماق التخصص ثم تظل جاهلاً بقية الكرة الضخمة فلا تدري أين موقع قدمك .

وكان يصرح بأن قراءاته في الشر العربي قليلة ، وإن أكثر ما يقرؤه نثرًا هو في الآداب الأجنبية ، ولك أن تتخيل مقدار ما كان يقرؤه الرجل الذي يزعم أنه لم يقرأ في العربية إلا القليل . رحم الله التواضع .



ولم يكن أحمد زكي يرى غرابة في جمعه بين الأدب والعلم الذي تمثل بصورة واضحة في شخصيته وانتاجه ، وكانت فكرته في هذا الصدد أن « الفارق بين العلم والأدب مفتعل ! وهو أكثر افتعالاً في الشرق . . فكل كاتب في الشرق مفروض أن يكون أدبياً ولو كان عالماً . . ومن غرائب الشرق أن يستغرب أن يكون العالم أدبياً » .

كان رحمه الله من طراز العلماء الموسوعيين . وعندى أن أعظم أدباء العربية لم يكونوا إلا من العلماء الموسوعيين ، وهذه حقيقة لن يتأتى فهمها على الوجه الحق إلا للموسوعيين أو الذين يريدون أن يكونوا كذلك ، أو الذين يدرسون حياة هؤلاء ، أو الذين يقرءون حياة هؤلاء على أقل تقدير ، أما عدا هؤلاء وهؤلاء فقد يستحيل عليهم أن يقتنعوا بمثل هذه الفكرة !!

ونعود فننقل عن الأستاذ طاهر الطناحي قوله : « إن الديك - كما قال الجاحظ - فيه الشجاعة والصبر والجولان والثقافة ، وله خبرة بساعات الليل ومقادير الزمان . وكذلك زكي بك يكاد

يكون فوق الأسطرلاب وفوق مقادير المد والجزر ، فعلى الرغم من تعدد مشاغله وكثرة «سلطاته العلمية» فهو يقسط جهوده وزمنه على واجباته تقسيطا موزونا ، وكأنها الحياة عنده «معمل» تخضع للتحليل والتدقيق والتقسيت .

نعم . . كان الدكتور أحمد زكي مثالا يحتذى به في التنظيم ، والضبط ، والربط ، ولم يكن هذا إلا صورة من عقلية المنظمة ، التي نظمها العلم فانسعت للكثير من العلم ، وأعطت الكثير من العلم والعمل .

كان أحمد زكي كثير القراءة ، كما قدمنا ، وقد أتاحت له فرصة الفراغ لها بعد فراغه من الوظائف في مرحلة مبكرة من عمره (لا من حياته) . وكانت له مكتبة ضخمة قيمة في بيته بالمعادي ، فلما ذهب إلى الكويت وأسس العربي كانت له هناك مكتبة أخرى ضخمة فخمة كان لا يفتأ يزودها بالجديد ، ولما توفي رحمه الله اشترتها وزارة الإعلام الكويتية ، وخصصت لها موضعا ممتازا .

وكان الدكتور يقضى ليل رمضان كله في القراءة ، ويظل يقرأ من بعد الإفطار وصلاة العشاء وحتى السحور ، ثم يواصل القراءة مرة أخرى حتى يداعب النوم جفونه .



أما عن أسلوب عالمنا الجليل ، فيتحدث واحد من أفذاذ العلماء الكبار التاليين له ، وهو أستاذنا الدكتور عبد الحليم منتصر فيصفه بأنه كان مثالا للكاتب العلمى الذى لا يزال بالفكرة حتى يغرسها في نفس قارئه غرسا ، وله طريقته الخاصة في العرض والتحليل في جميع الموضوعات العلمية التى يتناولها ، وهو مع أنه يكتب لقطاع عريض جدا من قرائه في الوطن العربى ، فما أشك في أن كل قرائه يفهمونه في سهولة ويسر ، ولا يجدون أدنى مشقة في فهم ما يريد أن يعرض من مسائل علمية مهما تكن صعوبتها ودقتها .

وسئل الدكتور زكى عن غرابة أسلوبه ، هل يحسها ، كما يحسها غيره ، فقال : « أفنعمنى بأن أسلوبى لا بد فيه شىء غريب كلمة كتبها العقاد في المصور ، وصف بها أسلوبى فقال : « إنى لا أقرأ للدكتور أحمد زكى شيئا إلا وأتصوره قد جلس إلى مكتبه ويده قلم ، ويده الأخرى مسطرة ، ويرجل » .

وكان العقاد رحمه الله من المعجبين بأحمد زكى وبجمعه الفريد بين العلم والأدب ، وكان يقدر

أسلوبه ، وآراءه في مجمع اللغة ، وهكذا كان الدكتور زكى على رأس العلماء الذين سلموا من نقد العقاد ، بل وحظوا بتقديره .



وكان عالمنا حفيًا ببلورة العلاقة بين الصحافة والأدب ، وبين الصحافة والعلم ، وبين الصحافة والثقافة على وجه العموم . وقد قال في حديثه لسامح كريم : « إن الصحفي اليوم لن يكون صحفيًا بالفهولة أو بالخطف ، وإنما بالثقافة والمعاناة . صحيح أن الصحافة موهبة واستعداد ، ولكن هذه الموهبة ، وذلك الاستعداد ينبغي أن يكونا في خدمة الثقافة والاطلاع » . ومضى الدكتور زكى يجيب عن سؤال عن العلاقة بين الصحافة والأدب ، فقال : « إذا كان الأدب هو الكاتب ، والقلم الثرى بلفظه ، الثرى بمعانيه ، القوى بأسلوبه ، الواصل في ينس إلى ما يؤديه ، فقد أفادت الصحافة الكثير منه ومن أصحابه . . ومن أهل الصحافة أهل أدب بهذا المعنى . . ولكن من أهل الصحافة من أساء إلى الأدب . هؤلاء هم الكتاب الذين يخطفون ، هؤلاء هم الذين درسوا جانبًا من اللغة ولكن لم ينموها ، درسوا صنوفًا من الأدب فبهرتهم فراحوا يقلدونها قبل وفرة واجبة من التحصيل ، ومنهم من لا يهتم اللفظ يستعملونه ما دام يؤدي إلى الغرض سريعًا » .

وقد كان أحمد زكى مهتمًا بالتأكيد على هذا المعنى أيضًا فيما يتعلق بالشباب ومحاولاتهم الشعرية وقضية الشعر الحر . . وكان يقول إن الضوابط والقيود والأشكال الأدبية ليست عبثًا وإنما هي مقدرة ، وإن الحياة الحديثة ليست بالشئ السهل ، وإن بدت كذلك إلا أنها لم تجئ إلا بعد معاناة وعناء طويلين . وقرأ معنى عباراته في مقاله (يوليو عام ١٩٦٦) بالعربي حين يقول : « إنه جيل جاء من بعدنا ، دهمته سرعة الحياة ، وغمرته المدنية غمرًا حتى ما تكاد تستقر في فيضها المتدفق قدماءه ، وراح يحسب أنها مدنية في أدب وفي غير أدب ، دانية الثمار ، وليس عليه إلا أن يمد يده إليها ويقطف ، والذين خبروا هذه المدنية يخبرونك أن وراءها التحصيل الكثير ، والسهر الطويل ، والحفظ المتصل المستتير . إنها مدنية شاقة ، يبذل الإنسان فيها مثل ما يجنى منها وأكبر ، ولكم شقى الإنسان فيها بالعمل ، ولكم شقى ببعض ما جناها منها من ثمار » .

ويروى عالمنا أنه حدث شابًا مغرمًا بالشعر في هذا ، فقال له الشاب : أنا شاعر ، فمالى والعلم؟! « قلت له إن جسمك أقرب إليك من شعرك ، وشعرك في حاجة إلى هذا العلم وإن لم

يظهر فيه » .

وفي موضع آخر (أغسطس عام ١٩٧٥) يتحدث الدكتور زكى عن هذه الظاهرة ، فيقول :
« إنه الحب يريد الشباب أن يتروخوا منه فيصبوه شعرا قبل نضوج . . إن قول الشعر فيه شفاء
لقائله ، وهو بذلك يؤدي في الشباب غاية » . ثم يردف بقوله : « والظاهر أن مدرسى اللغة
العربية كثرة كاثرة هبطت بشغفهم بالأدب عامة ، فكان من ذلك الشعر الضعيف الذى ينتجه
شباب اليوم ، بعد انتهاء من دراسة » .

والحق أن الدكتور زكى قد أفاض في دراسته لهذه الظاهرة وحديثه عنها ، مما نظن أن سيكون
لآرائه المفصلة في هذا الصدد موضع آخر في كتابنا هذا إن شاء الله .



أما لغة الدكتور زكى العربية ، فقد كانت على خير ما تكون هذه اللغة عند العلماء والمثقفين
وعند أهل اللغة أنفسهم ، والأمر في هذا لا يحتاج إلى بيان أو توضيح .

وكان الدكتور زكى يجيد الإنجليزية إجادة تامة قبل البعثة وبعدها ، وفي الكيمياء وفي غير
الكيمياء .

وكان الدكتور زكى كما ذكرنا قد تعلم الفرنسية على يد سيدة سويسرية ، وسرعان ما طبق العلم
في العمل وترجم عادة الكاميليا .

ودرس الدكتور زكى الألمانية ، لأنه كان في حاجة إلى هذه اللغة في دراسته لدرجة الدكتوراه في
العلوم ، وقد أجرى بعض بحوثه بها في النمسا .

ونحن هنا نقطف لك طرفة من طرف الدكتور زكى حين يتحدث عن قلمه في مقال له بمجلة
الإثنين ، فيقول في فقرة من الفقرات : « عرفت أقلامى أول ما عرفت العربية ، ثم هى تتدرج
فتعرف الإنجليزية ، ثم إذا هى بالفرنسية تلوذ ، ثم هى من الألمانية تعوذ ، حتى التركية كان لها من
محابرى سقيا ، وكان لها نصيب » . انظر إلى حبه للفرنسية ، وقبوله الألمانية على مضض ، معنى
كرره الدكتور زكى في غير موضع ، مع أن في قلمه تأثرا كبيرا بطريقة تركيب الجملة في اللغة الألمانية
على نحو ستحدث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب إن شاء الله بالتفصيل .

ويروى لنا عالمنا الجليل نفسه بعض الطرائف عن تعلمه اللغات في مقاله : « حاولت أن أتعلم الصينية » الذى نشره في جريدة الشعب (١٢ / ١ / ١٩٥٧) ، فيقول إنه حاول أن يتعلم التركية على إسماعيل حقي ، وهو شاب تركى جاء مصر مع الحرب العالمية الأولى واشتهر أمره فيها ، ثم عاد إلى تركيا حيث أعدم لمعارضته نظام الحكم . . . ولكن أحمد زكى لم يواصل تعلم التركية .

وحاول الدكتور زكى أن يتعلم الروسية مع اثنين من المسلمين الروس المجاورين في الأزهر الشريف ، وكانا من مدينة كييف بأوكرانيا ، ولكنه لم يمض إلى النهاية .

وحاول أن يتعلم الصينية مع بعض مجاوري الأزهر كذلك ، فلاقى في تعلمها صعوبة شديدة ، وكان مرد هذه الصعوبة عنده إلى أنك قد تجد في الصينية كلمة ذات ٥٠٠ معنى . ويعلق على هذه الخاصية من خواص الصينية فيقول إنك قد تجد في العربية كلمة ذات عشر معان ، وهذا قليل جدا ، ولكن ما بالك بالكلمة الصينية يكون لها خمسون معنى ، وما بالك بها ولها خمسمائة !! وهكذا فإن أحمد زكى أجاد ثلاث لغات حية وإن كان لم يحالفه الحظ في ثلاث لغات أقل حياة .



وعلى حين تعلم الدكتور زكى في بريطانيا ، وعلى حين تزوج منها ، وعلى حين كان دائم الزيارة لها ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يبدى الآراء الصريحة - التى تغضب البريطانيين على الأقل - من السياسة البريطانية والعقلية البريطانية .

ومن البدهى أن موقفه من المسألة المصرية البريطانية كان في الجانب المصرى مائة في المائة . ووطنية الرجل ليست محل تشكيك ، إنما أردنا بتبصيرنا في الفقرة السابقة مواقفه العامة خارج هذا النطاق الذى لا يحتمل التفاضل في خلق أحمد زكى .

كان عالمنا الجليل يصرح في الأربعينيات وفي السبعينيات بأن بريطانيا هي عقادة العقد (الهلل : ٤ / ١٩٤٧ ، العربى : ٥ / ١٩٧٣) ، وهو يؤكد أنها ما تبقى في بلد زمانا ، وتخرج منه ، إلا بعد أن تكون قد عقدت فيه عقدة يصعب على أهل البلاد حلها بعد خروجها ، ويفيض في ضرب الأمثلة على ذلك بما حدث في فلسطين وجنوب السودان وإيران والعراق .

ولكن أحمد زكى لا يترك هذا الأمر شهاعة للبعض : « ونذكر أنها عقدت هذه العقد ، ولكن العقدة لا تعقدها الكهف الواحدة ، إنها كفان ، كف المستعمر القوى الغازى وكف بل أكف من أهل البلاد . إني لا أبرئ بلدا ينزل به الشر ، استعماراً كان أو غير استعمار أبدا . إنها جرمان متكافئان : جرم غاصب ، وجرم مغصوب . ونذم الزمان لنوفر على أهل البلاد المذمة ، ونذم التخلف والتخلف نفسه إنها هو جرم جناه الأجداد على الآباء ، ويجنيه ، اليوم الآباء على الأبناء » .

ويتحدث الدكتور زكى عن بعض المواقف التى واجهته وهو يدرس فى بريطانيا . ومن هذه المواقف أنه هاجم الإنجليز وبالف فى هجومه ، وسكتوا ، حتى إذا انتهى من كلامه وهذا ، وكان العشاء ، سأله أحدهم : « إن كان هذا مبلغ كراهييتكم لهذه البلاد فلماذا تأتونها ؟ » . ويروى الدكتور زكى فيقول : « وكان جوابى العاجل : إنها نحن نأتيها مشترين ، فلكل شىء نأخذه منكم ثمن ، ونحن ندفع لكم عن تعليمنا قطنا . . ولم يعجبني جوابى ، كان الواجب أن أقول : أنا آسف أنى أملك كل هذا الألم » .

على أن الأروع من هذه ما قصه الدكتور زكى من أمر زميل مصرى كان دائم الاحتداد على الإنجليز ، وكان إذا داس قدم أحدهم خطأ لم يعتذر ، إمعانا فى التحدى ، وكان قوى الجسم مفتول العضل . وحدث أنه احتك يوما بإنجليزى ، ضعيف الجسم ، قليل الحجم ، وامتد الخلاف إلى الأيدي ، وتلاكما ، ووقف الطلبة الإنجليز والمصريون الذين يدرسون حتى انتهت الملاكمة بانتصار الإنجليزى على ضعفه ، لأنه لاكم بصنعة لا بقوة . يعلق أحمد زكى على هذه القصة حين يرويها ، فيقول : « لطالما ذكرت هذا الصراع كلما قام بين البلدين صراع . إن هذا من هذا ، الصنعة دائما لا العضل هى الغالبة ، فكيف إذا اجتمعتا ؟ ! » .



ونعود بعد هذه الدقائق الست من الاستطرادات التى ذكرنا فيها موقف أحمد زكى من الإنجليز، نعود إلى ما كنا فيه من الحديث عن أصول وطبيعة ثقافة أحمد زكى .

لم يكن عالمنا يقتصر فى ثقافته على القراءة ، وإن كانت هذه تمثل النسبة العظمى من وسائل الثقافة عنده ، وكان يحب السينما ، ولكنه كان حزينا على مستوى السينما المصرية ، ولا يخفى إحساسه أن المخرجين لا يخرجون أفلامهم لطبقة المثقفين .

ولم يكن له بعدما تقدمت به الحياة هواية إلى جانب القراءة ، إلا إنبات الزهر والفاكهة فى

حديقة بيته ، وكان يتخذ من هذه الهواية مادة لدراسة علم النبات دراسة هواية - على حد تعبيره -
وتجربة بعد ما درسه دراسة منهجية .

وكان الدكتور أحمد زكى يحب المشى كما قدمنا ، إذ كان يتخذ رياضة المشى ، وكان فى شبابه أيضًا يحب التجوال والتطواف فى شوارع القاهرة القديمة . وقد عبر عن هذا فى مقال أغسطس عام ١٩٤٧ بالهلل ، فقال : « إنى لم أجد أشقى لنفسى فى يوم إجازة ، وأنا البعيد عن الأحياء التى نسميها تعسفًا بالوطنية ، من دورة ، أدورها فى الحسينية إلى الجمالية إلى النحاسين فالصاغة فالسكرية فالعقادين فالخيامية . . . وهلم جرا . . . إلى أن أنتهى بالسيدة زينب وما وراءها ، وعلى القدم أدورها ، وتطول فأجعل فيها محطات أحط بها استجماما ، وفيها أنظر روائع للفن فيشبع حسى بالفن ، وأنظر معالم التاريخ فأحيا التاريخ البعيد والقريب وأرى صناعات تغيرت عليها القرون ولم تتغير ، فأحن للعهد القديم وآسى له على السواء » .



هكذا كانت حياة عالمنا الجليل تسير على نحو مرسوم مخطط ، أخلاق مصطفى متوازنة ، وشخصية متكاملة أو هى تفرص على هذا التكامل ، ولم يكن للصدف أثر فى حياة أحمد زكى ، ولا جاءه شئ من غير أن يتمناه ويسعى إليه . وقد سئل السؤال التقليدى : ماذا يمتنى ، لو بدأت الدورة من جديد ، فقال : « لو أن الحياة عادت بى من جديد ، وأذن لى أن أتمنى ما تمنيت شيئا من هذه المناصب . لقد تمنيتها قبل أن أكونها ، فلما كنتها تعلمت منها ما رغبنى عنها » .

والحق أن الدكتور زكى قد تفرعت به مسالك الحياة كثيرا ، ولو تأملت لتختار له المسلك الذى يسلك من بين هذه المسالك المتشعبة ما وجدت أنسب لشخصه وشخصيته مما كان ، وإن وجدت ما هو أكسب .



وكان الدكتور زكى قمة فى التواضع - مع عرفانه لقدره واعتزازه بشخصه - ولا بد أن كل من لقي هذا العالم الجليل شخصيا وجد فيه تواضع العلماء وأناقة الأدباء . .

فتراه يصغى للحديث بسمعه وبقلبه ولعله أدرى به

كان الدكتور زكى يؤمن بأن المجد الحقيقى ليس هو ذلك المجد الصاخب ، وإنما هو المجد

العامل في هدوء وأناة على نحو ما كانت حياته . وهو يصرح بهذا المعنى في مقال له في الهلال (مارس ١٩٤٦) ، فيقول : « لقد آن للناس أن يكفروا بالمجد الذي يحوطه الضجيج ، لأن أكثره مجد زائف . . إنه كالطبل ، أعلاه صوتا أفرغه . . إن الأمم وإن الإنسانية قد تقدمت ، وسوف تتقدم إلى غايتها المأمولة لا بالصراخ وراء رجل أو بضعة رجال ولكن بأبطال ألوف يعملون عمل الحياة على الصمت . . وفي ضياء غير باهر لا يبالون زخرف الحياة ، ولا يجزعون من الموت ، ويؤمنون بالله وبأن المجد كله لله » .

ولم يكن أحمد زكي يرتاح إلى هذه الضجة التي تحيط بها الجمعيات الخيرية أفعالها ، ويتحدث عن هذا المعنى في مقال له عنوانه « النسبة والتناسب » نشره في جريدة الإثنين ، فيقول : « ولو أن الناس اعتادوا النسبة ، لسألوا هذه الجماعات : كم من هؤلاء الأطفال أوت ؟ وكم من المسلولين والمسلولات أبرأت ؟ ولعلموا إذا هم نسبوا هذه الأرقام ، إلى عدد ما في هذا البلد ، وسكانه عشرون مليوناً ، من أطفال مشردين وإلى عدد ما في هذا البلد من مسلولات ومسلولين ، لعلموا أن هذه الجماعات إنما تحاول أن تنزع بحرًا بكوز ، أو تروى حقلاً بفنجان ، ولأدركوا أن هذه الأعمال لا تساعدها ولكثرة ما تحتاج من نفقات ، ليست مما تطيقه هذه الجماعات ، ولكنها بحكم الزمن الحديث وما تنشأ فيه من آراء ، من عمل الحكومات ومن فروض الدول ، وإن الأمر ليس إحساناً ولا مبرة ، ولكنها حقوق المرضى العاجزين على الأصحاء والقادرين ، تؤخذ بالضرائب يدفعها دافعها راضياً أو يدفعها غصباً » .



وكانت فلسفة أحمد زكي هي الاعتدال ، وكذلك كان طبعه . ولكنه مع ذلك لا يتهاون في الأساسيات . وقرأ في هذا المعنى عباراته في وصف الشباب الذي يعجبه ، أو ما يوده في الشباب حين يقول : « فيعجبني منه - أى الشباب - الوجه الطليق النظيف الذي يعمل فيه الموسيقى كل يوم أو لا يعمل أبداً ، والشعر المقلّم المشوط ، والثوب البسيط الأنيق . فتلك زينة خليفة بابين آدم ، وهى أخلق ما تكون بشبابه ، وهى ضريبة المنظر الطيب الذى لا بد أن يشيع في دنيا يخفف من عنتها أن تقع العين فيها على الحسن الجميل ، ومع هذا فهو عند العمل يخلع التأنق ، وينبو عن الترفق ، فإن كان العمل فحماً وزيتاً انغمس في الفحم والزيت ، وإن كان انبطاحاً على الأرض تمرغ في تراب الأرض ، وإن كان بخاراً وعقاراً ، نشق الأبخرة ، ولم يشع بوجهه عن الأعفرة ، فإذا انتهى

النهار دخل الحمام ، وخرج منه فعاد إلى التأنق على الصحة التي أكسبها العمل ، وإلى الترقق على القوة التي أكسبها مران العضل » .

كان عالمنا معتدلاً في مأكله وملبسه ، وإن لم يخل من أناقة زادت أناقته قوامه ، ووسامة وجهه المعبر عن حيويته ورفعته . وكان قد تعود التدخين ، ثم أخذ يكثّر منه حتى لم يكن يكتب إلا وهو يدخن ، إلى أن كان ذات يوم سنة (١٩٣٦) ، « ورأى المنفضة مترعة فتقرّزت نفسه ، وأقلع عن التدخين من يومها » . وهذه الحادثة بالذات تعبر لنا عن مدى الحساسية والشفافية وحب الكمال الذي ملأ على عالمنا نفسه وعقله وقلبه .

كان الاعتدال طبعه في حياته ، وكذلك كانت فلسفته على الرغم مما قد يبدو من شخصيته وهو العالم الحاسم الحازم القاطع في كثير من الأمور بحقيقة الصواب . . فقد كان من المؤمنين بالتطور في الإصلاح . . وقد لخص لنا فكرته في هذا خير تلخيص في عبارته التي جاءت ضمن مقالته «خواطر عند الخلاق » ، والذي جعله فصلاً في كتابه «ساعات السحر » ، حين يقول : « القليل القليل ، ثم انظر ما فعلت يداك . . أما الكثير الذي تتخطى به الحدود فقد يكون منه فساد ليس إلى إصلاحه سبيل » ، وليست هذه هي عبارته الوحيدة في هذا المعنى ، وإنما هي العبارة التي رأيناها تبلور الفكرة في أبسط صورة . أما تفصيل القول في هذه الفلسفة فسيأتي بلا شك في موضعه من كتابنا هذا إن شاء الله .

كان عالمنا أنيقاً بالطبع وإن حسب البعض أنه أميل إلى التأنق . وقد أجرت مجلة الإثنين سنة خمس وخمسين (١٩٥٥) استفتاء لاختيار ملك للجمال من بين الرجال وملكة للجمال من بين الفتيات ، وجاء ترتيب الدكتور أحمد زكي الثالث بين ملوك الجمال بعد الأستاذين عبد الحميد عبد الحق وفكري أباطة ، واختيرت له جائزة إنساناً ميكانيكياً (روبوت) ذهبت به إليه ملكة الجمال الثالثة ، وهي فتاة الجامعات (عزيزة عبد الحميد) . وذهب مندوب مجلة الإثنين يسجل رأى أحمد زكي في الجائزة التي أهديت إليه (لجماله) فانتقل الرجل إلى الحديث عن العصر الميكانيكي ومزاياه وشروعه على النحو الذي ستطالعنا به آراؤه في غير موضع من هذا الكتاب .

وكان للدكتور أحمد زكي ، إذا وقف في الناس خطيباً أو محدثاً ، أسلوب خاص ، ولصوته رنة خاصة ، ولألفاظه نبرات أخص ، ولوجهه تعبيرات خاصة أيضاً . وقال أستاذنا الدكتور حامد جوهر في وصف هذا الخلق من أخلاق الدكتور أحمد زكي : « كان فناناً ، وكان مرهف الحس في اللغة ، فكان لكلامه موسيقية متنوعة الأدوات من ألفاظ إلى مصطلحات إلى أساليب » .



كانت أخلاق عالمنا على مستوى رفيع من الرقى . ويصف أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو العزم أخلاق عالمنا الجليل ، فيقول : « إنها كانت السياج الذى يحمى فكر العالم ، وقلم الأديب » . ويضرب على ذلك المثل بأن الدكتور زكى لم يبعد خصومه عند تشكيل مجلس فؤاد الأول الأهلئ للبحوث ، وكان قادراً على إبعادهم .

ويمضى الدكتور أبو العزم ليقول : « إن الدكتور زكى كان ظاهرة نادرة من ظواهر العصر، والظواهر خوارق ، والخوارق معجزات وقلتات لا تتكرر » . وهكذا كان الدكتور فعلاً ، والله وحده يعلم كم من الزمن ينقضى حتى يكون فى الأمة العربية « أحمد زكى » آخر .

وكانت فى أخلاق الدكتور أحمد زكى سباحة ظاهرة ، وكان يتسامح فى أخطاء الناس وإساءتهم إليه خاصة ما كان منها عن فقر أو جهل أو بلايا . وسألته مجلة الإثنين ذات مرة عن أحب الفضائل إليه ، فقال : أما اليوم فالترفع عن الصغائر . . وأما عن أحب المهن ، فقال : الكتابة ، وعن أحب الأصدقاء ، فقال : من يجازى الحب بالحب والوفاء بالوفاء ، وعن أحب البطلات إليه ، فقال : أين هى ؟ وهل ترك الرجل لهن باباً للبطولة الظاهرة مفتوحاً ؟ فقبل له : فأين من عالم الروايات ، فأجاب باسمى كتابيه اللذين ترجمهما إلى العربية ، وقال : جان دارك القديسة ، وغادة الكاميليا غير القديسة .

وسئل عن أبغض الأشياء إليه ، فقال : النفاق . ويبدو أن هذه كانت حقيقة مائة فى المائة ، فقد كان الدكتور زكى صريحاً واضحاً يحب الصراحة والوضوح ويكره نقائضهما ، والذين يتخلقون بنقائضهما . . وكانت أبرز النواحي الخلقية فى شخصيته هى الصراحة فى الحق ، وكان يعرف أنها تغضب الناس ، ولكنه كان يقول : إنها تغضب الناس ذوى المصالح !! وكانت هذه الصراحة هى مصدر الخشية التى تتاب الناس من أحمد زكى ، وبخاصة فى عصر لم تكن الصراحة ولن تكون من أخلاقه المفضلة بعد أن قامت سياسته على إبعاد الصراحة جانباً وإلى أجل غير مسمى .

لتأمل صراحة أحمد زكى حين اشتدت الحملة على مجمع اللغة العربية وجهوده فى تعريب المصطلحات ذات مرة ، فإذا هو يجاهر بالسبب الحقيقى وراء تلك الحملة ، ويقول فى مقاله (فى مجلة العربى : يونيو عام ١٩٦٠) بكل الوضوح وعلى الملأ : « ثم إن قوماً خانهم شرف العضوية فى هذه المجمع هزئوا بها ، وتفاكهوا عليها اشتفاء وانتقاماً . والفكاهة ، ولو كاذبة ، ما أسرع ما تسرى فى الناس » .

وكان أحمد زكى على خلاف ما قد يتوقعه القارئ يهش بالنقد ويهش له ، وله فى ذلك عبارة فى حديثه عن تجربة الشهور الأولى من العربى حيث يقول فى مقاله (العربى : ٨ / ١٩٥٩)

«واغتبطنا بالنقد أكثر مما اغتبطنا بالحمد، لأنك بالحمد تقف عندما صنعت ، ولكنك بالنقد تعيد النظر فيه ، فتقوم اعوجاجا أو تسد خللا ، وليس حسن إلا من وراءه أحسن ، والكمال بعيد المنال» .



اجتنب عالمنا الأحزاب و الحزبية على الرغم من أنها كانت في حاجة إليه وهو العالم العامل ، وهو الكاتب الأديب ، ولكنه نجح في أن يبعد عنها ، وأن يبعد نفسه عن التفكير فيها . هو يتحدث عن فترة ما قبل الثورة ، فيقول : « إنه لم يكتب في حياته من المقالات السياسية إلا اثنين شطبهما الرقيب ، واحد في عهد الوفد ، وآخر في غير عهد الوفد » .

وكان أحمد زكي يؤمن بالديمقراطية ، مهما كانت عيوبها . صحيح أنه كان يدرك أنها لا تصلح في بلادنا بالقدر الذي صلحت فيه في البلاد المتقدمة ، ولكنه كان يؤمن بأنها أسلم الطرق . وستناول هذه النقطة بشيء من التفصيل في فصل من فصول الباب الثاني من كتابنا هذا عنوانه «الفكر السياسى عند أحمد زكى» .

وفي تحقيق صحفى عنوانه « الحكم الديمقراطى كما يجب أن نفهمه » سألت مجلة الجيل ثلاثة من الوزراء (عباس عمار، وحلمى بهجت بدوى ، وأحمد زكى) ، عن آرائهم ، ونشرتها في (١٩٥٣ / ١٢ / ٢١) ، وقد أجاب أحمد زكى : « إنه لكى نفهم الديمقراطية يجب أولا أن نفهم ما هى الدكتاتورية لأن أحسن طريق لفهم الخير هو أن نفهم الشر » وضرب مثلاً بالأسرة السعيدة والأسرة الشقية . وكأنه كان يحذر ، فقد فهم الناس - بعد ما عانوا - الدكتاتورية ، وفهموا بعدها قيمة الديمقراطية .

لم يكن أحمد زكى راضياً عن بعض التجاوزات التى لجأت إليها ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وبخاصة أنها استعانت في أول أمرها بصفوة أهل الفكر في البلد ، وسرعان ما نحتهم لينفرد البعض بالسلطة ، فكان ما كان . وكان أحمد زكى يتحدث في أمر الثورات على العموم (فى مقال سبتمبر ١٩٦٩ بمجلة العربى) فمس هذه النقطة فى شيء من الصراحة والوضوح حين عقب بقوله : «ولكن من الثورات التى أعرفها وتلك التى قرأت عنها ، ثورات نحت من رجال الفكر رجالاً لهم كفايات ترجح بهم فى الموازين ، لو أذن لهم فى البقاء حيث هم ، فى العهود الجديدة لسهلوا

الطريق ، ولكشفوا عن الأخطار ، ونفعوا نفعاً عظيماً : « ولكن بدلاً من هذا ركنت هذه الثورات في كثير من الأحيان إلى أصناف من الرجال لم يكن فيهم النضج الكافي ، ولا حتى الإيمان بالجديد الذي خشيت الثورة أن يكون قليلاً فيمن أبعادوا ، ولم يكن في الكثير ممن أبعادوا عن مشاركة ، نقص في إيمان ، ولا عزوف عن جديد ، وكانت لهم قلوب مليئة بالنقمة على القديم ، ولكنها عادة فكر كان من شأنها النظر قبل القطع والاستماع إلى الرأي الحر قبل إبداء المشورة » . ولا أظن أن هناك عبارات أبلغ من هذه العبارات في وصف ما حدث ! ثم انظر إلى العلاج في عبارات الدكتور زكي حين يقول ، ولعله وجد سستها أذانا صاغية : « فلنفتح الأبواب على مصارعها ليدخلها الأهل جميعاً ، خدمة طائعين ، يطلبون العيش كدا ، يطلبون اللقمة عرقاً ، ويطلبون الخير لكل من أظلمت سماء ، وللوطن يطلبون المجد أرفع الأمجاد » .



يجدر بالذكر هنا أن الدكتور زكي عندما ترك مصر وأقام في الكويت فعل هذا باختياره الكامل ، وحقيقة أنه طوال الفترة التي عاشها خارج مصر كان يحظى عند مقدمه إلى وطنه وعند خروجه منه بحسن اللقاء من الجميع ، ولكن هذا لم يمنع من أن يتعرض عالمنا الجليل (للروتين الأمني) الذي حكم مصر في فترة من الفترات . وقد تكون هذه هي الحادثة الفريدة ، التي رواها الدكتور زكي في مقال (أغسطس عام ١٩٧١) عن تجربة له مع الشرطة المصرية ، إذ ظل واحد من ضباطها يتعقبه لمدة طويلة أثناء إحدى الإجازات التي قضاه في مصر . وفي النهاية استطاع عالمنا أن يواجه الضابط فيسأله عن سبب المتابعة ، ثم يستطرد أحمد زكي محدثاً الضابط - دون أن يسأله - عن كل ما قد يتعلق به من شكوك قد تكون ثابتة في نفوس رجال الشرطة ، والضابط يقول له : إن أيّاً من هذه الأفكار لم يرد بباليه . ومضت الأيام ، ثم علم أحمد زكي أن الأمر لم يكن إلا خوفهم من أن يهرب العملة الصعبة إلى داخل البلاد ، وأنهم كانوا يفعلون هذا مع الذين يحضرون للبلاد في تلك الفترة . . روى الدكتور زكي هذه القصة في سطور طويلة ، ثم قال : « هل تمنى الريبة هكذا بسهولة برجال الشرطة وبهذا الاتساع وبغير تقدير الرجال ، إلا أن تكون الثقة ضائعة بين حاكم ومحكوم ؟ أم لعلها المعاملة من مراكز القوى إلى مراكز الضعف من مراكز الشرطة إلى مراكز الشعب هي التي أوحى وتوحى إلى رجال الشرطة بما توحى » .

ونجد صورة أعمق من صورة رفض أستاذنا الدكتور أحمد زكي للدكتاتورية في فهمه « للمثل

تلقى الدكتور أحمد زكى تربيته السياسية فى مطلع حياته فى مدرسة الحزب الوطنى ، وكان أول أيامه فى هذه المدرسة يوم مشى فى جنازة مصطفى كامل ، يومها بدأ يعرف معنى الوطنية ، ومعنى مصر ، والمعنى الذى مات مصطفى كامل فى سبيله (لاحظ أن عمر أحمد زكى وقتها كان أربعة عشر عاماً) ، ولا يفتأ أحمد زكى يتحدث عن هذا اليوم فى كثير من المواضع ، بل ويخصص له مقالا عنوانه « مصطفى كامل .. يوم وفاته » نشره فى « العربى » (فبراير عام ١٩٦٢) .

وفى مقال مبكر للدكتور زكى فى مجلة الرسالة (٢٩ / ١٠ / ١٩٣٤) يصف أحمد زكى شعوره وشعور رفاقه بعد ما شيعوا جنازة مصطفى كامل ، فيقول : « ذلك هو الحدث الأول الذى فتح للعيون الصغيرة أول كوة تطل منها على كل شىء يسمى وطننا ، وعلى ناس فيه بائسين يسمون أهلا ، أو هو أول صدع فى القلوب الصغيرة فتح فيها مدخلا لحب الخير ، ورعاية الغير ، وقد كنا ربينا تربية من لون العصر الذى نعيش فيه ، لا تعين على الأكثر إلا على حب الذات ، والاستعداد للرزق عن طريق المرتبات » .

لكن أحمد زكى مبادئ الحزب الوطنى منذ ذاك الحين . ومن يومها توطدت علاقته هو وأصدقائه بالحزب الوطنى ، وبخاصة بالشيخ عبد العزيز جاويز .

حتى إذا كانت إرهابات ثورة سنة ١٩١٩ ، كان أحمد زكى ، ومنصور فهمى ، ومصطفى عبد الرازق ، وأحمد أمين من تلاميذ فصل واحد فيها ، كما روينا عنه فى أول هذا الباب ، فانظر إلى هذا الفصل الذى ضم شيخ الأزهر ، ومديرى الجامعتين الكبيرتين والأولين ، وعميد الآداب الأشهر .

بدأ أحمد زكى وزملاؤه كفاحهم بالسلاح ، ثم أدركوا أن الكفاح الأصعب ليس بالسلاح ولكنه بشىء آخر . انظر إلى أحمد زكى يصف جهادهم فيقول : (مقال يناير سنة ١٩٧٢ بمجلة العربى) « كنا ونحن طلبة نجهز للوطن ، وكنا ونحن طلبة نتجهز لأسوأ حال يكون عليها الوطن ، وجعنا إلى الجد فى العمل بقاعات المحاضرات الجد فى العمل لتحمل المصادمات خارج قاعات المحاضرات ، وكان الغاصب أجنبيا ، وتعلمنا كيف نفك السلاح ونركبه فى مراحيض المساجد وفى الصحارى .. أطلقنا الرصاص ولم يعلم بما نصنع رجال ذلك العصر ولا قادته » .

ثم حدث التحول : « أدركنا بعد مؤتمر الصلح أن السلاح .. كل السلاح على المدى الطويل ، إنما هو العلم والعرفان .. فآلقينا نحن الشباب سلاحنا ، هكذا أعلننا ، واستبدلنا بالسلاح القلم ، وألفنا فى عام ١٩١٤ لجنة للوفاء بهذا الأمل البعيد سمينها لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهى تحتضر اليوم فى شارع الكرداسى فى بيت من بيوت القاهرة عتيق ، وهى تحتضر مع احتضار الكتاب العربى فى منشئه فى القاهرة » .

وإذ استطردها هكذا إلى الحديث عن لجنة التأليف ، فمن الطريف أن نذكر ما كان يرويه الدكتور زكى عن أيامهم الأولى فيها حين كانوا يستعينون على تحقيق أهدافهم الثقافية بالتجارة . ويروى الدكتور زكى ما كان يدور بينهم من محاورات : كم ربخنا من الجلد هذا العام يا فريد (الأستاذ محمد فريد أبو حديد) ، وكم خسرنا في القول يا يوسف (يوسف بك الجندى) .

وكان أحمد زكى يرى أن ثورة سنة ١٩١٩ لم تفشل ، ويكفيها أنها قفزت بالوعى السياسى للشعب المصرى خمسين سنة إلى الأمام ، ومن الغريب أن نجد أنفسنا نثبت هذا الرأى لأحمد زكى ، ولكن ما العمل وقد كانت أبواق اعلامنا تكرر ليل نهار ما ذكره الميثاق عن فشل هذه الثورة!! .

لم يمارس عالمنا النشاط الحزبى بعد ثورة سنة ١٩١٩ . ترفع بعد عودته بشهاداته العليا وعقليته الجديدة أن يخوض فى مجالات يغلب عليها الكلام ، ولا يغلب عليها العمل . وظل على حاله من البعد عن السياسة مع أنه صار يوما بعد يوم يلعب ككاتب فحل ، وعالم رائد ، وموظف كبير . حتى إن الوزارة التى اشترك فيها كانت وزارة مستقلين رأسها صديقه حسين سرى باشا .

أما وظائف أستاذنا الكبير بدءا بالأستاذية (فى المدرسة أو فى الجامعة) ، وانتهاء بمدير الجامعة ، ومرورا بالمدير ووكيل الوزارة ، والوزارة ، فإنه كان يعتبرها « رسالة » لا « وظيفة » وكان سلوكه الوظيفى يستند دوماً إلى هذه الفكرة .

لهذا فإن الحديث عن روح الأستاذية فيه شىء لا تيسر له الفقرات المطولة ، ولكننا سنقتل هنا عن اثنين ممن تحدثوا عن هذا الخلق فى الدكتور زكى . فهذا الدكتور حامد جوهر يروى أنهم كانوا وهم فى أول حياتهم العلمية معيدين فى كلية العلوم « يأنسون إلى المصريين القلائل من كبار هيئة التدريس نبشهم آمالنا ونسألهم النصح والارشاد ، وكان فى مقدمة هؤلاء أحمد زكى ، وهنا ازدادت معرفة به ، وقد وجدت دائما عنده الرأى الصائب والرؤية الصافية ، والنصح المخلص الأمين ، والصراحة التامة ، والبعد عن تزوين الحقائق المرة وتزييفها ، وكان يواجهنا بمواضع الخطأ فى تفكيرنا إذا رأى شيئا من ذلك ، ولا يأبه لما يترك ذلك من أثر غير محمود عند من يفضل أن يزين له القبيح ويشجع على المضى فى الخطأ . وفى الواقع كان من أكثر ما أحببت فى فقيدها الكبير تلك الصراحة التى كان يقابلنا بها ، وبخاصة أنه لم يكن ليعوزه الأسلوب المنسق المهذب للتعبير عن رأيه » .

وهذا هو أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو العزم يروى فيقول : « ذهبت إليه وأنا على أهبة السفر إلى البعثة التى اختارنى لها . فبادرنى بقوله « أظنك قد أتيت إلى لسماع نصيحة منى ، ونصيحتى لك : ألا تسمع نصيحة من أحد عما ينبغى أن تفعله بالخارج . عليك أن تختار لنفسك الأسلوب

الذى يوائم طبعك ، ويلائم ظروفك ، وأن ترى بنفسك وبعينك ما فى هذا المجتمع الجديد من جديد ، ومايمكنك أن تتعلمه من هناك دون أن تحاول معرفته من هنا . . . » . ثم يروى الدكتور أبو العزم أنه لما عاد من بعثته قدمه الدكتور أحمد زكى فى محاضرة قائلاً : « من شبابنا العائدين أقدم (فلانا) وحكى عليه لن يكون بما حققه فى الخارج من نجاح أو تفوق . . فإن غيره قد أصابوا مثل هذا النجاح ، ولكنى أحتفظ بحكمى عليه حتى يحقق فى بلده ، وفى ميدان تخصصه شيئاً نذكره له ، وتحدث به عنه » .

وعلى الرغم من أن الدكتور زكى كان أستاذًا متفردًا ، فإنه كان يؤمن فى كل مناسبة بأهمية العمل الجماعى ، ودور الفريق فى حل المعضلات المعقدة ، لا يقصد بالفريق فريقًا من الأفراد وحسب ، ولكن فريق المؤسسات والمعاهد ومراكز البحوث . ومن هنا جاء إيمانه بضرورة اشتراك الجامعة والجامعيين فى البحوث التطبيقية التى تقوم بها مراكز البحوث . ويروى أستاذنا الدكتور حامد جوهر أن هذا كان هو السبب وراء اهتمام الدكتور زكى بإنشاء مراكز البحوث بالقرب من جامعة القاهرة ، وأنه بذل جهدًا كبيرًا حتى استطاع الحصول على هذا الموقع ليحقق به هذا الغرض .



لم يكن طموح الدكتور زكى فى أى من المجالات أو الميادين التى اقتحمها يقف عند حد ، وقد سئل ذات مرة فى تحقيق صحفى عن الحلم الذى عاوده وهو نائم ، فقال إنه كان يرى نفسه « قادرًا على الطيران بأجنحة من نور ، وأتحرك فى الهواء خفيفًا رشيقًا كالملائكة ثم أصبحو فأعجب كيف كنت إنسانًا طائرًا » .

وكان للدكتور زكى ذكاء حاد ، وحاد جدًا ، وأذكر أن أستاذنا الدكتور حسين فوزى كان يقرأ تجارب المطبعة لكتابى الأول عن الدكتور كامل حسين رحمه الله ، فأتى ضمن ما قرأ على تعليق للدكتور أحمد زكى قاله فى جلسة من جلسات مجمع اللغة العربية ، وكان التعليق ينم بوضوح شديد عن ذكاء الرجل الشديد ، ولم يتمالك الدكتور فوزى قلمه وأمسك بالقلم وكتب على الهامش « زكى ذكى » .

وليس ذكاء الدكتور أحمد زكى فى حاجة إلى الإبانة عنه ، فهو ظاهر فى عقليته وكتاباته وأسلوبه وإجاباته عن السؤال ، وسرعة بديته ، وقوة ذاكرته . . وفى عبارة موجزة « كان حظه من مكونات الذكاء وافرًا » .

وكانت عقلية رياضية قبل أن تكون علمية ، ولعل دراسته للكيمياء أضافت إلى الجانب الرياضى البارز فى عقلية ما جعل فيها ذلك التكامل الذى نتمناه فى فكر من يتناولون قضايا المجتمع كى يكونوا أقرب إلى الصواب فى حكمهم ، وأدنى إلى القبول فى آرائهم .

كان الدكتور زكى فى شبابه متفوقا فى الرياضيات ، وقد حصل فى البكالوريوس المتوسطة فى إنجلترا على ٩٧,٥ ٪ ، وهى درجة ندر من يحصل عليها وقتها .

وبالإضافة إلى العنصرين الرياضى والعلمى فى عقلية أحمد زكى كان هناك عنصران آخران :
عنصر الخيال ، والعقلية الطبية .

فأما الخيال فلم يجاوز الحد ، ولو جاوزه لاستفدنا بلاشك من أحمد زكى فى مجالات أخرى ، ولكن من يدري ، لو كان هذا على حساب ما كسبنا منه .

وأما العقلية الطبية ، فإننى أستطيع الجزم أن أستاذنا الدكتور أحمد زكى كان دائم الحنين إليها . هل جاءه هذا من الجمع بين الميل العلمى والعطف الإنسانى ؟ أم جاءه من اهتمامه واهتمام فلسفته بأمر الإنسان ؟ . . إن كنا لا ندري على وجه التحديد فإننا لا نخطئ الظواهر بدءا بسلسلة « قصة الميكروب » فى مجلة الرسالة ، وبهذا الجانب الطبى الذى أضافه أحمد زكى إلى « الهلال » عند رئاسته لتحريرها وهذه الأبواب الطبية الكاملة التى حررها أحمد زكى لوقت طويل فى مجلة العربى . . بل وهذه الظاهرة الطبية فى مجموعة قصصه « بين المسموع والمقروء » والتى سنشير إليها فى موضعها . . وغير ذلك كثير .



ونعود إلى أمر الذكاء فنستعرض على سبيل المثال إحدى محاوراته ، التى تلقى الضوء على آرائه فى الحياة والمجتمع بل وعلى الأعلام من معاصريه . فعندما بدأت الأنباء تتواتر عن صعود الإنسان إلى القمر نشرت جريدة أخبار اليوم (٢٦ / ١٠ / ١٩٥٧) تحقيقاً كبيراً بعنوان « ١١ تذكرة للقمر » طلبت فيه ممن سألتهم أن يختار كل منهم عشرة يصحبونه فى مركبة الفضاء التى تتسع لعشرين شخصاً منهم تسعة علماء ، قد احتلوا أماكنهم بالفعل ، على أن يأخذ فى اعتباره أن المركبة ستبقى فى الفضاء أربع سنوات . . وتوجهت أخبار اليوم إلى أم كلثوم ففكرت فى توفيق الحكيم ثم استبعدته لأنه سيمضى الوقت فى التشكيك أهو القمر أم لا . . ، ثم تخلصت أم كلثوم بذكائها الشديد الذى يتميز (فى رأى) بالتركيز وقالت : أختار الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد فهو يساوى عشرة رجال !

أما الشيخ شلتوت ، فإنه رأى أن يبعث بعشرة من الأشرار حتى يستريح العالم من شرهم ! على حين أن نوفيق الحكيم مضى يشكك على نحو ما صورت أم كلثوم من أمره !

وأما الدكتور أحمد زكى ، فقال إنه يأخذ خمسة يسميهم ، وخمسة يصفهم ولا يسميهم ، فأما الخمسة الذين يسميهم فهم « الأستاذ أحمد حسن الزيات فهو رفيق أنيس يحبى فينا الأمل حيث لا أمل ، والأستاذ أحمد لطفى السيد ليروح عنا بروح أرسطو ، وفضيلة الشيخ شلتوت ليمهد لنا لقاء الله سبحانه وتعالى ، والأستاذ منصور فهمى ليريح حنجرته فيها بالصحة ، والأستاذ كامل الكيلانى ليقول لنا ما قاله المعرى فى خراب الدنيا » . وأما الخمسة الذين بصفاتهم فهم « مجنون كبير ، ومغرور كبير ، ومنافق معروف ، ورجعى مشهور ، وأى حانوتى » .

وفى معرض آخر تسأله مجلة الإذاعة المصرية هو وأربعة من النجوم (العقاد ، ومحمد عبدالوهاب ، وعبد الحميد الحديدى ، وزكى طليبات) عن نصائحهم لجيل الشباب الصاعدين ، فيركز أحمد زكى وصاياه للمبتدئين فى عالم العلوم فى خمس وصايا ، لا مانع من ذكرها ما دمنا نهدف بهذا الكتاب ضمن ما نهدف إلى ضرب المثل ، مع تقديم الاعتذار إذا كان القارئ قد مل هذه الاستطرادات التى ما فتئ المؤلف يلجئه إليها :

- ألا يقرب العلم كمهنة يكسب منها حتى لا يتحول العلم فى آخر أمره فيفقد الكثير مما به من كسب نفسانى لقاء ما يجنى من بعد ذلك من كسب مادى .
- ألا يقربوه حتى تكون فيهم ميول العلماء ، ولو هى بادئة براعمها ، وأن تكون أنفسهم من الأنفس السائلة عن كل ما غمض ، الطلبة لاستجلاء كل ما بهم أمامها .
- ألا تقرب العلم إلا إذا كانت نفسك تستطيع أن تبحث عن الحقائق فى حيرة .
- الصبر على الخيبة ، فإن التجارب تخيب ثم تخيب ثم آخر الأمر تنجح .
- ألا تضيق بجدل ، فالعالم الناجح لا بد له من جدل ، بل هو يدعو الناس إلى جداله ، وهذه منزلة العلماء .

وحين خصصت مجلة « الإثنين » عددًا من أعدادها للإذاعة ، ذهبت إلى بعض الشخصيات تسألهم عن التسجيلات التى يحبون سماعها ، فرتب الدكتور زكى رغباته العشر على النحو التالى : تسجيلات الشيخ محمد رفعت فى قراءة القرآن الكريم ، ثم كل ما غنته أم كلثوم من شعر شوقى ، ثم مجنون ليل لعبد الوهاب وأسمهان ثم المواويل البلدية ، ثم أغانى سلامة حجازى وعبد

الحامولى ، ثم برنامج ربيع ساعة مع أهل الفن ، ثم الرماد المتخلف عن حرق ورق الأحزاب . .
ففيها معانى انعدام الشقاق والخصام والفرقة بين أبناء الوطن الواحد . . . وهكذا .



وكان أحمد زكى بالطبع صديقاً لكثير من أعلام عصره ، كان صديقاً لكثير من أقطاب السياسة
الوفديين من الجيل الثانى ، وكان على رأسهم محمود سليمان غنام الذى كان من تلاميذ أحمد زكى
الأوائل ، وكان صديقاً لزعماء الأحرار الدستوريين الذين كانوا زملاءه فى « مدرسة الثورة » وفى
« الحزب الديمقراطى » (حزب الشباب أثناء ثورة سنة ١٩١٩) ، وكان على علاقة طيبة جداً
بالسعديين وزعمائهم ، وكان الإخوان المسلمون كثيراً ما يترددون عليه لاستشارته فى كثير من
المسائل . . كانوا يجدون فيه الصدق وكان يجد فيهم الشباب الذى يحبه ، وكان صديقاً لشباب
الحزب الوطنى ومن هم من جيله .

وكان أحمد زكى صديقاً لأهل الأدب واللغة ممن شاركوه العمل فى الصحافة ، وفى لجنة التأليف
وزاملوه فى مجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى لدار الكتب .
وكان كبار رجال التعليم الذين ضمتهم مدرسة المعلمين العليا من قبل يفخرون بزميلهم
العلامة أحمد زكى ، وكان الدكتور زكى حريصاً على علاقاته معهم ، التى كانت أكثر من
صداقة .

وكان الدكتور زكى صديقاً لرجال الصحافة الكبار الذين يقدرونه ، والصغار الذين يحبونه
ويحبون حديثه وحواره ولقاءه ونصحه .
وكان صديقاً للذين يقرءون له فيبدون الإعجاب ، وكان أكثر صداقة للناس الذين يقرءون
فيظهرون النقد .

وكان معجباً بأمر كلثوم وعبد الوهاب ، محبا للاستماع إليهما فى الشعر الفصيح .
وكان قبل هذا وذاك صديقاً للمرأة . والملاحظة الأولى التى ترد إلى ذهن من يستعرض أسماء
مؤلفات عالمنا تأتى من كتابين من كتبه يحملان اسم امرأتين ، على حين أن الباقي كله متصل
بالعلم على نحو أو آخر .

وكان عالمنا يقرر أن البنت أكثر اجتهدًا في الجامعة من الولد ، وكان لا يخفى سروره بدخولها كلية دار العلوم على عهده وهو مدير للجامعة وهو إنجاز كبير جدًا فيما يخص المرأة والتعليم الجامعي على حد سواء ، وكان جريصًا دوماً على أن تملك زوجة المستقبل أمر استقلالها في يدها ، وكان يقول : « إن أهم أسس السعادة الزوجية هو أن الزوج الذي يجد أمامه زوجة عرفت ما عرف واستطاعت أن تكسب ما يكسب يكون أهدأ طبعًا » .



ليس غريباً إذن أن يكون الدكتور زكي أيضاً أول من سمح بتوظيف المرأة في مصلحة الكيمياء ، وليس غريباً ما كان من دفاعه الدائم عنها ، خصوصاً في قضية المساواة ، وسوف نفرّد إن شاء الله فصلاً كاملاً لهذه الناحية من خلق الدكتور زكي وآرائه في المرأة .

سئل الدكتور زكي عن أخطر امرأة في حياته ، فقال إنها أمه ، وقال لمجلة الإثنين (١٩٥٦ / ٢ / ٦) : « إن الرجل الذي لا تكون أمه أول امرأة دخلت في حياته وأخطر امرأة فهو رجل فقد كثيراً من مشاعر الفطرة » .

وقد كان هذا الحب نتيجة لتلك العاطفة القوية الرشيدة التي كانت والدته تشملها بها في صغره وصباه وشبابه ، دون تدليل أو إفساد . وقد توفيت وهو في الغربة فحزن عليها حزناً مضاعفاً ، ووصفها في عبارة موجزة فقال : « إنه كان لها قلب دائم التحنان ، وعين دائمة اليقظة ترعاني عن قرب وترعاني عن بعد » .

هذا عن والدته ، وقد قدمنا بعض الحديث عن زوجه التي لحقت به بعد وفاته بعامين ، وما كان بينهما من وفاق ووثام ، أما ابنته الوحيدة فقد درست اللغة الفرنسية وآدابها ، وتخرجت بدرجة عالية فيها ، وعملت في الصحافة الفرنسية في مصر بعض الوقت ، ثم اختيرت مترجمة للأمم المتحدة في المؤتمرات الدولية ، واتخذت من باريس مقراً ومستقراً .



وبعد فها نحن أولاء في صيف عام ١٩٧٥ وقد تعدى الدكتور أحمد زكى الشانين - وبلغتها - وأدركه مرض ضعف العضلات فسافر للعلاج ، وعاد إلى القاهرة ، وأدخل مستشفى المعادى ، فبقى بين أبنائه وتلاميذه وأصدقائه ومحبيه مدة من الزمن ، ولكن الله سبحانه وتعالى اختاره إلى جواره بعد أسبوع من الاحتفال بمرور عامين على انتصار أكتوبر. فتوفى الرجل وهو سعيد النفس بما تحقّق من النصر ، وإن كان قلقاً بسبب الخلافات التى دبت بين العرب فى موضوع المفاوضات .

على أن قلقه الأكبر وهمه الأكبر كان تلك المشكلات الداخلية التى لا بد منها للانطلاقة إلى التقدم . وانظر إلى آخر عباراته التى كتبها بقلمه إذ يقول : « أما الدواء ، فالانتهاء من المشاغل الخارجية ، والتركيز على الأمور الداخلية ، وتغيير القوانين بقسوة شرقية رادعة لا فلسفة للغرب فقهية فيها ، مع الدعاية الواسعة » .

وشيعت جنازة أحمد زكى فى القاهرة ، ودفن بها ، مدعوا له بالرحمة والمغفرة . وأقام مجمع اللغة العربية حفلاً لتأبين الدكتور أحمد زكى ألقى الدكتور حامد جوهر فيه كلمة التأبين الجمعية ، كما شارك الدكتور أبو العزم ، بكلمة فى التأبين وكان فى ذلك الوقت رئيساً لأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا .

ومن حين لآخر تتناول الأعلام حياة عالمنا من بعض زواياها المضيئة ، وكلها زوايا مضيئة ، وتفضلت هيئة الكتاب بالتعاقد على إصدار مؤلفات الدكتور زكى فى سلسلة الأعمال الكاملة ، وقد أصدرت من هذه المؤلفات حتى الآن عملاً واحداً ، هو « مع الله فى الأرض » ، وأظنها بصدد إصدار الكتب الأخرى ، ما نشر من قبل ، وما لم ينشر .

الباب الثانى

فلسفة أحمد زكى

روزنامه اطلاعات

روزنامه اطلاعات

الفصل الأول

الفكر السياسى عند أحمد زكى

إن الديمقراطية جميلة ، ولكن غير الجميل أن يكون الناس غير ديمقراطيين ، يدخلون الديمقراطية بمفاهيم غير ديمقراطية . ومع هذا فدخولهم الديمقراطية حتى بهذه المفاهيم خير من ألا يدخلوا ، إنها الديمقراطية المريضة ، ولكن الأمراض لا تدوم ، وما خلقت العقاقير إلا للدواء والشفاء .

قدمنا فى الباب الأول أن أحمد زكى لم يكن من الذين مارسوا السياسة قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، ومن الواجب هنا أن نعيد ذلك القول بأنه لم يكن من المتحيزين لحزب معين ، فقد أبعد نفسه عن الحزبية ، ولكنه لم يبعد نفسه عن السياسة ، فقد كان واحدًا من صنّاع الأحداث فى مصر ، لا نقصد الأحداث البارقة سريعة الظهور سريعة الأثر ، وإنما الذين يصنعون السياسة التى توصف بأنها طويلة المدى فى مجال الفكر والعلم .

وقد استوزر الرجل في وزارة من الوزارات الأربع التي كانت بين حريق القاهرة ، وقيام الثورة ، واستوزر لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وهو لم يكن من رجالها الفنيين . إذن يمكن القول بأن اختياره للوزارة التي في غير تخصصه كان من ذلك النوع الذي يسمونه « بالوزير السياسي » . وإذن كيف كان ذلك ، ولم يكن الرجل من الساسة الذين يغلب على عملهم تولى الوزارات أيا كانت عندما تصل مجموعاتهم إلى الحكم ؟!

والأمر في هذا بسيط غاية البساطة ، فقد كان الدكتور أحمد زكي هو أستاذ الجامعة الكبير ، والموظف الكبير الناجح ، والعالم اللامع ، والكاتب المؤثر ، والمفكر صاحب الكلمة المقدرة دائماً ، والمسموعة في بعض الأحيان . كان الدكتور أحمد زكي بكل ذلك شخصية عامة .

والشخصيات العامة تتفاوت ، أهمية وقدراً واحتراماً ، وكان أحمد زكي بعقله ، وعمله ، وفكره ونفسه ، ولسانه ، وقلمه ، وعلمه من أرفع هذه الشخصيات مستوى .

لم يكن أحمد زكي برلمانيا ، ولا رجل سياسة شعبية ، ولكنه كان يلقي الاحترام من طوائف الشعب المتعلمة ، ويلقاه أكثر من أكثرها علماً .

وكان لأحمد زكي رأى في كل صغيرة وكبيرة من أمور السياسة ما توفرت له مكونات الرأى ، ولم يكن يحتفظ لنفسه هو برأيه ، ولا كان يحافظ على نفسه من رأيه أن يديه ، وإنما كان لا يفتأ يديه ويهدى به ، في صراحة لا تعوزها لباقة السياسة أبداً ، وإن خالفت تلك الصورة من السياسة التي تقوم على اللباقة فحسب .

وكان قلم أحمد زكي يتناول الموضوعات السياسية حين أتيح لمجلة الهلال أن يرأس تحريرها ، فكان يتناول أمور السياسة الدولية ، والسياسة العربية ، والسياسة الداخلية ، في صراحة ووضوح ، وبصر بالأمور ، وحكمة الحياة ، وصدق في الحكم على الأشياء ، وسلامة في القصد ، ونزاهة في الغرض .

ثم كان ما كان وأصبح أحمد زكي بمثابة الرجل الأول في الجامعة الأولى (جامعة القاهرة) بعد قيام الثورة ، وفي هذا الموقع واجه أعنى عواصف السياسة في السنة الدراسية التي قضاها في هذا الموقع ، إذ أتيح له أن يختلط بالأمواج المتلاطمة ، والتيارات العاتية ، والأغراض الملتوية ، والألسنة العابثة ، والعقول التي أربها الفكر ، والفكر الذي أرهقه الأحاسيس .

وخريج الدكتور أحمد زكي من هذه التجربة بخبرة الذين يمارسون الأحداث ويدركون خطورة الأمر ، ويلتبس عليهم في لحظة من اللحظات الحق بالحق والباطل بالباطل لا يدرون أى الطرق

يسلكون ، وتعترهم الرهبة من كل طريق ، ففى كل تضحية ، وتضحية جسيمة ، ويسابقهم الزمان بدقائقه لا بساعاته ليقول لهم إن اتخاذ القرار مهما كان ضلاله أهون على كل الأحوال من البقاء بلا قرار .

عرف أحمد زكى فى السنة التى عمل فيها مديراً للجامعة طبيعة الثورات الدافعة ، كما عرف من قبل على مدى سنوات طبيعة الديمقراطية الهادئة . . وأدرك أحمد زكى كيف يكون صاحب القرار محل اتهام بما هو أبرأ الناس منه ، وكيف تسير الجماعات ، وكيف تتصرف الحكومات ، وكيف تلعب الخلفيات أدوارها فى تقرير الواقع الذى تنبنى عليه أخطر الأمور .

ذاق أحمد زكى النار ، ولفحته العواصف ، ولكنه تحمل وخرج من التجربة ، وقد صارت له من الحصانة والمناعة قوة لم تكن لتأتى له بدونها .

خرج من التجربة وقد عرف أن ليس كل ما يقال صدقاً ، وأن ليس كل ما يسكت عنه لم يحدث عنه ، وأن للمواقف خلفيات غير معلنة ، ولافتات معلنة ، وما أبعد ما بين الاثنين .

خرج وقد عرف أن المعطيات التى تكون عند الكاتب السياسى قليلة ، وهذا لا يطعن فيه على أية حال من الأحوال .

على أنه لا يعنينا هنا من أمر الخبرة ، وهاتيك الممارسة إلا أنهما كانتا من العوامل التى جعلت كاتبنا ومفكرنا ذا فكر متميز فى السياسة .

وليس من شك فى أنه من دون هذا العامل ، فقد توفرت لعالمنا من قبل العوامل الأساسية فى تكوين الكاتب السياسى ، ولكن إضافة هذا العامل إليها قد أتاح لنا من أحمد زكى كاتباً سياسياً من نوع خاص .

أى نوع خاص من الكتاب السياسيين كان أحمد زكى ؟ هذا هو السؤال ، وهذه هى الإجابة على طريقة الوصف بالخصائص :

□ بلا هوى : لا هو إلى اليمين ولا إلى الشمال ، ولا إلى القديم ولا إلى الجديد ، ولا إلى الملكية ولا إلى الجمهورية ، ولا إلى الديمقراطية ولا إلى الدكتاتورية .

□ النظرة طويلة المدى : التى لا تعنى بتحقيق المنفعة العاجلة أو الضجيج الصاخب مع تقديره لفوائدهما ، بقدر ما تعنى بوضع الأساس الصحيح ، وإنضاج البيئة الخيرة ، والعمل للمدى البعيد ، والتخطيط للمستقبل الأفضل .

□ التعقل : بحيث لا تدفعه العواطف نحو موقف معين ، مهما كان سمو هذه العواطف .

□ الأخلاق السياسية : وقد كان صاحبنا من أشد المؤمنين بأن السياسة أخلاق قبل كل شئ ، كان أكثر الناس كرها للميكافيلية ، وله في هذه المقالات لا الفقرات فحسب .

□ الفصل والتفريق : بين وصف الواقع وتقرير ما هو حادث ، وبين الأمنى والمبادئ والأهداف المتبتغة .

□ النظرة الكلية : إلى الحقيقة من جوانبها المختلفة .

□ الاستفادة من التاريخ أقصى استفادة ممكنة : والتاريخ هنا لا يقتصر على الماضى ، ولكنه يبحث فى تاريخ التجارب الإنسانية المعاصرة تحت نفس الظروف .

□ وضوح الرؤية : ولا أظن أحداً قرأ لعالمنا الجليل مقالا سياسيا ثم سأل عن الغاية التى يقصدها ، فهو لا يترك الجزئيات والنيات إلا بعد التوضيح التام .

□ احترام الشئون الداخلية : إذا ما تناول أمرا من الأمور يخص دولة معينة .

□ النظرة إلى السياسة على أنها عنصر من عناصر الحياة : فى جميع صورها الاقتصادية والاجتماعية و . . . إلخ ، تتأثر بجوانب هذه الحياة جميعها ، وتؤثر فى جوانبها جميعا .

□ الكلمة المناسبة فى وقتها المناسب : والنصيحة الغالية قبل وقت الاحتياج إليها لأن التذكير بالنصيحة هو وقتها المناسب .

بعد ذلك ننتقل إلى سؤال آخر حول طبيعة المقال السياسى عند أحمد زكى : هل كان قلمه قادرا على متابعة الأحداث فى مقال يومى ؟ أو فى مقال أسبوعى ؟ أو أنه كان أنسب ما يكون لما كان له من مقال شهرى ؟

وهو سؤال افتراضى ، لكنه يعطينا مؤشرا مهما عن مقال أحمد زكى ، وكتاباته السياسية . وليس من المجاملة أن نقول إنه كان قادرا على الكتابة فى السياسة كل يوم ، ولكن يبدو أنه كان لا يريد الكتابة فى السياسة اليومية ، وإن استطاع أن يكتب فيها كل يوم .

بعبارة أخرى فقد كان عالما قادرا على أن يكون له مقال يومى فى السياسة أو فى غير السياسة ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك لأن طبيعة كتابته فى السياسة لم تكن كذلك ، فهو لم يكن صاحب حزب أو دعوة يحمل الناس عليها كل يوم ، ويفسر أو يبرر تصرفاتها يوما بعد يوم ، ولكنه كان صاحب الدعوات التى تعيش على الزمان ، وتبقى على الأيام .

على اليد الأخرى ، لابد أن نشير إلى ما أشار إليه أحمد زكي في عبارة عارضة في مقال (١٩٥٩/٨) بالعربي وقد مضى على صدور عددها الأول تسعة أشهر من قوله : إن من سوء حظنا نحن الشهيدين أننا نكتب في الأحداث بعدما وقعت . ويبدو أننا في حاجة أن نقول إنه لم يكن سوء حظ أحمد زكي ولكنه كان حسن حظ للقراء .



كان أحمد زكي يدعو و يكتب في الدعوة إلى السلام العالمى والوحدة العربية الإسلامية والتقدم الوطنى ، وليس هناك في كتاباته هدف أعظم قدراً من هذه الأهداف الثلاثة في تلك المجالات الثلاثة .

ولكن هذا لا ينفي أن الرجل كانت له أفكاره السياسية المستنيرة التي لم تكن تمثل مواقفه السياسية بقدر ما كانت تمثل مواقفه الفكرية ، والتي لم تكن تمثل آمانياته بقدر ما عبرت عن تفكيره ورؤيته ، وهذه الآراء هي آراؤه في الحرية وفي المساواة ، في الديمقراطية والزعامة ، في الحروب والقوة ، في الوطنية والقوميات ، وفي التمييز العنصرى ، وفي السياسة الدولية ، والسياسة الأمريكية ، في هيئة الأمم ، وفي الثورات والتغيرات السياسية .

وقد وردت هذه الآراء متفرقة في السطور التي تركها لنا أحمد زكي في عدد كبير من أعداد المجلات المختلفة . ولكنها بالطبع لم تكن متفرقة ولا متناثرة في عقله الكبير ، إنها جاءت إلى الحياة كما يجيء كل شيء إلى الحياة الدنيا بلا نظام ظاهر ، وبنظام أدق وأخفى حكم به الناموس في اللوح المحفوظ .

وهذا الفصل يعرض لنا بطريقة منظمة (نظاماً ظاهراً) بعض الأفكار السياسية للرجل بعدما استخلصها المؤلف من قرابة مائتى مقال للقلم الكبير ، وحين نقول « مائتى مقال » نأخذ بالأحوط ، وهو الأقل .

على أنه لابد من باب الإمتاع أن نعطي الفرصة للقارئ ليقراً لأحمد زكي نفسه وجهة النظر في تبرير كثرة كتاباته في السياسة وهو الرأى الذى أبداه في مطلع حديثه « اختلاف الرأى في سبيل الخير غير اختلاف الرأى عن خبث وغدر » (مجلة العربى : ٥ / ١٩٧٤ حين يقول : « أعود إلى الكتابة فلا أجد باباً كالسياسة يغرى الكاتب بالدخول فيه ، ذلك لأن السياسة هي اليوم أمس

شئء بحياة العرب وأكثر الأمور ارتباطاً بمصائرهم ، وكثيراً ما هبت رياحها عاصفة تنذر باقتلاعهم من الأرض اقتلاعاً ثم هدأت ثورة الريح فأفسحت الأمل ببقاء ليس هو خير بقاء » .

القوة أساس العلاقات الدولية :

فإذا ما تناولنا وجهات نظر عالمنا في السياسة الدولية فسوف ندرك قدرته على النفاذ إلى أعماق الأمور عندما يقرر في صراحة ووضوح ومنذ مرحلة مبكرة أن القوة هي الحكم والفيصل في علاقات الدول بعضها وبعض . وهو لا يكتب في هذا من باب تقرير الواقع فحسب ، وإنما حثاً للعرب على الاجتهاد في هذا المضمار بتقوية النفس بدلاً من الاعتماد على العواطف والكلمات المعسولة والوعود !!

يكتب أحمد زكي مقالا مطولاً في هذا المعنى ، (مجلة العربي : ١٩٦٩ / ٧) ويجعل عنوانه « القوة .. القوة . سياسة الأمم لا تعرف غير القوة » ويأخذ في الإسهاب في الحث على المعاني التي يلخصها قوله : « سياسة الأمم لا تعرف غير القوة ، والقوة عندهم فوق القانون . والذين يحتمون بالمعاني الإنسانية ، قوم مستضعفون . وإنسان هذه الأرض إما أكل ، وإما مأكول » .

« والعرب تساورهم الذئاب من كل جانب فهل هم مستيقظون ؟ فلينج العرب بأنفسهم بطلب القوة لا ليأكلوا الناس ، ولكن لكيلا يأكلهم الناس ، فحينئذ نظرت الآن وجدت حول العرب تحفزاً وتوثباً » .

ويفرق أحمد زكي بين طبيعة السياسات التي تكون بين الأفراد ، وبين تلك التي بين الدول بعضها وبعض ، ويسهب في تفصيل هذا الفرق في أكثر من موضع ، ولكننا نقبس هنا قوله في مقاله « من أين وإلى أين يارجال العرب » الذي نشره في (مجلة العربي : ١٩٧٣ / ٤) حين بلغت قضية فلسطين حالة من اليأس عبر عنها مصطلح حالة اللاحرب واللاسلم : « إن معاني الحضارة ، وكل تلك القيم التي تضم مفاهيم العدالة والمساواة والحق والديمقراطية وأشباهها يجدها الإنسان بين الأفراد وبين الطبقات في الأمة المتحضرة الواحدة ، أما بين الأمم فليس هناك إلا قانون الغاب : آكل ومأكول ، والغلبة للأقوى ، ومن شك في هذا فليقرأ ما وقع في فيتنام ، قصف ضحيته الملايين دام سنين وخراب ذهب بالزرع والضرع إلى حين طويل » .

حتى إذا كانت حرب أكتوبر ، وكان النصر الرائع ، واتضح للناس صدق كلام العالم والمفكر ،

خشى أحمد زكى أن يستكين العرب إلى ما أحرزوه من نصر ، فأخذ يكتب داعياً إلى مواصلة السعى في تقوية النفس يوماً بعد يوم بكل الوسائل ، ويفيض أحمد زكى في هذا المعنى في مقاله الافتتاحي (مجلة العربى: ٨ / ١٩٧٤) الذى جعل عنوانه «هيئة الأمم المتحدة . تركت الكرة في الميدان وجلست تشهد اللعب مع اللاعبين» . وهو يروى في هذا المقال وقائع فض الاشتباك ، وما يتوقع للأزمة بعد هذه المرحلة ، ويخلص من هذا إلى القول: «ويجربى كل هذا مصداقاً لأن الذى يجربى سياسة هذا العالم ، ويحرك سياسته ليس هو العقل ، وليس هو العدل ، وليس هو الإيمان بالمساواة ، ولكنها السيادة في ميدان الحرب ، والسيادة في ميدان الاقتصاد ، وما يتبعها من ميادين للعلم والتقنية» .

ومن نفس المنطلق كان فهم عالمنا لطبيعة الحروب ، بل ولضرورتها في بعض الأحيان وهو يتحدث عن هذه العلاقة بين الحرب والقوة في لغة العالم المدقق الذى يسجل الظواهر الطبيعية ويرصدها ، فيقول في حديث الشهر (مجلة العربى: ٦ / ١٩٧٣) وعنوانه «منطق الحوار ومنطق القوة»:

- «فالقوة والحرب يكملان المنطق ، في سنن هذا الكون ، وكثيراً ما تكون القوة وتكون الحرب أقوى حجة من المنطق ، ولا يحتقرن أحد القوة ، فهى بعض سنن هذا الكون . إن المنطق إذا لم يحل مشاكل الناس فلا بد من شىء يحله ، ولهذا دخلت القوة نظاماً من نظم الحياة» .
- «ما القوة إلا وسيلة وهى تكون وسيلة للخير ، كما تكون وسيلة للشر ، وهى على كل حال فوق الضعف وفوق المذلة مكاناً ، والله موسوم بالقوة وبالخير وبالجبروت» .
- «إنه المنطق أولاً ، فلما لم ينفع ، أكملته القوة ، والقوة منطق أفضل ، وسمى الإنسان هذه القوة التى تأتى بعد المنطق ، منطق القوة سخرية بها ، ولم تؤثر هذه التسمية الساخرة في القوة فهى قد ظلت الوسيلة الفعالة التى تحسم الخصومات في عالم الإنسان وكذلك في عالم الحيوان» .



ومن المهم أن نذكر أن أحمد زكى كان يؤمن بأن الحروب ستبقى ما بقيت البشرية ، هكذا كان اعتقاده ، أو كان على الأقل قريباً من هذا . ألا ترى إلى قوله في حديث الشهر «حرب أم سلام» (العربى: ١٠ / ١٩٦١): «والعقيدة بأن الحرب لا تكون لأنه لن يكون هناك مجنون يبدؤها ، سلبية لا نرضاها ، والاحتباء باليأس لأن أزمة الأمور في أيد غير أيدينا سلبية كذلك لا نرضاها» .

مع هذا فقد كان الدكتور زكى ينبه إلى خطورة الحرب واستنزافاتها ، ومع هذين كان يلقي

الضوء على ناحية الضرورة والتورط في الحروب . وفي مقاله (مجلة العربي : ٣ / ١٩٦٦) يشير إلى ما حدث في فيتنام من التورط الأمريكي ، ثم يقرر درسا مهماً ، فيقول : إن « داخل الحرب يدخلها في الوقت الذي يشاؤه هو ، أما خروجه منها فأمر لا يتعلق بمشيئته هو وحده أبداً . . إنها يتعلق بالأحداث التي تتمخض عنها الأيام ، وبالعقد التي تعقدها ، فالحرب إن حلت عقدة ، ربطت لكل عقدة عقدتين وثلاثاً » .

ويركز أحمد زكي رأيه هذا في قوله : « إن الحروب ورطة ، وقد لا تكون ورطة الضعيف ، قد تكون ورطة القوى كما حدث من أمريكا في فيتنام » .

ومن نفس المنطق منطق تقدير قيمة القوة ، وقوة القوة ، كان الموقف الذي اتخذته أحمد زكي حين قال في مرحلة مبكرة ومن قبل أن يصرح أى سياسى أو رئيس بهذا : إن أوراق الذئبة كلها في يد الولايات المتحدة الأمريكية . وفي الحق فقد كان أحمد زكي في رأيه هذا أصدق الكتاب العرب مع أنفسهم على الرغم من أنه كانت في نفسه مرارات - لا مرارة - من الولايات المتحدة . وقرأ له معى من مقاله « لا صلح بين الزعماء إذا لم يتبعه صلح بين الشعوب و صلح الشعوب أعصى » (مجلة العربي : ٦ / ١٩٧٥) إذ يقول :

□ « إن زمام الأمر كله في يد دولة واحدة ، هي الولايات المتحدة كرهناها دولة أو أحببناها ، والسياسة ليس فيها ما نحب وما نكره » .

□ « إن القوة في الدنيا هي الشيء الذي له في هذه الأيام السيادة ، فلا العلم ، ولا الدين ولا الفلسفة ، ولا محاسن الأخلاق لها عند أمم الأرض الآن وزن . والقوة لها عجرفة تحفى عند الأمم ما قد يكون بها من مكارم الأخلاق » .

□ « والولايات المتحدة ، بقوتها الحاضرة ، هي سيدة الأرض . روسيا لا تطاوها ولا تجرؤ أن تخاصمها في شىء إلى النهاية لأن في ذلك هلاك الجميع وأوروبا لم تنزل إلى الآن في تحبط . وقد غزاها الاقتصاد الأمريكى والدولار بما غزا . فهى ستظل إلى حين بعيد تتبع » .

□ « والخصومة بين العرب والصهيانية لا يحلها إلا الولايات المتحدة ، إذا هى شاءت ، وتعينها روسيا على ذلك بالكثير من الترفق على أن يكون لها على مسرح الأحداث نصيب بارز » .

الأمم المتحدة كالرجل الناسك

ومن المدهش أيضا أن الدكتور زكي رحمه الله لم يكن من أنصار الرأي القائل بقيمة دور الأمم المتحدة ، لأنه كان يدرك تمام الإدراك أن الأمم المتحدة ليس لها من القوة ما يمكنها من تنفيذ قراراتها ، وهي الحقيقة الناصعة التي أدركها رجل الشارع بفطرته ، ولكنها استعصت على كثير من المشتغلين بالسياسة ، ويبدو أن المعاصرة كانت لهم بمثابة الحجاب الكثيف .

يتحدث الدكتور زكي في مقاله (مجلة العربي : ١٩٧٢ / ٩) عن النظام الحزبي في الولايات المتحدة تحت عنوان « حزبان ولكن » ثم يستطرد إلى المعنى الذي نتحدث فيه هنا بعبارات رائعة البيان والتعبير فيقول : « إن هيئة الأمم المتحدة كالرجل الناسك التقى العابد ، عليه الدعاء الكثير ، أما استجابة الدعاء فتأتي من خلفاء الله في الأرض ، وهم خلفاء الله بها لهم من قوة ، وهم خلفاؤه بها لهم من علم ، وبها أقاموا من حضارة ذات وجوه شتى ، وفيها الوجه القبيح » . يقصد الدكتور زكي بهؤلاء الخلفاء الولايات المتحدة الأمريكية .

ويؤكد الدكتور زكي ما يقرره في وضوح أن هيئة الأمم هي اليوم الولايات المتحدة الأمريكية ، ويضرب على رأيه مثلا بما حدث في أمر عضوية الصين الشعبية في الأمم المتحدة ، وكان المثل يومها حاضرا في أذهان القراء جميعا .



ومع أن أحمد زكي ، كان مغرما بشرح طبيعة النظم الديمقراطية في الولايات المتحدة في أكثر من حديث ، وبخاصة مقاله (مجلة العربي : ١٩٧٢ / ٩) إلا أنه مع هذا كان حريصا على أن يصارح العرب بأن الأمر في السياسة الأمريكية لا يتوقف أبداً على تغيير الرئيس ، وانتخاب آخر محله ، وإنما هي سياسة ثابتة ، وقد عبر عن هذا حين انتشرت في الشارع السياسى العربى موجة التفاؤل بمجئ نكسون بعد جونسون ، فقال أحمد زكي في مقاله (مجلة العربي : ١٩٦٩ / ٤) : « لا هذا ولا ذاك أرادا أو يريدان ، وإنما هي الإدارات التي وراء رئيس الدولة والمصالح العملاقة التي إليها يسند هذا الكيان الجبار الذي أسميناه الولايات المتحدة هي التي أرادت » . ويستطرد على نفس الخط ليقول : « فالأمل الذي يربطه العرب برئيس الولايات الجديد يجب أن يصحبه إدراك لمقدار الحركة التي يستطيع أن يتحركها هذا الرئيس في مقعده ، وهو يدير آلة الولايات المتحدة العارمة » .

هكذا كان فهم أحمد زكي للعامل الأول الذى يحكم السياسة الدولية ، فإذا عن العوامل الأخرى التى تحكم هذه السياسة ؟ هذا هو ما يتبين لنا فى رأى أحمد زكي فى تحليله لقضية العلاقات الصينية الأمريكية (وهو الرأى الذى سيقودنا إلى الجزئية الثانية فى هذا الفصل : القوميات والوطنيات) .



الصين أخطر على أمريكا من روسيا

كان الدكتور زكي يعتقد ويجاهر أن أكثر شيء عكر صفو الأمريكان هو دخول الصين نادى الذرة ، وكان يقول : « إن أمريكا تتخيل الصين أخطر عليها من الروس مرات كثيرة ، وذلك لأن أمريكا والروس تربط بينهما ثقافة الغرب المدنية وثقافته الدينية ، ودعك من القول إن البلشفة ذهبت بالدين ، فللدين فى الأنفس حتى وهى لا تعى ، آثار لا تحوها السنون هكذا سريعا ، والروس بيض ، والأمريكان بيض ، والصين صفر ، وفلسفة هؤلاء فى الحياة نقیض فلسفة أولئك ، ودع ما جاءت به الشيوعية من فلسفة لا تتعمق فى النفس إلى أكثر مما يتعمق إليه الطعام والشراب » وإذا أردت أن تستزيد من آرائه فى هذا الموضوع فارجع إليها فى موضعها من مقاله « الحرب الفيتنامية توشك أن تتحول إلى حرب ذرية » (العربى : ٣ / ١٩٦٦) .

على أنه لا ينبغي لنا أن نترك هذه النقاط من دون أن نشير إلى النواحي الإيجابية التى كان أحمد زكي يقدرها فى « الأمم المتحدة » ومنظماتها . وقد كان من رأيه أنها لا تفتقد القوة الإعلامية الهائلة التى لها (العربى : ٨ / ١٩٧٤) . ويضرب أستاذنا الدكتور زكي على ذلك مثلاً بما حدث فى مسألة البرتغال ، وحرب عام ١٩٥٦ ، ومؤتمر الشمال والجنوب الذى دعا إليه الرئيس بومدين عام ١٩٧٤ . كما يشير أحمد زكي بالفخر إلى نشاط المؤسسات الدولية التابعة للأمم المتحدة ، ويقرر أن الذى حمى هذه المؤسسات من سوء المصير أشياء كثيرة ، من أهمها خلوها من السياسة المحترفين وأن الكثرة التى هيمنت على مناشطها من رجال اتصلوا بالعلم نشأة ومهنة وطيب مزاج .



القوميات

آن لنا بعد هذا أن نتقل إلى الجزئية الثانية من هذا الفصل ، وهى إشكالية القوميات ، والألوان والثقافات . . . إلخ) التى وردت فى فقرة أحمد زكى التى قرأناها لتونا عن الصين وأمريكا وقد بدت غريبة بعض الشيء على المفاهيم الحاضرة فى أذهان الناس حين كتب أحمد زكى مقاله منذ أكثر من ثلاثين عاما . . . ولهذا فسوف نمضى على نسق معين من الترتيب الزمنى الذى أظنه يساعدها على الإلمام برأى الدكتور زكى .

□ كان أحمد زكى يعتقد أن للقومية ركائز خمسًا ، وقد فصل القول فى هذه المسألة فى حديث الشهر (مجلة العربى : ١١/ ١٩٦٦) « دنيا البيض ودنيا الصفر والسمر والسود » فقال ما ملخصه إنه يرى أن للقوميات ركائز خمسًا :

« الركيزة العنصرية »

« والركيزة اللغوية »

« والركيزة الثقافية »

« والركيزة التاريخية »

« والركيزة المصلحية »

ثم يضيف إليها الركيزة الجلدية ، « قومية اللون الذى شاء ربك أن يصبغ بها وجوه الناس » .

□ أما الركيزة العنصرية فهى التى أساسها وشائج القربى ، وتمثل أكثر ما تتمثل فى القبائل ، ولكنها كذلك تتمثل فى القبيل من الناس ، يسكنون البقعة الواحدة من الأرض ، ويجرون فى الحياة على أسلوب واحد ، وعلى الرغم من أنهم من أعراق بدأت فى الزمن مختلفة إلا أنهم بتزاوجهم مزجوا بين الدماء المختلفة » .

□ ثم الركيزة اللغوية ، تسندها الركيزة الثقافية ، ولكن اللغة قد تتوحد ، وتتفارق الثقافات ، وإذن يمتنع العيش الواحد ، ويصعب التقارب ، ويظهر هذا باختلاف أحقاب الزمان ، وكذا فى الدولة الواحدة قد نجد دولة ذات قومية واحدة ، على الأقل لأن لها لغة واحدة وتبحث فى شئونها فتجد أنها تتألف من طبقات ذات ثقافات مختلفات متفاوتات ، بعضها فى الخضيض وبعضها فى السماء العلا ، دولة كهذه كيف يمكن أن تؤلف فى حسابان علماء الاجتماع قومية واحدة مهما أكد القانون والساسة ذلك ؟! « إن قالوا دولة واحدة فنعم ، وإن قالوا أمة واحدة فلا » .

□ ويعرف أحمد زكي الركيزة التاريخية بأنها الركيزة التي تجمع بين قبيلين من الناس كان لهما في التاريخ تناصر وتآخ ، ومن أمثلتها الركيزة الدينية إن جاز هذا التعبير .

□ أما الركيزة المصلحية فيعني بها أحمد زكي ما هو حاصل فعلاً في سويسرا وبلجيكا وكندا ، وواضح أن هذه الركيزة جاءت توفيقاً من أحمد زكي للحياة مع القواعد النظرية التي شرح بها مسألة القوميات .

والسر في هذا ليس أن المصلحة ركيزة تقوم عليها قومية ، وهذا ما لا أظن أحداً يخالف فيه ، ولكن الذي حدث أن تقسيماً معيناً هو في الغالب خاضع للظروف الجغرافية وسياسة ما بعد الحرب ، قد اقتضى نشأة قوميات جديدة ، تستند لها من الركائز التي ذكرها أحمد زكي ما يجعلها مع الزمن في مصاف القوميات القديمة .

وقد كانت كثير من القوميات التي نعتها اليوم قديمة على هذا النحو ، على أنى لا أود أن أسترسل في هذا الأمر أكثر من ذلك حتى لا يكون بابنا تعبيراً عن فكرنا ، ونحن نريده تعبيراً عن فكر الدكتور أحمد زكي .

□ أما الركيزة الجلدية ، فهي عند أحمد زكي قد قسمت الدنيا إلى أربعة ألوان : الأبيض والأسمر والأسود والأصفر ، « ولن تجد شيئاً فرق بين أهل الأرض كلون جلود » .



وينتقل أحمد زكي لبنى على نظريته في القوميات فيقول : « بعد تصنيف ركائز القومية إلى أصناف خمسة يصبح مقدار ما بأمة بالمعنى السياسى من قومية تدعم الوحدة أمراً أيسر تقديراً » لأنه مجموع ما بها من هذه الركائز الخمس ، هو ليس مجموعها بل هو حاصلها ، والمحصلة على ما يدرس طلاب الثانوى هي قوة واحدة تلخص عمل قوى كثيرة تعمل في جسم واحد ، وقد اختلفت مقداراً ، واختلفت اتجاهها ، وحاصل هذه القوى قوة واحدة ذات مقدار واحد ، وذات اتجاه واحد وتعرف بالمحصلة .

□ ويخلص أحمد زكي إلى القول بأن القومية اليوم هي « حاصل صنوف الركائز التي توجد في بلد ما أو بلدان ، وهي التي تقضى بالوحدة تكون أو لا تكون . وعلى أى درجة من القوة هي كائنة وفي أى اتجاه تتجه .

□ ويستعرض أحمد زكي الجانب الآخر من مسألة القوميات ، وهو المتعلق بالصراع بينها ، أو

التكامل ، التوافق أو التنافر، فيقول في موضع آخر مناديا بتقارب الثقافات بالنهوض
بالثقافات المختلفة إلى المستوى الأرفع :

« هذه هي الدنيا اليوم وقد تقسمت وسوف تزيدها الأيام تقسماً » .

« ولا ينجيها من وبال ذلك إلا أن تتقارب الثقافات ، وتتشكل المدنيات ، فالفرقة القائمة
اليوم ، إن يكن ظاهرها اختلاف لون ، فهي في الصميم اختلاف علم وفهم ، واختلاف غنى
وفقر ، واختلاف قوة وضعف ودرجات على سلم المدنية خُطت بعض الأمم منها درجات كثيراً ،
وخطت الأخرى درجات قليلاً » .

« وسوف يظل سلام أهل هذا الكوكب محفوفاً بالمخاطر حتى تتقارب حُظوظ الناس من
إنسانية ، وتهدف إلى غايات أراها إلهية سجلتها الطبيعة تسجيلاً في خلايا تنوارثها ، بخيرها
وشرها ، على الأزمان ، والأرحام » .



أزمة الملونين

وقد كان من الطبيعي أن يتناول قلم أحمد زكي مسألة أزمة الملونين التي سيطرت على الحياة
الفكرية في العالم المتحضر في الفترة الزمنية التي كان أحمد زكي يمارس فيها الكتابة السياسية ، وقد
رأينا أن نلخص هنا رأيه فيما يتعلق بهذه القضية وبخاصة بعدما استعرضنا تقسيمه للقوميات ،
وإدخاله للركيزة الجلدية في عداد الركائز التي أقام عليها القوميات .

و ينظر أحمد زكي أيضاً إلى هذه القضية نظرة العالم الطبيعي إلى الظواهر الكونية ، فيقول في
صراحة : « إن المسألة في الملونين والقوميات ليست مسألة أخلاقية أو إنسانية أو غير ذلك . إنه
حكم الطبع وكفى » .

وفي مقاله « أزمة الملونين » (العربي : ٦ / ١٩٦٨) يبدي رأيه في تشخيص الأزمة فيقول : « إن
أزمة اللون يردها الناس في أمريكا وغيرها إلى اللون لأنه الشيء الحاضر الذي يملأ العين ، ولكن
عندي ، وأكرر هذا وأؤكد أن مردها الأكبر والأكثر والأفضل إلى اللغة وإلى التعليم وإلى مستوى
المعيشة » وعلاج هذا تيسر الرزق للبيض والسود على السواء » وإلى التقليد الذي لا يكون واحداً ،

وإلى العادة التي لا تكون واحدة في طعام أو شراب أو سير أو حب أو كراهية ، أو اتصال
بحوادث الأيام ، وما يصيب الوطن الواحد من خير ومن شر ، عندئذ ، وعندئذ فقط ، أى عندما
يستوى الناس في هذه الأمور ، يصبح اللون قليل الخطر موضوعاً .

ويصل أحمد إلى وصف العلاج ، فيقول : « الحل الوحيد لصلاح الحال لابد أن ينبع من
النازحين أنفسهم ، يكون منهم الإصلاح والنصح والهداية ، والقسر والقسوة إن كان فيما تعمل
القلة ما يسيء إلى سائر النازحين ، تلك الكثرة الكبرى التي إنها طلبت الرزق الحلال في غير
أوطانها لما ضاقت بها الأوطان » .



مفهوم الوطنية

هذا عن القوميات فماذا عن الوطنية ؟ وهى الجزئية الثالثة فى آراء أحمد زكى فى هذا الفصل .

لم يكن أحمد زكى من الذين يتحدثون كثيراً عن أهمية الوطنية لأنه كان فيما يبدو من كتاباته لا
يعول عليها كثيراً إذا لم تكن الدولة أو الحكومة أو القيادة قد أعطتها حقها من الطرف الآخر ،
كذلك فقد كان يؤمن أن الوطنية الحققة لا تتحقق بالشعارات ولا الهتاف ولا السوق سوق الأغنام ،
وفى هذا المعنى يقول عالمنا فى المقال الذى نشر بعد وفاته « أمنية » (العربى : ١٩٧٦ / ٢) :

« إنه لا يربطك بأرضك ، وبحب بلدك ، وبالسهر عليه ، وبالدفق عنه ، كأن يكون لك فيه
نصيب ، وإن تساوت الأنصبة كان هذا كل المنى » .

ويكتب أحمد زكى فى « حب الأوطان » مقالا ممتعا (الهلال : ١٩٤٨ / ٢) ويعيد نشره فى كتابه
«ساعات السحر» يقرر فيه أن : « حب الوطن ككل حب ، لا يحس به صاحبه حتى يمتنع ،
وتمتنع أسبابه ، وتحجب متابعه وتنحس أفوايقه ، كالثدى لا يفتقده الطفل كافتقاده عن فطام » .
ويدعم هذا القول بما يروى من قصة الأعرابى الذى سئل : « أى بنيك أحب إليك ؟ » فقال :
«الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يثوب » . واسوطن أحب ما يكون عند
الغائب حتى يعود .

وفي حديث الشهر « اشتدى أزمة تنفجى » (العربى : ١٩٦٩ / ٢) يزيد الأمر تفصيلاً فيقول إن للوطن عاطفة تنشأ مع تنشؤ الفتى والفتاة في مدارج الحياة ، في قرية أو مدينة أو عاصمة . ويستعين على توضيح طبيعة حب الوطن بالاستشهاد بقول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهاناً

ويردف بالقول : « إن الوطن الجدير بالدفاع عنه هو ذلك الوطن الذى تتوزع فيه النكبة بين أبنائه بالتساوى إن تكن نكبة ، أو تتوزع النعمة إن تكن نعمة ، نصيب كل من خسارة وكسب سواء » .

و حين يتحدث أحمد زكى عن الحرب الفيتنامية في مقاله (العربى : ١٩٦٨ / ٥) ويشيد بروح الفيتناميين في القتال ، فإنه لا يفوته أن يشير إلى التفافهم حول زعيمهم الشيوعى هوشى منه « على الرغم من شيوعيته » ، ويعلل الدكتور زكى هذا بأنهم رأوا فيه زعيمين ، زعيماً عقائدياً ، وزعيماً محرراً للأوطان من الاستعمار ، ولم يرحبوا كثيراً بزعامة الأولى ، ورحبوا كل الترحيب بزعامة الثانية ، ويبدو لي أن الدكتور زكى كان يقصد بمثل عبارته هذه أحداً آخر من العرب (لاحظ أنه كتب هذا المعنى في عام ١٩٦٨) من باب « واسمعى يا جارة » .



الزعامة

آن لنا أن نتقل من الأمور التى تتعلق بالسياسات الدولية إلى الأمور التى تتعلق بالسياسات الداخلية ، وستكون حلقة الانتقال هى الحديث عن آراء الرجل في الزعامة والزعماء ، وهو موضوع حظى باهتمامه غير مرة ، فأفرد له موضوعاً (الهلال : ١٩٤٨ / ٧) تحت عنوان « الدنيا في حاجة إلى زعيم » . كما كتب في الإثنين مقالاً بعنوان « للزعامات عورات فاستروها » وهو ذاته فصل من فصول كتابه « ساعات السحر » . وأفرد للموضوع ذاته حديث الشهر (العربى : ١٩٦٩ / ٩) وجعل عنوانه « الزعامة والزعماء : الزعامة بعض طبائع الأشياء »

هذا عدا ما جمعناه من آرائه في هذا الموضوع في مقالاته العديدة التى مس فيها موضوع الزعامة .

كان أحمد زكى يؤمن أن الزعامة ضرورة أو كما عبر هو في عنوان مقاله : «الدنيا في حاجة إلى زعيم». وفي مقاله من بعد عنوانه ، فهي عنده « بعض طبائع الأشياء » أو هي « شئ لا بد كائن ما اجتمع معا نفر من الناس » .

ويفرق أحمد زكى في مقال مبكر (الهلال : ٧ / ١٩٤٨) بين نوعين من الزعامة ، زعامة أهل الفكر وزعامة رجال الحكم ، ويعبر عن حاجة الدنيا إلى زعيم من النوع الثانى « لأن الأزمة التى نحن فيها لا تمهل وهى تتطلب الحل الحاضر العاجل » . ويستعرض أحمد زكى زعماء العالم الموجودين يومها فيقرر أن ليس فيهم طلبته .

ولكن ما هى المواصفات التى يطلبها دكتورنا فى الزعيم ، نقرأ له فى حديث الشهر (العربى : ٣ / ١٩٦٤) قوله :

« إن الزعيم النابه ، الجدير بالزعامة ، هو هذا الذى يدرك أنه افتقد التوفيق فى أول لحظة يختفى التوفيق فيها ، ولا يكبر عليه أن يمسك بلجام جواده ، ويعود أدراجه فى وضوح النهار ، يبحث عن التوفيق أين ذهب » .

« إنها المرونة السياسية التى افتقدها زعماء أمم فأودت بها وبهم » .

« وإنها المرونة السياسية التى فطن لها زعماء أمم ، وارتفعوا بشجاعتهم إلى مستوى التبعات العليا ، فنجوا بأنفسهم ، وبأمتهم ، وكسبوا مرضاة رب عظيم » .

وبعد أن كتب أحمد زكى هذه الأفكار بخمس سنوات فإنه ينشر لنا دراسته عن رأيه فى شخصية الزعامة فى مقال قيم (العربى : ٩ / ١٩٦٩) وفيه يتقدم خطوة واسعة نحو فهم حقيقة وطبيعة الزعامات فيقول : « إن شخصية الزعامة ليس فيها ما يوزن ، ولا ما يقاس ، وقد تقول من شروط الزعامة معرفة الرجال ، ومن شروطها درس ما يحيط بالرجال من أحوال ، ومن شروطها قلة الثقة بما تسمع وترى ، ومن شروطها القسوة ترادفها الرحمة . . إلخ . ويترك الدكتور زكى التحديد فى هذه المسألة التى لا تحتمل التحديد أو لا تحتاج إليه .



الزعامة والديمقراطية

ولكن من قبل هذا وذاك كان الدكتور زكي واعياً جداً للفرق بين الرئاسة والزعامة حيث يقول في مقال قديم (الهلل : ١٩٤٨ / ٧) : «الفرق بين الرئاسة والزعامة كبير، فكل رجل ذى كفاية معقولة يستطيع أن يتأسل ، ولكن ليس كل رجل يستطيع أن يتزعم ، إن الزعامة إرادة قوية مفروضة بقوتها ، وهى فى قوتها لا تأتلف مع ضعف المشاورة القانونية ، وهى سريعة ، وهى فى سرعتها لا تأتلف مع بطء التروى » .

« والزعيم أالديمقراطى يضيق بالديمقراطية إذا هو أنشب أظفاره فيها ونشبت أظفارها فيه » .

وينتبه أأحمد زكى للعلاقة الغربية بين الزعامة والقانون والديمقراطية ، وهو ينبهنا إلى ما انتبه إليه من غرابة طبيعة هذه العلاقة حيث تنمو هذه العلاقة ، وتندرج من رعاية الديمقراطية للزعامة إلى ذهاب الزعامة بالديمقراطية ، يقول أأحمد زكى : « إن الزعامة مبناها الثقة مع القانون ، أو الثقة على الرغم من القانون ، والناس لا تعطى ثقتها للزعيم القوى فحسب ، ولكن للزعيم ذى الفكرة القوية التى تخلب أفئدة الناس ، بما تتضمنه من رفع سوء قائم ، أو جلب نفع شامل ، ولاسيما من تخليص أمة من نكبة وقعت فيها ، وهذه الزعامة تبدأ عامة فى الأمم الديمقراطية على الديمقراطية ثم لا تلبث بطبعها أن تتجافى مع ما فى الديمقراطية من ميوعة ومع ما فى الرأسمالية من أنانية ، ومع ما فى نظم زعموها للحرية من بطلان وخداع فإذا بها دكتاتوريات يباركها الشعب » .



وكانت لأأحمد زكى رؤية فى فهم طبيعة الزعامة وتدرجها على المستوى الشعبى من قاعدته إلى قمته ، إذ كنان يعتقد أنه لابد أن تقوم زعامة الأمة على زعامات عديدة فى كل مجال من مجالات الحياة : زعامة البائعين . . والصانعين . . إلخ . وهو يعبر عن هذا بقوله : « زعامات فى الناس أألف من وضبعة ورفيعة وأرفع » . ويمضى الدكتور زكى فى تفصيل القول فى نظرته هذه على نحو ممتع لا تستطيع عباراتنا أن توجزه ، ولكنها تستطيع أن ترشد القارئ إلى موضعه فى مقال الزعامة .

وننتقل مع الدكتور أأحمد زكى من الجانب النظرى للزعامة إلى الجانب التطبيقى ، فتواجهنا

مشكلة «عبادة الفرد». وقد - ثنا في هذه المسألة حديثاً تحليلياً رائعاً في الجزء الثاني من حديث الشهر (العربي : ٤ / ١٩٦٧) متخذاً من ماوتسى تونج في الصين مثلاً .

وأقرأ اليوم ونحن في عام (١٩٨١) مقالات تناقش ظاهرة ماوتسى تونج بعد رحيله بسنوات فلا أجدها تصل إلى المستوى الرفيع الذى وصل إليه مقال أحمد زكى فأترحم على الرجل .

وينبه أحمد زكى إلى أن الروس ليس لهم (اليوم) مع التبعة الجماعية ما كان لهم يوم تمثلت قواها في فرد نحوه اتجه جيبها ، وفيه انعقدت أمالها ، وإليه ارتفعت أيديها تطلب إليه من طيبات العيش والتقدم والتفوق على السلام أو على الحرب .

ويؤكد أحمد زكى أنه في هذه القضية « لا يخذل ولا يناصر ، ولكنه يسجل حالاً شهدها من صنوف الشر » .

ويرجع عالمنا السبب في انتشار ظاهرة عبادة الفرد إلى حقيقة مهمة هي ميل الناس إلى الشيء المجسد دون الشيء المجرد . ويزيد هذه الجزئية توضيحاً فيقول :

« إنك تحدثني عن العدل وقيمة العدل ونفع العدل ، والضرورة الأخلاقية للعدل ، والضرورة الاجتماعية له ، ولكن أفعّل في نفسي وأبلغ أثراً من ذلك أن تحدثني عن رجل عادل ما صنع وكيف صنع ، وكيف صرف أموره ، وحل عقداً عقدها الظلم بين الناس ، وعقدتها الشراة ، وعقدها حب السيطرة والغلبة » .

« وإنك تحدثني عن الزهد والقنوت ، وأفعّل من هذا في نفسي أن تحدثني عن حياة رجل زاهد قانت » .

« والفلسفة أسهل فهما عندما يتحدث بها أرسطو وأفلاطون ، ولقد ظل أرسطو نحو ثلاثين قرناً يسمى المعلم الأول ، حتى طرحته أوروبا آخر الأمر وحرقت كتبه ، ومعها كتب ابن سينا وابن رشد . والعرب أعرف بابن سينا وابن رشد والفارابى من عرفانهم بفلسفته » .

« والسيد البدوى أحظى من الهيبة ، وأكثر حظاً من دعاء الناس ، ودعاء الجماهير ممن هم فوقه علماً وفوقه منزلة في طبقات أهل الورع والتقوى من القديسين والصديقين . والجماهير هناك تتشفع به إلى الله ، وكان أولى بالتشفع عند الله من قدر قد تحت العتبة الخضراء في مدينة النور، والسبب في ذلك أن السيد البدوى واقع تحت أنظارهم ولو رفاتا في مشهد بمسجد ، فهو شيء متجسد ملموس محسوس وهو غير بعيد ، ووقع في روعهم أن الله عندهم بعيد ، وغفلوا عن أن الله أقرب إليهم من حبل الوريد ، ونسوا قوله : ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ . [البقرة :

[١١٥]

وينهى أحمد زكى حديثه هذا بقوله : « فهل أنا أشجب عبادة الفرد؟ بالطبع لا ، وكيف أشجب ما ظلت الإنسانية تعبدته منذ كانت الإنسانية؟! » .

ألا ترى معى أنه ختام لبق يتفق مع رأى العالم الذى وصف الظاهرة وأصلها علميا !! ولكن
أى وصف وأى تأصيل !



الديمقراطية

ولكن ماذا كان موقف أحمد زكى من الديمقراطية . قد يعجب القارئ إذا قلت له فى اختصار شديد إنه كان يراها أقل الوسائل ضرراً .

فأحمد زكى ينظر إلى الديمقراطية على أنها وسيلة ، وعلى أنها شكل . وعنده أن العبرة ليست بالشكل ، ولكن بالجوهر ، وأن الناس كثيراً ما تتخذ الأشكال لتتهدى ، وقد تهتدى بالأشكال حيناً ، ثم تتغير الظروف فيصبح الشكل قيذاً. تنقيد به العقول والأفهام (من مقاله) « الحكم الصالح » (الهلal : ٦ / ١٩٤٩) .

ونستسمح القارئ فى دقيقة من وقته نقرأ له فيها نظرية الدكتور زكى فى الحكم الصالح حين يقول إنه يكون « برجال له صالحين ، يؤمنون بالله ويخافونه ، ويؤمنون بالناس ولا يخافونهم ، يصدعون بالحق فى غير جفوة ، ويبثون الحب والطمأنينة ويفتحون فى قلوبهم للخير باباً يدخل منه كل راغب فى الخير ، والناس عندهم سواسية قريبهم والبعيد ، غريبهم والنسيب ، يبذلون من أنفسهم أكثر مما يبذلون لها ، وتلك صفات الأشياء ، وعز حاكم أن يكون نبياً » .
« إن الحكم الصالح هو الذى يرضى الناس به بدءاً وانتهاءً » .

ونعود بالقارئ إلى قضية الديمقراطية ، فنجد الدكتور زكى فى إحدى مقالاته (العربى : ١٢ / ١٩٧٠) يكتب تحت عنوان صريح « ديمقراطية مريضة » . وهو مقال قيم من الناحيتين السياسية والاجتماعية . هذا فى جانبه النظرى ، أما فى جانبه العملى فهو أنسب ما يكون قراءة لكثير من شباب العرب والمسلمين اليوم وغداً . . . ولهذا فنحن نلخص محتواه الفكرى فى النقاط التالية :

□□ « إن الديمقراطية لا تزيد رزقا ، وإنما عمل الفرد هو الذى يزيد رزق الفرد ، وعمل الجماعات يزيد رزق الجماعات ، ولا عمل إلا من بعد ثقافة ، ولا ثقافة إلا من بعد تدريب ، والثقافة مشقة والتدريب أشق » .

هكذا يجزم أحمد زكى موجهًا من يتقلون من عهود استبدادية إلى عهود ديمقراطية فيوحى لهم هذا الانتقال بأن الحياة ستكون أسير ، وأن الرزق سيكون أوفر ، وأن مشقات العيش سوف تزول من الطريق . ويقول الدكتور أحمد زكى معلقا على هذا الفهم إن يكن فى فهم الديمقراطية أخطاء ، فهذا الفهم من أكبر أخطائها .

« فالديمقراطية إنما هى جو ، وهى إنما تهى للعامل الجو الصالح ، ولكنها لا تنقص مما يجب على العامل أن يبذل لبلوغ غاية » .

□□ ويبدى أحمد زكى ضيقه مما تقوم به بعض الحكومات « الديمقراطية » من تثبيت هذا الرأى عند الشباب ، عندما يعثرها العطف عليهم ، فلا يكادون يشكون ثقل مواد الدراسة حتى تعتمد إلى تخفيفها . . والهدف سياسى : ألا يتسم العهد الديمقراطى بكراهية الشباب ولكن النتيجة تكون فى هبوط مستوى التعليم ، فيهبط مستوى العلم والفن والتكنيك فى البلاد ، وتنزل البلاد دون مرتبتها ، ولا تجد الأمة بعد ذلك بين العلماء والفنيين من أهلها إلا العلم المستجدى والفن الضئيل .

ويضرب أحمد زكى المثل على هذه النقطة بما يحدث فى الآداب « فلا يكاد الشباب يفرغ من دراسة الثانوية حتى تراه يأخذ ينظم الشعر ، ويحاول أن ينظم قصائده قصارها والطوال ، فإذا هى لم تنشر عدّ ذلك تثبيطا لهمم الشباب ، وهو لم يبلغ محصوله فى الشعر أكثر مما حصل من دراسته . وقد كان الشاعر القديم وغير القديم يخشى الشعر أن يقوله حتى يكون حفظ فيه الآلاف من الأبيات واطلع على التواريخ والأحداث التى تفجرت بالشعر الرصين الخالد على السنين » .

ويمضى أحمد زكى ليقول : « وفى سبيل الخطف والتسهيل ابتدعوا نوعا من الشعر سموه بالجديد » . ويرى أحمد زكى أنه أحق بأن يسمى الديمقراطى ، ويصفه فيقول : « لا تكاد تكون فيه قافية أو وزن ، وليس فيه طعم إلا ما ندر ، وطعمه إنما يكون لا بأنه شعر ، ولكن بأنه نثر » . ويقولون لك إن الوزن قيد ، والقافية قيد ، والديمقراطية تأبى القيود . . وهكذا كما فى الأدب فى غير الأدب .

ويختم أحمد زكى الحديث فى هذه النقطة بقوله : « وهذا الذى يخطف ، اعتقادًا منه بأن الديمقراطية جاءت للتيسير لا للتعسير ، إنما يجنى على قومه ، فقيرهم وغنيهم ، وعلى فقيرهم قبل غنيهم ، يفتح بابا للمرض إذا هو استشرى لا تسده العقاقير » .

□□ ويتساءل أحمد زكي « مَنْ قال إن حياة ما ، تكون بلا قيد على ظهر هذه الأرض ؟! » إن جاذبية الأرض ضربت مثلاً للإنسان أن من القيود ما هو ضرورة لازمة للحياة . « وأنت تستطيع أن تكون حراً في حركتك أقصى الحرية وأنت على الأرض البسيطة ، ولكن مارس نفس هذه الحرية وأنت على حافة جبل ، وانظر ما يكون منها . إنه الهلاك المحقق . » إنها القيود ، وكدت أن أقول : ولكم في القيود حياة يا أولى الألباب . »

ويشرح زكي طبيعة قيود الديمقراطية بقوله : « والفرد حر أن يفعل بنفسه ما يشاء ، عن علم أو عن جهل ، وقد يكون في بعض حريته هذه الدمار . » وتزيد القيود إذا اجتمع فرد بفرد ، وتزيد إذا اجتمع فرد بألف فرد ، إنه المجتمع ، ينزل فيه كل عن قسم من حريته حتى لا تضيق بصاحبه ساحة هي أيضاً نصيبه من الحرية ، وهذه كلها معان ليس فيها جديد .

□□ وأحمد زكي مع القول بأن الديمقراطية في حاجة إلى المجتمع الواعي المتربى المثقف . ذلك لأن علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة المجتمع بالفرد وعلاقتها جميعاً من حيث قيام الدولة ، قوية ذات نظام ، علاقات تجل عن فهم السواد في الأمم التي لا تزال على فطرتها الوحشية الأولى . □□ ومن عيوب الديمقراطيات الناشئة الفهم الخاطئ لفكرة المساواة ، وسنفصل القول في هذه المسألة بعد حوالي ربع ساعة في الجزئية الخاصة بالمساواة في هذا الفصل .



ونعود مع أحمد زكي إلى فترة سابقة (مجلة الهلال : ٢ / ١٩٤٧) لنقرأ له تحت عنوان « عندنا دكتاتوريات مقنعة » بعض الآراء الصريحة في الديمقراطية والطبيعة البشرية إذ يقول : « إن الديمقراطية ليست من طبيعة البشر » لأنها تتعارض وما في الناس من غرائز اقتضاها طلب الحياة على أرض فيها النجاح كفاح ، فالكفاح يتطلب القوة ، والقوة تدعو إلى الأثرة ، وإلى الغلبة ، وما دام هناك غالب فلا بد من مغلوب ، وما دام هناك سيد فلا بد من مسود . ومن أضحك الديمقراطية التي تسرى بين الناس ، أن نداء التخاطب لا يزال يحمل معنى السيادة : فالإنجليزي يقول مستر ، والفرنسي يقول ميسيو ، والألماني هر ، والتلياني سنيور ، ومعناها كلها سيد ، والشرقي عند الخطاب لا يتجه به إلى مَنْ يخاطب ، ولكن إلى المكان الذي حل فيه ترفعا عن أن

يمس الذات الكريمة بلفظة من لسانه، فهو لا يقول : أنت، ولكن : حضرتك ، ومن الحضرة ينتقل الكلام إلى الذات فرضاً .

وينبه أحمد زكى فى المقال القديم إلى أن الديمقراطية ليست بالأمر الهين يكتسب بسهولة ، وإنما هى جهاد طويل ، تعليم وتدريب وتمرين . ولعله حين كان ينبه إلى هذا كان يجب فى فترة مبكرة عن المحاذير والتوقعات التى يتوقعها المفكرون من الأمة التى تجرب الديمقراطية فتفشل معها فى المرة الأولى فتتركها بلا عودة ، وهذا ما حدث فى كثير من الفترات فى الأمة العربية . انظر إلى أحمد زكى وهو يخترق حجب الزمن ويقول : « إن الديمقراطية كالمدينة تكتسب اصطناعاً ، وهى تكتسب بالتعليم ، والتدريب ، والمران الطويل ، وهى لا تخلق فى يوم وليلة ، إنها تاج تنوج به المدينة فى أرقى مدارجها . والديمقراطية عمادها المساواة ، فإن لم تكن مساواة ، فتقارب كالمساواة ، والمساواة مساواة علم ، تنتهى غصباً بمساواة مال . ومصر والشرق أبعد ما يكونان عن مساواة فى علم أو مال ، فالديمقراطية الصحيحة فىهما لا يمكن أن تكون حقاً وصدقاً ، ستظل ديمقراطيات الشرق ديكتاتوريات مقنعة حيناً طويلاً ، يقود فيها صحيح البصيرة أعورها ، ويقود أعور البصيرة أعمها ، والأعمى والأعور لا يستطيعان فى الحياة إلا انقياداً » .

عنده أن السر يكمن فى الوعي السياسى ، وهذا هو ما يؤكد عليه أحمد زكى فى مقالين كبيرين هما : « ذكرى الخامس من حزيران وما بعد الخامس من حزيران » (العربى : ١٩٦٩ / ٥) ، « الصفقات السياسية » (العربى : ١٩٧٠ / ٨) حيث يكرس كل هذه المعانى بكل ما أمكنه من وسائل التعبير .

ولعلنا فى حاجة إلى أن نكرر هنا قول أحمد زكى (الهلال : ١٩٤٩ / ١١) « إن العبرة ليست بالشكل ولكن بالجوهر ، فمن الدكتاتوريات دكتاتوريات حبشية صالحة . . ومن الديمقراطيات ديمقراطيات كريمة ظالمة ، ووجدت دكتاتورية هى أقرب إلى الديمقراطيات بمعنى ذلك الأصل » . ولكن ما هو هذا الوعي السياسى ؟ « إنه شىء عظيم ، ولا يمكن أن تقوم ديمقراطية أو يقوم حكم سليم والناس لا وعى لهم ولا ثقافة فيهم إن شكوا الظلم ، وشكوا الإجحاف ، فالظلم أسبابه فيهم . . والإجحاف يبدأ حيث يبدأ الجهل ، ومع الجهل قلة الدراية والفطنة » .



الوعى السياسى

ويزيد الدكتور زكى فكرة «الوعى السياسى» إيضاحا (العربى: ١٩٦٧/٥) فيقول - مشيرا من بعيد أو من قريب إلى أحوال بلاد عربية : « فمن ضياع الوعى فى الأمة :

□ ألا تعى أنها أمة واحدة .

□ الجهل فى شأن الدنيا والدين .

□ خشية الرأى الحر، يخشاه الكاتب والحاكم .

□ استمرارها فى تخلفها .

□ ميلها إلى الخرافة وتصديق الخوارق من الأحداث .

□ نجاح قوم فى السعى بالرغبة حتى يصبحوا يرتابون فى كل ما يكسبهم القوة والعزة بين الأمم .

ويلخص أحمد زكى فكرته فى هذا المقال فيما يقوله قرب نهايته : « ومن المشاكل التى تواجه الأمة العربية بعد حزيران : الحكم للشعب هو أم لغير شعب ؟ وكم لشعب ؟ وكم لغير شعب ؟ أم هو كله للشعب ؟ ونعلم أن الحكم كمحرك للسيارة يتجه بها ألف اتجاه ، وقد يتجه بها إلى العطب عن عجز أو سوء قيادة » .

ومن ناحية أخرى فقد انتهاز أحمد زكى فرصة حديثه عن رحلته فى لندن فى صيف عام ١٩٧١ لكى يطرح تصوراتة التى يعلل بها ازدهار فكرة سيادة الديمقراطية عند هؤلاء القوم فيقول : « ويرجع هذا لا شك إلى أن هؤلاء الناس من خطيب فى الجمع ، وسامع ، أو كاتب نشوا على معان للديمقراطية ألفوها كما ألفوا الهواء والماء ، ولكنه يرجع على الأكثر إلى الوعى السائد فى هذه الشعوب الذى كان من حصيلة الحرية وهو يرجع إلى اللاحرية التى اختفت منذ زمان ، وإلى ممارسة أحداث من الزمان كثيرة كان فيها الحل وفيها المرو إلى الفوائد المكتسبة من خيرها الأيام سودها والبيض ، فما جاءت الديمقراطية مهداة فوق طبق من ذهب » .

بقيت نقطتان مهمتان فى موضوع الديمقراطية .. النقطة قبل الأخيرة هى اعتزاز عالمنا بالصورة الديمقراطية التى لاحظها فى ديمقراطية البادية العربية ، وهى ما عبر عنه فى حديث

الشهر (إبريل عام ١٩٦٧) حين كتب عما رآه من مشاركة أمير الكويت للشعب في «رقصة العرضة» في عيد الاستقلال إذ قال: «والديمقراطية قد يدعيها من الأمم من يدعى، ولست أجد ديمقراطية فيها أصالة الطبع كديمقراطية العرب، تلك التي يحلو أن أنسبها إلى أصولها الأولى، فأسميها ديمقراطية البادية، إن الذين يدعون الديمقراطية كثيرون ولكن ليس كديمقراطية نزل فيها النازل مع الناس، يمتزج بهم في أسواقهم، ويشاركهم في مفارحهم ومحازنهم، وإذا حان وقت الطعام جلس معهم إلى قصاعهم».

أما النقطة الثانية فهي أروع ختام لموضوع الديمقراطية وهي عبارة انتبه فيها أحمد زكي إلى خطورة بعض الجماهير على الديمقراطية حيث يقول: «إن الديمقراطية جميلة، ولكن غير الجميل أن يكون الناس غير ديمقراطيين يدخلون الديمقراطية بمفاهيم غير ديمقراطية، ومع هذا فدخولهم الديمقراطية حتى بهذه المفاهيم خير من ألا يدخلوا. إنها الديمقراطية المريضة، ولكن الأمراض لا تدوم وما خلقت العقاقير إلا للدواء والشفاء».



المساواة

قد أزعج أن في أفكار الدكتور أحمد زكي عن المساواة أكبر متعة فكرية للذين يريدون الاستمتاع بأفكار هذا العالم الكاتب المفكر الأديب.

وأحب أيضاً أن أشير إلى أن وضعنا للمساواة في هذا الموضوع بعد الحديث عن الديمقراطية وقبل الفصل الثاني الذي يتناول إن شاء الله مفهوم الحرية في فكر أحمد زكي ليس وضعاً عشوائياً وإنما هو متعلق أشد التعلق بطبيعة أفكار أحمد زكي في مسألة المساواة.

فأحمد زكي على سبيل المثال عدو للمحسوبية، ويطالب بالاستحقاقية بدلا طبيعيا عنها، وهو يؤمن بالمساواة ولكنه يحدد، فهو يؤمن بالمساواة في الفرص، لا في توزيع النتائج.

ودعنا من ألفاظنا لننتقل أفكار أحمد زكي في هذا الشأن، وقد خصص حديث الشهر (العربي: ١١ / ١٩٦٧) لهذا الموضوع وجعل عنوانه عنوانا على الأفكار التي ناقشها فيه: «المساواة؟ نعم... ولكن في أي شيء»، وقد أسهب، في المقدمات التاريخية التي قدم بها

للموضوع ، مناقشًا قضية المساواة على امتداد التاريخ ، وأكد على الحقيقة التي قد تغيب عن الأذهان : « إن الناس ولدوا مختلفين لا متساوين » . ويتحدث عن المساواة في القانون فيقول إنها يجب أن تكون في القانون وأمام القانون : « والعدالة لا تكون في الإجراء وحده ، ولكن على الأخص فيما تقضى به القوانين ، فالعدالة لا تبدأ عند القضاة في المحاكم ، ولكن عند واضعي القوانين ، وما على القاضي إلا صحة التطبيق » .

ويتعرض عالمنا للمساواة السياسية فيسخر من فكرة أن تكون عند الانتخاب فقط ، ويؤكد أن العنصر الأول في المساواة الاجتماعية هو المساواة في الكرامة الإنسانية ، فكل ما خلق الله كريم ، ومنها ألا يكون قوم يقال لهم إنهم السادة وذلك لأن آباءهم كانوا سادة . . . ويشير إلى أن الطبقة جاءتنا من الغرب بينما العرف العربي والدين العربي أعطيا للناس في ميزان الكرامة الإنسانية أقساطا متساوية « فعمر ظل عمر ، وأبو بكر ظل أبا بكر ، ولم نسمع برفاعة بك وعلى باشا مبارك إلا في القرون الحديثة القريبة ، ومع هذا ظلوا فلاحين يفتشون الأرض ويمصون أعواد القصب في الحقل مع الأغنياء من أهل القرية والأصحاب » .

أما عن مبدأ « الاستحقاقية تهزم المحسوبية » فيحدثنا عالمنا بقوله : « انهزام المحسوبية معناه انهزام الطبقة بمعناها القديم لا بمعناها الحديث ، أعنى بمعنى الاستقلال . إن مصالح الدولة الحديثة تعددت ، وواجباتها تكاثرت ، واختلفت وجوه الإنتاج التي تتولاها ، والخدمات عز إحصاؤها » .

« والمحسوبية تصنع الرجل غير الصالح حيث يفسد العمل به إنتاجا كان أو خدمة عامة ، والرجل الصالح يؤخذ من القصر كما يؤخذ من الكوخ . من بيت الوزير ومن بيت الخفير » .
ويضرب لنا الدكتور أحمد زكي مثلاً يقرب به إلى الأذهان فهم رؤيته للمساواة ، فيقول : « إننا لا نستطيع إذا جمعنا بين الماء والزيت أن نمنع الزيت من أن يرتفع فوق الماء » .

وجوهر فلسفته في فكرة المساواة أن الناس تبدأ عند خط سباق واحد ، ولكن لا ينتهي السباق الطويل على السنين إلا وقد اختلفت النتائج ، ومع هذا تقارب بين الخطوط يكون بالمنح التي تزيد في التأخر ، وهي نوع من الشكر لله يبذله من ميزه على ما خصه به وحباه ، ولن ننسى أبدا أن نصيب الفرد منا من ذكاء وغباء هو أيضًا بعض حظوظ ميلاد .

ومن هذا المنطلق يعارض أحمد زكي بشدة فكرة « المساواة المطلقة » ، ومن المدهش أن وجهة نظره في هذه القضية قد سجلتها كلماته الأخيرة في مقاله « أمنية » الذي نشر بعد وفاته (العربي : ٢ / ١٩٧٦) حين يقول : « المساواة المطلقة إذا ، ما بدأنها ، ما دامت » .

« وحقوق الناس الظاهرة في المساواة المطلقة ، سوف يعارضها حقوق أخرى ليست أقل ظهوراً ، تلك هي حقوق العمل ، والقدرة على العمل ، والذكاء في العمل ، والعرق الصيب الذي يتصبب من جبهته ومن إبطه عند العمل » .

« وهذا أمر لا خلاف فيه وإن اختلفت المذاهب » .

وتحظى هذه الفكرة بكثير من عناية أحمد زكي بتفصيلاتها في كثير من مقالاته ، ومن المواضيع المهمة في هذا الشأن فقراته التي تحدث بها عن الحقيقة التاسعة من الحقائق العشر التي اعتبرها سبب تخلف الشرق في مقالته « حقائق عشر عن تخلف الشرق » وهو حديث الشهر (مجلة العربي : ١/ ١٩٧٣) حيث يقول :

« وأكثر الناس ، وأعنى المحرومين خاصة ، يطلب المساواة في ثمرات الحياة ، وهو لا يحدد ، أو لا يتحدد في ذهنه الحدود التي إليها يصل . إنه فقير ، فهو في حاجة إلى مال ، وجاره غني ، فعنده فضل من مال . أو هكذا هو يخال . وإذن فليقتسم » . ويعلق أحمد زكي بقوله : « هذا كلام قد يؤذن به أن يأتي من فرد في ضيق ، وقد يكون قولاً مرتضى في حالة ما ، ولكنه كلام لا يؤذن به أن يأتي من رجل من رجال دولة مسئول ، والسبب في ذلك عنده يوضح لنا نظريته العلمية الدقيقة والعميقة إلى المساواة : « فليس بهذه السهولة تعالج العلاقة ما بين الفقر والغنى ، فلو أن قوما فعلوا هذا يوماً ، في حى ، لتحول القوم وشيكاً إلى قوم جياع عراة ، إن المجتمع الإنساني أعمق من هذا وعلاقته ألف [علاقة] ، إن اتضح لنا بعضها خفى علينا منها الأكثر ، وثروة الناس ليس ما يملكون ، وإنما ثروتهم ، ثروة الغد ، هي ما اختزنوا في عقولهم من فن ، وفي أدمغتهم من مران ، وما هم قادرون على إنتاجه لو أن ثروة اليوم أطاح بها كلها حريق ماحق شامل وإلى جانب القدرة والموهبة العقلية الحوافز القلبية » .

« فالمجتمع الإنساني لا يعالج هكذا بالسكين ، بهذه البساطة . إن الفقير العاجز له حق على الغنى القادر لا شك في هذا ، ومن أول حقوقه أن يقيمه الغنى على رجليه فيعطيه القدرة على الكسب : . الصحة عند الولادة ، والطعام والكساء حتى يكبر وحق التعليم ، وحق الاحتراف أو الامتحان ليعمل ، وكل هذا بالمجان في المجتمع القادر ، ثم ينزل في المعترك يجاهد ويصارع . . المساواة بين الفقير وغير الفقير فنعم ، ولكنها مساواة في فرص الحياة . ويدخل الكل ميدان العمل فيحتلون فيه بحكم الطبع وبحكم الذكاء والموهبة مراتب شتى ! ولن يكونوا أبداً كأسنان المشط ، كلها سواء » .



وهذا هو جوهر معنى المساواة عند أحمد زكي : مساواة في الفرص . وبعد هذا فالملوهبة تعمل عملها في وضع الناس في مراتبهم ودرجاتهم .

ولكنه لا يقف عند هذا الحد في فهمه للمساواة ، ولكنه يوجه النظر إلى أن عاملاً ثانياً يأتي بعد هذا : « ومع هذا فالمجتمع الكريم ينظر إلى حظوظ العاملين ، ويعلم أنه إلى جانب المزايا البطيئة تعمل الأقدار فهو بالغرائب يقارن بين هذه الحظوظ » .

ومن المدهش أن أحمد زكي في مقاله السابق الإشارة إليه (مجلة العربي : ١/ ١٩٧٣) قد أردف هذه الحقيقة بحقيقة أخرى لا تقل أهمية عنها وهي الحقيقة العاشرة التي حذر في نهايتها من اللعب على أوتار التفرقة بين طبقات الشعب المختلفة تحت أية دعوى ، « إن الدولة هي العاملون فيها ، وإن يكن للدولة معنى روحى فكل العاملين فيها هم أبنائها . وأبناء الدولة الواحدة أخوة . لبسوا الأقمصة الزرقاء أو الأقمصة البيضاء . وكلهم لهم على الدولة السعة والرخاء ، توزعها بينهم سوية من فضل ما يعملون ، والذي يرفع من مرتبة أزرق فوق أبيض ، أو أبيض فوق أزرق إنما يدق في كيان الدولة - لاسيما المتخلفة - الأسافين » .

ويبدو واضحاً أن أحمد زكي يؤكد بهذه المعانى ما سبق أن تحدث عنه في حديث الشهر (مجلة العربي : ١٢/ ١٩٧٠) بعنوان « ديمقراطية مريضة » حين هاجم مبدأ المساواة يطالب به بعض الذين يفهمون الديمقراطية فهمًا خاطئاً فقال : « إن المساواة في الفرص لابد أن تفتح الأبواب لكل دارس ، وكل طالب ، وكل مجتهد ، لا يعوق أحداً عن ذلك فقر أو وضاعة نسب أو فقدان جاه » . وعبر في عبارة أوضح فهمها فقال : « الناس في المداخل سواسية ، ولكنهم غير سواسية عند الخروج ؛ لا فيما حصلوا ، ولا فيما وجب أن يرتزقوا . . نعم تتقارب الأرزاق ، ولكن لا تتساوى » .

ويضرب مثلاً « بروسيا حين بدأت بالمساواة في الأجر رغم اختلاف المحاصيل التي حصلها العمال من دراسة ومن تدريب ثم تبين لها الخطأ الأكبر في ذلك ، فما أسرع ما قضت بغير ذلك ، لا يأخذ أحد ما دون الكفاية ، وهو الأجر الأدنى للعامل ، كائناً من كان . أما فوق ذلك فيكون بمقدار الكفاية الفنية والتحصيل .

وكذلك المراتب لا بد فيها من التمييز : « ولكن هذا الفهم يعوز أهل الديمقراطيات الناشئة ، وهو قد يعوز العامل الصغير والعامل الكبير على السواء ، فتكون الطامة أكبر » .

المصادر

- « عندنا دكتاتوريات مقنعة » .. (الهلال : فبراير ١٩٤٧).
- « حب الأوطان » .. (الهلال : فبراير ١٩٤٨). (الفصل السابع عشر من ساعات السحر).
- « الدنيا في حاجة إلى زعيم » .. (الهلال : يوليو ١٩٤٨).
- « الحكم الصالح » .. (الهلال : نوفمبر ١٩٤٩).
- « حاجة الناس إلى الزعامة » .. (الهلال : ديسمبر ١٩٥١).
- « رابطة الثقافة أقوى من رابطة السياسة » (الهلال : ديسمبر ١٩٥٣).
- « السخف السياسى فى السياسة الدولية » (العربى : مارس ١٩٥٩).
- « التقى العاهلان » « وتنفس العالم الصعداء » (العربى : نوفمبر ١٩٥٩).
- « حرب أم سلام » (العربى : أكتوبر ١٩٦١).
- « الديمقراطية : حكم الناس بالناس » (العربى : فبراير ١٩٦٢).
- « كادت الحرب أن تندلع ولكن الله سلم » (العربى : فبراير ١٩٦٣).
- « الحقوق إنما تؤخذ فى هذه الدنيا غلابًا » (العربى : يناير ١٩٦٤).
- « الديمقراطية اتخذت منها دول الأرض ، زورا ، لقبًا محببًا إلى الناس » (العربى : يوليو ١٩٥٦).
- « الوحدة العربية ليست شعارًا يصرخ به الصارخون ليحجب الحقائق المرة حتى تفضحها الأيام » (العربى : مارس ١٩٦٦).
- « أصداء وأجواء .. الأحداث العربية أصداء لأحداث الدنيا » (العربى : مايو ١٩٦٦).
- « دنيا البيض ودنيا الصفر والسمر والسود » (العربى : نوفمبر ١٩٦٦).
- « ديمقراطية البادية أصدق الديمقراطيات » (العربى : إبريل ١٩٦٧).
- « عبادة الفرد » (العربى : إبريل ١٩٦٧).
- « عقل الإنسان ميزان غير ثابت على الزمان » (العربى : يونيو ١٩٦٧).
- « المساواة؟ نعم .. ولكن فى أى شىء؟ » (العربى : نوفمبر ١٩٦٧).
- « قصة فيتنام ، مأساة من مآسى الحياة الدولية آذنت باختتام » (العربى : مايو ١٩٦٨).
- « أزمة الملونين » (العربى : يونيو ١٩٦٨).
- « اشتدى أزمة تنفجى » (العربى : فبراير ١٩٦٩).
- « القبعة تغيرت وظل الرأس واحدًا لم يتغير » (العربى : إبريل ١٩٦٩).
- « القوة القوة .. سياسة الأمم لا تعرف غير القوة » (العربى : يوليو ١٩٦٩).

- « الزعامة والزعماء : الزعامة بعض طبائع الأشياء » (العربي : سبتمبر ١٩٦٩).
- « الصفقات السياسية » (العربي : أغسطس ١٩٧٠).
- « لندن في صيف ١٩٧١ » (العربي : سبتمبر ١٩٧١).
- « الزعامة والزعماء » (العربي : أغسطس ١٩٧٢).
- « حزبان ولكن » (العربي : سبتمبر ١٩٧٢).
- « حقائق عشر عن تخلف الشرق » (العربي : يناير ١٩٧٣).
- « من أين وإلى أين يارجال العرب ؟ » (العربي : إبريل ١٩٧٣).
- « منطق الحوار ومنطق القوة » (العربي : يوليو ١٩٧٣).
- « اختلاف الرأي في سبيل الخير غير اختلاف الرأي عن خبث ومكر »
- (العربي : مايو ١٩٧٤).
- « هيئة الأمم المتحدة تركت الكرة في الميدان ، وجلست تشهد اللعب مع المشاهدين »
- (العربي : أغسطس ١٩٧٤).
- « ميكافيللي : السياسى الذى لعنه الساسة »
- (العربي : فبراير ١٩٧٥).
- « الحرب والسلام بينهما فرق شعرة ، هى الموت والحياة لآلاف من البشر »
- (العربي : إبريل ١٩٧٥).
- « لا صلح بين الزعماء إذا لم يتبعه صلح بين الشعوب و صلح الشعوب أعصى »
- (العربي : يونيو ١٩٧٥).
- « قالوا المصلحة أولاً ، وقالوا أما العواطف من تراحم وود ، ومن صداقات وحب فأشياء عفا عليها الزمان ، وبئس ما قالوا »
- (العربي : نوفمبر ١٩٧٥).
- « أمنية » (العربي : فبراير ١٩٧٦).

الفصل الثاني

الحرية

يطلبون الحرية والأصل في الحياة القيود

كان أحمد زكي - رحمه الله - يولي قضية الحرية أهمية خاصة ، وكان يركز على حرية الرأي : متى تباح ؟ ومتى تحظر ؟ ولماذا ؟ ... كما كان يحرص على تأمل علاقة حرية الفكر بحرية لقمة العيش ، ويفيض في تحليل هذه العلاقة . وكان لا يفتأ يدرس دور الحرية في العلاقات الدولية ، ويقدم المفاهيم العلمية والواقعية من أذهان الناس ويضعها موضعها الصحيح . كما كان يتناول برؤية عميقة كل ما يتعلق بحريات الإنسان في العصر الحديث والتطور التاريخي لتحقيقها على النحو الذي أتت به الثورات ، مستخلصا بهذا العبرة في بناء كيان الدولة الحديثة .

وعن هذه الجوانب الخمسة التي تتعلق بمعنى الحرية ، وبحرية الرأي ، وعلاقة حرية الفكر بلقمة العيش ، ودور الحرية في العلاقات الدولية ، وتاريخ حريات الإنسان سيكون هذا الفصل من هذا الكتاب .

معنى الحرية

منذ الأربعينيات، يعبر أحمد زكى عن إيمانه الراسخ بأن الإنسان إذا ولد بدأت مع مولده القيود، قيود البيئة، درى بها أو لم يدر .

وفى مقال « سلاسل وأغلال » (مجلة الهلال : ١٢ / ١٩٤٨) يستنكر أحمد زكى قول القائلين « إن الناس يولدون أحراراً ، وإن الشقى يجنى على نفسه الشقاء حرّاً طليقاً ، وإن السعيد يكسب لنفسه السعادة حرّاً طليقاً » ، ويؤثر أحمد زكى على هذا الرأى رأى فيلسوف فرنسا الشهير روسو أن الرجل يولد حرّاً فإذا مشى فى الأرض أثقلته الأغلال : « ودرت أمشى فى الأرض أبحث عن أغلالها ، فوجدت فى كل طريق قيداً : إن الرجل منا حر له أن يأكل أو لا يأكل ، ولكن هذا لا يتأتى إلا أن يكون طعام . وهو حر له أن يشرب على أن يكون شراب ، وهو حر أن يزرع ليأكل ، على أن تكون أرضه ، وهو حر أن يعمل ويكتسب قوت يومه ، على أن يكون عمل ، وهو حر أن يتعلم ، على أن تكون فى جيبه نفقة ذلك » .

واختصاراً لفقرات كثيرة ومتعددة كتبها أحمد زكى فى هذا الموضوع سنخلص إلى النتيجة التى خلص إليها أحمد زكى فى مقاله « بين الحرية والكسب » (مجلة العربى : ٧ / ١٩٧٢) حين يقول : « إن الذين قالوا : إن الناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، إننا عنوا أنهم ولدوا متأهلين للحرية ، يكتسبون ، أول ما يكتسبون بالكسب » .

أما فكرة أحمد زكى عن مفهوم الحرية ومعناها ، فقد أفاض أحمد زكى فى الحديث عنها فى عدد من المقالات والأحاديث وبخاصة مقاله « يطلبون الحرية والأصل فى الحياة القيود » (مجلة العربى : ٤ / ١٩٧١) وخلاصة أفكاره التى طرحها يمكن إيرادها على النحو التالى :

□□ فالأصل فى الحياة القيود . وهذا يجب أن يكون واضحاً فى أذهان الذين يطلبون الحرية .
□□ والإنسان مقيد قبل أن يولد (لاحظ أن القيد هنا امتد إلى ما قبل الميلاد ، بعدما كان منذ الميلاد فى مقاله الذى نشره فى ١٩٤٨ ولاشك أن لهذا علاقة بتطور تفكير أحمد زكى فضلاً عن تقدم العمر به) وبعد أن يولد وإلى أن يموت ويضيق بالقيد ، فيطلب الحرية مع القيد .
□□ وما التقاليد إلا قيود تعين الناس على حمل أثقال الحياة .

□□ والإنسان مجبور مختار ، كالسجين فى رجليه القيد ، وفى رجليه مع القيد الحركة المحدودة .

□□ الجاذبية أول القيود التى تمنع الحرية .

- واللغة بعدها قيد ، فالإنسان إذا عرف لغته هذه فإنها انتمى ، وقد كان قبل اللغة إنساناً مطلقاً ، فصار إنساناً عربياً أو هندياً أو روسيا . . . صار صنفاً من الناس ، والتصنيف قيد .
- والأسرة بتعليمها اللغة للطفل إنما تبدأ بتشكيل شخصيته ، والتشكيل قيود .
- والتقاليد قيود لأنك لا تستطيع أن تخرج عليها ، ولست حراً في أن تسلك فيها أى مسلك تشاء ، هى راحة وهى قيد فى آن واحد . . .
- حل مشكلة الجبر والاختيار : إن الجبر يكون بالدخول غصبا فى زنزانة الحياة ، ولكن فى الزنزانة حركة تجربها إرادة حرة ، فهذا ما نريده عندما نقول إن الحياة اختيار .
- النظام لا يكون إلا بقواعد ترسم وقوانين . وكل قاعدة قيد وكل قانون كذلك .
- وإن تكن القيود طبعاً ، فالتحرر من القيد كذلك طبع فى الإنسان ، فهما طبعان يتزاحمان ، كما يتزاحم الحلم والغضب والحب والكراهة والشجاعة والجبن فى قلب الإنسان .
- ومن الناس من يطلب التحرر من الحكومات جميعاً ، وتلك هى الفوضى ، ولها مذهب معروف ويعرف أصحابه بالفوضويين ولسنا منهم .



ويبدو أن حديث ذلك الشهر قد أثار دوامات من النقاش حول أفكار أحمد زكى إن لم يكن مع الناس فمع نفسه ففى الشهر التالى (العربى : ٥ / ١٩٧١) يتحدث الدكتور زكى ، فى حديث الشهر ، فى ذات الموضوع ، ويجعل عنوانه « ما وجدت الحكومات إلا لتحمل الحريات » ، وهو فى هذا المثال يحلل التعارض الظاهر عند الناس بين الحريات المطلقة ، والحريات عندما تقيدها الحكومات . ويتحدث عن النوازع الإنسانية ، وضرورات الحياة ، وطبيعة مناشطها ، ورغبات الناس ، وأهدافهم المتعارضة . يقدم بذلك كله للقول بحاجة الناس إلى حكومات لتحمل الحريات ، وحاجة الحكومات إلى قانون ينظم لها هذا الدور ، أو بوجوب وجود القانون ، ووجود قوامين على هذا القانون .

« إن الذى دعا إلى وجود شرطة أو حكومة ، إنما هو حاجة المجتمع إلى تنظيم ، وهو تنظيم يفرض على الناس الفروض فهو بذلك يزيد فى القيود . ولكنها قيود تقيد سلوك الفرد حتى لا

يعتدى على حرية الغير . إنى لو أطلقت لنفسى حريتى ، وكنت أنا القوى وأنت الضعيف
لمددت سلطانى فى هذه الأرض حتى لا يكون لك رقعة تعيش فيها ، فالقانون يتدخل ليحد من
حريتى ، لاشك فى هذا ، أو بعبارة أخرى هو يقيدنى . ولكن فى حدود نصيبى من الحرية . حتى
يحفظ لك أنت الضعيف نصيبك منها » .

« إذن وجب أن يكون قانون ، وأن يكون لكل مسلك من مسالك العيش قانون . ووجب أن
يكون على القوانين قوامون ، فتلك هى الحكومات من شرطة وإدارات . ونجمع كل هذه المسالك
وكل هذه القوانين والقوامين عليها وأشتاتا أخرى من مرافق الحياة فى المجتمع ورجالاً ذوى مناصب
صغيرة وكبيرة عديدة ، فذلك هو الكيان الضخم الذى نسميه بالدولة » .

ويستطرد الدكتور أحمد زكى استطراداً مطلوباً ، يحدد فيه ضرورة الشرطة ، ضرورة القوة لقيام
الحكومات :

« ولكن الحكومة صاحبة القانون لا تقوم بغير قوة . ولهذا كان لا بد لها من قوة شرطة ، وقوة
جيش . والجيش أصلاً ليحمى الحدود ولكنه كذلك ليدعم الشرطة إذا عجزت عن حماية القانون
والقائمين على حماية القانون . وتسأل عن يحمون القانون ؟ ونجيب : من تلك الطوائف من
الشعب التى لا ترضى من الحرية إلا بالقسمة الجائرة ، الكثير لهم ، والقليل لغيرهم والذين يعبر
عنهم المتنبي بقوله :

« والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم »



ويعالج الدكتور أحمد زكى فكرة التوازن بين حرية الفرد وأمن الجماعة بقدر كبير من تأييد
ضرورة الموازنة ، فإن يكن من تفضيل فلأمن الجماعة ، ولكن فى حدود . هذا هو لب رأى أحمد
زكى فى المسألة ، وله فى هذا المعنى عبارة واضحة فى مقاله (مجلة العربى : ٨ / ١٩٦٩) حيث
يقول : « فالإنسان فى الجماعة لابد أن يأخذ لأنانيته وأن يعطى منها ، وإذن وجب أن يكون لهذا
الأخذ والعطاء تنظيم ، يدرك منه الآخذ والمعطى من قبل أخذ وعطاء ، ما يأخذ وما يعطى ، وكم
يأخذ وكم يعطى » .

ويحظى جهاز الشرطة من أحمد زكى باهتمام خاص ، فيخصص له مقالا تحت عنوان « رجال

الشرطة بين حرية الفرد وسلامة الجماعة» (العربي : ١٩٧١ / ٨) ، والشطر الأكبر من «الافتتاحية الأخيرة» (العربي : ١٩٥٨ / ١٢) ، ونراه يكتب معللاً طبيعة العاطفة السائدة بين الجمهور والشرطة ، عاطفة قلة المحبة والود ، فيرجع ذلك إلى أن «الشرطة كابحة والحرية ترفض الكبح» . ويمضى في تفصيل هذه الفكرة فيقول : « وحتى لو رجع الإنسان إلى حقيقة عمل الشرطي ، وأدرك أنه يحمي المنزل من السرقة ، ويحمي النساء من الاعتداء ، ويمنع الحى من اضطراب يقوم فيه ، لكانت حصيلة هذا التفكير احتراماً يكتسبه رجل الشرطة بين مواطنيه ، ولكنه قلما يبلغ في المحبة ، لا سيما عند العامة ، الدرجة الواجبة ، وهو قد يبلغ هذه الدرجة عند الفلاسفة ويبلغها اصطلاحاً بحكم الفكر لا بحكم العاطفة المرسلة » .

وعلى لسان أحد محدثيه ، يكتب الدكتور زكى في آخر مقالاته منبها إلى أهمية «الأمن» في المجتمعات ، والدور الذى لا بد للشرطة من القيام به أو لابد للقيام به من الشرطة فيقول : « إن هذه المدنية الحاضرة ، بل أى مدنية ، أئمن ما فيها الأمن بين الناس ، الأمن من غوائل الأقوياء . والقوانين التى تخطط لذلك لا قيمة لها إلا أن يقوم إلى جانبها شرطة تهابها الناس ، وقضاء له النزاهة ، وله من الناس الاحترام ومع الاحترام الخضوع » .

ويمضى أحد زكى ليقول : « إن الجرائم الإنسانية تكاد ترد جميعا إلى الاعتداء بالقوة ، والشرطة هى مانعة الاعتداء فى الأمم ، والقضاء من ورائها يؤكد عدل الشرطة بين الناس ، وفساد الدول يبدأ عادة بفساد شرطتها وذهاب حيدة القضاء ، والحاكم الفرد المستبد يظن من أولى وسائل حكمه السيطرة على الشرطة والقضاء » .

وإذ يؤكد الدكتور زكى هذه الأهمية المتزايدة للشرطة ، فإنه ينادى بضرورة تهيتها لقيامها بهذا الواجب . ويتفرع الدكتور زكى - ونتفرع معه - إلى الاهتمام بتثقيف الشرطة ، وبترقية الشرطة :

« إن الشرطة أداة للتنفيذ ، وهى أوامر مجملة ، يظهر إجمالها عند التطبيق فى المواقف الحاسمة مهما احتوت تلك الأوامر من تفصيل وتفصيل ، فكثيرا ما تتكشف المواقف عن تفاصيل لم يتنبه لها عند الصياغة حتى صائغوها . ويكون المعول بعد ذلك على رجال الشرطة أنفسهم . يترجمون ما غمض هدفا ويقدررون . وهنا لا بد لرجال الشرطة من ثقافة كافية . لا يكفى أن نأتى بالرجل من الحقل أو من الصحراء لنصنع منه رجل شرطة فى يوم وليلة » .

« والشرطى هو وجه الدولة الذى يراه الناس ، فإن كان مؤدبا فالدولة مؤدبة ، وإن كان شرسا فالدولة شرسة ، وإن كان هوانا فالدولة هوانة ، لا سيما فى عين الغرباء » .

« والشرطى إن كان حسن الهندام ، فالدولة حسن هندامها ، وإن كان مبتذل الثياب فالدولة

على شاكلته . لهذا فإن كان السخاء يطيب في شيء فهو أطيب ما يطيب عند البذل للشرطي وإعطائه الراتب الجدير بمظهر الدولة » .

ويردف الدكتور زكي بالحديث عن المكانة المتميزة للشرطة في البلاد الراقية ، فيقول :

« يحترمونهم لأن فيهم ثقافة كثافتهم ، ولا بد بهم وطنية كوطنيتهم ، وإن رجل البوليس يجلس إلى رجل الشعب ويتحدث إليه ، فلا يدرك أنه إنما يتحدث مع مخلوق لا يعرفه جاء من جزيرة سومطرة ، ذلك أن التعليم واحد والفكر واحد ومراتب العيش ومشاكله بينهم جميعاً متقاربة » .

« إن رجل الشرطة في إنجلترا ليس حصيلة نفسه وحدها ، وثقافته وحدها ، إنه حصيلة بلده ، وهو حصيلة تاريخ » .



على أنه مراعاة لأوزان الفقرات والفصول في كتابنا ، فلا بد لنا من الخروج من الحديث عن الشرطة ، أداة لتنظيم الحرية ، إلى الجزئية التالية . ومراعاة لنسب أخرى ، فلا بد أن يكون مخرجنا مخرج رأى يصدق في تعبيره عن جوهر الرأى في المسألة ، لهذا نضع أمام القارئ فقرتين مهمتين مما كتبه أحمد زكي في هذا الموضوع :

« حرية الفرد وأمن الجماعة موازنة صعبة . وحرية الفرد إذا أطلق لها الضمان ذهبت بأمن الجماعة ، وأمن الجماعة إذا بولغ فيه ، ذهب بحرية الفرد ، ورجل البوليس عليه حراسة الممتلكات من السرقات ، وعليه أن يسود السلام في الطرقات فلا يكون فيها الهرج والمرج ، وعليه تدبير المرور لسلامة المارة . . . » .

والفقرة الثانية قوله : « ففى الدفاع عن الحريات ترجى الحكومات . والحكومة تحمى الشعب ، وتحمى حرياته في الحياة . والشعب يحمى الحكومة بجيش منه حتى لا تأخذ بها فتتزل بها عن منصة الحكم يد فحل من فحول بنى الناس طامع جبار » .

وكان أحمد زكي يعلل لنا العلاقة الغريبة بين الحكم ورجال الشرطة في دول الدكتاتوريات ، فيقول : « والمستبد لا يجد من الشرطة التي تعودت النظام والحكم الديمقراطي العون الكافي ، ولا الغلظة المطلوبة ، لهذا هو يلجأ دائماً إلى استحداث شرطة له خاصة ، تقوم بأغراضه الخاصة ، وتعرف عادة بالمخابرات . وما من بلد إلا وبه مخابرات ، ولكنها مخابرات تكشف عن خطط تتصل

بنظام الحكم يخطط لها أعداء الدولة ، فهي ليست مخابرات تستخبر أمور الشعب . وقد يستفحل أمر المخابرات لتكون نقمة آخر الأمر على منشئها المستبد .



الحرية والمسئولية

نتنقل بعد ذلك إلى الجزئية الثانية من هذا الفصل ، وهو: حرية الرأي متى تباح ؟ ومتى تحظر؟ فالدكتور أحمد زكى يؤمن إيماناً يقينياً بأنه لا بد أن يكون مع الحرية إحساس بالتبعة أولاً ، وهو ثانياً يفرق بين حرية الفكر في سلام ، وحرية الفكر في حالة الحرب ، وهو ثالثاً يقيد حرية الرأي لا بالحالة الحربية فحسب ولكن بحال الجماهير من حيث النضج .

وإليك تفصيل القول في هذه النقاط ، ففيما ما يتعلق بالحرية والتبعة ، يقول أحمد زكى في مقاله «حرية الفكر في سلام وفي حرب» ، «حديث الشهر» (مجلة العربى : ٢/ ١٩٧٣) .

□ «لابد أن يكون مع الحرية إحساس بالتبعة» .

□ «ليس لأحد باسم الحرية أن يدعو إلى الإجرام ، أو الفوضى ، وإذا هو سئل في ذلك يقول : دعونى فأنا حر . إنه حر فى نفسه . يفعل بها وهو فى حجرة ذات حوائط أربع ما يشاء ، أما إذا هو خرج إلى الناس ، إلى المجتمع فقد اختلفت بالنسبة له معانى الحريات ، ومعانى الحقوق» .

□ «ونقول اختلفت ، ولا نقول امتنعت ، فالمجتمع شىء مشاع . هو ملك للجميع» .

□ «ووجه الاختلاف الواحد ، عندما يخرج من حرية الحجرة إلى حرية الطريق ، هو أن الحرية عندئذ يجب أن يصحبها شىء ، هو التبعة . فالدعوة إلى الإجرام لا تبعة فيها ، والدعوة إلى الفوضى لا تبعة فيها» .

□ «وإذا جاز أن نتجاوز فى السلم عن النظر فى أمر التبعة ، فإن هذا لا يجوز والحرب قائمة ، والحرب حرب مصير ، فالتبعة تسبق الحرية وتعلو» . ونحن فى ذلك إنما نفعل ما فعلته الأمم الديمقراطية من قبلنا . «وضرب مثلاً بما حدث للفيلسوف البريطانى برتراند رسل فى أثناء الحرب العالمية الثانية من قبل السلطات البريطانية» .

وهكذا، يتخذ الدكتور أحمد زكى من «التبعة» مدخلاً إلى التفريق بين حرية الفكر في السلم وحرية الفكر والحرب على الأبواب. ونحن نلاحظ تقديره الشديد لخطورة الحرب، فهو لا يقابل بجمل متوازنة ويقول حرية الفكر في السلم وحرية الفكر في الحرب، وإنما يتنازل عامداً عن هذا التوازن البلاغى ليعبر عن المعنى الخطير :

« أما والحرب قائمة ، فحرية القول ، وحرية النقاش ، لا بد أن تتأثرا بكل موضوع يثار ويتصل بالحرب ، من قريب أو بعيد . ولكن لا بد من أن نطلق النقاش ، ونطلق حرية الكلمة فيما لا يتصل بحرب وإلا خيم الظلام ، وفي الليالي - إذا اتصل إظلامها - ستر لكثير من صنوف الإجرام : من سرقة أعراض ، وأموال ، وضياح أمن ، وإهدار أرواح . »



الظروف المقيدة للحرية:

يلور أحمد زكى أوجه الاختلاف بين الحالين (الحرب والسلم) ويؤصل طبيعة هذا الاختلاف، فيقول : « في السلم الحريات تطلق في صدور عامة الشعوب ، ووعيتها ويقظتها أولاً، ومن بعدها القانون . أما الحرب فالمسألة حلها في أمرين : أن تحدد الحكومات بأقصى ما تحدد من حريات لا سيما فيما لا يمس الحرب وجهودها في سبيل دفع غائلة الأعداء، وأن يتوخى الكتاب أقصى ما يكون لديهم من حذر ، مع إحساس عميق بالتبعة ، فلا يتخذ الكاتب منهم موضوعاً ظاهره يتصل بحرية في القول معترف بها ، ولكن بباطنه هدف آخر، كإثارة الجمهور لحاجة خاصة في نفسه » .

وننتقل إلى الجانب التطبيقي من الموضوع فيما يتعلق بالقضية العربية ، وأرجو أن يلاحظ القارئ أن المقال نشر في مايو عام ١٩٧٣ (أى أن أحمد زكى نشر رأيه قبل المعركة الفاصلة في أكتوبر ١٩٧٣ بحوالى ستة أشهر) وكان التمزق قد بلغ مداه في نفوس بعض الصحفيين والإعلاميين . وكان أحمد زكى - كما ستفصل القول في موضع آخر - حزينا أشد الحزن من هذا التمزق الذى أصاب هذه النفوس ففعل بها ما فعل ولهذا فإنه ينطلق في حديثه هنا من ضمير الحرية المستولة ويقول : « وإنى لأقرأ اليوم في صحف بعض الدول العربية ، الموسوم النشر فيها بالحرية ، أقوالاً

كثيرة لا تبعة فيها . فكاتب يكتب باسم الحرية عن جهل . وكاتب يكتب باسم الحرية عن حقد . وكاتب يكتب باسم الحرية عن عنصرية غير خافية ، وأخرى عارية . وكاتب . . . عن إقليمية جارفة . . . وكاتب يكتب باسم الحرية ، وأكاد أستشف في أسطره دوافع صهيونية ويمعننى من الجزم أن حروف المقال حروف عربية . وكاتب يكتب باسم الحرية ، وهو إنما يهدف إلى خنق الحرية»

ويعدد الدكتور أحمد زكى صنوفاً من هؤلاء . . ثم يقول قولة مدام رولان الفرنسية المشهورة «أيتها الحرية كم باسمك تقترف الآثام» !



على أنى أحب أن أنه إلى نقطة جدية بالتنبيه ، وهى أن هذه الآراء لأحمد زكى في إشكاليات الحرية ، والحرية المستولة ، والحرية بين الحرب والسلام لم تكن وليدة هذه الظروف الصعبة التى عاشتها أمتنا في هذه المرحلة بين الحربين (١٩٦٧ - ١٩٧٣) وإنما كانت ذات فكر الرجل الذى تحدث من قبل بإفاضة في هذا الموضوع في أكثر من موضع كـمقال : « مؤتمر القمة العربى الأول » ، (مجلة العربى : ٣ / ١٩٦٤) ، وهو المقال الذى قال فيه بصراحة : « إن رأى يجب ألا يترك طليقاً لا سيما في جماهير لم تبلغ بعد حد الكفاية من وعى أن رأى الحر ليس من حقه الهدم والتخريب » وربما كان هذا هو جوهر النقطة الثالثة من الجزئية الثانية في هذا الفصل .

□ « إن لك من الحرية بمقدار ما في جيبك من مال » هكذا يقرر الدكتور أحمد زكى في مقاله « بين الحرية والكسب » (العربى : ٧ / ١٩٧٢) ، وهو يردف العنوان الرئيس بقوله : « سألوهم كم لك من الحرية في هذا العيش ؟ فأجاب : أكسب في الشهر عشرين ديناراً » . وحديث الدكتور أحمد زكى في هذه النقطة ممتع إلى حد كبير ، ولا أظننى أوفيه حقه أو أوفيك حقه من الإمتاع إذا نقلته لك هنا سبباً ونتيجة على نحو مباشر ، إنما تتأتى لك المتعة به إذا قرأته كله جملة ، في موضعه . فالأمر في نظر أحمد زكى ظاهر الصواب . غير أنى أثبت هنا ما قاله الرجل استطراداً إلى موضوع حرية المرأة وعلاقتها بكسبها حيث يقول :

« لا ضمان إلى اليوم لحرية المرأة إلا بأن تكسب هى حريتها بالعمل المناسب لأنوثتها ، فإذا سئلت كم لها من حرية قالت : أكسب عشرين ديناراً أو مائة ، وفي هذا بلاغ » .

« من أجل هذا كانت حظوظ النساء من الحرية في القرون الماضية القلة دون حظوظ الرجال ، وحتى اليوم فحظ الكاسب ليس كحظ المشارك في كسب » .

ولا بد هنا من الإشارة إلى رأى لأحمد زكى قد لا يكون في ظاهره متصلاً كل الاتصال بهذه النقطة من معاني الحرية ، ولكنه ليس إلا صدى أو إرهاصاً لهذه الآراء . فأحمد زكى حين يناقش قضية فقر الفقير وشقاء الشقى لا يحملها تبعة ما هم فيه من فقر أو شقاء ، وإنما يلقي بالتبعية للمجتمع . فالقضية ليست في حريتهم في بقائهم على ما هم عليه ، لأن هذا ليس بيدهم ، ولا هو مسئوليتهم . واقرأ معنى لأحمد زكى في مقاله « سلاسل وأغلال » ، (الهلال : ١٢ / ١٩٤٨) ، والذي نشره مرة أخرى في كتابه « ساعات السحر » حيث يقول في وضوح وصراحة :

« نجيل إلى أن المسألة ليست رضا الفقير بما هو فيه ، ولكن رضانا نحن أنا وأنت ، بالذى هو فيه . أنا لا أكلف الفقير شططا فأطلب إليه أن يدرك ، ولا أكلف الجاهل شططا ، فأطلب إليه أن يفهم ولا أكلفه حتى أن يرضى أو لا يرضى ، ذلك أنى إذا كلفته أن يرضى قام علمى يكذبني وضميرى يؤنبني ، وأنا إذا كلفته أن لا يرضى ، وهو غير قادر على أن يتحول ، فإنما أزيد طينته بلة ، أزيد حسه بالسوء ليزيد حسه سوءاً ، أوقفه لما هو فيه ليتألم على اليقظة ، وأنت تريد أن يهنا نفسا ، وهذا نوع من أنواع الرحمة الخفية الذى لا يدرك كنهه إلا الفطناء ! » .

ويزيد أحمد زكى هذه الفكرة توضيحاً وتعميقاً ، فيقول : « أقول إن المسألة ، ليست أن الفلاح ، وأشباه الفلاح ، يرضون عن حالهم أو لا يرضون ، ولكن المسألة أن نرضى نحن ، أنا وأنت ، عن حالهم أو لا نرضى . نحن لنا القدرة على الرضا ، أو غير الرضا ، ولنا الحق في الرضا وغير الرضا ، وعندنا الأداة التى تؤهلنا لنرضى أو لا نرضى ، ولا أحسبني ولا أحسبك نرضى أن هذا الرجل الجاهل الفقير ، واسمح لى أن أقول - التعس - ولو مرة في غير مناقضة لفكرتك - هذا الرجل ينتعونه بأنه ابن جلدتك ، وهو كأنفك منك وإن كان أجده ، فأنت إذن لا ترضى عن انجداع أنفك ، وإذن فأنت والله لا ترضى عن فقر رجلك وتعاسته . هذا حس جميل ، وإذن لابد من تغيير ، والتغير يجب أن يبدأ من أعلى ، حيث أنت قاعدياً عزيزي . إن الماء الذى يسيل من المكان العالى يهبط في سهولة ويسر ، فيكون فيه السقى والرى . وغير ذلك الماء الذى يتفجر من المكان الخفيض » .



مبدأ الحرية في العلاقات الدولية:

أما عن الحريات في العلاقات الدولية فيتبلور لنا رأى أحمد زكى فى مقاله «حرية الصحافة»، (مجلة العربى: ٣/ ١٩٧٢)، إذ يقول فى معرض الحديث عن الحريات قبل التمحيص بالحديث عن حرية الصحافة:

«إن الحريات فى هذه الدنيا التى تعرف، كالبضائع، تشتري بالمال، وما أكثر ما تدفعه الأمم ثمنًا لحرياتها. السلاح وحده، كم ثمنه، وهو سلاح أرض، وسلاح ماء، وسلاح هواء؟ وكم ألوف مؤلفة من الناس تقوم فى صناعته؟ وكم ألوف مؤلفة من الناس هى اليوم قائمة فى الجيوش حاضرة لدفع غائلة؟ الحرية إذن فى السلم ليست من طبيعة الأشياء، حتى والحضارة حاضرة، والثقافة بينة، وذكاء بنى الناس غير منقوص. الحرية لا بد أن تشتري فى هذا العالم البشرى بالعرق الصبيب، كالطعام والشراب سواء بسواء».

وقبل هذا المثال بحوالى ربع قرن كان أحمد زكى يتحدث فى شجن وأسى عن «مصرع الحرية فى القرن العشرين» بمقال حمل هذا العنوان (مجلة الهلال: ٦/ ١٩٤٩). وما زال أحمد زكى بمصرع الحرية يتحدث عنه حتى وصل إلى القول بأن «الصراع القائم اليوم بين شرق الأرض وغربها، ليس صراعًا على الحرية، فالكل مجمعون على ضرورة وضعها وراء قضبان من حديد، ولكن الخلاف على مصيرها من بعد ذلك: فأهل اليسار يريدون أن يقتلوها بالسهم قتلة عاجلة، وأهل اليمين يريدون أن يقتلوها ولكن مصابرة ومطاوله».

وأكثر من ذلك يقرر أحمد زكى فى مقاله هذا أن الحرية ليست من قانون الوجود، وأنها ما كانت ولا سوف تكون: «وإنه لا وجود للحرية فى قانون الوجود إلا بالقدر الذى يؤهلك لإدراك ما أنت عليه من قيد، كالشئء الحلو تعطاه لتتذوقه ليدلك على ما كنت فيه من طعوم مألحة».



ولعل هذا يدفعنا إلى التساؤل: إذا كان هذا هو حقًا جوهر الحق فى أمر الحرية فى قانون الوجود، فأى ذنب جناه القرن العشرون على الحرية حتى يقول أحمد زكى بمصرع الحرية فيه؟ أم إن المسألة أن أحمد زكى اختار هذا التعبير ليبرر ما حدث فى القرن العشرين، وليقول إنه ليس بالشئء

الجديد، وبخاصة أنه استعرض أحوال الحرية في مصر القديمة ، وروما ، والنصرانية ، ودول الإسلام استعراضاً ممتعاً لا بد لك من أن ترجع إليه ، هذا بالإضافة إلى أحوال الحرية في الجامعة وبين الناس وفي الطبيعة . . . إلخ؟ » .

ونعود مرة ثانية لتأمل مع أحمد زكي تأثير المال على الحريات حتى في السياسة الدولية ، ونقتطف هنا من مقاله « سلاسل وأغلال » ومن المثل الذي ضربه بقطة كانت لجارهم ، وكانت أقوى القطط . فكانت تحظى من الطعام بأكثره لهذا السبب . ونقرأ له قوله :

« والمسألة أن المال يحمل معه ظمناً طابع السلطان ، ويحمل الغلبة ، ويحمل القوة ، وحيثما هبط تنفرج له الصفوف ، وتتخاذل دونه العزائم . والمسألة في ذلك مثل مسألة القطط تجتمع على الطعام ، فلا يكون الطعام إلا من نصيب قطة لها جسم مليء ورأس ضخم ، وأكتاف سمان ، وسواعد شداد ، ومخالب حداد ، ونفثة عن الشر خفيفة ، فهذه تدور تلم من النفائات الساقطة في فمها ، هذه القطعة ثم هذه ثم هذه ، وسائر القطط واقفة ، واسعة العين ، تنظر ولا تجرؤ ، للذي بها من ضعف وهزال ، كل أملها أن تفضل هذه القطعة الكبرى عن قطعة فلا تراها » .

« هذه القطعة فازت بالأنصبه جميعاً أو بأكثرها ، لأنها أشبع ، ومن الشبع قوة . وسائر القطط فازت بالنصيب القليل ، أو بلا نصيب لأنها أجوع ، ومن الجوع ضعف . في طبيعة الشبع سر زيادة الشبع ، وفي طبيعة الجوع سر زيادة الجوع » .

ويعقب أحمد زكي على هذه الفكرة بسؤال تقديري من نوع خاص ، فيقول :

« أفلا ترى معي أن هذه الصورة ، التي تجدها في حديثي ، هي صورة صادقة مما يجري في حداثك العيش بين الناس ؟ » .



الحريات والتطور التاريخي .

بقى الأمر الخامس من أمور الحرية في تفكير أحمد زكي ، وهو نظريته إلى التطور التاريخي للحريات في القرون الثلاثة الأخيرة . وقد أفاض في الحديث عن هذا التطور في أكثر من مقال ،

ولكنه زاد الأمر تركيزاً أو بلورة وإفساحاً للتفاصيل في مقالات ثلاث متتالية :

□ « يطلبون الحرية والأصل في الحياة القيود » : (حديث الشهر، مجلة العربي : ١٩٧١ / ٤) .

□ « ما وجدت الحكومات إلا لتحتمي الحريات » (حديث الشهر، مجلة العربي : ١٩٧١ / ٥) .

□ « حريات الإنسان » : (حديث الشهر، مجلة العربي : ١٩٧١ / ٦) .

(ومن تصارييف القدر الجميلة أن هذه المقالات نشرت قبيل ما أعلنته مصر في مايو ١٩٧١ من بدء عصر الحريات) .

على أننا سنجتزئ هنا في هذا المقام بذكر عبارات عن أفكار أحمد زكي في هذا الموضوع، وهي العبارات التي تحمل في طياتها عددًا من المعاني التي نود أن نشير إلى سيطرتها على فكر الرجل :

□ « فاز القرن الثامن عشر بالحريات السياسية، وفاز القرن التاسع عشر بالحريات الاجتماعية » .

□ « الثورة الفرنسية أيقظت أمم الأرض بما يجب أن تكون عليه كرامة الإنسان » .

□ « الثورة الصناعية كانت ثورة حضارية اجتماعية سياسية في آن » .

□ « الحرية إذا زادت على حدها انقلبت إلى ضدها ، وهكذا فعل انطلاق رأس المال في العمال » .

□ « إن اليوم له وجهان : وجه أبيض مشرق أسمىناه بالنهار، ووجه آخر مظلم أسمىناه بالليل . وكذا الثورة الصناعية كانت وجهًا من وجوه الإنسانية المتوثبة الطامحة مشرقا ، ولكن إلى جانب وجه أسود مظلم يتمثل فيها عاناه العمال في هذه الفترة من بؤس وشقاء » .

□ إن رفع الحكومات يدها عن البرلمانات كان أولى الخطوات لاستقرار الحكم في البلاد . وهنا يجب أن نلخص رأي أحمد زكي في هذا الموضوع على أكثر درجات الاختصار ، فإن الفيلسوف الإنجليزي هيز « Thomas Hebbes » (١٥٨٨ - ١٦٧٩) أخاف الحكومة كل الخوف ، فقام الفيلسوف الإنجليزي لك « John Locke » (١٦٣٢ - ١٧٠٤) بفصل الحكومة عن البرلمان ، وجاء الفيلسوف السياسي منتسكيو « Montesquieu » (١٦٦٩ - ١٧٥٥) فاستقل بالقضاء ، ووضعت (١٧٠١) في إنجلترا وثيقة القضاء الشهيرة « Act of settlement » ، وبذا تم في الدولة الديمقراطية فصل السلطات .



وليس من شأنى هنا أن أحلل للقارئ نظرة أحمد زكى فى هذا الشأن وموقعها من الصواب والاراء الأخرى ، وليس هذا عجزاً ولا تواضعاً ولا اختصاراً ، وإنما هو مراعاة للمقام وبخاصة ونحن نتكلم عن الحرية المستولة .

ولكن يبدو لى أنه من الأوفق أن أختتم هذا الفصل بعبارات لأحمد زكى فى شأن الحرية أبلغ ما فيها هى نفسها وذلك حيث يقول :

« نشأنا جميعاً ونشأ العالم على تمجيد الحرية ، ولكن الحرية كالسيف ، تحملها فى يمينك ، فتعلم حين تقطع به أين تقطع ، وكذلك تحملها فى يسارك فتضرب به فقد يصيب رقبة ابنك » .

« وهكذا فعلت الحرية فى طليعة الثورة الصناعية ، ومعنى استعمال كلمة « Laisser Faire » ومعناها دعوا الأمور وحدها تجرى فى أعتتها ، أو اتركوا الصناعة وجبلها على غاربها تجرى ماشاء لها الجرى وإلى أية ناحية تجرى .. صار لأصحاب المصانع أن ينظموا مصانعهم على هواهم ..

كان من الطبيعى أن رجلاً مثل كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ما كان ليولد فيعلن إعلانة الشيوعى « Manifesto Communist » (١٨٤٧) ولا ليكتب كتابه « رأس المال » إلا فى قرن مثل هذا القرن التاسع عشر ، وفى أحوال ما كانت لتتمخض إلا عن مثله ومثل مذهبه » .

المصادر :

- « سلاسل وأغلال » (الهلال : ديسمبر ١٩٤٨) = (الفصل الحادى عشر من ساعات السحر).
- « مصرع الحرية فى القرن العشرين » (الهلال : يونيو ١٩٤٩).
- « أيتها الحرية كم باسمك تقترف الآثام » (الهلال : سبتمبر ١٩٥٠).
- « المدرسة والحرية والحياة » (الهلال : أكتوبر ١٩٥٥).
- « لابد للناس فى حياتهم من قواعد ومبادئ » (العربى : يناير ١٩٦٣).
- « مؤتمر القمة العربى الأول » (العربى : مارس ١٩٦٤).
- « الحرية فى ظل العادات وفى ظل القانون » (العربى : أغسطس ١٩٦٩).
- « يطلبون الحرية والأصل فى الحياة القيود » (العربى : إبريل ١٩٧١).
- « ما وجدت الحكومات إلا لتحمى الحريات » (العربى : مايو ١٩٧١).
- « حريات الإنسان » (العربى : يونيو ١٩٧١).
- « رجال الشرطة بين حرية الفرد وسلامة الجماعة » (العربى : أغسطس ١٩٧١).
- « حرية الصحافة » (العربى : مارس ١٩٧٢).
- « بين الحرية والكسب » (العربى : يوليو ١٩٧٢).
- « حرية الفكر فى سلام وفى حرب » (العربى : مايو ١٩٧٣).
- « قانون الطبيعة غذى حركات التحرير فى كل القرون ، » (العربى : أكتوبر ١٩٧٣).
- « الافتتاحية الأخيرة » (العربى : ديسمبر ١٩٧٥).

الفصل الثالث

بعض ملامح الفكر الفلسفى

العقل والإيمان : عينان بهما يبصر الإنسان سبل الحياة ويهتدى .

هذا هو الفصل الثالث من الباب الذى يتناول فكر الدكتور أحمد زكى . وإذن فليس من المتقبل أن يختص وحده بالعنوان الذى يشير إلى أنه يتناول الفكر الفلسفى ، أو التفكير الفلسفى عند أحمد زكى . وقد أدرك المؤلف هذا بلاشك ، ولاشك أدركه القارئ عندما وجد العنوان على النحو الذى هو عليه ، ذلك أن هناك موضوعات ، تدرج فى تصنيف المعرفة تحت عنوان الفلسفة ، رغم أن كل نظرانا إلى كل أوجه الحياة هى صورة من الفلسفة ، ولكن هناك قضايا هى فلسفة الموضوع والنظرة . أو هكذا اعتاد المؤلفون أن يضعوها ، كمسألة القضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، والمادية والروحية ، وما وراء الطبيعة ، والحقيقة وأمور المنطق ، والعقل والعاطفة . . . إلخ .

أما هذا الفصل ، فيتناول من كل هذه الأمور أمرين اثنين فحسب ، رأى المؤلف أن تناولهما

يعطينا فكرة لا بأس بها عن نظرات الدكتور زكي الفلسفية ولا أقول عن تفكيكه الفلسفى أو عن فلسفته ، فذلك من شأن الباب الثانى كله بفصوله الثلاثة عشر .



١- الحقيقة

أول هذه الأمور هو « الحقيقة » ، وعلى الأخص سبل الوصول إليها . . فعلى حين كان أحمد زكى يقدر قيمة العقل والفكر والمنطق والعلم فى الوصول إلى الحقيقة ، وعلى حين أن عباراته فى هذا واضحة فى كثير جداً من المواضع ، إلا أننا سنركز معه على الجانب الآخر من القضية ، وهو الجانب الذى يطرح لنا سؤالاً يقول : متى لا تكون كل هذه الوسائل العلمية والمنطقية هى السبيل إلى غاية الإنسان من استجلاء الحقيقة أو استهداف الصواب أو طلب الحق . . إلخ ؟ .

هنا نقرأ لأحمد زكى مقالاً قيمياً (الهلال : ٩ / ١٩٤٨) تحت عنوان « الكرة التى تحمل فوق عنقك » ، وقد أعاد نشره فصلاً من فصول كتابه « ساعات السحر » . ويحدثنا فى مقاله عن زينغ الرأس ، الذى شبهه فى العنوان بالكرة التى تحمل فوق عنقك ، حديثاً طويلاً ثم يخلص إلى النتيجة فىقول : « أو لست أحسب أنى أريد من أحد أن يقلع عن زينغه ، فزينغ العقول صفة لها أصيلة لا يمكن أن يكون عنها إقلاع ، إن الزينغ من بنية العقل ، من تشكله ، ومن تصميمه ، ككرة الحشيش إذا دحرجت عليه ، بها ما بها من ثقل ، أو بها ما بها من تحذب جانب دون جانب لم يكن لها اختيار إلا أن تميل » .

والحل : « ولكنى أود لو يفعل الناس براء وسهم فعل مدحرج الكرة بكرته ، إنه يقدر ما فيها من زينغ ، ويحسب ما فيها من عوج ، ثم هو يطلقها طليقة تترأى عوجاء ، ولكنها تصيب الهدف تماماً كما تصيبه الكرة الأخرى التى ليس فيها ثقل ولا زينغ إذا أطلقت مستقيمة غير ذات أعوجاج » .

هكذا يطرح الدكتور أحمد زكى تصوره لحل هذه الإشكالية ، لأنه يؤمن بأن زينغ العقول صفة فيها لأبد لها منها ، ولهذا هو يريدك أن تفكر بها مع تقديرك لزيفها حتى لا يذهب بك الأمر إلى أن تكون من الذين يفكرون لا وفق ما يجب أن يكون ، ولكن وفق ما يجب أن يكون ، فيبلغون النتيجة التى يريدون دون تفكير ، ثم هم بعد ذلك يعملون المنطق ليأتوا لها بما يبررها .

ومن نفس المطلق يأتي تقدير أحمد زكي للخيال ، وهو بالطبع تقدير مشروط ، وأقرأ له معنى في هذا المعنى من مقاله « حشاشون بلا حشيش » الذي نشره فصلاً في ساعات السحر قوله : « إن أئمن ما في الرجل منا الفكر ، ومن أئمن ما في الفكر الخيال . والخيال جعل ليجمع به المرء من الأشياء أجزائها ، ومن الحوادث أطرافها ، وليصور به لنفسه كيف تصلح الأمور . وهو خيال يتصل بالواقع ، ويتصل بالمنطق ، ويعتمد على الممكنات . وهو أداة المخترع حين يخترع ، والعالم حين يتدع ، والشاعر حين يقصد القصيد ، والفيلسوف حين يقنن الأمور . . ولكن غير ذلك الخيال الذي تثيره حشيشة الليل ، وغير ذلك الخيال الذي تثيره حشيشة النهار » .

على صعيد آخر يذهب الدكتور أحمد زكي إلى تأكيد انتفاء العقل المطلق ، نفس المعنى الذي مسه من قبل ، وفي مقال له (مجلة العربى : ٦ / ١٩٦٧) يكتب تحت عنوان : «عقل الإنسان ميزان غير ثابت على الزمان» ، ليقول : إن «العقل المطلق لا وجود له في الناس . إن العقل منطوق ، ومنطقه الباده مستمد من حياة صاحبه ومن عاداته . والعادات مستمدة من جغرافية المكان وتاريخ الزمان على السواء . واختلف الزمان ، واختلف المكان فاختلفت العقول وتفاوتت » .

وفي عبارة أخرى يقول : « من المشكوك فيه أن ميزان العقل من الدقة ثابت الدلالة بين أيامه القريبة وأماسيه البعيدة ، ومن المشكوك فيه أن يزن الخير دائماً فيجد أنه الخير ، ويزن الشر دائماً فيجد أنه الشر ، وقد يدخل الشك إلى سجية هذا الميزان ، فيصبح يزن الشر الثقيل فلا يثقل به كثيراً أو لعله يزن فيجعل الخير مكان الشر والشر مكان الخير » .

ويضرب أحمد زكي الأمثال على صحة رأيه بموقف البشرية وعقلها ، في قضايا الرق والقتل ، والعفة ، والعمل ، وحتى الشوارب واللحى . . ثم استلقت النظر إلى الحقيقة الكبرى حين يقول : « لهذا جاءت أحكام السماء تثبت أحكام أهل الأرض وتنأى بها عن المزالق » .

وينتقل أحمد زكي إلى نقطة أكثر تقدماً ليقول إن العقل حتى مع العلم (أى عقل العلماء) قاصر لسبيين ، أولهما : قصر أعمار العلماء فالعالم يحصل ثم حتى إذا هو بدأ ينتج عاجله الموت ، وتزداد مدة التحصيل (كلما تقدم الزمن) كلما اتسع العلم ، وازدادت المفرازة عمقا . والسبب الثاني « هو ذلك القصور الذي في الذهن نفسه من حيث إنه جهاز له طاقة للنمو ينتهى عندها .

بل إن العقل نفسه ، لا يشكل إلا جانباً واحداً من جوانب النفس الإنسانية ، فللنفس الإنسانية جوانب أخرى إذا حاول العقل أو حاول المنطق دخولها فقد عمى ، إن العقل لا يكاد يرى من هذه الجوانب شيئاً . . ، نعى بها العواطف ، والأحاسيس . وصوت في الأعماق أدخل في النفس وأعمق ، أو لعله لا مدخل له ولا مخرج ، وإنما هو صوت الكيان يتردد خافتاً في الأعماق » .

ومن نفس النبع كانت أفكار الدكتور زكى فى مقاله (العربى : نوفمبر ١٩٦٨) الذى يقارن فيه بين العقل والإيمان أو يجمع بينهما على أنها كما يقول العنوان : « العقل والإيمان : عينان بهما يبصر الإنسان سبل الحياة ويهتدى » : فىقول ما ملخصه :

□□ العقل والإيمان ، سبيلان إلى المعرفة سلكهما الإنسان منذ كان قبل المسيحية ، وبعدها ، وفى دين ، . غير دين . أما العقل فممنك ، أما الإيمان فممن الله : إما أن يمن الله عليك به ، وإما أن يحرمك إياه . . . ازدواج طبيعى .

□□ « وعند جاكوبى : إن الله الذى يمكن إثباته بالمنطق لا يمكن أن يكون الله ، لأن الحصول عليه بالمعرفة عن طريق العقل يتضمن معنى سيطرة العقل ، والخالق الأعظم لا يمكن أن نسيطر عليه ، أو يحتويه عقل . . . إن الحقيقة فيها وراء الطبيعة ليس سبيلها الفكرة المنطقية تتلوها أخرى . . . إن سبيلها تتكشف عن طريق الإلهام ، وهذا الإلهام هو الذى يسميه جاكوبى وأضرابه بالإيمان » .

□□ إنها « كالنظارة ذات العدستين : إذا طمست عدسة منهما ، قامت الأخرى تحل محلها أما إذا طمست العدستان معا ، كان العمى ، ومع العمى الحيرة التى لا يدرك معها صاحبها إلى أين يتوجه . وهكذا فعلت الوجودية ، ومذاهب أخرى بالإنسان فى هذا الزمان » .

□□ « سر القلق فى العصر الحاضر ما أحدثته تلك المبادئ الفلسفية المتضاربة المتشابكة المعاكسة التى ينفى بعضها بعضا ، والتى كانت ، قاصرة على المكتبات ، حبيسة فيها زمانا لا يقرؤها إلا المختصون ، ثم هى نزلت بالنشر ، على اختلاف طرقه إلى القارئ العادى فى مدرسة وجامعة ، وإلى رجل الشارع من بعد مدرسة وجامعة » . .

« وقد كان لاستجلاء سبل الحياة عند المفكرين طريقان : طريق الإيمان المباشر ، وطريق العقل ، وسبق الضعف الفكرى إلى طريق الإيمان فى الناس فاضمحلت الثقة فى الإيمان . ثم قام رجال جدد من أهل الفكر يقضون على السبيل الباقية تلك ، سبيل العقل . . . ذهبوا بالإيمان ونفوا العقل . فماذا بقى ؟ بقيت الحيرة تحتل أنفس الناس ، وظهرت فى الشباب أكثر لأنهم أكثر تأثرا وأقرب ثائرة » .

□□ وانضم إلى هذا الخبال فى فلسفة الحياة : خبال فى حال الدنيا ، خبال فى المجتمعات وخبال فى حكامها . .

لهذا كله فإن أحمد زكى يعطى أهمية فائقة لضرورة الاعتماد على الإيمان ، والإبقاء على الإيمان ، والإيمان بالإيمان ، وأن تتوجه إلى نفسك تطلب منها الهدى : « وإذا عجز أهل الفكر ، وأهل

الفلسفة عن إثبات وجود ، وإذا رفض العلم الحديث البحث في هذا الأمر بعد أن دفع بعدم الاختصاص لم يبق لنا إلا الرجوع إلى المصادر التى نهى عنها دائماً عندما تتعطل مصادر العقول .



وعلى هامش فهم أحد زكى للحقيقة يمكن لنا أن ندرس آراءه فى القضية التى كانت مطروحة بشدة فى وقت من الأوقات وهى « حتمية التاريخ » هل يعيد التاريخ نفسه ؟ أم لا يعيد ، وهنا سنلخص أفكار الرجل وأكثرها ورد فى حديث الشهر (العربى : إبريل ١٩٦٨) تحت عنوان : « التاريخ قال قائلون إنه يعيد نفسه ، وقال آخرون إنه لا يعيد » :

□□ إن قولهم بحتمية التاريخ « عبارة حلوة ، أجد فيها أنا نفسى روحاً وربحاً ، وشميم أمل حتى واليأس كل اليأس جاثم » . « وهى عبارة ليست بنتيجة دراسة خرج الدارس بها : أن التاريخ يحتم ، إنما هى عبارة إيمان ، والإيمان قد يخرج من الرأس والإيمان قد يخرج من القلب ، وحتمية التاريخ صرخة من صرخات الإيمان التى تخرج من القلب . إنها صرخة الأمل . قد يفرزها ما يتوأكب معها من أحداث الدنيا ، تلك التى تهدف جميعاً إلى غاية واحدة فيها استبشار وبشرى .

□□ وهو يتحفظ على فكرة حتمية التاريخ منذ البداية لأن « التجارب العملية هى وحدها التى تعيد نفسها ، أى : إذا نحن أعدنا فى المختبر إجراءاتها عادت بنفس خواتيمها ، وغير ذلك التجارب الإنسانية وتجارب المجتمعات الإنسانية ، وتجارب التاريخ » .

□□ ولهذا فإن السبب فى عدم تقبله لفكرة الحتمية أن الإنسان هو أول شئ تفاعلى ، وليس كالإنسان مثل ، ينفى صفة الثبات كيفاً وكماً ، إنه الهوى المتغير ، والمطمع المتقلب ، والثقافة المتباينة ، والميراث الذهنى المتفاوت . . ليس جيلاً واحداً ، بل جيلين وثلاثة أجيال اجتمعت كلها على صعيد من الزمان واحد . بل يصل الحد إلى القول بأنه لا يوجد فى التاريخ حادثتان متطابقتان أبداً ولو أسميناهما اسماً واحداً .

□□ « إن أبدية المتواصلة عند نيتشة تتمثل فى الدائرة . . على أن مقالته قد تصح فى غير إجمالها هذا المتناهى فى زمان محدد قصير من حياة البشر ولكن قديم ، أما اليوم فنحن فى زمان غير ذلك الزمان » .

□□ أما جوهر الرأى العلمى فى المسألة كما يبديه أحمد زكى بعد دراسة و تمحيص : « كل الذى يستطيعه الناظر عند المقارنة أن يحدس ، أى خاتمة تكون ، وهو يحدس حتى فى حياته الخاصة وحياته الخاصة ، لا خاتمة واحدة ، بل عدة من خواتيم ، ربما تمثلت فى عدة من تجارب سابقة له ، وليس من الضرورى أن تكون وقعت لأخ أو أب أو قريب أو صديق أو حتى تسامع بها » .

□□ ومع هذا لا ينكر الدكتور زكى الفائدة التى أفادتها البشرية من هذا الرأى ، فيقول : « الرأى بأن التاريخ يعيد نفسه ، صح أو لم يصح ، كان له نفع لا شك فيه . من ذلك أن الناس تدرس التاريخ ، وترى أوضاعاً ماضية تشبه أوضاعهم الحاضرة ، وتخشى أن تحمل بهم النتيجة التى كانت فيقومون فوق رجل واحد يحولون بينها ، وفى هذا نفع كبير » .



على هذا النحو كان أحمد زكى يتأمل علاقة الإنسان بالزمان مرة فى فهمه الواعى للحقيقة ، ومرة أخرى فى تقليبه لوجهات النظر حول حتمية التاريخ ، ثم إذا هو فى إطار ثالث يتناول بعداً ثالثاً للعلاقة نفسها ، وهذا هو ما نجده فى مقاله الذى نشره قبل وفاته بمدة وجيزة (العربى ١٠ / ١٩٧٥) تحت عنوان : « الأزل والأبد معنيان تحدياً فطنة الإنسان من قديم العصور والأزمان » .

وأحمد زكى يتقدم لنا بثقة شديدة بوجهة نظر متميزة تجاه هذه الجزئية فيقول : « إن الإنسان خلق أعمى رغم ما له من عيين من قديم العصور أذن لها فقط أن يبصر ما أذن لها أن يبصره ، والإنسان قد يكون أشد جهلاً بالذى خرج منه النور أو وقع عليه النور ، والنور قد يبهى ، فيحسبه الإنسان علماً ، ثم لا يكون إلا وسيلة لتغطية سر مكنون ، وكم فى الدنيا من خفاء يسطع من الغباء » .

« وإذا كان العلماء حاولوا أن يغوصوا بعلمهم فى غياهب الماضى فما اهتموا ، فهم أقل اهتماماً وهم يغوصون بعلمهم فى مجاهل المستقبل ، وهى أعصى وأخفى وأعسر » .

بقيت نقطة فى هذه الجزئية لا بد منها قبل أن تنتقل إلى الجزئية التالية ، ولعلها هى الحلقة الرابطة بين الجزئيتين ، ولابد لنا أن نعود مع أحمد زكى إلى مقاله عن التعميم والتخصيص فى

الدراسات الجامعية (العربي ١٠/ ١٩٧٢) لنجدته وهو يناقش قول الذين يقولون إن أهل العلم الطبيعي أهل جفاء وقسوة ، وما يرتبونه على هذا القول من أن أحكام أهل العلم بعيدة عما تبتغيه الإنسانية ، وهو يرد في صراحة وقوة ووضوح على هؤلاء بقوله : إن هذا القول ضلال كبير . وأصدق منه أن تقول : إن أهل العلم الإنساني ومنهم الأدباء هم أهل العاطفة الأشد ، والعاطفة قد تكون خيراً ، والعاطفة قد تكون شراً . وهتلر ما كان عالماً طبيعياً ، وما كان موسوليني . كلاهما كان ذا قلب خفاق ، نبضاته تتصل بأحوال الإنسان دون علوم الأرض ، وهما صنعا من الخراب ، ما لم يسبق مثله على سطح هذه الأرض .

أرأيت إلى هذا الحل البديع الذي حل به أحمد زكي هذه المشكلة الفكرية التي لا تفتأ تراودنا في كثير من الأحيان ؟ .



ثنائية المادية والروحانية

يتناول أحمد زكي المادية والروحانية من الجانب الذي عرضت المسألة نفسها فيه على فكر الشرقيين ، حين ثار السؤال التاريخي عن إمكانية الجمع بين حضارة الغرب وروحانيات الشرق . ولسنا في حاجة إلى تفصيل القول في هذه الناحية ، بقدر ما نحن في حاجة إلى الولوج مباشرة إلى حيث ناقش الدكتور زكي هذه القضية ابتداء حين حلل أصلها في مقال له (مجلة العربي : ٤ / ١٩٧٤) فقال : « ولعل الحقيقة أن العلماء اهتموا بالمادة قوانين ، واهتموا بها مظاهر حياة ، وظواهر كون ، لأن عندهم الوسائل المادية لبحثها ، وسكتوا عن الروح لأنها أعصى من أن يتناولها بحث أو يحوزها مختبر ، فاتخذ أكثر الناس من هذا السكوت عن الروح إنكاراً لها . والحق أنه كان عند العلماء الأحدثين إيمان بالروح بالقدر الذي عند غير العلماء إثباتاً ورفضاً تبعاً لما آمنوا به من دين ، أو ما اتبعوا من فلسفة ، أو ما اتفق لهم من مزاج » .

« على أن الأمر تبدل أخيراً ، وأدرك العلماء أنه ليس من الجائز عند عالم أن ينكر ما لا يعلم ، أو ما لا يستطيع علمه . وغير ذلك اتضح للعلماء أن مسألة الرفض لا تكون بهذه السهولة ، وأن تسلسل الظواهر الحيوية ، وتتابع بعضها وراء بعض في منطق عجيب ، وهدف بل أهداف في

الحياة واضحة ، تشير كلها إلى أن للحياة تخطيطاً وتدبيراً لا يمكن أن تقوم به وحدها المادة الصماء الخرساء » .

لهذا يبدو أحمد زكى وكأنه لا يتطرق إلى لب المسألة إلا بالقدر الذى يعرض فيه لآراء ووجهات نظر أصحاب المذاهب فيها ، على النحو الذى نعهده منه حين يتناول القضايا الخلافية . ولكنه مع ذلك يعقب في فبراير عام ١٩٧١ بقوله : « على أنه لا يفوتنى أن أذكر أن الذين يقولون بالمادة والروح شيئين متفاضلين أو بالجسم والعقل ، هؤلاء كانوا أهدى سبيلاً وأكثر اتباعاً من الماديين الذين رفضوا الروح أو ارتابوا فيها » .

وأحمد زكى يعتقد أن القول الفصل في هذه المسألة لا تملكه إلا « النفس » وهو نفس منطقته فيما يتعلق بكثير من أهوار الغيبيات : « الحجة الأقوى عندى هى ما يجده كل إنسان في دخيلة نفسه . لكانى والله بنفسى نفسان لا نفس واحدة . وتحدث إحداها الأخرى وتجادلها ، فكيف لا يكون لهذه النفس وجود رائع هو بعض وجودى » .

على أنه يبدو لى أن البحث عن وجوه أعمق للحقيقة في مسألة المادية والروحية لم يكن الشغل الشاغل لعالمنا بالقدر الذى كان يحتله أمر آخر ، استولى على اهتمام أحمد زكى ، وهو إيمانه بأهمية إقناع العقل العربى بأنه من الممكن أن يجمع إلى روحانيته خير المادة ، وخير حضارتها . وهو في هذا لا يؤيد رأيه بالإيجابيات التى حققتها الحضارة المادية ، يسردها على العقل العربى كما يفعل الكثيرون ، ولكنه يذهب مذهباً آخر يبرئ فيه ساحة المادة نفسها عما ألحقه بها بعض أهل الفكر من عيوب واكبت حضارتها ، فاستحقت بسببها نقد هؤلاء ، وخوف أولئك من تلك المادة والمادية والحضارة المادية : « ولا أستطيع أن أقنع نفسى بأن إنساناً - كان ما كان - يستطيع أن يتقرب إلى الله بدم خلق الله ، فالأجسام مادة ، وهى من خلق الله . فكيف تكون هى بعد ذلك شراً في ذاتها . وكيف يقرب إنسان إلى الله بنفى مقاصد الله في مخلوقاته . إن شهوة الطعام من صنع الله . وما صنعها إلا لهدف . وشهوة الجنس من صنع الله ، وما صنعها إلا لهدف . هدف الأولى وصل الحياة في الفرد . وهدف الثانية مواصلة إسكان الأرض . وإن كان بهما ما يعاب ، فهو الإفراط أو التفريط . ولا أكاد أصدق أن رجلاً يؤمن بالله يذم المادة أبداً ، بمعناها الخلقى (بتسكين اللام) . أما معناها الخلقى (بضم اللام) فهى الأنانية والبخل والحرص ، فمقبول معنى ، مرفوض لفظاً . قل إن الرجل بخيل ، أو محب للمال ، أو مفرط في شهواته ، أما إنه مادي : فلفظ فيه التباس كره » .

ويتطرق أحمد زكى إلى مناقشة الأثر السيئ الذى تركته تلك الفكرة على تصرفات وسلوك كثير

من البشر ، فتركوا العمل إلى اللاعمل . وعبارته في هذا المعنى أوضح من أن نقدم لها ، وأشهى من أن نتأخر بها عن قارئنا . يقول أحمد زكى (مجلة العربى : ٧ / ١٩٦٦) : « ولا ننسى العرق الصيب ، فهذه الحياة عرق صيب ، إنه العرق الصيب ، أو الفقر الذريع . ومن أجل هذا وجدنا أكثر شعراء هذا العصر فقراء ، لأنهم عدوا النزول من أبراجهم التى أقاموها عالية ، إلى الأرض الدنية يتنهمون الحياة كيف تجرى ، والمال كيف يحصل ، والإنتاج كيف يكون ، والأعدة كيف تملأ ، والأجسام كيف تكسى ، إنها هو هبوط إلى عالم المادة ، عالم الانحطاط والتردى » .



ويبدو لى مرة أخرى أن الدكتور أحمد زكى ينظر إلى مسألة المادية والروحانية من منطلق صوفى عملى إن جاز هذا التعبير وهو يقول (مجلة العربى : ٥ / ١٩٦٣) عندما يتحدث عن هذه المسألة عرضاً : « حياة المدنية الحاضرة التى يحلو لكثير من الرجعيين أن يسموها مدنية مادية ، تحقيراً لها وتهويناً من شأنها ، هى مصدر للروحانية قد يفوق المصادر جميعاً » .

وفى موضع آخر يفصح الدكتور زكى عن هذا رأى ويزيده إيضاحاً ، فيقول :

« وعندى أن رجلاً عاملاً يقف الثمانى الساعات كل يوم أمام الآلة تتسخ يده بمسها ، وينال قميصه غير المحمود من زيتها ، ويعود فى آخر اليوم إلى بيته ، يتفق مما كسب على أهله ، طعاماً هنيئاً وكساء سابغاً ومسكناً طيباً ، وترفيها ما استطاع ترفيها ، ويسجد لله بحمده على ما كسب ، هذا الرجل وهو يعمل فى المادة لينعم هو وأهله بالمادة ، روحانى فى الصفوف الأولى من الروحانيين ، وحسبه من روحانيته أنه أحيا بعمله فى المادة لإنتاج المادة أرواح ذرية مساكين ، وكل ذرية مسكينة لأنها على الصغر بالعجز موسومة » .



هل لنا بعد كل هذا أن نختم هذا الفصل بعبارات لأحمد زكى عبر فيها عن أمله فى أن تهتدى الإنسانية إلى وجه الحق فى مسألة المادية والروحانية (من جانبها النظرى) فيقول : « وكل الذى

أرجوه أن يتحقق عندي أن تكون أنفس هؤلاء الرجال - بعض أصحاب الرأي في مسألة المادية والروحية - قد اطلعت من بعد موت على حقيقة الحال ، وددت لو أنهم استطاعوا بعد ذلك أن يتصلوا بذوى القيمة من الرجال ، وأن يفضوا إليهم بالسرا أكبر الذي كشف لهم عنه الموت» .

« وذلك رجاء أن يهدئ الرجال الأحياء من جدهم ، ويقدرُوا حقيقة ما يستطيع الفكر الإنساني كشفه في فترات من الزمن قصار ، هي فترات أعمارهم ، وأن يصبروا فما أسرع ما سوف تتكشف لهم الحقيقة عندما تفترق أجسامهم ، وهي مادة ، عن أرواحهم ، وهي لطافة ، وأحسب أنهم عند ذلك سوف يدركون أن الإنسان مادي وروحي في آن » .

المصادر :

- «الكرة التي تحمل فوق عنقك» (الهلل : ١٩٤٨/٩) = الفصل الثاني عشر من «ساعات السحر».
- «الذرة تشق طريقها إلى الصناعة وسائر مرافق الحياة شقا حثيثاً» (العربي : مايو ١٩٦٣).
- «الجدل أكثره مجهود غيرنا» (العربي : أكتوبر ١٩٦٣).
- «خدعوك فقالوا : تغير الزمان وما تغير الزمان ولكن تغيرت أساليب البغي والعدوان» (العربي : إبريل ١٩٦٥).
- «عقل الإنسان ميزان غير ثابت على الزمان» (العربي : يونيو ١٩٦٧).
- «هذه المدنية زادت الناس تجميعاً أم تشتتاً» (العربي : إبريل ١٩٦٨).
- «التاريخ قال قائلون إنه يعيد نفسه وقال آخرون إنه لا يعيد» (العربي : إبريل ١٩٦٨).
- «العقل والإيمان : عينان بهما يبصر الإنسان سبل الحياة ويهتدى» (العربي : نوفمبر ١٩٦٨).
- «المادية والروحية عند الفلاسفة» (العربي : فبراير ١٩٧١).
- «بين التخصص والتعميم في الدراسات الجامعية» (العربي : أكتوبر ١٩٧٢).
- «المادة والمادية والروح والروحانية وسؤال المادة والمادية في العربية» (العربي : إبريل ١٩٧٤).
- «الحضارة الحاضرة سبقتها حضارات كثيرة» (العربي : يونيو ١٩٧٤).
- «الأزل والأبد معنيان تحدياً فطنة الإنسان من قديم العصور والأزمان» (العربي : أكتوبر ١٩٧٥).

الفصل الرابع

فن الحياة ومعناها

لا بد من الغاية في الحياة، وكيف يكون النجاح بدون غاية ؟ بل حتى كيف تكون الحية بدون غاية ؟

يتناول هذا الفصل عشر جزئيات تدور في فلك الحديث عن فلسفة الحياة عند الدكتور زكي . وقد تعرضنا في الباب الأول لحياة الرجل وحرصنا على أن نبين في كل موضع فلسفته فيما انتهجه في حياته ، ولسنا هنا نفلسف حياته من وجهة نظرنا بعد ما عبرنا عن وجهة نظره هو ، ولكننا نعرض فلسفته التي أراد للناس أن يأخذوا بها في حياتهم . ولم تكن هذه هي الفلسفة التي صاغت حياة أحمد زكي ، ولكنها كانت الفلسفة التي صاغت حياة الدكتور زكي الطويلة العريضة العميقة . وأولى هذه الجزئيات هي طبيعة الحياة ، الحياة على وجه العموم ، والحياة في هذا الزمان . وثانيها تتعلق بحفظ هذه الدنيا ، وما فيها من ثنائيات قد لا تسر المرء فلا يرضاها ، ولكنه إذا أراد أن يعيش فلا بد له من الأمر ونقيضه ، والأمل وخيئته ، و ، وثالثها تتعلق بترديد أحمد زكي في شبه اقتناع لنظرية الأبقراطية في أن امتناع الألم هو سنبل

السعادة، وأن انعدام الشقاء هو اللذة . ورابعتها تناقش معنى النجاح في الحياة . وخامستها تركز على « الغاية » من الحياة ، وأهميتها في صنع النجاح ، وفي تقدير النجاح .

ثم يتطرق بنا الحديث في الجزئية السادسة من هذا الفصل إلى ما كان أحمد زكي يعتبره أنجح الوسائل لاختيار البديل في طرق الحياة عندما تفتقر بالإنسان ، وأنجح الوسائل عند أحمد زكي هي « الفطرة » . ولهذا فإن النقطة التالية (السابعة) تحلل فلسفة الحياة مع النفس ، على حين يدعو الدكتور أحمد زكي (فيما جعلناه ترتيباً) (الجزئية الثامنة) إلى التركيز على الحاضر وضرورة الاستمتاع به . ثم تتناول الجزئية التاسعة آراءه في علاقات المرء بالناس من حوله ، ونظريته في ذلك أن العيش المعاملة (على وزن الدين المعاملة) . ونختتم هذا الباب بتحليلات شائقة للدكتور أحمد زكي يناقش فيها مصائب الدنيا كيف تهون ؟ وهي مناقشة علمية طريفة سوف تمهد للفصل التالي إن شاء الله .



الحياة فن لا علم

كتب أحمد زكي مقالاً يذخر بالحياة (الهلل: ١٢ / ١٩٥٠)، تحت عنوان « الحياة فن عسير » جعل موضوعه قصة شاب نابغة نابغ ، استكمل تعليمه في كلية الطب ، وخرج إلى أوروبا ، فعاد منها بأرفع الشهادات مستوى ، وكان له من العلم مستوى أرفع . فلما أخذ يعامل الناس كطبيب لم يحظ بالنجاح الذي حظى به من هم دونه بمراحل علماً وخبرة وشهادات . هذا هو ما يعنينا من التفاصيل الطويلة التي رواها أحمد زكي في أمر هذا الشاب ، وما ناقشه من أسباب فشله في ممارسة الحياة . ولعلنا نأخذ هنا تلك العبارة البليغة المركزة المؤثرة التي روى بها أحمد زكي سبب فشل هذا الشاب حين قال : « إنه خرج إلى الناس لا خروج إنسان ولكن خروج كتاب » .

« ذلك أن الحياة علم ، وأن الحياة فن ، ولكنها علم لا تلقى دروسه في حجرات المدارس ، وفن لا يتعلمه الإنسان في مرسوم أو منحت أو متحف فنون . وليس للحياة علاقة بشهادات المرء ولا مؤهلاته ، فهذه لا تغني شيئاً عن صاحبها إذا اخترق الشارع خطأ فداسته سيارة ، وليس يعفيه من عاقبة خطئه أنه محام كبير أو عالم جهنم ، ذلك أنه لا المحاماة ولا العلم تعلمان اختراق الطريق أو إحسانه .

وقد تجد رجلاً لم يتعلم ولم يتفقه ، ولكنه في الحياة ناجح وهو فيها سباق ، ذلك لأنه تعلم

الحياة لا مما تجمع من علومها وتبواب ، ولكن من ذلك الجانب الأخرى الذى يتعلمه الإنسان ممارسة بالعيش ، واحتكاكا بالناس ، وتدريباً على تصريف الأمور ، وهى فى مجاريها الطبيعية من سطح هذه الأرض .



ونعود مع أعداد مجلة الهلال حوالى عشرين شهراً لنقرأ لأحمد زكى مقاله « الكذب : فى قديم الزمان وحديثه » ، (الهلال : ٤ / ١٩٤٩) ، وهو مقال يحفل بعقيدته الراسخة فى صعوبة الحياة وسوف نجتزئ من هذا المقال بقوله : « وصناعة العيش مرهقة ، والطبيعة ، والطباع ، وأوضاع الحياة كثيراً ما تكون مجحفة ، وهذه الأرض البسيطة ما بسطت ، لتكون أرضاً حراماً وإلا فما فضل المساجد والكنائس والبيع ؟ ! » .

هذا عن الحياة فى عمومها ، فماذا عن حياة اليوم ، حياة القرن العشرين ؟ هذا هو ما نقرأ أفكار أحمد زكى عنه بعد ربع قرن من أفكاره الأولى وذلك فى الجزء الثانى من حديث الشهر (العربى : ٤ / ١٩٧٥) ، تحت عنوان « دنيانا هذه مريضة تزداد مرضاً عاماً بعد عام » حيث يقول : « إن سرعة الحياة فى القرن التاسع عشر غير سرعتها فى القرن العشرين ، الحياة تتسارع على القرون ونعم تظل ضربات القلب فى إنسان القرون واحدة ، وعدد الأنفاس فى الدقيقة واحداً ، ولكن غير ذلك ما تجرى به الأقدام وتختلج الأدمغة وتضطرب به القلوب والرءوس . . » .

ولكن هذا لا يبرر الهرب من الحياة ولا من معاملة الناس ، مع أن الحياة فن صعب ومعاملة الناس هى أصعب أشياء هذا الفن مراساً ، وهذا هو ما يؤكد عليه أحمد زكى فى مقاله « الحياة فن عسير » :

« وقد ينجح الهارب من الحياة ، ولكنه يكسبها ، عندئذ تبقى الحياة ، والهرب على كل حال هرب من تبعه ، والحياة ما كانت إلا لتحمل فيها التبعات ، والراحة آتية لا شك فيها ، وهى رقدة تطول لا تتغير فيها جنوب الراقدين ، فلم نستعجلها ، ولم ننكر الحياة ، وفى صدرنا أنفاسها ؟ » .

ويلتفت الدكتور أحمد زكى بعد هذا ليقول : « أقول هذا ليسمع عنى السامعون ، وأذننى بالذى أقول أولى » . أليس فى هذا تأكيداً للمعنى الذى أشرنا إليه فى مقدمة هذا الباب ؟ ألم يكن الرجل ينصح الناس بما وجدته فى حياته وإن لم يكن قد التفت إلى أهميته فى بعض الأوقات



الحياة بين البداية والنهاية

وفي مقال « تحرك الزمن ، فتحركت همومه » (الهلل: ١٢ / ١٩٤٧) ، وهو الفصل الثانى والعشرون من « ساعات السحر » ، يتحدث أحمد زكى عن نوعين من البشر ، ويقارن بينهما . ويعبر عن أمله أن يتعظ الناس برأى شيخ كان يرى فى الدنيا ثنائياتها ، ويؤمن بتتابع هذه الثنائيات ، وبتواليها ، وبوجودها معا : « حكمة بالغة تلك التى علمها إياى هذا الشيخ فى زمانه . إنى على الجوع لا بد أن أذكر الشبع ، وعلى الشبع لا بد أن أذكر الجوع ، وفى الخيبة لا بد أن أذكر النجاح ، وعند النجاح لا بد أن أذكر الخيبة ، وفى كدر الصداقة لا بد أن أذكر صفوها ، وعندما تصفو الصداقة يجب ألا أنسى كدرها » .

وأكثر من ذلك ، يذكر الدكتور أحمد زكى لقائه أنهم لو تكاشفوا بما فى حياتهم لوجدوا أن الجانب الذى لا يسر فيها أكثر من الجانب الذى يرتاحون له . ويصوغ عالمنا هذه الفكرة فى قالب مؤثر فيقول : « إن الله أعطى الإنسان اللسان يكشف به عن نفسه ، ولكنه أعطاه كذلك الصمت يستتر به على نفسه . ولو تحدث الناس بالذى فى طواياهم ، وصدقوا ، لعرفوا أن حظوظ هذه الدنيا من خوف أكثر من حظوظها من اطمئنان ، وقسمتها مما يسوء أكثر من قسمتها مما يسر ، ولو أن الناس نطقوا وأفصحوا عن نية خالصة ، لكان لهم بالشركة فيه ، أو لكان بالتعاون عليه واستئصال أسبابه » .

ويتوخى أحمد زكى أن يضع تصويرًا (طبيعياً) لحياة الناس بداياتها ونهاياتها : « إن حياة الناس كأنها الأرض ، لها منبع ، وبها مصب . ومن البحار تعود فتنشأ الأنهار ، ومن الأنهار القصير السريع ، لأنه يهبط من جبل ، ومن الأنهار الطويل المتهادى لأنه يجرى فى انبساط ، ومن الأنهار المستقيم ومنها المتعوج حتى لتحسبه عائدًا من حيث أتى ، ومن الأنهار ما يضيق مجراها حتى لتحسب أنها تنضب وتجف ، فإذا بلغت مداها اتسعت فلا تكاد تؤلف بين هذه السعة وذاك الضيق ، ومن الأنهار ما تعترضه الشلالات ومنها ما يدور حول جزر ، ولكنها كلها تنتهى دائماً إلى المحيط الأعظم فتتسى ، وينسى معها وجودها ، وكل ما كانت قد لقيت فى مجراها » ..

« وكذلك الناس ، يلقون ما يلقون بين شروق الحياة وغروبها ، وعند الغروب يستوى العظيم والضئيل ، والكثير والقليل ، وذو اللون الزاهى ، وذو اللون المعتم ، إن الألوان تتوحد بدخول الظلام » .



معنى السعادة

« السعادة هي انتفاء الآلام »: معنى فلسفى قديم ، لم يفتأ أحمد زكى يكرر روايته حيناً على سبيل الرواية فحسب ، وحيناً على سبيل الرواية مع الترجيح ، وحيناً على سبيل الرواية مع الإعجاب ، وحيناً مع التزكية .

وسنجزئ هنا ببعض الفقرات القصيرة من مقالته « هكذا أدبنا أسياننا » (الهلل : ٥ / ١٩٥٠) ، ومقالته « تحرك الزمن فتحررت همومه » ، (الهلل : ١٢ / ١٩٤٧) ، وأكثر من حديث من أحاديث الشهر حسب ما يطالعه القارئ في قائمة المصادر في نهاية الفصل .

□ «والعدم خير من الوجود الذى يكون شقاء ، ويكون ألماً ، وانعدام الشقاء أول خطوات السعادة ، وانعدام الألم أول السبيل إلى اللذة .

□ «لقد أوجب أن تكون حياة العاقل منا لا سعياً دائماً إلى لذة ، ولكن تجنباً دائماً للألم . إن السعادة فى الحياة قد تكون بالذى تأتى به الحياة من أفراح ، ولكنها تكون أكثر من ذلك بالذى لا تأتى به من أحزان ، وما كدح الناس فى الحياة وراء الغنى إلا دفع للفقر لأنه ألم » .

ولا يقف أحمد زكى عند حدود الأبوقراطية القدماء وحدهم فى هذا الفهم ، ولكنه يبدى اقتناعاً بها فى فلسفة أرسطو حين يقول : « العاقل لا يهدف إلى اللذة فيطلبها ولكن إلى الألم فيتحرر منه » ، وفى أقوال فولتير حين يصور الأمر بطريقة أخرى فيقول : « إنا نحس السرور حالين ، ولكننا نحس الأحران أيقاظاً » . أما القول بأن أحمد زكى كان من هؤلاء فأمر لا يزال دليلنا عليه يعوزنا .



معنى النجاح

وماذا عن النجاح فى الحياة ، إن أحمد زكى يخصص مقالا (مجلة الهلال : ٣ / ١٩٤٧) ، تحت عنوان « أصحابى الذين خابوا » يناقش فيه الأسباب التى حالت بين هؤلاء ، وبين النجاح .

ويلخص أحمد زكى عوائق النجاح بعدما أفاض الحديث فيها على نحو لا بد من الرجوع إليها للباحثين عن النجاح ، والمعانين فى سبيل البحث عنه ، ولكن لا بد لنا من أن نجتزئ هنا هذه الفقرة :

« فدون النجاح في الحياة عوائق ، هي ضروب ثلاثة ، عوائق من طباع ، وعوائق من بيئة ، وعوائق من فرص تأتي ثم تفلت ، وقد تتجمع فتجعل النجاح أعسر من دخول الجنة . ولكن كثيراً ما يسعف الطبع وتسعف البيئة وتأتي الفرص فتقف عند بابك ، فتصبح الموانع من النجاح دوافع إليه ، ونذر أن تجتمع كل هذه دفعة واحدة لرجل ، إلا رجلاً اصطفته الآلهة ، كما زعم الإغريق - للإعزاز وللتدليل » .

ويبدو لي أن أحمد زكي بعد ما حقق من نجاح ، وبعدما استبان له طريق الحياة بما فيه من دروب شاقة ، ومسالك وغرة ، وبعد ما جاءته الخبرة بالحياة قراءة وسامعاً وملاحظة لخطى الناس ، ظل يؤمن إيماناً لا شك فيه بضرورة المجاهدة والمكافحة إلى أقصى مدى ، وفي كل لحظة وحين ، فلا ميل إلى دعة ولا إلى هدوء ولا ارتكان إلى صدف أو رياح تأتي بها تشتت السفن . ولعل في هذه الفقرة ما يعبر عن حرارة هذا المعنى وتمكنه من نفس أحمد زكي .

« إن النجاح أكثر ما يكتسب غلاباً وصراعاً ، وكل رجل منا كالملاح فوق سفينته . فقد يسكن له الماء ويهب الريح على هواه ، ولكن الماء أكثر ما يكون مضطرباً تنشره وتطويه الأمواج ، والريح أكثر ما تكون عاصفة هوجاء ، فيعتمد الملاح عندها إلى ما أسموه في لغة البحار الصفح والإصلاح ، فيقتبس من الريح وهي تعارضه نصيباً يدفعه ، يدفعه إلى حيثما يريد هو لا إلى ما تريد الريح ، ويصل إلى غايته أخيراً ، وبعد مشقة وبعد زمن قد يقصر أو يطول ، وقد يطول الزمن فوق ما يطول العمر ، فيفنى الرجل المجاهد كما تفنى الموجة فوق سطح الماء ، وفي نفسه لبانة لم تنقض ، وفي قلبه من أجلها حسرة ، وقد تنقلب به السفينة على الرغم من الجهود الشاقة ، وعلى الرغم من المهارة والنية الصادقة ، لأن الموج كان أعتى وأغلب » .



الغاية وأهميتها

في فهمه لمعنى النجاح في الحياة يوافق أحمد زكي عامة الناس إلى حد كبير على فهمهم له بأنه النجاح في الغاية ، في النهاية ، يكسب السباق . هنا يكون معنى الغاية وعلاقته بمفهوم النجاح

واضحين في فكر الرجل ، وعبارته في هذا صريحة : « والناس لا تفهم من الأشياء إلا غاياتها ، ولا ترى من هذه المعارك الدائمة إلا خواتيمها ، وهم في سباق الحياة ، كما هم في سباق القوارب ، يتكوبون عند الهدف الأخير يصفقون للرجل الذي وصل أول واصل بأول قارب ، أما سائر القوارب فتتسى ، أو هي لا تنسى لأنها لم تذكر قط ، ولن تذكر أبدًا .

والناس من يلق خيرًا قائلون له ما يشتهي ، ولأم المخطئ الهبل

ولكن أحمد زكي يتخذ من هذه النقطة بالذات مدخلًا إلى فكرة أخرى هي تقرير أهمية أن يكون للإنسان غاية في هذه الحياة ، يسعى إليها يوميًا بعد يوم ، وهذا هو المعنى الذي كرره أحمد زكي مقالًا بعد مقال ، بل إنه يبدي تعجبه من أن يتحقق النجاح وليس للإنسان غاية يسعى إليها . وأحب أن أقول إن هذه الفكرة بالذات تبدو لي من أعظم أفكار مفكرنا الكبير ، ومن أروع الأفكار في تفكيرنا العربى المعاصر، يظهر فيها واضحًا أثر التفكير العلمى الذى يهدف فى الأصل والنهاية إلى إيجاد حل لمشكلة ! ويظهر فيها واضحًا - من ناحية أخرى - فكر الرجل الذى كان يعرف ماذا يريد فحقق ما أراد .

لا بد من الغاية في الحياة . « وكيف يكون النجاح بدون غاية ؟ بل حتى كيف تكون الخيبة بدون غاية ؟ ذكرنى هذا بالفتاة « أليس » فى الكتاب العالمى الشهير « أليس فى بلاد العجائب » جاء فيه أن « أليس » وقفت عند مفترق الطرق ولا تدرى أى الطرق تأخذ ، وجاءت قطة تسعى فنادتها الفتاة وسألتها : أى هذه الطرق آخذ ؟ قالت القطة : هذا يتوقف على أية غاية تقصدين ، قالت الفتاة : ليس لى غاية . فقالت القطة : إذن فخذى هذا الطريق أو هذا أو هذا .



الاهتداء بالفطرة

ولكن كيف يمكن للإنسان أن يسلك مسالك هذه الحياة الوعرة ؟ وما هو المعيار الثابت الذى يستطيع أن يقيس به الأمور إذا اختلطت عليه الأمور ، صوابها وباطلها ، أو صوابها وصوابها ؟ إن أحمد زكي يؤمن بما يدعو إليه الحديث الشريف من أن البر هو ما وافقت عليه نفسك . وعبارات أحمد زكي فى هذا واضحة صريحة لا تحتاج إلى تعليق ، غير أننا هنا سنجتزئ مع إعادة ترتيب

لفقرات وعبارات الرجل في هذا الموضوع وبخاصة تلك التي وردت في مقاله « إلى أين المسير؟ »، (الهلل : ٢ / ١٩٥٠) :

□ « إن الذي أريده منك ، فيما ترتاب فيه ، أن تستوحى الفطرة ثم تسلّم لها قيادك ، كما أسلمت الأم التي ترعى وليدها - ولو سألت المنطق لما وجدت سبباً ، فحياتها ليست متوقفة عليه بل تسوء - فتخرج بك من الظلام إلى النور فتحسن العاقبة » .

□ « الفكر كالبحر له غاية ، وليس جواب « إلى أين المصير؟ » مما يدركه الفكر ، ذلك لأنه جاوز تلك الغاية . وهنا تتدخل الفطرة فتهدل حيث يعجز الفكر » .

□ « فطرتك هذه هي منار الهدى لك ، ما بقيت سليماً ، هي مصباحك الذي ينير لك السبيل ما حافظت عليه . فلم تأذن لأحد أن يفسد زيتك ، أو يعبث بفتيله ، أو يحطم زجاجه . فطرتك هذه هي في داخلك تستخدمها وتستمد منها العون فتغنيك عن عون يأتيك من خارجك . إنك إذا تبعت ما توحى به الفطرة سلمت عاقبة » .

□ « وإنني بالفطرة أحس ديب الفرح في قلبي : إن هذا الخلق ما كان عبثاً ، وإن هذا الفكر الذي أفكر به لا يجوز في إحساس الفطرة أن يكون ثم لا يكون وإن هذه الدنيا لها ما وراءها » .

□ « ما خشيت الزمان ، وما خشيت الكهولة ، ولن أخشى الشيخوخة ، لأنها الفطرة ، والفطرة عودتني ألا يكون منها إلا الخير . وأنا لن أخشى ما وراء ذلك لأن الفطرة تريده ، والفطرة طيبة خيرة ، فهذا ما علمت منها في سابق الأيام » .



التوافق النفسى

ومن الطبيعى إذا كان لفطرتك التى هى بعض نفسك كل هذا الدور فى تحديد مسار حياتك ، فلا بد لك من التوافق مع هذه النفس ، وأن تكون وإياها فى انسجام ، وهدوء بال . ولا يجد أحمد زكى حرجا فى أن يعبر عن هذه بمثل واقعى من الحياة ، وذلك أن الدكتور عبد الجليل الجوادى كان أستاذًا للنبات فى جامعة مصرية (هى جامعة الإسكندرية) وأصابه من الناس فيها عنت ومشقة ، وأودى فى عمله ، فظن أن فى الهجرة خارج مصر متنفسا له ولعلمه ، وترك البلد ، وسافر ، فعمل فى أمريكا ، وما لبث بها وقتا قصيرا ، حتى كان أحمد زكى هناك فى رحلته التى استطلع فيها أحوال مراكز البحث العلمى فى البلد الكبير ، فطلب مقابله . وقابله ، واستمع أحمد زكى منه إلى قصته ، وما عاناه ، وحاول أن يرغبه فى العودة إلى الوطن بعد عام أو عامين ، فوجد عند الدكتور الجوادى رفضا وتصميما شديدين . ثم مرت فترة قصيرة ، وأتى الدكتور أحمد زكى الخبر بأن الدكتور الجوادى أنهى حياته منتحرا . ويحكى أحمد زكى هذه القصة مشيرًا بصراحة إلى اسم العالم المصرى فى مقاله « هربوا من الحياة ، فلاحقتهم » الذى نشره فى الإثنين ، ثم أعاد نشره فصلا فى كتابه « ساعات السحر » .

ويقول أحمد زكى : « إن صاحبنا الذاهب أصابه فى مصر من الناس لاشك شئ كثير ، ولكن أكثر ما أصيب به كان فى نفسه ، تلك النفس الحساسة ، القلقة ، المريضة ، التى أخذت تدفع لوم الناس بلوم ، وترد لهم التهمة بتهم ، وتتلقى البصقة القليلة تلوكها لتردها إليهم أكبر حجما وأكثر لزاجة ، حتى حصلت من خصومة الناس هم الحياة ، وشغلها المرض والقلق والحس المرهف عن القعود فى هدوء تدرس فيه أسباب كل هذا الشغب لتبدأ بنصيبتها من إصلاحه ، بل لعلها عرفت بالحس الخفى ما سوف يؤدى إليه هذا القعود ، وكرهت نصيبتها من الإصلاح ، فأثرت عليه لفحة الخصام ووطيس الحرب » .

« وذهب الدكتور المسكين ذلك المذهب البعيد ليبرا من الناس ، وبرئ ، ولكنه لم يبرا من نفسه ، لأنه لا يستطيع البعد عنها ، وكيف وهو يحملها بين جنبيه ؟ ! » .

ويستطرد أحمد زكى من هذه النقطة إلى القول بأن الأسرة قد تكون هى الأخرى عاملا تضيق به نفس الإنسان ، فيخرج عن طوقه . وقد تكون هذه النقطة بعيدة عن الترتيب الطبيعى لهذا الباب ، ولكن لابد لنا من أن نطالع فكرة أحمد زكى عن أثر الأسرة فى التوافق النفسى :

«وأخرون عرفناهم لم يضق بهم وطن ، ولكن ضاقت أسرة ، واتخذوا الزوجة من بعد الزوجة ، وحسبوا فيمن تركوا السوء ، وفيمن استجدوا الخير ، وتكذب التجربة ، فيعودون يطلبون الزوجة الصالحة ، وما في الزوجة الفساد ولكن في الزوج ، وأنى له أن يرى ؟! ولم تخلق بعد المرأة التى يرى بها الرجل نفسه كما يرى وجهه ، إذن لعلم أنه فى مهر به إنما يهرب من نفسه ، وهو لا يستطيع منها هربا ، وأنه لا يستطيع أن يجد الزوجة الصالحة ولو بلغ الزوجات ألفا ، وأن عليه أن يطلب أول ما يطلب ، النفس الصالحة » .

ويؤكد أحمد زكى على أهمية فكرة الرجوع إلى النفس للاستهداء بها فى كل ما تفترق فيه الطرق ، وهو هنا يؤكد على النسبة بين النفس والدنيا ، لا تقليلاً من شأن النفس ولكن تقريراً لقيمتها الحقيقية ، وهى عظيمة !

«إذا ما ضقت أو قلقت ، فارجع إلى نفسك ، وانظر ما بها . إن الدنيا كبيرة عظيمة لا يمكن أن يغير الفرد ما فيها ، ولكن النفس صغيرة قليلة ، وهى ملك صاحبها ، إذا لم تكن غلبته تملكه ، وإذا ضاع اتساق بين كبير وصغير ، وكثير وقليل ، أعيد الاتساق بتعديل القليل الصغير ليتفق مع الكثير الكبير ، فعدل من نفسك تعدل الدنيا » .



متعة الحياة

يحث أحمد زكي قراءه على ضرورة الاستمتاع بالحياة ، لا استمتاع اللاهى العايب ، ولكن استمتاع المقدر للحلاوة والمرارة والعامل للحياة وما بعد الحياة .

وفي مقاله « الحرب اليوم علم وتكنية » (مجلة العربى : ٣ / ١٩٦٩) ، لا يجد أحمد زكى بداً من أن يقول فى وسط الحديث عن هذا الموضوع الخطير الذى هو الحرب :

« ويجب أن تستمتع بالحياة ، وتهمس لها . تستمتع بحلوهها وملحها وبحاذقها ، ولا تجعد الوجوه تقززا من مرها لأنه كائن ، وكل كائن هو بعض الحياة . فإذا جاءنا المر ، ونحن فى نشوة من حلاوة ، وجب أن نقف بالحلل عند غايته ونقول للمر تقدم فما عليك من بأس » .

« نعم يجب أن يتعلم — الشباب منا والرجال — أن الدنيا ورد وأشواك ، وأن الله ما جمع الورد والشوك على ساق واحدة عبثا . إنها رمز الحياة » .

وفى حديث له عن الإجازات والاستراواح ، بعنوان « أخذت إجازة من نفسى » (الهلال : ٧ / ١٩٥٠) ، يقول أحمد زكى : « إن أكثر ما يعكر على الإنسان صفو الحياة ، تلك اللفتة التى يلتفتها المرء إلى الورا إلى الأمس ليذكر . . أو امتداد العتق لتتظر عليه إلى أمام إلى الغد » .

« إن الرجل فى إجازته يجب أن يتذكر حاضره . يجب أن يأخذ إجازة من نفسه ، من ماضيها ومن مستقبلها ، وألا يعنى بغير الحاضر . يجب أن يحزم فى حقيقته ما شاء إلا الهم هماً سلف ، أو هماً يستقبل » .



المعاملة

يستلقت عالمنا النظر إلى الأهمية القصوى لحسن العلاقة مع الناس ، وهو يؤمن بصعوبة تحقيق هذا الخلق ، ولكنه يؤمن أيضا بأنه ممكن وليس مستحيلاً ، وهو يسمو بمكانة وقيمة هذا الخلق إلى درجة رفيعة ويؤكد على أهميته المرة تلو المرة ، وبخاصة في فصول كتابه « ساعات السحر » التي كانت في الأصل مقالات في مجلتي الإثنين وفي الهلال في أواخر الأربعينيات ، وهي الفترة التي بدأت فيها عناية الدكتور أحمد زكي بالحديث عن فلسفة الحياة وفي هذا المعنى يقول : « قالوا إن الدين المعاملة ، وأقول إن العيش المعاملة . المعاملة بين الناس شاقة حتى على النية الحسنة . إنه العيش المعاملة بين شيتين قلما أن يكونا خلقا ليتفقا ، والتسويق بين أمرين قلما أن يكونا وجدا ليتسقا ، والتعشيق بين ترسين من فولاذ في مكنة الحياة ، قلما أن يكونا صبا ليتعشقا » .

وهكذا يمضي أحمد زكي ليقنعنا في عبارات مطولة بأننا قد ننكر من الطبيعة الجامدة أشياء كثيرة ، حرا ، وبرداً ، ومطرًا ، وجفافًا ، وربما رمالا ، ومع هذا نصبر على أسواء الطبيعة : الحياة ، وأحداثها ، وأجواء الناس .

ويخلص أحمد زكي بنا إلى الفكرة المحورية حين يقول : « إنك لا تستطيع أن تكون هذا أو بعضه ، إذا أنت لم تكن قادرًا على أن تجعل ما بينك وبين الناس عامرًا ، وأن تجعله موصولًا ، وتجعله صافيًا ، أو إذا هو تعكر ، أن تحتمل العكر ، وتحتمل القذى ، وتحتمل الأذى » .

« إنك يا صاحبي ذو حس مرهف ، تسيئك الكلمة النابية ، والنظرة الجافية ، والفعلة النكراء ، فتجفل منها ، وتعطي ظهرك للعنصرية . إن الذي أريده منك أن تفعل كالقطط ، تقذفها الناس بالأحجار ، ولكنها تثبت على البيت الذي خرج منه الحجر ، لأنها تعلمت بالتجربة أن البيوت كلها بها محصول من الحجر وافر . سوف لا يغنيك أن تتحول عما أنت فيه ، فإنك حينما تحولت ، ستجد الأرض هي الأرض ، والسماء هي السماء ، والناس هم الناس » .



الإحساس بالزمن

قد لا يكون من قبيل التكرار أن نستشهد هنا في معرض الحديث عن تهوين الدكتور أحمد زكي لمصائب الدنيا بقول له تناولنا معناه في الجزئية الثانية مع هذا الفصل حين أردنا أن نعبر عن فهمه لثنائيات الحياة ، وهذه الطبيعة الثنائية فيها ، يقول أحمد زكي : « إن الله أعطى الإنسان اللسان يكشف به عن نفسه ، ولكنه أعطاه كذلك الصمت يستر به على نفسه . ولو تحدث الناس بالذي في طواياهم ، وصدقوا ، لعرفوا أن حظوظ هذه الدنيا من خوف أكثر من حظوظها من اطمئنان ، وقسمتها مما يسوء أكثر من قسمتها مما يسر ، ولو أن الناس نطقوا ، وأفصحوا عن نية خالصة لها انهم بالشركة فيه ؛ أو لها ان التعاون عليه واستئصال أسبابه » .

وجوهر فلسفة التهوين في الفقرة السابقة هو المشاركة (الشركة) أو التعاون . على أن هناك فلسفتين أخريين للتهوين : الثانية عبر عنها الدكتور أحمد زكي في مقاله « تحرك الزمن فتحركت همومه (الهلال : ١٢ / ١٩٤٧) ، وتكمن في توحيد المكان على نحو ما يحدث في ميدان الحروب حين يموت الجمع مرة واحدة :

« والإنسان يفقد أمه أو أباه ، أو يفقد ولده ، ولا يكاد يخطر له في بال أنه في تلك الساعة ذهب عن الدنيا ألوف من آباء وأمهات وأولاد ، جمع بين أحداثهم الواحدة ، الزمن الواحد ، وفرق بينها المكان . ولو توحيد المكان ، لكان من الأمر ما هان ، لهذا كان موت الميدان ، في الحروب ، أخف من موت الفراش في الأسرة ، هؤلاء يموتون جماعة ، وهؤلاء فرادى . ومن الأحداث ما يجمع بينها المكان الواحد ويختلف الزمان ، ومن ذلك ذهاب الجد والأب والولد من بيت الأسرة الواحدة يمضون على أحقاب متفرقة ، فيزيد في ألم الشتات اختلاف الزمان ، لارتباط بحاضر ، وتعلق بماض ، وتربص بمستقبل » .

أما الفلسفة الثالثة فتكمن في الإحساس بالزمن الجارى الذى لا يدع لك فرصة للتفكير الطويل في مسألة الفاجعة : « إن الإحساس بالزمن الجارى ، يذهب عن الناس بشيء كثير من مواجهتهم ، ويذهب كذلك ببعض مفارحهم ، وهو فى الحالين كسب ، لأن مبناه فى الحقيقة الشعر والخيال » .



ولنا بعد هذا كله أن نسأل القارئ هل وجد في هذا الفصل ما قد يفيد في فن الحياة، أو في أن يحيا الحياة كما أرادها الله ، أو كما يريد لها لنفسه ، أو كما أرادها أحمد زكي ؟ أو هل خرج القارئ بنتيجة تيسر عليه أن يفهم بعض فلسفة هذه الحياة الدنيا ، أو بعض أمور الحكمة فيها ؟ أو هل أضاف إليه شيئاً يستطيع به أن يحكم على موقفه من حياته أو أن يتحكم به في مسارها ؟ . أو هل أضاف هذا الفصل شيئاً إلى ثقافته ، ثقافته العامة ، أو ثقافة الحياة ؟ هل فتح عينيه على سعادة لم يكن يجدها ، أو على باب للسعادة لم يكن يعرفه من قبل ؟ لو كان لهذا الفصل بعض هذا فإن للمؤلف أن يسعد ، ولو لم ينل هذا الفصل من قارئه بعض هذا أو لو لم ينل به قارئه بعض هذا ، فإن أمام المؤلف ثلاث فلسفات للتهوين من أمر المصائب قد سردها المؤلف عن قرب في الجزئية العاشرة ، مع إيمان المؤلف أن أعماله مهما بلغت لا تصل إلى هذه الدرجة من الأهمية !

المصادر

- « أصحابي الذين خابوا » (الهلال : مارس ١٩٤٧) = (الفصل الثامن عشر من ساعات السحر).
- « تحرك الزمن فتحركت همومه » الهلال : ديسمبر ١٩٤٧ = (الفصل الثاني والعشرون من ساعات السحر).
- « سلاسل وأغلال » (الهلال : ديسمبر ١٩٤٨) = (الفصل الحادي عشر من ساعات السحر)
- « دنياك لا تحشها أبداً » (الهلال : يناير ١٩٤٩) = (الفصل السابع من ساعات السحر)
- « الكذب » (الهلال : إبريل ١٩٤٩) = (الفصل الثالث عشر من ساعات السحر)
- « إلى أين المسير؟ » (الهلال : فبراير ١٩٥٠)
- « هربوا من الحياة فلاحقتهم » الفصل السابع والعشرون من ساعات السحر، نشر قبلاً بمجلة الإثنين.
- « الحياة جسر لا بد أن يعبر » (العربي : مايو ١٩٥٩).
- « هكذا أدبنا أشياخنا » (الهلال : مايو ١٩٥٠).
- « أخذت إجازة من نفسي » (الهلال : يوليو ١٩٥٠).
- « الحياة فن عسير . . استفد من تجاربي » (الهلال : ديسمبر ١٩٥٠).
- « سألت عن السعادة » (الهلال : فبراير ١٩٥١).
- « النجاح في الحياة حظ » (الهلال : يونيو ١٩٥٦).
- « الحرب اليوم علم وتكنية » (العربي : مارس ١٩٦٩).

10/10

- ☐ 1. The first part of the question is about the definition of a function. A function is a rule that assigns to each element of a set A exactly one element of a set B .
- ☐ 2. The second part of the question is about the domain and codomain of a function. The domain is the set of all elements that can be input into the function, and the codomain is the set of all possible outputs.
- ☐ 3. The third part of the question is about the range of a function. The range is the set of all elements that are output by the function.
- ☐ 4. The fourth part of the question is about the image of a set under a function. The image of a set S under a function f is the set of all elements that are output by f when the input is an element of S .
- ☐ 5. The fifth part of the question is about the pre-image of a set under a function. The pre-image of a set T under a function f is the set of all elements that are input into f and output an element of T .
- ☐ 6. The sixth part of the question is about the composition of two functions. The composition of two functions f and g is a new function $g \circ f$ that maps an element x to $g(f(x))$.
- ☐ 7. The seventh part of the question is about the inverse of a function. The inverse of a function f is a function f^{-1} that maps an element y to the unique element x such that $f(x) = y$.
- ☐ 8. The eighth part of the question is about the identity function. The identity function is a function I_A that maps each element x of a set A to itself.
- ☐ 9. The ninth part of the question is about the constant function. A constant function is a function c_A that maps every element of a set A to a single element c of a set B .
- ☐ 10. The tenth part of the question is about the inclusion map. The inclusion map is a function i_A that maps each element x of a set A to itself, where A is a subset of a set B .

الفصل الخامس

العروبة

لا يخلص العرب في النكبات غير العرب ، وغير التمسك بالوحدة عندما تمهد النكبة للفرقة ، شريطة أن يكون عند كل بلد عربي ما يؤهله للوحدة .

سنحاول إن شاء الله أن نركز الأفكار في هذا الفصل إلى أقصى حد ممكن ، بعدما أفضنا في فصل سابق في الحديث عن الفكر السياسي لأحمد زكي ، وقبل أن نتعرض في الفصل السادس إن شاء الله لأرائه في قضية الإسلام والعصر الحديث ، ولا بد أن نشير هنا إلى أنه لا بد للقارئ لكي يستكمل الصورة في آراء أحمد زكي في مسألة الوحدة العربية أن يرجع إلى الفصلين الذين أشرت إليهما توا .

وربما تأتي أهمية رأي أحمد زكي في الوحدة العربية من سيرة حياته شخصياً ، فهو عالم مصري ، ذهب فأقام في الكويت ، ليرأس تحرير مجلة تصدر للعرب أجمعين وتحمل اسم العربي .

والأهمية ليست شكلية فحسب ، ولا نظرية فحسب ، وإنما هي بالطبع أعمق من هذا وذاك .

تحدث أحمد زكى برأيه فى الوحدة : وجودها ، وحقيقتها ، وسبلها ، وكيف الوصول إليها ، فى كثير من أحاديث الشهر ، ولن نسرد هنا كل ما قاله ، ولا كل مقالاته ، وإنما سنمضى على نحو لا يرتبط بالترتيب التاريخى ، ولا بالاستقصاء ، ولكنه يرتبط بالقدرة على الإبانة عن أفكار الرجل فى هذا الشأن .



كتب الدكتور أحمد زكى فى افتتاحية المجلة (العربى : ١/ ١٩٦٦) يتحدث عن الأعوام السبعة الماضية من حياة مجلة العربى ، فأشار إلى أن هناك موضوعات تغلق دونها أبواب النشر فى العربى ، إذ لا يمكن معالجتها ودخول « العربى » بها فى كل البلاد العربية مع المزاج الفكرى الحاضر . وضرب مثلاً بالاشتراكية ، ومثلاً آخر « بالوحدة العربية » ، وذكر أنه إذا تحدثنا الآن عن الوحدة ، وتحدثنا صادقين ، وخلعنا أدب السياسة والساسة والعقائدية ، لقلنا إن الوحدة الشاملة الكاملة تراجعت اليوم فى حسابان العرب إلى حيث تراجعت بها التجربة المرة والأحداث . « والحديث اليوم أولى أن يكون فى وحدة كل قطر ، الوحدة الداخلية التى لا تكون وحدة خارجية إلا بها ، وحدة الكيان الذى فيه بناء الدولة . هذه الوحدة الداخلية فى حاجة إلى رعاية كثيرة فى أكثر البلاد العربية ، وإلى بحث كبير ، وإلى حديث كثير ، إذ كيف يمكن التوحيد بين وحدات هى فى داخلها متصدعة ؟! » .

وبعد شهرين عاد الدكتور أحمد زكى (العربى : ٣/ ١٩٦٦) ليجعل عنوان حديث ذلك الشهر : « الوحدة العربية . . ليست شعاراً سياسياً يصرخ به الصارخون ليحجب الحقائق المرة حتى تفضحها الأيام » ، فذكر أن كثيراً قد أرسلوا يعاتبونه على هذا الكلام الذى كتبه . وأضاف أن أحدهم ناقشه فى رسالة ، ثم قال له فى آخرها : . . هب هذا حقاً ، فما كان لرئيس تحرير « العربى » أن ينطق بمثله !! ولم يجد أحمد زكى حرجاً فى أن يسخر من هذا الرأى بقوله : « عنده أن رئيس تحرير « العربى » يجب أن يكون حامل شعارات فى الأمة العربية ، دائماً يصرخ بأخبار الشعارات ، ولو كذبا ، حتى تصبح الأمة ذات يوم فتجد العدو عند عتبات دورها يدق بكعوب بنادقه الأبواب » .

(ولنا أن نلاحظ أن هذا النص نشر قبيل النكسة بعام وشهور) .

ويؤكد أحمد زكي بعد هذا في مقاله أنه ليس شيء أحق بالقول من هذا الذي قاله رئيس تحرير العربى في ذلك المقال .

بل إنه يزيد فيقول : « إن الوحدة العربية في ظروف التاريخ العربى الحديث ، ومع رواسته ، هى كوارث » .

ويحذر من أنها « شىء لا يمكن أن يتقبله الناس على مستوى عواطف الجماهير والشعور العام وحده ، لأن وحدة تبنى على هذا المستوى تكون الشىء الطافى ليس لها قرار . ليس لها عمد متأصلة فى قاع البحر تعمدها . . إن تذوق الجماهير الوحدة تخيلاً غير مذاقها فعلاً » .



الإقليمية والوحدة

ويرجع الدكتور أحمد زكى السبب فى انهيار الوحدات القائمة على عواطف الجماهير إلى الإقليمية المتأصلة فى طباع هذه الجماهير . ولكنه مع هذا ينظر إلى هذه الإقليمية نظرة موضوعية ، ويقرر أنها بعض صفات النفس الإنسانية ، حتى فى البلد الواحد . ويضرب الأمثلة الكثيرة على هذا المعنى . فدمشق أحب للدمشقيين من حلب . . . إلخ . ثم يفرق بين إعلان الحرب على الإقليمية وإعلان الحرب على الغلو فيها : « إن الإقليمية مزاج طبيعى محمود فى اعتداله ، مردول فى غلوائه ، وما القومية إلا نوع من الإقليمية السليمة ، ومنها حب الأوطان » .

« وللإقليمية حتى فى البلاد المستنيرة حساسية تجاه كل غريب عن البلاد ، لا سيما فيما يتصل بالسكان فى البلاد . لقد كره الفرنسيون وجود الجنود الأمريكين فى فرنسا بعد حرب ، وهم مخلصوهم من نكبتهم . . » .

ويتناول الدكتور أحمد زكى العلاقة بين القومية والوحدة العربية فى صراحة ووضوح ، فيقول : « إن الوحدة الكاملة الشاملة الدستورية التى تشيع فى أفهام الناس تتطلب نزول البلد الواحد عن بعض وجوه السيادة فيه ، فكيف يرجى من تلك الإقليمية التى نعرفها اليوم فى البلاد العربية أن ترضى بهذا ؟ هذا إذا كانت حرة فى اختيارها ، فكيف إذا لم تكن ؟

« إن سنين من التوعية طويلة يتطلبها التحضير الشامل للوحدة الدستورية الكاملة الشاملة ،
إن تكن هذه حقاً فهي خير مظلة تستظل بها البلاد » .

لهذا فإن أحمد زكى يؤكد على ضرورة قيام كل بلد بالتحضير ، بالعمل على التشابه « علماً
وأدباً ، وثقافة ولغة وتنشئة أجسام وتربية أفهام ، ومعالجة مال ، واستثمار أرض وتصنيع موارد ،
بحيث يجعل كل وجه من وجوه الحياة هنا شبه أخيه هناك إلا فيما تدعو إلى الخلاف فيه مصلحة » .
ومعنى هذا « ممارسة التعاون على طول الخط » ، وهذا هو السبيل المفضل من أجل تحقيق هذه
الغاية .



تقوية الأجزاء :

« ولا بد في هذه السنوات من اشتغال كل أمة بأمور نفسها اشتغالاتاً كاملاً حيثما تحاول به أن
تسبق الزمان سبقاً ، تزرع البلاد إذا لم تكن تزرعت ، وتصنع إذا لم تكن تصنعت . . » .

« إن الوحدة إذا تعثرت قليلاً ، أو إذا هي تجهم لها الدهر قليلاً أو كثيراً ، فخير ما تنفق البلاد
فيه زمانها - دون أن تنسى الوحدة - هو قيام كل بلد عربى بالعناية بأمر نفسه ، بإرساء مقومات
الحياة فيه ، أساطين عريضة ، تحمل مطالب هذا العصر الحديث وحاجاته الثقيلة ولا تتزلزل » .

ويلخص أحمد زكى فكرته في هذا المجال في عبارة أروع من عبارة نسبت إلى سعد زغلول
ومصدر الروعة فيها أنها استمدت التقرير والتقدير من الدرجات لا من مفهوم الأبيض والأسود
حيث يقول : « ولنذكر دائماً ، أن الوحدة ، التى تضم آخر الأمر نياقا ، غير الوحدة التى تضم
فيلة وفهوداً وآساداً » .

أليس ذلك خيراً من القول بأن الصفر والصفر صفر كبير ! والواقع واحد أو يكاد ؟ ! .

ونواصل عرض آراء أحمد زكى في موضوع الوحدة العربية « في مقالات أخرى ، ولكن على
طريقتنا هذه في التبويب » :



الشعوب والوحدة :

وكان أحمد زكى لا يفتأ يدعو إلى توعية الشعوب بمدى التضحيات من أجل الوحدة، حتى يتبين استعدادها: « علموا الشعوب أن الوحدة الشاملة أخذ وعطاء ، وهذا حق ، ولكن علموهم أيضًا أن الوحدة الشاملة ستجمع بين السباع والذئاب والنعاج ، وأن النعاج لا بد مأكولة . وعلموا الشعوب التي عندها ما تعطى ظاهرًا وليس عندها ما تأخذ ظاهرًا بأن الوحدة غرم عليها واستغلال . (العربى : ١ / ١٩٧١) .



التقسيمات والمحاور :

وكان الدكتور أحمد زكى لا يفتأ يتحدث عن خطورة التقسيمات إلى اشتراكية وغير اشتراكية وملكية وجمهورية . وكان يناقش هذه الآراء فيمحصها ويبين أن النفع ليس فى الشكل ، وإنما المضمون .

وكان يرى أن الحل فى هذه الأمور هو معالجتها بهدوء : « إنها صنوف من الاختلاف تمنع من ائتلاف ، إما أن نعالجها بحكمة ، وإلا فعلى العروبة والإسلام كليهما السلام » .



الوحدة الاندماجية ليست اليوم :

ومن هذه المقدمات كلها يصل أحمد زكى إلى أن يستنتج ويقرر أنه « لا يمكن أن تكون هناك وحدة اندماج تكون فيها للعرب حكومة واحدة تنظر في شتى أمورهم وتدفع عنهم غائلة الأيام من الخليج إلى المحيط . إلى هذا يجب أن ننتهى ، وبهذا نصرح ولا نخدع الناس » .

« وتبقى الوحدة الكاملة الشاملة أملاً عسى أن تخطئ الآراء وتتغير بما لا نستطيع أن نتنبأ الأحوال » .

« وصلة العروبة لا يمكن أن تزول ، كما أنها ، على التقدير الحاضر للأمور لا يمكن أن تنتهى إلى وحدة كتلك التى ننعته بالكاملة الشاملة » .

« وإن لم تكن وحدة واحدة شاملة كبيرة ، فلتكن وحدات مجزأة صغيرة » .



وحدات لها أولوية

ونعود لتأمل في هدوء وسرعة — إن جاز هذا التعبير — آراء أحمد زكى في عناصر الوحدة ، والطريق إلى الوحدة الشاملة ، هذه الآراء التى أبداهها لحسن الحظ وجاهر بها مع انعقاد مؤتمر القمة العربى الأول فى عام ١٩٦٤ . . كان أحمد زكى يرى أن هناك وحدات كثيرة أولى بالرعاية . . . والوحدة الثقافية أولى هذه الوحدات بالرعاية ، وهى أسهل شئ تحقيقاً فى مثل عالمنا العربى ، لسان واحد ، وتاريخ واحد ، وعادات موروثة واحدة ، وجهاد واحد للخروج من تخلف آثاره فى الوطن العربى كله واحدة ، والثقافة تتأقلم ولكن لا يبلغ بها التأقلم حد التنافر .

والوحدة الاقتصادية : كالوحدة الثقافية من حيث الخطورة ، فالثقافة حاجة الروح والاقتصاد حاجة البدن ، ولعل حاجة الأبدان أكثر ربطاً للأقدام من حاجة الأرواح . والوحدة الاقتصادية العربية بالطبع لا تسد النوافذ على أسواق الدنيا الواسعة العريضة . تأتى بعد ذلك وحدتان الدفاعية والسياسية ، ولهما أهداف سواء .

الصفاء مع الفرس والباكستان :

سيجد القارئ في الفصول التي تناولت الفكر السياسي لأحمد زكي أننا تناولنا ما تعرض له أحمد زكي من الحديث عما بعد الحرب، ودعوته إلى الانفتاح على العالم بدءًا بالجيران الأقربين، وإلى التوسع في معنى العروبة والاتجاه إلى الإسلامية . . . والحق أن أحمد زكي لم يناد بهذه الدعوة بعد نصر أكتوبر فحسب، ولكنه كان ينادى بها منذ ما قبل عام ١٩٦٤ على الأقل، حيث كان يدعو إلى إعادة النظر في العلاقات مع الفرس والباكستان، وإصلاح شأن هذه العلاقات، وكان يقول: « إن أقدمًا مست الأرض في القرن العشرين، يجب أن تحمل رءوسها معها، فلا تتركها ترعى المر والخنظل من زرع ماضيات القرون ». وفي موضع آخر يحث أحمد زكي على إصلاح شأن هذه العلاقات فيتساءل: « لقد وسعت سماحتنا بل وصادقنا أمم الأرض . . فكيف لا تتسع لشعوب شاركتنا في صنع أمجاد لنا ولهم قديمة، وقاسمتنا أرزاء للزمن حاضرة؟! » ويحذر بصوت عال من أن نخضع هذه الأمور للجدل « لا سيما إذا استعين فيه بنش الماضي بعيده والقريب، حينذاك يتغيب ويصبح الحق وكأنه الباطل. (هل كان الرجل ينظر من وراء حجاب إلى ما حدث بعد وفاته بسنوات في حرب الخليج الأولى)؟! »



هل العروبة عروبة دم؟:

مع عدم استقرار أحمد زكي على تحديد معنى دقيق للعروبة إلا أنه كان يجاهر في صراحة (العربي: ١١ / ١٩٧٠) بأن العروبة ليست عروبة دم أبدًا، ولا عروبة عروق موروثه، وأكثر ما يقال في هذا الأمر وأوضح ما يقال: إن الدم العربي دخل على القرون الطويلة شرايين الكثير ممن ينطقون اليوم بالعربية. وسواء دخل كثيرًا أو دخل قليلًا، أو حتى لم يدخل أبدًا، فإن دخول الدم الأجسام لا يعنى عند العلماء شيئًا، حتى اختلاط الانساب لا يدوم أثره أكثر من ثلاثة أجيال أو أربعة أو خمسة ثم يمحي . .

دور اللغة في تحقيق الوحدة :

ومع هذا فقد كان ، أحمد زكى يرى (العربى : ١١ / ١٩٧٠) أن اللغة لغة الناس ، هى المكون الأول لقوميتهم ، فهى الوعاء الذى يحمل حاضرهم بكل ما فيه مما يسر وما يسيء ، وهى الوعاء الذى يحمل ماضيهم ؛ وما الحاضر إلا إرث من الماضى ، وهى الوعاء الذى تجدف فيه كل آمال القوم ، وكل آلامهم ، والخوافز التى تحركهم جميعاً فى مسالك الحياة جميعاً : كيف يسلكونها ، وإلى أى الغايات يسلكون ؟ « لكادت اللغة والقومية أن يكونا شيئاً سوياً » .

لهذا كان تركيز أحمد زكى شديداً على هذا الدور الذى تلعبه اللغة ، فهو يقدره حق قدره ، ويدعو إلى الاهتمام به ، ويجعل له المنزلة العظمى فى مسألة القوميات .

فأما عن تقديره له ، فقد سقنا فى الفقرة السابقة بعض عبارات تشي بهذا التقدير العميق . وأما عن دعوته إلى الاهتمام به ، فهذا هو موضوع فقرات تالية حول المشرق العربى والمغرب العربى كيف فرقت بينهما اللغة . وأما إن أحمد زكى يجعل للغة المنزلة العظمى فى مسألة القوميات ، فقد سبق أن أوضحنا هذه النقطة بكثير من التفصيل فى الفصل الأول من هذا الباب وهو الفصل الذى تناول الفكر السياسى للدكتور أحمد زكى وتحديداً فى الجزئية الخاصة بالقوميات .

ومن الواضح جداً أن أحمد زكى كان يرى ، لا فى سياق كتاباته فحسب ولكن فى «نصوص العنوان» وبأكبر ببط ، أنه « من وحى رحلة فى المغرب العربى لصيف عام ١٩٧٠ . . اللغة العربية إن شقت الوطن العربى شقين . . فشق ينطق بالضاد ، وشق ينطق بغير الضاد . . فذلك قضاء الله لا دافع له » . وهو يذكر أن المغرب العربى قد عانى من الاستعمار الفرنسى «اللاتينى» الذى عرفنا من خصائصه حب صبغ مستعمراته بلون ولغة . . وهكذا عانى مغربنا العربى من هذا التغير الخطير .

ويمضى أحمد زكى فى شرح أبعاد المشكلة وحلولها وكيف أن الأمل فى حلها كبير ، وخصوصاً للأسباب الآتية :

□□ إن الريف ، وهو أكثر البلاد لا يتكلم إلا العربية ، ولو عامية محلية .

□□ إن الذين يتكلمون لغة المستعمر فى العواصم من الجمهور لا يتكلمون من هذه اللغة ولا يعرفون منها إلا القدر الذى تستوفى حاجات الشوارع والأسواق والجارى السارى من المعاملات .

□□ إن المستعمر خلف البلاد فى جهالة غامرة ، وإذن لا بد من أن يبدأ تعليم السواد من جذوره ، وحيث بدأنا من الجذور وجب أن تكون البذور عربية .

□□ إن طائفة الوطنيين المثقفين ثقافة فرنسية ، وهم قلة لهم كل عطف بحسبانهم ذلك ، فهؤلاء أمرهم يسير، ليس فيهم من يعجز عن أن يستدرك من لغة آبائه ما فات ، ولن يساء أحد بسبب اختلاف الدهور وتقلب الحظوظ .

ومع ذلك فإن أحمد زكي يركز على الاختلاف الناشئ بين ضلعى الوطن العربى ، وأثره السيئ فيما يتعلق بمسألة الوحدة العربية .

ويعنينا من هذا الحديث ذلك الفهم التطبيقي للأثر الخطير الذى هو للغة فى صنع القومية وقيام الوحدة ، ونحن نشير على القارئ بالرجوع إلى هذا الحديث للاستمتاع بهذا الأثر الفكرى الرائع .



الانسجام مع الجماعة هو السبيل إلى الحياة :

يهدف أحمد زكي من هذا الشعار الذى رفعه فى أوليات مقالاته بالعربى إلى أن ينسجم الفرد مع رأى الجميع حتى لو عرف بضلاله ، وأدرك خطأه . ويمضى يذكر لنا أمثلة ومواقف من التاريخ العربى ، كان من أبطالها الشاعران الكبيران دريد بن الصمة ، ومحمود سامى البارودى ، يدركون أن الجماعة تذهب بعيداً عن الصواب ، فكانوا يذهبون معها ، حتى لا يفتحوا باباً للشقاق ، ولكنهم سجلوا بأشعارهم أنهم كانوا على صواب ، وبقيت لنا هذه الأشعار تبرئهم من فساد رأى ، وتذكر لهم فضل الانسجام مع الجماعة .



ولكن لا بد للعمل الجاد من أجل الوحدة :

وعبارات أحمد زكي فى هذا المعنى غنية عن التعليق . وعن مقال له (مجلة العربى : ٣/ ١٩٦٤) ننقل قوله : « إن السماء لا تستجيب لدعاء إلا أن يعمل له الداعى أولاً فوق هذه الأرض . ولقد نظرنا فى أسباب الفكر الذى كان ، فرضيناها قواعد تترك لكل بلد أعتته فى أيدي رجاله ، ونتواصى ، ولكن على الرفق ، ونجعلها حلبة سباق تسبق فيها الجياد الضامرات الفضليات فى كل مرفق من مرافق الحياة ، وفى حلبة السبق يتعلم أصحاب الجياد الشئ الكثير » .

« واختصاراً نعود إلى المزاج العربي الذي كان سائداً عام ١٩٥٦ ، حين لم يكن بين العرب روابط إلا روابط قلوب ، حين وقع الاعتداء المسلح ، فاهتز له الوطن العربي بمثل ما لم يكن يرجى له أخيراً أن يهتز ، والدعوة إلى « الوحدة الشاملة » قائمة مسمعة تصم الأذان » .

مخاطر ضياع الوحدة :

ليس من خاتمة في هذا الموضوع أبلغ أثراً من خاتمة التحذير والتنبيه في قول الرجل : « وبضياع الوحدة تكون مرارة في الأنفس شديدة عميقة ، لو كانت في اللسان ما ذهب بها حلاوة يجتمع على استخلاصها النحل من زهر الأرض جميعه . والعاقبة للصابرين » .

المصادر:

- « رابطة الثقافة أقوى من رابطة السياسة » (الهلل : ديسمبر ١٩٥٣).
- « الجامعتان العربية والإسلامية » (الهلل : نوفمبر ١٩٥٤).
- « القومية العربية تجتاز محناً ثلاثاً » (العربي : إبريل ١٩٥٩).
- « النكبة الكبرى نكبة فلسطين » (العربي : يونيو ١٩٥٩).
- « العروبة ليست رابطة دماء » (العربي : يناير ١٩٦٠).
- « الشعوبية نعمة عنصرية وتفتتت قومية » (العربي : فبراير ١٩٦٠).
- « أمجاد العرب هي أم أجداد المسلمين » (العربي : فبراير ١٩٦٤).
- « مؤتمر القمة العربي الأول » (العربي : مارس ١٩٦٤).
- « العروبة والإسلام » (العربي : يونيو ١٩٦٤).
- « بدأنا السنة الثامنة مباركة في حياة العرب » (العربي : يناير ١٩٦٦).
- « الوحدة العربية ليست شعاراً يصرخ به الصارخون ليحجب الحقائق المرة حتى تفضحها الأيام » (العربي : مارس ١٩٦٦).
- « نحن العرب : لا خوف علينا اليوم ولا غداً ، ولا بعد غد ولا نحن نحزن » (العربي : يناير ١٩٦٩).
- « المجتمع العربي » (العربي : أكتوبر ١٩٦٩).
- « رباطان هما مساك الأمم لا ينحلان أبداً : القومية والدين » (العربي : إبريل ١٩٧٠).
- « من وحى رحلة في المغرب العربي لصيف عام ١٩٧٠ » (العربي : نوفمبر ١٩٧٠).
- « إن تكن ماتت الوحدة الكاملة الشاملة . . فلنحى أجزاء في ظل العروبة متكاملة » (العربي : يناير ١٩٧١).
- « حضارتان عريقتان يعيش العربي في ظلالهما » (العربي : ديسمبر ١٩٧٢).
- « الانسجام مع الجماعة سبيل العروبة إلى الحياة » (العربي : ديسمبر ١٩٧٣).
- « الانفتاح على الدنيا ضرورة » (العربي : فبراير ١٩٧٤).
- « إذا جمعت الحرب فلا بد أن يفرق السلم » (العربي : مارس ١٩٧٤).
- « اختلاف الرأي في سبيل الخير غير اختلاف الرأي عن خبث ومكر » (العربي : مايو ١٩٧٤).
- « لا صلح بين الزعماء إذا لم يتبعه صلح بين الشعوب و صلح الشعوب أعصى » (العربي : يونيو ١٩٧٥).

الفصل السادس

الإسلام والعصر الحديث

« لقد كانت الحضارة العربية الإسلامية جديرة بأن تكون هي الحضارة الجديدة تعتنق الجديد اللازم لهذه العصور الجديدة ، وذلك بكل ما تضمنته من خير عظيم ، ومن ديمقراطية هي في أصل حياتها وثيقة وفيرة ، ولكن فاتها ما لم يفت أهل أوروبا من ضرورة تحرير الفكر قبل التفكير في التخطيط والتدبير . »

لعل فقرة الإطار السابقة تلخص في تركيز شديد الجزء الأكبر من أفكار هذا الفصل ، ولكنها مع ذلك قد لا ترضى البعض ، وهي على هذه الصورة من الإجمال والتعميم ، ومن هنا تأتي فرصة المؤلف في هذا الباب ، لا بالأطناب أو الأسهاب أو التعليق على ما لا يحتاج إلى التعليق ، ولكن بتناول الجوانب والنواحي والمزايا المختلفة لهذه القضية من خلال أفكار الدكتور أحمد زكي في عدد من مقالاته الصحفية المختصة .

وتأتى أهمية الطرح الفكرى للدكتور أحمد زكى فيما يتعلق بهذا الموضوع من حيث كان الرجل - بلا جدال - مفكراً إسلامياً غيوراً على دينه ، مهتماً بأمره ، مدركاً كيف يكون التوافق بين الدين والحياة ، دارساً وقارئاً للتاريخ ومدركاً لطبيعة التطور .

وقد لا يجد القارئ فى هذا الفصل حلاً لكل المعضلات التى تواجه الفكر الإنسانى فى العصر الحديث فيما يتعلق بهذه القضية ، ولكنه سيجد أسساً فكرية تمكنه من أن يبنى عليها من المواقف ما قد يساعده على الوصول إلى وجه الحقيقة فى كثير من هذه الجزئيات .

وسيالاحظ القارئ فى العبارات التى ننتقيها للدكتور زكى شيئاً من البلاغة الواضحة فى إعجابه بالدين الإسلامى وسماحته وقدرته على الاستيعاب والتوجيه والبناء . ويبدو لى أن هذه العبارات لا تنم عن عاطفة الدكتور أحمد زكى فحسب ، وإنما هى فى المقام الأول تعبر عن اقتناعاته الفكرية .

وفىما يتعلق بالدعوة إلى إنشاء جامعة إسلامية (توسيعاً للجامعة العربية) أو بادئ ذى بدء ، فقد أشرنا إلى هذه الفكرة لأحمد زكى فى الباب السابق من وجهتى النظر السياسية والعربية . أما هنا فسوف نشير إلى الفكرة من وجهتى النظر الإنسانية والإسلامية .

وقد يخرج القارئ من هذا الفصل وهو يشعر بقصره ، ولكننا نرجو ألا يشعر القارئ بقصور فيه ، فهذا ما بذلنا جهدنا من أجله قدر إمكاننا .



وقد يلاحظ القارئ من مطالعته لقائمة المصادر فى نهاية الفصل أن بعض العناوين التى أخذنا عنها لا تمت إلى الموضوع مباشرة . والواقع أن هذا يعود إلى أن أفكار أحمد زكى فى هذا الموضوع المهم لم تقتصر على مواضع معينة من مقالاته وأحاديثه ، وإنما كانت تفرض نفسها على قلمه فى كثير من المواضع .

يؤكد أحمد زكى بشدة على أهمية عنصر حرية الفكر . وهو يجاهر فى مقاله « معركة الفقر والغنى » (العربى : يوليو ١٩٧١) بأن مشكلة الإسلام جاءت من بعض الذين اتخذوا من الدين صناعة ، وضيقوا على الناس أبواب الفكر ، وحرّموا الفلسفة ، فى حين أن الإسلام هو أكثر الأديان تكريماً للفكر والعقل ، والجدل فى الإسلام أساس الإيمان :

« لقد أعطى الله العرب والمسلمين دنيا سمحة ، وآفاقاً للرأى واسعة ، وسعت الدنيا والآخرة ، وأعطاهم من الرجال المتحررين مثل من يقول لعامل له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ! ولكن قوما صار لهم الدين صناعة ، وما جاز الدين الإسلامى أن يكون صناعة لأحد ، عمدوا بحكم الصنعة إلى تضيق السبل وتعسير السبل فيها ، وإلى المبالغة فى الحذر ، حتى سدوا على الناس أبواب الفكر ، وجعلوا الفلسفة باباً كتبوا عليه « ممنوع الدخول » زيادة فى الخشية حيناً ، وجهلاً بالفلسفة أحياناً ، ولو علموا أن الفلسفة كالفكر قد تؤدي إلى الإيثار كما تؤدي إلى الكفر ، لما ألحوا وثابروا على ذمها إلى اليوم . هذا فى حين أنك لن تجد ديناً كرم الفكر ومجد العقل . كما كرمه ومجده الإسلام . والجدل فى الإسلام أساس الإيمان » .

ولأحمد زكى فهم متميز فيما يتعلق بجزئية وهو يقول فى وضوح رؤية شديدة : السباحة فى الدين ، ومعناها وعلاقة هذا المعنى بالإسلام كدين للمسلمين فى هذا العصر

« الدين الإسلامى سمح ، والدين السمع هو الذى يقول نعم أكثر مما يقول لا » .

« لا » لا بد منها ، ولكن لا نقول « لا » إلا بعد فكر كثير ، وحذر شديد ، وأخذ بما نؤمل للعرب والمسلمين فى مستقبل أيامهم ، لا من نعمة وخيفة هائلة ، ولكن من طيب حال وطيد ، وعزة وقوة وصفة لا تطيب بغيرها حياة أبداً ، ففى الآخرة عوض أن الله أوجدنا فى الدنيا لنبتس بها وليكون أجر بؤسها فى الآخرة !!

﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ . [الأعراف : ٣٢] .

و الإصلاح الدينى فى نظر أحمد زكى ليس إعادة تشكيل أو إضافة بقدر ما هو تخلص من التراكمات على نحو يخلص الإسلام مما أحاط به فى عصور متتالية ويرجع به إلى الدين يوم كان النبى ﷺ قائماً فيه :

« الإصلاح الدينى فى الإسلام هو الرجوع إلى الدين يوم كان محمد ﷺ قائماً فيه والاكتفاء بما كان من دين فى عهده ، وإلى وفاته . فلماذا ندعى بأن إسلامنا لا يصح ، إلا إذا عدنا إلى المؤلفات الكثيرة والمذاهب العديدة التى صنفتها القرون من بعد ذلك ، وهى قرون اختلفت والقرن الذى عاشه النبى ﷺ ، واختلفت وقرونا نعيش فيها اليوم » .

ولا يجد أحمد زكى حرجاً فى تحديد العلاقة بين الدين والحياة على نحو يتيح للأخذ برؤيته فى هذا الصدد نوعاً من التوفيق العقلى . وعبرة الدكتور أحمد زكى فى هذا المعنى جازمة حاسمة على الرغم من أن موضوعها متسع فضفاض . وهو يعبر عن هذا المعنى فى مقاله « الضمير لفظ له معنى فى اللغة لم يعرفه العرب » (العربى : ٣ / ١٩٧٥) فيقول :

« علم الله لا أقر ديناً لا يعمل في صالح من هم به مؤمنون ، فالمصلحة أولاً ، ورأى الرائي في تفسير النصوص يأتي في المقام الثاني . وأعلم أن رأى الرائي في تفسير النصوص يتلون بلون زمانه ، وللأزمنة ألوان شتى . وأعلم أن الناس تتطور ويتطور عيشها ، وتتطور أنظمة حياتها ، وتتطور مشاكلها فلا يبقى مما تعتمد عليه من مقالة قديمة للحكام ، أو رأى سديد كان لبعض البلغاء إلا ما اتصل بقواعد الحياة الأساسية الأولى التي يحاول الدهر أن يغير منها ويبدل ثم لا يكاد » .

وفي موضع آخر يرد أحمد زكي على مَنْ يسميهم بالمتحذلقين الذين رأوا في الدين وفي الإيمان تخلفاً ورجعية ، ومناقضة للتقدم ، ويختم حديثه الذي يواجه به هؤلاء بقوله : « حتى الإيمان لا يكون إلا بعد تفكير . والإيمان درجات ، لا أحسب أن رجلاً ، ذا دين ، يتفق فكره كله مع ما جاء بدينه حرفاً حرفاً ، ولا يخرج ذلك عن إيمانه » .



وفي هذا الإطار يأتي فهم أحمد زكي للتعارض الذي قد ينشأ بين الدين والحرية أو بين الدين والتحرر ويتعرض الدكتور أحمد زكي في مقال عن الحرية (العربي : ٣ / ١٩٦٩) للاتجاه إلى رفض الحضارة الأوروبية بحجة « معارضتها مع الدين » لما تحتويه من بعض التجاوزات في الناحية الأخلاقية التي يكثر الرافضون من ذكر أمثلتها ، ويفند الدكتور أحمد زكي المزاعم التي تغذى هذا الاتجاه على مدى فقرات مطولة ، وينهى حديثه بقوله :

« هذا إفك وبهتان ، فالصالح صالح في كل زمان ومكان ، وهم يقبسون للتشهير بالمدينة الحاضرة ما فيها من شر ، ويصمتون عما فيها من خير ليحسب الناس أنه هكذا كل ما في الوعاء ، وما عرفنا مدينة إلا وكان فيها الطيب والخبيث بحكم أن الإنسان مصدر الخير والشر صاحبها » .

وعن ذات المعنى يحسم أحمد زكي الرأى في قضية أخرى من القضايا المتصلة بالموضوع ، وهي العلاقة بين الولايات المتحدة والعرب ، حين كانت الولايات المتحدة تستعلي بقوتها على العرب ، وعلى حل القضية الفلسطينية في الفترة ما بين الحربين (١٩٦٧ - ١٩٧٣) وكان هناك قوم يردون ذلك إلى أن في العلم شراً أو شيئاً من هذا القبيل ، وكانوا يوردون هذا المثل في معرض الحديث عن العلم والأخذ به ، وكان أحمد زكي يجاهر رغم خفوت دعوة هؤلاء بأن الأخذ بمنطق تفكيرهم يعد شراً كبيراً حين نترك العلم إلى الجهل لأننا نرى قوما صار لهم مع العلم شيء من الشر ، ولا ينى الدكتور أحمد زكي عن أن يبين حقيقة طبائع الأشياء فيقول في وضوح وحزم وجزم :

« إن الإنسان خلق ومعه الخير والشر ، والعلم والتكنية فيهما الخير والشر معا ، بل هما أداتان عجاوان ليس فيهما إرادة الخير أو إرادة الشر ، ولكن في الإنسان كالسكين نقطع بها الثمر من شجر ، أو بها قطع الرقاب ، كذلك العلم والتكنية مطيتان طيعتان يركبهما بنو الناس ليسلكوا بها الطريق إلى الله أو الطريق إلى الشيطان وما أكثر ما يتعمى على البشر الطريقان » .

ولهذا كله كان من الطبيعي أن يكرس أحمد زكي جهده لإقناع قرائه بضرورة إيجاد التوازن بين العلم والإيمان ، وبضرورة الجمع بينهما في توازن وتوافق وتعاون يتيح التقدم الذى يسند إلى القوة الذاتية ، والقوة الداخلية التى لا تززعها عواصف الزمان .

وعلى حين كان أحمد زكي ينعى على الجامدين جمودهم في سبيل العلم ، وكفهم عن الجهاد في سبيله فإنه في الناحية الأخرى لم يكن يقبل ما يفعله « التقدميون » ممن ظنوا أنهم بدرجاتهم العلمية قد أصبحوا مؤهلين للحكم في أمور الدين والدنيا ، فذهبوا يرمون الدين وأهله بالرجعية والتخلف . وما هو ذا يقولها في صراحة وقوة :

« ومقالة أقولها لبعض شباب العرب الذين أخذوا من الدكتوراة شارة يتقدمون بها إلى السذج من أهلنا ، يتهمونهم بالرجعية ، وينسبون هذه الرجعية إلى الإيمان بالله ، ويشككون في الأديان جميعا . أقول لهؤلاء : فما بالكم وضائير هذه الأمم التى لا تجد لها إلى اليوم أساسا صالحا تقوم عليه غير الدين . ما بالكم بها هكذا تصنفون ، وإياها تهدمون ؟! وإذا هدمت فماذا للناس بديلا عنها تقدمون ؟! » .



الضمير والولاء

يتناول الدكتور أحمد زكي « الضمير » في مواضيع كثيرة من كتاباته ، وقد أفردنا حديثه عنه إحدى جزئيات فصل « البناء الاجتماعى » الذى سيأتى ضمن فصول هذا الباب ، ولكن ما يعنيننا هنا هو ذلك التأكيد الذى يقدمه مفكرنا عن مكانة الضمير في الإسلام والأخلاق الإسلامية وفي القرآن ونصوصه . ويشى لنا هذا بمدى اقتناع أحمد زكي وبقيته بأخلاقيات الإسلام وإمكاناتها غير المحدودة ، على الرغم مما قد يتصوره البعض حين يقرءون له رأيه القائل بأن الدين ليس مصدرا للسلوك الإنسانى ، أو حين يتجاوزون في فهم هذا الرأى النظرى الذى عبرنا بالتفصيل عن حقيقته في موضعه . وقرأ للدكتور أحمد زكي في مقاله عن الضمير قوله :

« وفي الدين الإسلامى ، وفي القرآن الكريم ، ما يملأ دساتير الضمائر بأصولها الأولى ، من

عدل ورحمة ، وزاد في الكشف عن كلمة العيش مفاهيم تخفف على الناس في دنياهم كثيرا من أثقال السنين . والإسلام ، كما جاء به الرسول الكريم ﷺ ، لا كما صار إليه من بعده في وجوه شتى ، دنيا ودين . ومعنى ذلك عندى أنه عقيدة وفريضة . ثم هو حضارة ، حضارة سبقت زمانها بعدة من قرون لو أن الله كان قيض لها كفاة من أهلها لما بزتها إلى اليوم حضارة كانت أو تكون» .

وهناك جانب آخر يحرص أحمد زكى على استلفات النظر إليه في ديننا الحنيف ، حين يتحدث عن الولاء ، ويحلله لنا في دراسة تاريخية واجتماعية شاملة ، ويتعرض للولاء في الإسلام فيبين بمنطق واضح وأدلة ناطقة كيف نجح الإسلام في التوفيق بين الولاءات ، وكيف أعطى لكل ولاء حقه المناسب ، المناسب للولاء ، والمناسب للإنسان نفسه ، وهو يقول على سبيل المثال :

« والولاء العاطفى اتسع له الإسلام اتساعا كبيرا ، ولكن لم يتسع كل هذا الاتساع للولاء الوطنى المحلى السياسى ، وإن احتمله بمقدار ما يحتمله الطبع الإنسانى ، ولكنه تجاوز الوطن الأوسع إلى أرض الله الواسعة . فحيثما ذكر اسم الله فهذا هو الوطن على اختلاف لون ، واختلاف لسان ، ومن أجل هذا كثرت في الإسلام الأوطان » .

« وينزل العالم ببغداد أو بدمشق أو القاهرة أو القيروان أو قرطبة ، وهو حيثما حل يجد وطننا واحداً ، وولاء واحداً ، وترحيباً واحداً ، وكثيراً ما زاد فأين ولد ابن خلدون ؟ وأين درس ؟ وأين عبد اللطيف البغدادي ؟ وأين علم ؟ والكندى ، وابن الهيثم ؟ ، وهو حيثما حل ، عنده الولاء يعطيه ، وله الولاء يعطاه » .

ثم يكتب أحمد زكى عبارة من عباراته الخالدات ، التى لا بد من الاعتراف بأن المؤلف أمضى الوقت يفاضل بينها وبين العبارة التى وضعت في صدر هذا الفصل أيهما يضع ، حتى غلبته طبيعته في ذكر العبارة التى تغطى وجهين في صدر الباب ، والإبقاء على العبارة التى تصور جوهر رأى أحمد زكى في لب الفصل .

وعبارة أحمد زكى تقرر حقاً لا ريب فيه حين تقول إن الإسلام كان أقوى روابط البشرية على الزمان :

« إن إنسان هذه الأرض ما ربطه في قديم الزمان إلا رباط الإسلام . وأنا لا أتحدث هنا عن الإسلام عقيدة ، ولكن عن الإسلام حركة إنسانية ، جمعت من الإنسان ، وربطت بينه ، ما لم يكن سبق مثله ربط ولا جمع » .



الإسلام والعلم

هل لنا أن نستطلع رأى العالم الذى قال فى عنوان مقاله فى الخمسينيات : « إن عبادة الله بغير علم كعبادة الأصنام » ، والذى كرر نفس المقولة فى حديثه مع سامح كريم (مجلة الإذاعة والتلفزيون : ١٩٧٤) هل كان صاحب هذا الرأى القائل بأن الباحث فى العلم إذا استهدف به بعض جوانب الله فهو أكبر عابد ؟ مشجعا لأولئك الذين يخلطون العلم بالدين ، على النحو المسمى بالتفسير العلمى للقرآن ، وما إلى ذلك من الأمثلة التى يعرفها القراء الأعزاء . . فلنقرأ مبرراته فى مقاله « حضارتان عريقتان يعيش العربى فى ظلالهما » (مجلة العربى : ١٢ / ١٩٧٢) إذ يقول :

« وجاء عصر العلم الحديث . فقام قوم باسم العلم ، يعمدون ما خالوا أن فقهاء المسلمين غير عامديه ، فربطوا الدين بخرافات من العلم حديثة . زعزعت من إيمان أهل الإيمان واليقين . لووا عنق العلم مرة ، ومرة أصاب الى عنق القرآن الكريم . كل هذا ليلتقى الاثنان وساء لهم التقاء . وقالت زمرة طيبة من خيرة من الفقهاء ما هذا بدين ، وما كان كتاب الله كتاب علم تستفاد منه تفاصيل المظاهر الكونية والقوانين . فقلت لهم اصدعوا برأيكم ، واصرخوا إعلانا ، وارتفعوا بالقرآن عن تلك المهاوى ، فهى إن زادت جمهرة الجاهلين إيماننا بشعوذة زادت جمهرة أهل العلم شكاً وريبة . قلت اصدعوا برأيكم ، ولكنهم عادوا بالسكوت والصمت يلودون » .



الدين والقومية والعلمانية

كتب أحمد زكى فى هذا الموضوع كثيراً جداً فى حديثه عن الآثار الخطيرة لهذه العلاقة سلباً وإيجاباً فى السلم والحرب ، ثم هو يخصص مقالاً كاملاً لهذا الموضوع (العربى : ٤ / ١٩٧٠) وكان قد بلغ من العمر ما يتيح له قدر الحكمة الأقصى وهو يجعل عنوانه : « رباطان هما مساك الأمم لا ينحلان أبداً : القومية والدين » وكان حريصاً كما يشى العنوان على أن يتناول الموضوع من عمومياته لا من خصوصية الإسلام والقومية العربية فحسب ، وقبل أن يتناول العلاقة بين الإسلام

والقومية ، يتعرض لليهودية التي كانت « دينا مغلقا وقومية مغلقة فلم تمتد في أرجاء الدنيا ، ولعلها بسبب هذا عانى أهلها ولا سيما من أهل الغرب ، ما عانوا ، من معاملة لم تكن من أحسن المعاملات » ، على حين كانت المسيحية « دينا مفتوحا وقومية مفتوحة امتدت فاحتوت الكثير من أرجاء الدنيا » .

وينبه أحمد زكى - من باب الاعتبار - إلى أثر الزمن في الديانات ورجالها ، فيقرر فيما يتعلق علاقة الكنيسة بالدولة في العصور الوسطى مقررًا أن جوهر الصراع والعلاقة كان مسألة زمن ومسألة بشر ويقول :

« أى إدارة كنسية أو غير كنسية إنما يديرها رجال ، والرجال تخطئ وتصيب وتصلح وتفسد ، ويختلط صالحها بفاسدها . والزمان الذى يأبى على الطعام أن يبقى طاهرا مطهرا فيصيبه العفن ، والزمان الذى يأبى على الشباب أن يظل على الصحة والقوة والقدرة فيصيبه مع الشيخوخة بالمرض والضعف والعجز ، هذا الزمان كأنما يأبى أن يترك شيئا على حال واحدة » .

وينتهى إلى ظهور « العلمانية » فيبين عن فهمه للأمر فيها بقوله : « إن الخشية من الأديان ظهرت في دساتير الأمم الحديثة لاسيما دول أهل الغرب ، وذلك للذى عاناه المجتمع الأوروبى من حروب سببها اختلاف الأديان (حروب الثلاثين عاما والمائة عام) وكلها اختلطت فيها الأطماع الدنيوية بالمذاهب الدينية . مظهر الخشية عند هذه الأمم حذف ما كانت تجرى به الدساتير من أن الدين دين هذه الدولة أو تلك » .

ثم يقرر أن « حذف الدين من الدساتير إنما يفيد عندهم (هكذا ذكر لى ذاكر منهم) أن الأديان لديهم سواسية ، وإنه لا يجرى مواطن بينهم جزاء خير أو شر بسبب (نبيه) . ولكن بإمكاننا الرد على هذه النقطة بالذات فى بساطة شديدة ، فنقول إنه كان بالإمكان أن تبقى هذه الدول فى دستورهما على النص على دينها ثم تضيف إليه هذين المعنيين : سواسية الأديان ، وعدم ربط الجزاء بالدين » .

على كل فإن أحمد زكى لا يذهب في هذه المسألة إلى أبعد من هذا الحد ، لأنه كان يؤمن في الوقت نفسه بأن إشكالية الدين ما زال لها الأثر الكبير في عقليات ونفوس الأوربيين ، وأن علاقتهم بالحروب الصليبية التي قام بها أجدادهم في الماضي لا تزال قائمة ، وأن الأمر في هذه الحروب وإن توارى إلا أنه لا يزال راسباً في أعماق الوعى أو أعماق اللاوعى قابلاً للظهور في المناسبات .

«وهو يقول بكل صراحة إنها أحقاد تهبط من الوعى إلى اللاوعى حتى تأتينا المناسبات فتطفو . . سلطان اللاوعى هو المحرك الثابت الدائم على الزمان » .

ولهذا كان أحمد زكى يدعو إلى قيام جامعة إسلامية ، وأن تكون هذه الجامعة « سياسية هدفها الدفاع عن العقيدة ذاك الحق الذى سجله العصر الحاضر ، والديمقراطية الحاضرة ، وهو حق من أبرز حقوق الإنسان » .

ويدعو أحمد زكى إلى إعادة النظر في العلاقات مع أوروبا من هذا المنطلق . وعنده أن الحق في هذه الأمور يجب أن يكون واضحاً عندنا وعندهم ، وأنه لا بد من أن تظهر صورة الإسلام ساطعة ناصعة قوية بمثل القوة التى فيه . ولا يجد أحمد زكى حرجاً في قيام أى قومية على أساس دينى ، على أساس الإسلام مثلاً ، ويضرب الأمثال فيقول : إن الدين هو حافز اليهود اليوم مهما حاول الصهاينة أن يقنعوا العالم بغير ذلك (ومن التاريخ القديم يذكر الدكتور أحمد زكى أن إبراهيم عليه السلام لم تمنعه مكانته عند الله من أن يكون شيخ قبيلة بدوية يريد لها ما يريد من قومية ، وموسى كان رسولاً نبياً ولكن لم يمنعه ذلك من أنه كان زعيم قومه ، وأنه خرج بهم من عبودية) .



الإسلام والغرب:

ولابد لنا أن نتناول فكر أحمد زكى فيما يتعلق بالعلاقة بين المسلمين وأوروبا ، وسننبر بعض ملامح فكره في هذه الناحية بفقرتين من مقاله القيم والمهم : « من أين وإلى أين يارجال العرب ؟ » (العربى : ٤ / ١٩٧٣) ،

□□ أولاهما قوله : « من الواجب أن يقوم المسلمون بالدعاية الواسعة ليثبتوا بها أن الحروب الصليبية ما كانت إلا حروباً استعمارية ، شىء كهذا ، كان يذهب بالكثير من الكراهية التى

في قلوب أهل الغرب للعرب وللمسلمين منهم خاصة ، وسيعجب المسلمون ، عندما يعلمون أن أكثر مسيحيي أوروبا يعتقدون أنهم وثنيون ، فهكذا ساءهم مسيحيو القرون الوسطى وتناقلوا هذه التهمة عبر السنين .

□□ والفقرة الثانية هى قوله « سبب آخر جعل بيننا وبين هؤلاء الأقوام جفوة ، لا تزال إلى اليوم تعلم في مدارسها التاريخ ، ومن التاريخ الحروب الصليبية » .

« ولا عبرة للقول بأن المسيحية ضعفت في أوروبا ، ونحن نأسف لضعف دين من أديان أهل الكتاب بين أهله ، فالدين عماد ، والدين خير ، والدين محبة ، ولكن ضعف العقيدة بين نصف أهل أوروبا لا يؤثر في عواطف الرجال عندما ما يكبرون ، فالعقل هاربا أو ضالا قد يقول لا ، وقد تقول العاطفة الدينية والكراهية : نعم » .

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن أحمد زكى وهو رجل عاشر الغرب طيلة حياته الفكرية كان متتبها إلى الرواسب القديمة التى ما زالت تحكم توجهات الغربيين تجاه المسلمين ، وهو لهذا السبب حريص على أن يبذل قومه جهدهم في هذه الناحية الأساسية التى لا تقوم علاقات حسنة بدونها .



الإسلام والنهضة

ولكن هل كان أحمد زكى يملك رؤية واضحة لما يمكن أن نسميه بالخطوات التنفيذية للنهوض بالمسلمين في العصر الحديث؟ لا شك ترتبط مثل هذه الرؤية بالواقع الأليم الذى عاشه المسلمون والعرب حين كان أحمد زكى على قيد الحياة يعاني في أكثر العمر من الهزائم التى منيها بها ومن ساعات الضيق والشدة ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يرى النور وسط الظلام ، وأن يرى طريق الخلاص ، وأن يلخص ذلك فيجعل أهدى السبيل هو حرية الفكر (وهو نفس ما عبرت عنه الفقرة التى في صدر هذا الفصل) . وعلى سبيل المثال ختم أحمد زكى حديثاً له عن المتناقضات والمؤلمات العربية بقوله :

« ومع هذا أختتم القول بأن العرب اليوم في أحلك أيامهم ، وقد تشرق الشمس غدا ، أو بعد غد ، ولكن لا بد لإشراقها من إصلاح ذلك الخلل الأول في بناء الناس ، ذلك الذى حال بين أهل الرأى ، وجماهير الناس . فأهل الرأى عليهم رقابتان ، رقابة الحكومة ، وقد تكون جائزة ، ورقابة الجمهور المتخلف ، وهو كثيراً ما يرفض الخير لجهالة ضاربة فيه . ولنذكر دائماً تلك النسبة التى اتسم بها العرب فى القرن العشرين ، تلك أن بهم سبعين فى المائة من الأميين » .

بل إن أحمد زكى فى الأعقاب المباشرة لنكسة ١٩٦٧ وقبل أن يفيق العرب من هول ما حدث كتب فى مقاله الافتتاحى (العربى : ١٩٦٧ / ٧) يقول :

« لنعد أسرع ما نستطيع إلى التحدى . نعود إلى التحدى العاقل هذه المرة ، العامل هذه المرة ، الصادق هذه المرة ، الصابر هذه المرة ، الناظر لما يقرأ أو ما يسمع هذه المرة ، المشارك مشاركة فعالة فى خلق الأجواء ، جو العمل فى الحقل والمصنع والمكتب والمتجر ، وجو الفكر فى مدرسة وجامعة ومسجد ومعبد . . الجو الحر الطليق الذى لا يخشى الحرية فطالب الحرية كيف يخشاها؟! » .

« إن وقائع هذا الزمان تصرخ فى آذاننا تريد أن تقول لنا إن عندكم أيها العرب أشياء كثيرة تحتاج إلى إصلاح ، والكثير منها الخافى الذى يخاف حتى عقلاء الناس أن يذكروه . . عليكم أولاً أن تتبينوها ، ولا يكشفها إلا الفكر الطليق » .

« الفكر العربى فى الوقت المناسب القريب لا بد أن ينطلق أبيضه وأسوده وأزرقه وأحمره من كل أرض ، ومن كل كوخ ، ومن كل قصر ، ومن كل حامل سيف أو مشرط أو قلم أو كتاب أو فأس . ويجب أن نسمع الرأى من ذوى العقول الراجحة ، وتلك التى تتراءى لنا غير راجحة ، ونسمع من العقول الملتزمة بغير الملتزمة ، والتى مزاجها الحفاظ ، والأخرى التى مزاجها التحرر على السواء » .

« كل الآراء يجب أن يؤذن لها أن تقال ، ثم يقلب الرأى الواحد الذى أقنع رأساً على عقب لعل نقيضه هو الأهدى سبيلاً » ،

«وأمر نشأنا على اعتبارها بعض قوام الحياة لا بد أن نبدأ اليوم ندرسها من جديد ، حتى الغذاء ، حتى الهواء يجب ألا نفرض فيهما الصحة والنقاء فمن يدري ؟»

وفي الشهر التالي (العربي : ٨ / ١٩٦٧) كانت نفس الفكرة ما تزال تسيطر على أحمد زكي وتدفعه إلى قدر أكبر من الثقة بالله وبالنفس في مجابهة الهزيمة ويؤكد أحمد زكي على هذا المعنى حتى في عنوان المقال نفسه : « الفارس الذي سقط منه عند النزال سيفه . . لا يزال سليم القلب والجسد ».

وفي موضع آخر ينتبه إلى ضرورة البحث عن الذات وعن ديننا وأخلاقنا ويقرر في كل وضوح وقوة وصراحة : « لا حاجة بنا إلى أخلاق نستوردها ولا دين . . إن ديننا مصدر من مصادر الخلق عندنا مبين مكين » .

المصادر

- «الجامعتان العربية والإسلامية» (الهلال : نوفمبر ١٩٥٤).
- «الإسلام والمسيحية هل يمكن التوحيد بينهما؟» (الهلال : يناير ١٩٥٥).
- «كنا زمنا سادة فلنكن اليوم أسيادًا» (الهلال : يناير ١٩٥٦).
- «عبادة الله بغير علم كعبادة الأصنام» (الهلال : مايو ١٩٥٦).
- «النكبة الكبرى نكبة فلسطين» (العربي : يونيو ١٩٥٩).
- «أمجاد العرب : العرب حملوا مشعل الفكر قرونًا» (العربي : نوفمبر ١٩٦٣).
- «أمجاد العرب هي أم أمجاد المسلمين» (العربي : فبراير ١٩٦٤).
- «العروبة والإسلام» (العربي : يونيو ١٩٦٤).
- «النكسة الكبرى ثالث النكسات في ٢٠ عاما» (العربي : يوليو ١٩٦٧).
- «نحن العرب : لا خوف علينا اليوم ولا غدا ، ولا بعد غد ولا نحن نحزن» (العربي : يناير ١٩٦٩).
- «الحرب اليوم علم وتكنية» (العربي : مارس ١٩٦١).
- «١١ عاما من حياة العربي» (العربي : يناير ١٩٧٠).
- «الولاء» (العربي : فبراير ١٩٧٠).
- «رباطان هما مساك الأمم لا ينحلان أبدا - القومية والدين» (العربي : إبريل ١٩٧٠).
- «معركة الفقر والغنى» (العربي : يوليو ١٩٧١).
- «حضارتان عريقتان يعيش العربي في ظلالهما» (العربي : يوليو ١٩٧٢).
- «حقائق عشر عن تخلف الشرق» (العربي : يناير ١٩٧٣).
- «للمجدل آداب لا بد من إحيائها» (العربي : فبراير ١٩٧٣).
- «من أين وإلى أين يارجال العرب؟» (العربي : إبريل ١٩٧٣).
- «الحضارة الحاضرة زيت وفحم» (العربي : يوليو ١٩٧٣).
- «الضمير لفظ له معنى في اللغة لم يعرفه العرب» (العربي : مارس ١٩٧٥).

بہارِ حجاز

- (۳۵۶۱) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : قلعہ کلاں کی مالا مال فتح
- (۳۵۶۱/۲) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۳) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۴) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۵) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۶) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۷) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۸) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۹) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۰) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۱) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۲) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۳) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۴) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۵) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۶) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۷) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۸) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۱۹) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز
- (۳۵۶۱/۲۰) ہجری : ۱۰۱۱ھ (۱۶۰۲ء) : لکھنؤ میں شاہ جہاں کی تعمیرات کا آغاز

الفصل السابع

مكونات البناء الاجتماعي

(الفرائض- العادات - الأخلاق - التقاليد - الضمير- القيم)

« إن أصحاب الضمائر هم قادة الأمم الصامتون ، وهم الذين يحركون
- حتى على الصمت - الركب الإنساني نحو غاية أريدت له مرجوة ،
فإن نطقوا كانت الحركة أكبر وأسرع » .

كان أحمد زكي دائم التأمل في طبيعة النظم التي تحكم العلاقات بين الناس ، وكان دائم الكتابة عما قد يستنبطه بفكره من قواعد تقنن هذه النظم . والذين يتأملون التطور فيما كتبه الرجل ابتداء من مقالات الأربعينيات في الهلال ، أو ما قبل ذلك بقليل ، سيلاحظون نمو الفكرة الاجتماعية في كتاباته حتى أصبحت منظومة القيم والنظم واضحة المعالم والحدود تماما في كتاباته الأخيرة .

ولو كان من عادة أحمد زكى أن يعيد النظر فيما كتب من فصول ومقالات مختلفة ليؤلف منها أعمالاً متكاملة في موضوعاتها لخرج من مقالاته التى تناولت هذا الموضوع بأكثر بكثير من هذا الفصل الذى نقدمه إلى القارئ .

ومن نافلة القول إنه لم يكن من الصعب على القراء الذين تابعوا مقالات الرجل أن يحيطوا بأفكار أحمد زكى ومقالاته ، ولكن لأن هناك أجيالاً لم يتح لها هذا الحظ فإن هذا الفصل يقدم فكرة عن المعانى لكل المتعطشين إلى قراءة فكر عالم ، عاش الحياة ، وفلسفتها ، وأراد للناس أن يعيشوها على خير ما تكون .

ولن يكون من الصعب علينا فى هذا الفصل الإشارة إلى مصادرنا من مقالات أحمد زكى ، فى أى مقال وفى أى مجلة ، فى كل فقرة من الفقرات ، ولكننا سنضطر أنفسنا إلى أن نتنازل عن هذا الخلق بعض الشيء ، لنتيح للأفكار التى تتناول حياة الناس الاجتماعية انسيابية تقربها من انسيابية حياة الناس الاجتماعية ، وسيجد القارئ فى نهاية هذا الفصل - كالعادة - قائمة بالمصادر التى نقلنا عنها فيما يتعلق بفكر الرجل ورؤاه .



فى حديث للدكتور أحمد زكى عن مصادر السلوك الإنسانى ، لخص رأيه فى هذه المصادر فى عنوان فرعى ، وقال إنها ثلاثة : الغرائز ، فالعادات فالضمان . . وقد اختار أحمد زكى مدخله إلى الحديث قصة جلسة عند واحد من الأصدقاء إذ جاءه خادمه فقال له إن فلانا يسأل عنه فى التليفون حتى إذا كان فى الدار جاءه على التولى لزيارته ، فقال صاحب الدار للخادم : قل لفلان إننى تركت المنزل منذ دقيقتين قاصداً إلى المدينة ، وإنك لم تستطع أن تلحق بى لتخبرنى بمجيئه ! فتعجب الحاضرون ونظر بعضهم إلى بعض وإلى مضيفهم وابتسموا . فقال الرجل إنه ما أراد أن يجمع بين هذا الذى تكلم وبين أحد الجلوس لأن فى اجتماعهما جمعاً بين الزيت والنار ، « فكذبناها كذبة بيضاء ندفع بها من سوء الشيء الكثير » . فيسأل واحد من الحضور : وما هى الكذبة السوداء ؟ فيجيبه الرجل : « أن تكون من مستأجرى أرضى ، وتجمع الحصاد ، وتبيع من الثمر ما تبيع ، وتلقانى وأسألك عن الإيجار ، فتقول لى إنك فى حرج من ضيق ، وفى جييك حشوة من مال وفير » . وأضاف رجل آخر من الجلوس : إن هناك كذبة لا لون لها . فسأله : ما تلك ؟ فأبان لهم عن أنها تلك التى نتفوه بها جميعاً حين يلقي بعضنا بعضاً كل صباح ، ويسأل الواحد أخاه :

كيف الحال ؟ وفي كل صباح يجيب بأن الحال عال والحمد لله . « ولا يمكن أن يكون الحال كل صباح عالا ، وأنت تعلم أنه لا يمكن أن يكون كل صباح عالا ، وأنا أعلم أنه لا يمكن أن يكون كل صباح عالا . فهذه كذبة نأتيها جميعا باتفاق عام ، ما كذبتك وما كذبتني ، فهذه الكذبة التي لا لون لها » .

ثم استأنف أحمد زكي حديثه يضرب على لسان واحد من شخصيات حكايته ألوانا من الكذب التي تقع في الحياة كل يوم : الزوج يسأل زوجته عن هدية أهداها إياها ، كيف وجدتتها ، فكيف تقول ؟ زائر زارك في المساء وحتى انتصف الليل ، ثم ذكر وهو يغادر بيتك أنه ربما أثقل عليك ، فأى شيء تجيب ؟ . . إلخ ، وعقب بقوله : « أمثلة في الحياة لا تعد ، يقف منها الإنسان منكرا ، ولا يقول إلا حمدا ، أو حامدا . . » وانتقل بعد ذلك ليضرب المثل بالرجل في الحرب يقابله عدوه وهو خارج من البيت فيسأله : أفى البيت أحد ؟ والعدو لا يقصد إلا قتلهم . ويصف الدكتور زكى هذه الكذبة بأنها « كذبة جلست عن أن تكون بيضاء » . فهي فوق صنوف الصديق جميعها !

ومضى أحمد زكى ليتأمل في معنى الفضيلة ، ومعنى الرذيلة ، وجعل تأمله على هيئة حوار بين الجلساء على هذا النحو :

« ثم سأل أحدهم : من قال إن الصدق فضيلة ، وإن الكذب رذيلة ؟ ألا ترون معنى أن أكثر ما يمارس الناس في حياتهم العادية الكذب ، وأنهم جميعا يعرفون أنه الكذب ، وأنه لا يلوم أحد منهم أحدا في ذلك لأنه الكذب ؟ . لا بد من الرجوع إلى المصادر التي قيمت مسالك الإنسان لتعرف منها الحكمة أو الحكم التي من أجلها رأى الناس ، أو شاع فيهم أن هذا المسلك فضيلة وأن هذا رذيلة ، فلعلنا نجد أن كثيرا مما يساق على أنه رذيلة ، ينفع الناس ، فحق إذن أن يكون فضيلة .

والسؤال إذن : ما الأصول التي تحكم مسالك الناس وأخلاقهم ؟

وفي الحقيقة فإن هذا بالتحديد هو السؤال الذى يدور حوله حديث عالمانا عن مصادر السلوك الإنسانى ، وقد جاء به بعد هذه المقدمة الطويلة التى لخصناها ، بعدما استطاع أن يستلفت بها النظر إلى أهمية الموضوع من حيث صار خلقا لا أحد ينكر فضله ، وموضوعا للتفاضل عند الأخذ به ! فهو أى الصدق مهلكة في حالة كحالة الحرب ، مجاف للذوق والخلق الكريم في حالات أخرى ، ليس من المستحسن الأخذ به في كثير من الأمور التقليدية ، ومدعاة لجلب الخلافات في أحوال أخرى ، إذن فهل هو مطلوب ؟ أو هل هو مطلوب على الدوام ؟ وما الحكم في هذا ؟ ومن الذى يحكم على سلوك الإنسان ؟

هل الدين مصدر من مصادر السلوك الإنساني؟:

في ثقة بالرأى، كان أحمد زكى يستبعد أن يكون « الدين » أصل الأصول فيما هو فضيلة ورذيلة!! ومذهبه في هذا أنه من الجائز أن يهتدى الإنسان وحده إلى مسالك العيش حتى إذا تخلف عنه عون السماء!! ويدلل على هذا بدليل قاطع حين يذكر من حال الناس الذين اختاروا أديانهم في قديم الزمان أنهم قد رضوا أديانهم بقدر ما عرفوا فيها من حسن سلوك :

« ندرك هذا من قصص القوم الذين دخلوا في الإسلام أو في المسيحية أو غيرها، يعرض عليهم الدين فينظرون فيما قدمه لهم الدين من عقائد ومن أخلاق ومن معاملات بين الناس، أى مسالك عيش، وهم يرضون الدين بسبب ما يرضون من هذه الأمور، وإذن فهم عارفون الأخلاق الطيبة والمسالك الخيرة قبل أن يكون لهم هذا الدين أو ذاك، عرفوا ذلك من حياة الإنسان التى سبق أن عاشوها . وهذا يؤكد قولنا إن الإنسان مهتد إلى ما تدعو إليه الأديان من مسالك قبل أن تكون الأديان . . . إنها بذور الخير التى بذرها الرحمن فى الإنسان ليتعرف بها الحياة . ويتعلم خطاها، ويهديه فى كل ذلك الطبع الخير إذا تخلف عن اللحاق به الرسول الهادى!! » .

وإذن فأحمد زكى لم يكن يعتبر الأديان مصدرًا من المصادر التى حكمت السلوك الإنسانى لسبب بسيط هو أن معتنقيها حين اعتنقوها واقتنعوا بها صدروا فى ذلك عن إيمانهم وتقديرهم لنواحي الخير فيها، وإذن - مرة ثانية، فما هى الأصول التى بُنى عليها سلوك بنى الناس؟ يرى أحمد زكى أنها ثلاثة:

□□ الغرائز البشرية .

□□ العادات القومية .

□□ الضمائر الإنسانية .

وهو يرتبها هكذا على مذهب البعض فى ترتيب وجودها تاريخيًا، ولكنه يعتمد فى مذهب الذين يقولون بأنك تبحث عن المسلك الإنسانى الواحد، فى الرجل أو الفئة من الرجال، فلا تدرى ما سبق إلى تكوينه : غريزة هى؟ أم عادة وتقاليد، أم ضمير؟ وعندهم أن الثلاثة تفاعلت معا فأنتجت ما أنتجت من مسالك للسير رضىها الناس .



الغرائز

وخلاصة قوله فيها إنها أول مصادر السلوك الإنساني ، ولكنها غير كافية من هذه الناحية ، لأنها تحتاج إلى أمور أخرى ، فلو سلك الناس حياتهم بها وحدها ، ما نتج عنها إلا الصدام والمجابهة . ومن ناحية أخرى ، فإنك لا تستطيع أن تعيب أو تحمد سلوكا إنسانيا يقوم على الغرائز وحدها . . . واقرأ قوله :

« إن الإنسان منا يبدأ الحياة ومعه أقوى دوافعها ، تلك الغرائز . إنها تعلمه ، كيف يصنع في الحياة ، ومنها غريزة الطعام ، فالطفل يمد إلى الطعام يده عندما يجده ، وهو لا يسأل أهو طعامه أم طعام غيره . . . وهكذا »

و « مسالك الحياة المطلقة الأولى مع الغرائز الأولى ، لا ينتج عنها بين الناس غير الصدام ، وغير المجابهة ، والحرب الدائمة » .

وأى نسق في السلوك الإنساني ، يقوم على الغرائز وحدها ، في مراتب الحياة الإنسانية البدائية الأولى ، لا يحمد ولا يعاب ذلك أنك لا تستطيع أن تدم الجائع الذى يطلب طعاماً فلا يجد إلا رميك بالنبل إليه سبيلاً ، ولا تستطيع أن ترد من رماك بسهم إذا أنت قمت تمنع عنه الماء . ويضرب أحمد زكى مثلاً عملياً في مقال آخر فيقول :

« إذا كنت في جزيرة وحدك فلك أن تكون أنانيا ما شئت لك الأنانية ، وأغلب الظن أنها لا تضرك ، وهى عندئذ لا تكون من الأخلاق المحمودة أو السيئة المردولة فى شىء ، وإنما تصبح كذلك إذا سكن مثلك فى الجزيرة رجل أو رجلان عندئذ تتضارب الأنانيات » .



العادات : المصدر الثانى من مصادر السلوك الإنسانى

لا يذهب أحمد زكى فى تعريف العادات إلى أكثر من أن يضرب مثلاً لتكون العادة بأطفال صغار رآهم « قد خرجوا مع أبيهم يرمون الورق المستهلك من سبت صغير بيده ، ويضعه فى برميل

طويل أقيم لاحتواء الزبالة ، فأخذ الولدان اللذان يبلغان من العمر حوالى الستين والخمس يقلدان والدهما فيما يفعل . «إنه التقليد الذى هو بعض الشر» . وكان لون شعر الطفل والطفلة أصفر وما كان ليختلف لو أن الشعر كان أسود وأحمر .

«إنه التقليد الذى يصنع فى الأمم العادات ، فإن صار عادة فهو مسلك رضيه الناس وهو بعض مسالك القوم» .

«والعادات عشرات ومئات يمارسها الناس ، ابن عن أب ، وأب عن جد ، وتصبح عادات طعام وعادات شراب ، وعادات ملابس ومسكن ، وعادات بيع وشراء ، وعادات تمس الأخلاق فى الصميم ، وأخرى تمس الأخلاق مس الأديم . . الأديم» .

«والطبع البشرى يتقبل العادات دون التوقف للنظر فيها ، خشية أن تنقلب الحياة كلها إلى تساؤل فى هذه العادة ، وتسؤل فى تلك ، فلا يكون فى الدنيا عمل حسم ولا لحظة اطراد» .



النظرية الاقتصادية فى العادات :

هنا لا بد أن نتطرق لنذكر ما حرص أحمد زكى على تكراره والتأكيد عليه دائماً، من أن العادات اقتصاد ، لأنها توفر على الناس مجهوداً كبيراً فى التفكير ، وتغنيهم عن النظر فى الشيء الذى يصفونه . ومواقف الحياة تتكرر ، والمواقف المتشابهة كثيرة ، يلقي الإنسان الموقف الجديد الذى سبق أن وقف مثله ، وتصرف فى مثله ، وعندئذ لا يكون عليه فى هذا الموقف الجديد إلا أن يعيد تصرفاً كان له فى الماضى ، وبذلك يختصر الجهد والفكر والزمن ، «ومن هنا فإن للعادات من حيث الاقتصاد دوراً كبيراً فعلاً» .

وإذا كانت العادات اقتصاداً ، فكذلك التقاليد ، وسنعود إلى هذه الفكرة بشيء من التفصيل فى جانب آخر من جوانبها ، عندما نتحدث عن الأثر الذى أحدثته التكنولوجيا فى التنظيم الاجتماعى ، وذلك لأن أحمد زكى ينطلق من نفس الفرضيات والنتائج .

ويتفرع حديثه عن العادات إلى الحديث عن العادات الشخصية والعادات الاجتماعية كنموذجين مختلفين لطبيعة العادات :

□□ فالعادات الشخصية : صنف من صنوف العادات ، وهى تمس الشخص بمفرده ، ولكن الاختلاف فيها قد يؤدى إلى متاعب غير قليلة ، « لأنه ما من شىء يعتبر شخصيا فى أكثر صفاته إلا وهو متصل بالحياة العامة من حيث يدرى صاحبه أو لا يدرى » .

وخذ مثلاً لذلك حلالة الذقن ، « لو أن الناس تعودوا عادة واحدة ، وهى الشفرة فى الحلالة صباحاً ، لكان صدى هذا فى الصناعة فى الأمة صدى كبيراً إذ أن تصنع الشفرة بكثرة ، وإذن تصنع أجود ما تصنع ، وتباع بأرخص الأثمان » .

« ومثل هذا فى الطعام والشراب ، وفى توحيد الذوق تسهيل الأمر على الصانع والخابز فى كل مرقف من مرافق الحياة » .

« إنه المجتمع الإنسانى ، والاجتماع لا يكون إلا بين أشباه ، وكذلك العادة ، وإنما هى الخط الواحد والأنباط الواحدة التى تلبسها الأشياء » .

□□ والعادات الاجتماعية : وهى التى تتصل بالحياة فى المجتمع ، تتصل بالمعاملات ، بالبيع ، والشراء ، والتعليم ، والصحة ، والزواج ، والطلاق ، والولادة ، والموت ، والأفراح ، والأتراح فهذه من الضرورى أن تضمها وتلمها صور من العادات واحدة ، وهذه العادات تتصل بالزواج ، والجنس ، وبحسن المعاملة ، وكل ما درجنا على تسميته بالأخلاق .



أثر الزمن فى العادات :

استحوذت هذه النقطة بالذات على اهتمام أحمد زكى فى عدد كبير من مقالاته ، وله الحق ، ولها الحق ، لأنه فى تقرير طبيعة أثر الزمن فى العادات ، تقرير لحياة العادات ، هل هى شىء وقتى ؟ أم شىء يتغير مع الزمن ؟ أى أن طبيعتها تتغير مع طبيعة الزمن ؟

والجواب عنده أن الأمر يختلف من عادة إلى عادة ، وأن الناس تنظر إلى العادات نظرة براهمية تبتغى منها النفع ، وهى غير مطالبة بأن تقدر عاداتها على مر الزمن . وهذه هى فقرات مختلفة من مقالات أحمد زكى فى مواضع مختلفة :

□ «ومن العادات ما هو دائم النفع يصلح لكل زمان ، كعادة العمل ، ولكن من العادات ما يصلح لزمان دون زمان ، كوسائل المواصلات ووسائل العلاج . . إلخ . فقد استبدلنا بالجهل في هذه الأمور علما على الزمان الطويل » .

□ « والعادات تدوم ما رضى بها أهلها وتتغير الظروف المعاشية ، والأعمال المهنية والمسالك الاقتصادية والمجتمعات الإنسانية ، فلا يلبث سكان المدينة أو القرية أن يحسوا الحاجة إلى التغيير . فتتغير العادات رويدًا رويدًا . وفي التغيير استرضاء لمطالب الحرية بتوسيع مجالات الحركة في العيش » .

□ « والعادات باقية في قبيل الناس ما بقيت تعطى نتائجها المرضية من التعاون والتآلف وحمل التبعات معا وبالسوية » . فهذه الرتبة الراضية تسرق من الناس الفكر في صلاح هذه العادات أو فسادها .

□ « والعادات راحة ، والتقاليد راحة ، وفيها راحة الروتين وترك العقل خاليًا ليفرغ لتقدم الحياة وأسعارها » . « ولكن تقدم الحياة على هذا النحو يغير من صور الحياة ، وقد تتغير عادات على هذا النحو وبسرعة هذا التغير فلا يكاد يحس به أحد ، ونخدع في ذلك ونقول مثلاً إن عادات اليابان وتقاليدها رغم تقدمها الصناعي ظلت على ما كانت عليه ، والحقيقة أنها تغيرت كثيرًا بسرعة لم يحس به راكبو قطارها » .

هكذا يحدد أحمد زكي في وضوح طبيعة اختلاف العادات بمرور الزمان ، ويقرر أن العوامل التي تستطيع تغيير العادات ليست أقواما من الناس « استعجالا للخير أو ما يحسبون أنه الخير، فيفشلون » ، « وإنما ينجح في تغيير العادات : ظروف الحياة المتغيرة بعنفها وجبروتها ، وينجح تطور التعليم ، وينجح تواصل الأمم » .



الضمير

إذ يتحدث أحمد زكي عن حكم العادة ، يتطرق إلى الحديث عن الضمائر . وحينئذ يعرف الضمير تعريفاً غامضاً بعض الشيء حين يربطه « باستيقاظ الحفاظ على العادات . . . وهو حفاظ طبيعي الأصل فيه معارضة التغيير لأن التغيير غير مأمون العاقبة ، وباستيقاظ هذا الحفاظ

على العادات عند الكثيرين ، يستيقظ في بعض أفراد الأمة الضمير، تلك القدرة النفاذة التي تنام في الناس طويلاً حتى توقظها دقة الأجراس المنذرة بالمخاطر .

وعلى الوجه الآخر فإنه « إذا حدث أن جماعة قامت تعرض على فرد من هؤلاء الأفراد ما لا يرضى بدأ استيقاظ الضمير الرافض ، الضمير الذي يقول لا ، ولو قال من حوله ألف لسان نعم . فأصحاب هذه الضمائر كانوا يركبون راحلة العادات مركباً سهلاً ، فلما رأوا أنها إنما تسير بهم إلى أضرار لا يدركها إلا ذوو العقول الناقدة نزلوا عن المركب السهل واتخذوا ضمائرهم المركب الأثخن » .

«والمسلك الطيب عند ذوي الضمائر هو الذي يحكم عليه بأنه المسلك الطيب في محكمة الضمائر ، تلك التي لو شئت أن تتخذ لها مقرّاً لجعلته حبات القلوب » .



الضمائر والتقاليد :

يدرس أحمد زكى الصراع بين الضمائر والتقاليد وينتهى إلى رأى شبه قاطع يقول فيه : « ليست محكمة الضمائر ، بالمنصوية دائماً لتعارض محكمة التقاليد فحسب ، فهذا هو السخف البعيد ، ولكن محكمة الضمير هى التي تتخذ من عقل صاحبها ، ومن فهمه ، ومن رقيق حسه ، ومن لطائف طبعه ، ومن علمه في الحياة وخبرته وثقافته موارد قانونية تستند عليها في أحكامها ، وكثير من هذه الأمور لا يحتاج في أحكامه الموضوعية إلى الغوص البعيد في المراجع » .

« وأوضح مثل على ذلك هو ما تذكره من أمر الرجل العربى البدوى الذى نشأ فوجد قومه يعبدون وثناً ، ثم استيقظ ضميره عندما رأى ثعلباً يبول عند رأس الرب ، ففكر ، فحكم فقال :

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وهذا أمر لا يحتاج إلى ضمير نفاذ (نلاحظ هنا أن مثل هذا الحدث عند الكثيرين من أهل الرأى والفكر ليس أمر ضمير وإنما هو أمر عقلى ، ولكن أحمد زكى يتسع بالضمير فيشمل به مثل هذه الأمور) .

ويمضى الزمن فيحس الدكتور أحمد زكى - قبل أن نحس - أن كلامه هذا في موضوع الضمير الذى جاء عرضا عند الحديث عن العادات والتقاليد ، لا يوفى الضمير حقه ، ولعله كعادته بحث ، بدءاً بقواميس اللغة في أمر الضمير ، فلما استقرت له الفكرة كتب عن الضمير مقالاً كاملاً (مجلة العربى : ٣ / ١٩٧٥) وجعل عنوانه « الضمير لفظ له معنى فى اللغة لم يعرفه العرب » .

من هذا الحديث بخاصة ومن غيره تأتى أفكار الرجل التالية فى مسألة الضمير .

التعريف الجديد للضمير:

هذا هو تعريف الضمير عند أحمد زكى (فى ١٩٧٥) وهو يتفق فيه تماماً مع تعاريف جمهرة علماء النفس ، ولعل هذا الاتفاق جاء نتيجة أنه جاء بعد قراءة ودراسة ، لا بعد تأمل نفس وتفكير . ليس غريباً إذن أن يعرف أحمد زكى الضمير فى مقاله (العربى : ٣ / ١٩٧٥) بأنه « الوازع الذى يزع الإنسان عن ممارسة السوء » ، وأن يردف قائلاً : « والوزع هو الكف والمنع » ، « والوازع الزاجر يزجرك عندما تريد مقارفة الشر » .

هذه الفلسفة فى النظر إلى الضمير على أنه رقيب يمنع الشر ويحول دون السوء والفساد . . إلخ . . هى جوهر ومظهر نظرية أحمد زكى إلى الضمير . وإنى لأعجب كيف جعل أستاذنا الدكتور أحمد زكى الضمير فى هذه المنزلة فحسب ، ولم يذهب إلى الناحية الأخرى ليضعه دافعاً إلى الخير . وإنى واثق كل الثقة بأن أحمد زكى بالذات لو عبر عما فى نفسه لذهب هذا المذهب ، ولكنه فكر فى المسألة على نمط من التفكير لا بد أن ينتهى به أو بغيره إلى هذه النتيجة .

الضمير والشيطان :

يذهب أحمد زكى مذهب القائلين بأن وجود الشيطان فى النفس ووسوسته لها بالشر ، اقتضيا وجود عامل آخر يقوم فى النفس أيضاً ، ويهمس لها بالخير ، ويزجرها عن الشر زجراً ، وذلك كى تتزن موازين الأمور . إنها الزوجية التى يجب أن تكون فى كل شىء . . خير وشر . . نهار وليل . حياة وموت . . ثراء وفقير ، عز وذلل ، حلو ومر . وهذا العامل الآخر الذى يوسوس بالخير ، أو يقوى فيزجر عن الشر ، إنما هو الضمير بالمعنى الحديث .

ولو أكد أحمد زكى على قوله « ويهمس لها بالخير » ، وانطلق من هذه النقطة ، لجاءت رؤيته للضمير على نحو أعمق ، ولكنه فيما يبدو كان يفضل أن يذهب إلى القول بأن الضمير ، وازع ، رادع ، رقيب إلى الحد الذى يشبه فيه الضمير بالرقيب فى الصحف ، ويمضى فى تفصيل هذا التشبيه على نحو يستطيع القارئ لو أحب أن يرجع إليه فى موضعه .



الضمير أشمل من القوانين :

يقارن أحمد زكى بين الضمائر والقوانين من حيث مقدرتها على الرقابة على الذنوب ، ويذهب إلى القول بأن الضمير أكثر تأثيراً وأشمل من القوانين وليس فى هذا جديد بالطبع . ولكن مثل هذا الحديث كان له مقصده الواضح فى عصور شمولية اعتمدت تماماً على القوانين وحقق بها نجاحاً كبيراً فى ضبط الحياة الاجتماعية ومع هذا فإن أحمد زكى ينبه إلى الحقيقة ويقول :

«قوانين الدولة لا تشمل الذنوب جميعاً ، ولكن تشملها الضمائر . إن القوانين تحمى الناس من القتل غيلة ، ومن سرقة المال ، ومن انتهاك العرض ، وما إلى ذلك من الجرائم الواضحة البينة . ولكن كثيراً من هذه الشوائب قد تخفى على القوانين وعلى الشرطة ، ولكنها لا تخفى على الضمائر ، ولا تحمى منها القوانين ولا الشرطة ولكن تحمى الضمائر » .

« وإن من الذنوب ذنوباً لا يمكن أن تدخل فى قوانين لأنه لا يمكن تحقيقها ، ولا تكييفها ولا وزن لها ولا قياس . فهاذا تصنع القوانين فى رجل قيل إنه عق أباه ، أو أزرى بأمه أو شتم بين الجدران زوجته ، أو سامها سوء العذاب ، وما كل عذاب يظهر على جسد » . « كل هذه الذنوب لا تغطيها قوانين الدولة ، ولكن تغطيها ضمائر الناس عندما تصح أو تسوء » .

ويتوج أحمد زكى هذه الفكرة بحكمة من مأثوراته فيقول :

« فإذا نزلت بقوم ، فلا تسأل كم عندهم من قوانين ، وكم لهذه القوانين من نفاذ ، بل أولى بك أن تسأل كم بأنفس أهلها من ضمائر » .

ويعود الدكتور أحمد زكى ليؤكد معنى التفريق بين القوانين والضمائر — منتصراً للضمائر — من زاوية أخرى ، فيقول :

« الشرطة والمحاكم قائمة على نفاذ القوانين مما تستطيع الدولة تقنيه وتصنيفه وتكييفه . أما الضمائر فهي رقباء على نفاذ كل القوانين ، ما خالته الدولة وما لم تخله ، وما استطاعته وما لم تستطعه ، وما يدخل تحت معنى القانون أو يدخل تحت معنى الذوق والجمال والمواساة والرحمة وكل مسلك من مسالك الخير » .

المبادئ التي يسير عليها الضمير :

يجيب أحمد زكي مباشرة فيقول :

« إنها قيم الحياة ، في مراتبها العليا ، وفي تلك المراتب الأخرى السفلى ، تلك القيم الكبيرة النبيلة الواحدة التي لا تأبى أن تحل في قلب رجل حل به الفقر ، أو رجل صاحبه الثراء ، ولا رجل رفع به العلم ما رفع ، أو نزل به الجهل ما نزل . إنها القيم التي ترتفع بالناس فوق أرزاء الدنيا ، وفوق آلامها ، وفوق آمالها وأحلامها ، والتي بها وحدها يحكم المرء على نفسه يوم الرحيل الأخير: أنجح في هذه الحياة الدنيا أم فشل فيها » .



كيف يتكون الضمير ؟ :

أما هذه الفقرات التالية المنتقاة من كتابات أحمد زكي فهي أروع ما في حديثه عن الضمير وستولى تقديمها بالصورة التي تحدثنا عن تكوين الضمير دون تعقيدات ولا استطراد :

□ «الضمير لا يبدأ إلا حينما تحصل علاقات بين الإنسان والإنسان . بعد الثالثة يأخذ الطفل يعي أنه ليس وحده يملك الدنيا . فهناك صبي ، وصبي وصبي ، فلا بد ينسجم . . وعلى أمثال هذا ينشأ الكثير من الضمير » .

□ «الضمير يبدأ ملء دستور في البيت ، ويتابع كتابة دستوره في المجتمع . إن المجتمعات تحمي نفسها بأشياء كثيرة منها « الاتباع » ، والاتباع عامل في ملء دستور الضمير له أثر كبير » .

□ «هناك أمثلة تضررها من ظواهر الأمور . وهناك أخرى أخفى منها ، وأذهب في النفس

الإنسانية عمقا ، وأكثر في الفكر الإنساني اختلافًا ، ومنها الآداب العامة ، وأشد منها وأعمق العادات القومية ، وأعمق من هذه العقائد الدينية .

□ «ودساتير ضمائر الناس ليست كلها نسخة واحدة ، لأن الناس في أجسامهم ، كما في أنفسهم ، أشباه ولكن ليسوا في جسم أو نفس سواسية» .

□ «والإنسان في المجتمع يمر بأطوار الصبا والمراهقة والشباب ، وأكثرها أطوار تقليد يصنع الإنسان فيها ذاته بالتقليد لما حوله . وفي الإنسان مقدار من التقليد يضارع أو يشابه ما في القردة من ذلك . وبعد دور التقليد والانصياع لطقوس المجتمع وعاداته ، يبلغ الإنسان السن التي عندها يأخذ يدخل فكره إلى التقاليد ليرى كم هي تقع من الفكر السليم بحسبان أن فكره هو ، هو الفكر السليم ، وعندئذ يدخل الحذف والمحو والتصحيح في دستور الرجل الذي يأخذ يهديه ضميره ، وهو يسلك به في مسالك العيش» .



المصادر الأخرى للضمير :

على نحو ما فعل أحمد زكي في مناقشته لمصادر السلوك الإنساني ، نجده هنا يتأمل المصادر فيما يتعلق بالضمائر . ونلخص آراءه هنا فنتقل عنه قوله :

« إن في أديان الأرض كثيرًا من الروادع التي تتألف منها دساتير الأرض » ، « ولكن القواعد التي سنّها الفلاسفة لا تصلح لأن يقام عليها ضمير . ذلك لأنهم اختلفوا فنفي بعضهم بهذا الخلاف بعضا ، ولأنهم فكروا فحينما أصابوا وحينما أخطئوا ، وضلوا ضلالا بعيدًا » . وإذن فالعلة في عدم صلاحية الفلسفة لتكوين الضمير تقود إلى الاختلاف البين وإلى التفكير ، والتفكير لا يؤدي إلى الصواب دائمًا . ويفيض الدكتور زكي في تفصيل هذه النقطة وضرب الأمثلة لها على نحو ممتع يجدر بالقارئ أن يعود إليه في مقاله عن الضمير والمقالات الأخرى التي أوردناها في قائمة المصادر الخاصة بهذا الفصل .



الضمير وتقدم الأمة :

نجا أحمد زكى من أن ينظر إلى ضمير الجماعة ، نظرة الذين يحللون ، أموجود هو أو غير موجود ، وما هى طبيعته . وقد كان السر فى هذا أنه كان دائماً ينحاز إلى الجانب المرتبط بالإصلاح والتقدم ، من حيث أهمية الضمير لهذين الجانبين . . فنراه يركز على أهمية يقظة الضمائر ، من حيث كانت هذه اليقظة ضرورة أولى للإصلاح والترابط والتماسك .

ويمضى أحمد زكى فيصف أحوال الجماعات والأمم فى غيبة الضمير ، وصفا يؤكد على أهمية الضمير ، وأهمية العناية به .

ثم يتطرق أحمد زكى إلى الرشوة (الناحية الإصلاحية العلاجية الوقتية فى مقالات عالمنا الجليل ذات الصفة الشهرية) وعن علاقتها بالضمير ، ويرد ذلك منذ البداية إلى أن الفقر يضعف الضمائر . . ضمائر الأفراد . وقوله هنا « الفقر كافر والضمير إيمان » درة من درره .



وهذه بعض فقرات لأحمد زكى على نحو مسرود فى سرعة وترتيب :

□ «ولكن للضمائر مقدارا من اليقظة إذا هى لم تبلغه ، لم تبلغ الأمة ما وجب أن تبلغه من إصلاح . ولم تبلغ ما وجب أن تبلغه من ترابط وتماسك . فما يكون فى غيبة الضمائر إلا الظلم وإلا الاعتداء ، وإلا إضاعة الحقوق ، وإلا ذهاب القوة فى الدولة من حيث إنها قائمة دائماً فى ميدان صراع بين دول أكثرهم به عداوة وله أطماع » .

□ «إن الفقر يضعف الضمائر ، ضمائر الأفراد . والفقر كافر ، والضمير إيمان ، وفى الفقر يشمل المرء ما لا يشمل على الغنى . ودعوة الوعاظ إلى التمسك بالصبر ، على الفقر ، بأن الله رازق ، قلما تشبع من جوع وتغطى الجسم العارى بلباس » .

□ «والفقر كان حظ الدولة العربية فى دور الاستعمار الذى كان ، ولكم امتد فيما بعده من سنين ، والاستعمار كان فقراً وكان جهلاً ، والجهل يسد باب الغنى ويسد باب الضمير .

وغابت الحرية . . وفى مظلة الاستبداد تكثر السرقات ، وتباح الحرمات » .

□ «لهذا كان من رحمة الله أن تجول الأبصار اليوم فى الدول العربية فلا تزال تجد فيها من الضمائر

بقية باقية . إلا أن أكثرها ضماير عاجزة . ترى المنكر وتضعف عن تغييره ، إلا بقلوبها ، والتغيير بالقلوب أضعف الإيمان . إن أكثر الضماير تقبع حيث يقبع الذل ، والذل أخرس .

□ «ولكثرة ما شاعت الرشوة في الناس حتى صارت أصلا من أصول العيش ، اقترحت أن يمحذف من القوانين العربية حيث الرشوة شائعة النص بعقوبة المرتشى والراشى .

□ «وإلى جانب الرشوة الاختلاس . ويختلس وهو آمن أو يكاد . يأمن القانون . . ويأمن الناس أن تسفك دمه أو تحرق بيته . . جزاء عن الآلاف الكثيرة التي اختلسها من شعب فقير . وذلك لأن ضماير الناس ألفت أن تسمع ثم تقول لا حول ولا قوة إلا بالله . مع أن الله أعطاهم كل حول وكل قوة» .

ولكن ما هو الحل ؟ هنا لا يجد الدكتور أحمد زكي بدا من أن يقولها بملء فمه : إنه التربية . وهو يرد أولا على الذين ينادون بمثل ما حدث في الصين من « ثورة ثقافية » فيقول :

« ولكني لا أحسب أن بهذا تنصلح الأمور . فالضماير تحيا بالتربية في المنازل وفي المدارس وفي المساجد وفي الجامعات ، والدعوة إلى تصحيحها تخرج من بوق من أبواق الدعاية ، وفي كل كتاب إلا أن يأتي القوم نبي ، فيبدل من أنفسهم تبديلاً . نبي من بنى البشر لا رسول من رسل السماء» .



مع الزمن: أحمد زكي يعدل بعض آرائه

انتهينا مع أحمد زكي من واقع مقالات متعددة ، لعل أبرزها المقال الذي جعل عنوانه «مصادر السلوك الإنساني» وانتهى إلى أن هذه المصادر ثلاثة هي الغرائز فالعادات فالضماير . . وفهمنا عنه أن المنطق ليس بمصدر ، وأن الدين ليس بمصدر للأسباب التي ذكرنا بالتفصيل .

ولكننا نجد للرجل بعد ذلك مقالا كاملا عنوانه «الأخلاق ، والقيم ، والعادات في حياة الناس . ما مصادرها ؟» وعلى سبيل التلخيص السريع الذي لا بد منه لفهم الأمر كلية بادئ ذي بدء ، يمكننا القول بأن أحمد زكي عاد ليجعل مصادر الأخلاق والقيم والعادات أربعة مصادر رتبها على النحو التالي :

- الفكر الإنساني وما احتواه من منطق .
- الطبيعة التي يعيش في أحضانها الناس .

□ الجبلية الإنسانية التي لا تكاد تعتمد على فكر.

□ أديان البشر جميعًا .

وهكذا يبدو وكأن أحد زكى قد تركنا في حيرة . أيها مصادر السلوك ؟ الثلاثة الأولى الغرائز
فالعادات فالضمان ، أم الأربعة التالية : الفكر والطبيعة والجبلية والأديان .

وقد يبدو أن الاختلاف في العناوين قد يحمل بارقة أمل ، فالثلاثة الأولى هي مصادر للسلوك
الإنساني ، على حين أن الأربعة التالية هي مصادر للأخلاق والقيم والعادات . ولكن ما الفرق ؟
لا شك في أن هناك فرقاً بين السلوك الإنساني وهو شيء واقع ، وبين الأخلاق والقيم والعادات ،
وهي أشياء يفترض فيها أن تحكمه أو تحاول أن تحكمه ، أو تفسره أو تحاول أن تفسره .

ولكني لا أظن أن هذا الفرق يبلغ الدرجة التي تسوغ هذا الاختلاف بين المصادر في كلا
الحالين .

فلننظر أى المصادر تكررت في الأمرين .

عندئذ نجد الغرائز (في الأولى) قد عبر عنها بالجبلية (في الثانية) وهناك فرق ما بين الاثنين
سأتحدث عنه في حينه . .

ونجد العادات (في الأولى) مصدرًا ولكننا نجدتها في الثانية من الأشياء التي تتطلب المصدر .

ونجده في الأولى ينفي أن يكون الدين مصدرًا ، ثم يجعله (في الثانية) المصدر الرابع . .

ويبدو إذن أنه (على مثل هذا النحو من المقارنة والمراجعة) لن يتأتى التوفيق الذي يؤدي بنا إلى
فهم فلسفة أحمد زكى في هذا الموضوع .

ولكني أزعج أني فهمت الموضوع على نحو رياضي ، يستند إلى روح علم التفاضل ، ولست
أبتغي تعقيدًا للموضوع ولكني ابتغى تبسيطًا له .

ذلك أننا نجرى عملية « التفاضل » في الرياضيات على نحو قريب مما يسميه العامة
بالتفصيل ، أو على نحو ما يفهمه الكثيرون من سلسلة الأمور فعبد الله بن عبد المطلب ، ومحمد
صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله ، وهو ابن عبد المطلب أيضًا (ولكنها ليست بنوة مباشرة ،
ليست بنوة ناتجة من الخطوة الأولى في تعاقب الأجيال) . . وهكذا تمضى العلاقة التفاضلية أو
العملية التفاضلية على نحو يتيح لها أن تكرر نفسها على الناتج الذي أنتجته من المعطى الأول .

لا على القارئ مما تقدم ، ولينظر معي إلى السلوك الإنساني ما مصادره ، فليكن مصدره أى
شيء ، ولكن ما مصدر هذا الشيء المصدر ؟ إنه المصدر (الجد) . . ولكن مصدر السلوك

الإنسانى ليس واحدا وقد يكون أكثر من شيئين أو ثلاثة ، وقد يكون لمصدرين من مصادر السلوك مصدر واحد أعمق ، وهكذا . .

لو فهمنا هذه القاعدة التفاضلية لأدركنا أن أحمد زكى لم يخلط حين جعل مصادر السلوك الإنسانى هى الغرائز فالعادات فالضمان، ثم أعاد النظر يرى ما هى مصادر العادات والأخلاق والقيم فوجدها الأديان والحبلة والطبيعة والفكر .

بل أكثر من هذا فقد جعل الدكتور مصادر الأخلاق فى مقاله (العربى : ٨ / ١٩٦٨) ثلاثة هى من ذات التى نتكلم عنها ولكن مع اختلاف فى الترتيب :

□ الدين

□ قانون الطبيعة .

□ الحبلة البشرية .

أقول هذا هنا بعدما أخرته إلى هذا الموضوع لكيلا يزيد اللبس ، ولكنى متأكد الآن أن لا لبس ولا تلبس .

ولا علينا من هذا الترتيب التفاضلى ، لأننا لا نهدف فى المقام الأول إلى جعل هذا الفصل بل والكتاب كله تكامليا بالدرجة الأولى ، ولكننا نهدف إلى أن نستكمل على نحو ما البحث والتأمل فى جزئيات فلسفة أحمد زكى فى جوانب النظام الاجتماعى ، لهذا سنسرع إلى الحديث عن القيم ثم نتفرع بالحديث إلى الأصول الأربعة :

القيم

وهى عند أحمد زكى تلك التى « يقيم بها الإنسان أشياء الحياة ، مما يتصل بحوافيزها ، وأهدافها ، والأمانى التى يحاول الإنسان أن يبلغها » .

تعريف ليس هو تعريف الفلاسفة ، ولكنه قريب إلى حد بعيد منه .

ويتفرع الحديث بالدكتور أحمد زكى ليحدثنا عن نوعين من المجتمعات :

المجتمعات المستقرة :

وهى تلك التى قلما تتاح لها الفرصة فى التريث قليلاً لتتظفر فيها هى صانعة ، وفى موضع

صنعها من الصحة والخطأ ومن الحق والباطل . « ومثل هذا المجتمع عنده أن عاداته حقة ، وأن نقيضها هو الباطل ، وأنها حقة لأنها عادات ، وأنها عادات فإذاً هي حقة ، وإلا ما حفظها الزمان » ومثلها مجتمعاتنا الشرقية .

المجتمعات غير المستقرة :

وهي تلك التي يصحو الناس فيها ويمسون ، وهم يفتشون في عاداتهم وأخلاقهم ومعتقداتهم من كل نوع . ومثلها المجتمعات الأوربية . ويذكر الناس من أمثلة القلاقل التي وقعت في المجتمعات الأوربية الثورة الفرنسية ، وقبلها كان التحرك الفكري الذي قاده فلاسفة الفرنسيين في أوائل القرن الثامن عشر وفي أثنائه وهو كما عبر عنه باسم التنوير ، وقبل عصر التنوير كان عصر النهضة ، وكان عصر الثورة الدينية ، ومن بعد الثورة الفرنسية جاءت الحركة الرومانسية . . أمواج متلاطمة في البحر الذي افتقد السكون . تلك البيئة الأوربية في القرون الثلاثة أو الأربعة الماضية .

وكان أثر هذه الزواجع التي وقعت في الغرب في حياة الناس في أمم الغرب أثراً بالغاً في مساكن الناس ، وملابسهم وطعامهم ، وعاداتهم ، وآرائهم العلمية والاجتماعية والنفسية والمادية والروحية :



ويستأنف أحمد زكي حديثه ليناقدش إلى أى مدى بلغ تأثير ما حدث في الغرب على الشرق . ولتناقدش معه مصادر السلوك والأخلاق في أمم الأرض .

مصادر الأخلاق والسلوك

١- الفكر

بعد أن يضرب عدة أمثلة على نحو ما فعل في مقاله (العربى : ٢ / ١٩٧٢) يقرر أحمد زكى صراحة أن مبادئ الأخلاق ، وقواعد السلوك لم تكن من نتائج الفكر ، أو على الأقل من نتائج الفكر العارى والمنطق السليخ وحده . لابد أن الناس قد اعتمدوا فيها على مصادر أخرى .

وليس معنى هذا أن أحمد زكى لم يكن يعتبر الفكر مصدراً من مصادر السلوك ، ولكنه يريد أن يؤكد أن الفكر العارى أى الفكر المجرد ، والمنطق المطلق (بتعبيره : السليخ) ليسا هما المصدر

الوحيد للسلوك الإنسانى . . صحيح أن عباراته فى هذا ليست واضحة بالقدر الكافى ولكن سيأتى بيان هذه النقطة فى موضع آخر من كتابنا هذا إن شاء الله .

٢ - الطبيعة

يسرد أحمد زكى نماذج الطبيعة التى يستلهم منها الناس سلوكهم ، ففى الحيوان تعاطف ، وفيه ميل بين الذكر والأنثى ، وفيه أمومة ، والقط يأبى القذارة ، ولهذا يلحق شعره دائماً ، والكلب يحسن ولاءه للنعمة ، والشجرة تزرعها حيث ضوء الشمس قليل فتميل لتخرج إلى الضوء . . وكل هذه دروس للإنسان .

ولكن الدقة العلمية تجعل أحمد زكى لا يمضى دون أن يذكر الجانب الآخر من الموضوع ، فإن فى الطبيعة ظواهر جرى الناس فى أخلاقهم على نقيضها . ففى الحيوان افتراس دائم ، يأكل القوى الضعيف ، ويأكل الكبير الصغير ، والناس لا ترضى هذا ، أو هى على الأقل تحاول ألا ترضاه ، فتنشئ معانى من العدالة ومن المساواة ، لا يعرفها عالم الحيوان .

وينتهى أحمد زكى نهاية أقرب إلى ما ننتهى إليه فى أمر الفكر كمصدر من مصادر السلوك الإنسانى فيقول : « وليست هذه المعانى مصدرها الفكر والمنطق ، وليس مصدرها الطبيعة يعيش الإنسان فى أحضانها » .

٣ - الجبلية الإنسانية

يبرز هنا سؤال مهم ، هل أراد الدكتور زكى أن يعاود القول بأثر الغريزة ، فاختار لها اسماً آخر هو الجبلية ؟ قد يكون . ولكنه ضرب مثلاً يساعدنا على فهم الجبلية على أنها شىء آخر غير الغريزة ، فهى شىء فى الإنسان الذى نما فى المجتمع الإنسانى ، أما الغريزة فهى تلك التى فى الإنسان الذى ولد فحسب ، هذا هو ما فهمته شخصياً من ضربه المثل بالرجل يأكل طعامه على ناصية الطريق فيمر به المحروم فتدفعه جبلته - إن ظلت صحيحة - إلى أن يوجد ببعض طعامه لهذا المحروم .

وينتهى أحمد زكى فيما يتعلق بالجبلية إلى رأيه إلقائل بتأكيد ما ذهب إليه من قبل من أثر الغريزة أو الجبلية أو الطبيعة فى سلوك الإنسان ، وعباراته فى هذا واضحة : « هذا هو أنت أيها الإنسان ، ولا تقل من أى جنس أنت ، ولا من أى أرض ، إن كل الناس الأسوياء فى هذا سواء ، فتلك هى الجبلية الإنسانية ، وكدت أقول الفطرة التى تهدى الناس سواء السبيل » .

٤ - الدين

ولعل رأى الدكتور أحمد زكى فى مسألة الدين هنا أقرب إلى الصواب من رأيه السابق (الذى أشرنا إليه فى موضعين سابقين فى هذا الفصل وفصل سابق) عندما تحدث عن مصادر السلوك الإنسانى ، نافية أن تكون الأديان من هذه المصادر ، لأن الناس تقبلوا الأديان بقدر ما وجدوا فيها من توافق مع ما عرفوا من قواعد السلوك السوى .

وقد يكون هذا صحيحاً فى شأن أولئك الذين اتهم الأديان فى ماضى الزمان ، ولكن ما بال أولئك الذين يولدون فيجدون أنفسهم على دين آبائهم ، وهم كل الذين يعيشون عصورنا اليوم ؟

لهذا كان من الصواب أن يعود الدكتور أحمد زكى ليؤكد على الدور الإيجابى للأديان فى تكوين السلوك ، وطبيعة هذا الدور ، على النحو الذى نجتزئ منه بقوله : « جمعت الأديان - إلى العبادات والعقائد - محاصيل القرون من الأخلاق ، ورسمت طريقاً معبداً سهلاً ، وفر على الناس اضطراب الفكر ، وريبة المنطق ، وأشياء يستوحىها الإنسان من بيئته ، ومن الطبيعة التى يعيش فيها ، أما الجبلية الإنسانية فانتقلت خلاصتها طاهرة مطهرة إلى الأديان تكاد تحدث بها » .

« والفضائل الأساسية فى الأديان واحدة أو تكاد تكون » .

ولكن ماذا عن التقاليد ؟ إنها الشئ الذى لم نتناوله حتى الآن بالتفصيل بعدما تناولنا مع الدكتور أحمد زكى : الغرائز ، والعادات ، والضمائر ، والقيم ، وكلها من عناصر البناء الاجتماعى . ها هو ذا الدكتور أحمد زكى يختص التقاليد بمقال كامل فى حديث الشهر (العربى : ٧ / ١٩٧٤) ، ويجعل عنوانه « التقاليد : يذكرها من أهل اليمين من يذكر فيرفعها إلى الذروة ، ويذكرها من أهل اليسار من يذكر فينزل بها إلى الحضيض » . ومن هذا المقال ، ومن فقرات أخرى نلخص للقارئ آراء أحمد زكى فى التقاليد من زوايا مختلفة .

التقاليد بين أهل اليمين وأهل اليسار :

لأهمية هذه النقطة نقدمها فى الحديث كما قدمها أحمد زكى من قبل حيث يقول :

« التقاليد لا تختلف فى قيمتها بين هؤلاء وهؤلاء ، ولكنها تكاد تكون من العوامل المفرقة بين أهل اليمين وأهل اليسار . فأهل اليمين ينظرون إليها على أنها عمد من أعمدة الحياة ، تتقوض الحياة بتقويضها ، وعند أهل اليسار هى أسوأ أدواء يجب أن تتخلص منها الحياة لتصح وتطهر » .

ما هي التقاليد :

يعرف أحمد زكى التقاليد طبقا لمفهومه الأشمل المتعلق بمنظومة البنيان الاجتماعى على النحو: «أنماط من السلوك تواضع عليها مجتمع من الناس ، لتنظم الحياة بينهم ، فلا تكون فوضى ، ولكى يعرف كل من فى المجتمع حين يحل به أمر ، أو يشكل عنده مشكل ، أو يقع له من الأحداث ما يجب أو ما لا يجب ، كيف يتصرف كما يتصرف الناس لا بد من أسلوب واحد أو أسلوب متشابه يتعوده الجميع فى شتى ما يكون بينهم من علاقات » .

وأبسط مثل للتقاليد هو السلام . على اختلاف صور التحية التى يحى بها الرجل من يلقاه ممن يعرف ، وهو « تقليد دفع إليه الطبع عند لقاء الناس بالناس . إن الرجل لا يلقى الرجل وكلاهما كالحجر جامد أصم ، لا بد من حركة ، من إشارة من كلمة من تحية ، ولا بد من الاتفاق عليها ليفهم معناها . وهذا هو التقليد عند اللقاء ، وفاء بحاجة الإنسان » .

ويجيب الدكتور أحمد زكى عن سؤال يطرحه « كم عدد التقاليد : هل هى مائة ؟ هل هى ألف ؟ » فيقول إنها عديدة لا يكاد يحصرها حصر ، وهى تشمل جميع مناسبات الحياة . ويمضى فى تفصيل ذلك على نحو نتركه للقارئ فى مقال الدكتور زكى .

معنى التقاليد :

هذه فقرة مهمة يعبر فيها أحمد زكى عن رأيه الشخصى فى التقاليد ، وعن معنى التقليد . ومن الطريف أن هذه الفقرة بالذات وردت فى مقاله « الأكل : فن وفلسفة » وهو أحد فصول كتابه « ساعات السحر » . فاقرا معنى الخلاصة الأولى للرأى : « أحسب أن الأساليب شىء عظيم ، وأن أطرزة التقاليد لم تكن عبثا ، وأنها دائما أبدا ترمى لمعنى ، قد يكون صريحا أول الأمر ، ثم هو بينهم من بعد ذلك ، فيقول التقليد وحده من بعد ذلك ، فيظنه الناس عبثا ، وما هو بالعبث ، إنه لفظ فقد معناه ، أو انبهم معناه ، ولكن يبقى له جرسه المسموع المؤلف الحبيب » .

من يصنع التقاليد ؟ :

«إنها مؤلفات فقدت أسماء كتابها ، ولعل ذلك كان بسبب كثرة من اشترك فى تأليفها ، وينشأ الناشئ فى المجتمع فيحسب أن هذه التقاليد خلقت فى المجتمع مع ظهور الشمس والقمر » .

كيف تنشأ التقاليد ؟ :

ويضرب لنا أحمد زكى فى أكثر من موضع الأمثال لنشأة التقاليد . وهو حريص على أن يؤكد أن التقاليد فى نشأتها لا تعرف المنطق ، والمثل الكلاسيكى عنده لهذا ، هو السنة القمرية : « فابتدعنا السنة القمرية ، وهو معنى مصنوع ، وهو لا يتصل بجرم من السماء ، السماء تعرف سنة الشمس ، ولا تعرف ، وما عرفت للقمر سنة فقط . على كل حال هذا استطراد أشبه بالثرثرة . فليمض الناس على ما هم فيه فللتقاليد قوة فوق المنطق ، لا سيما إذا عززتها وغرستها وصانتها فى قلوب الناس السنون . فلنسر مع القمر ، فى صحبة وثيقة ربطت أواصرها القرون » .



التقاليد والقانون :

وينتقل الدكتور أحمد زكى إلى علاقة التقاليد بالقانون فيذكر أن من التقاليد « ما يرى المجتمع أنها بلغت من الضرورة مبلغ الإلزام فيجعل منها المجتمع قانوناً ملزماً » . « ويقع هذا أكثر ما يقع فيما يتصل بين الناس والناس من معاملات وخصوم » .

« على أن أكثر القوانين ، بل الكثرة الكاثرة منها ، إنما ترسم للناس جميعاً فى حياتهم الجارية كيف يسلكون ، ويرضاها الناس حتى لتصبح فيهم تقاليد ، بمعنى أنها تصبح فيهم عادة ، وخطوطاً للعمل يمشون عليها غافلين عما تضمن القانون بها خاصة من ثواب وعقاب » .

« وعلى الجانب الآخر ، فإنه إلى جانب هذه التقاليد التى يعمدها القانون ، تقاليد أخرى عدتها ألف لا يعمدها القانون ، ذلك لأن القانون كالسيف القاطع ليس مما يفيد المجتمع أن يعلق فوق كل حائط ، وكذلك من شئون الحياة ما يجب تركه لضائر الناس لتقضى فيه ، تستخدم فى حكمها ما وهبت من عقل ، وما قسط المقسط لقلوبها من رحمة ، وذلك لأن الهدف الأكبر من التقنين ، وإن طال زمانه أن يقوم مقام الضائر حتى تبلغ غايتها من النضج ، لهذا يجب استخدام

الضمان وتدريبها ، حتى يأتى الزمان الذى يكون فيه الضمير هو القانون الذى يحكم ليحتكم إليه الناس » .



تقاليد الزواج : مثل للتقاليد الشائعة :

يستعرض أحمد زكى بعضا من تقاليدنا الشائعة ويقف منها بعض وقفات التأمل ، سنغنى القارئ من أكثرها فى هذا المقام ، ولكننا سنستمع معه بالاستماع إليه وهو يتحدث عن تقاليد الزواج فيقول : إن الزواج ازدواج ، والعروس والعريس عند الازدواج يغفلان عن كل هذا ، ووجب أن يغفلا ، إنه الحب بينهما ، وإنه العشق ، وإنه الشهوة أو ما شئت من أشياء . . إن الإنجاب واحد من أشق الواجبات زيفته الشهوة التى تبدو . إنها كشهوة الطعام لولاهما ما قام أحد إلى مائدة . ويستطرد ليقول « إن التزييف نوعان ، أن تحب الحسيس تحت غطاء من ذهب ، وتكشف عنه غطاءه ، فلا تجد إلا شيئا خسيسا ، ولكنك أيضا قد تحب الشيء الثمين تحت غطاء من فضة وتكشف عنه غطاءه ، فتجد من دون ذلك ذهباً خالصاً » . وهكذا الإنجاب عمل يغرى به الإنسان فقشرته من فضة ، ولو كشف عنه قشرته ، لوجده ذهباً خالصاً ، وقل من الناس من يتوقف ليكشف .



التقاليد والحروب :

لأحمد زكى آراء متنوعة فى هذه الجزئية نورد بعضها فيما يلى :

- « وللتقاليد جذور ثابتة فى الشعوب وقد عرفت أوروبا قبل الحرب تقاليد تكاد تكون ثابتة ثبوت الدهر ، ثم تبدلت أسرع تبدل عقب الحرب العالمية الأولى وجاءت الحرب الثانية فزادت تلك التقاليد تبديلاً ، حتى كان التبدل ثورة » .
- « وتنتهى الزلازل المتلاحقة وقد تقطعت روابط الناس بالناس ، والذى لم يتقطع شك الناس فيه ، وإنه النافع حقاً ، وتتغير بتصدع الإيمان غضباً » .

□ «مع هذا فلكثرة من سكان أوروبا وسكان أمريكا كان لا بد من تقاليد . أهي جديدة؟ قد تكون، ولكنها على كل حال تضمنت الكثير من القديم فإن الطبيعة الإنسانية لا تأبى الانفصام والمجتمعات الإنسانية تأبى إلا الانسجام ، فإن ذهبت تقاليد فلا بد أن تحل محلها تقاليد ، وإلا صارت الحياة فوضى ، في منزل ، وفي شارع ، وفي سوق ، وفي كل مكان تدفع الناس إليه خطاهم» .



التقاليد بين الريف والحضر :

وينبه أحمد زكى إلى اختلاف التقاليد بين الريف والحضر ويضرب المثل لذلك بالإقراض فهو في الريف دون صك ، فإن اتبعت هذا التقاليد في الحضر فأكبر الظن أنه لن يعود إليك مقرض مال ، ولن يحمذك على عملك هذا حامد . هذا في الريف حسن ثقة وخلوص نية ، وفي الحضر سفه وغفلة وقلة إحساس بالتبعة .

والحضر ذاته درجات ، فهناك حضر صناعى وحضر زراعى ، وحياة هؤلاء غير حياة هؤلاء ، وتقاليد هؤلاء لا يمكن أن تطابق تقاليد هؤلاء .



التقاليد والمصالح :

« إن التقاليد وجودها مرتبط بأنها مع تيسير عمل الناس في الحياة بتوحيد مسالكهم فيها تقوم بخدمة مصالح الناس » . والتقاليد ما خلقت في بدء خلقها إلا لتفى بحاجة من حاجات العيش ، وهى قد تتوسط معاملات الناس وقد تكون بدءاً في هذه المعاملات وقد تكون انتهاء وما خلق تقليد أبداً لمضرة الناس ، إذن لما كان تقليداً رضىه الناس » .

التقاليد البالية :

ولأننا نعيش في عصر تتغير ظروفه وحاجات الناس تتغير بتغير الأزمان « فلا مانع مطلقاً من إبدال جديد من التقاليد بقديم ، على أن يكون التقليد من الأصالة في العيش بحيث يستأهل كل ما يبذل في ذلك من جهود وعلى شرط أن يكون للناس وأخص السواد ، أن يكون لهم مصلحة محققة في هذا الإبدال والتغيير » .



أثر التعليم في التقاليد :

إنه يحدث انقلاباً في التقاليد وحسبك أمره في مسألة السفور وواجبنا أن نفتح الأبواب لتعليم الرجال والنساء « ويسروا للناس الأعمال ليرتزقوا الرزق الحلال الطيب المجزى ، تتطهر المجتمعات من كثير من التقاليد ، لا نقول البالية ولكن « الضارة » قديمة كانت أو حديثة » .

« إن للجهل تقاليد تخفف عن الجهلة أثقال الحياة ، حتى ليكون أحياناً من المضرة سلبهم إياها ، إنها المخدر الذي يذهب بالآلام ، وكذلك الفقر له تقاليد تخفف عن أهله مرارة العيش ، وقد يكون من القسوة تحريعهم كأس العيش بمرارته الكاملة » .



التقاليد والمستقبل :

وقد يكون من حسن الختام أن نختم حديثنا عن التقاليد وعن منظومة البناء الاجتماعي في فلسفة الدكتور أحمد زكي بالحديث عن أمل الدكتور أحمد زكي في تطوير التقاليد وخصوصاً أن الفقرتين قبل الأخيرتين من هذا الباب تحدثاننا عن التقاليد البالية ، وأثر التعليم في التقاليد .

لاشك أن ذلك من حسن الختام ، وخصوصاً إذا كنا نقبّس من الرجل الذي كان يحسن الختام ، وقد أحسن الله خاتمته .

روى الدكتور أحمد زكي أنه حدث رجلاً جاهلاً فقيراً في شيء يشبه ما يتحدث عنه الناس من تقاليد ، فقال ذلك الرجل موجهًا حديثه إلى أحمد زكي : « عادات إيه وسخام إيه . ما لها عاداتنا ، إنها على قدنا . . . إن كنتم تريدون عمل شيء لنا ، فعلموا أولادنا كيف تكتب وتعمل وترزق ، واملئوا أفواههم باللحمة السخية حتى يملئوها هم بأيديهم » .

ويشير الدكتور أحمد زكي إلى أنه من اللطيف أن الرجل ذكر الأولاد ولم يذكر آباءهم ، لعله ظن أن النجدة بحسبها أن تصل إلى الأولاد ، وأنه ليس في الأمر متسع لأكثر من هذا « فهل نفعل ؟ » .

المصادر:

- « عقل الإنسان ميزان غير ثابت على الزمان » - (العربي : يوليو ١٩٦٧) .
- « هذه المدنية زادت الناس جميعاً أم تشنيتا » - (العربي : إبريل ١٩٦٨) .
- « الأخلاق ، إذا عجز العقل عن القول فيها ، قامت معايير أخرى تدعم قواعد السلوك والأخلاق » - (العربي : أغسطس ١٩٦٨) .
- « العقل والإيمان : عينان بهما يبصر الإنسان سبل الحياة ويهتدى » - (العربي : نوفمبر ١٩٦٨) .
- « الحرية في ظل العادات وفي ظل القانون » - (العربي : أغسطس ١٩٦٩) .
- « مصادر السلوك الإنساني ثلاثة : الغرائز والعادات والضمائر » - (العربي : فبراير ١٩٧٢) .
- « الأخلاق والقيم والعادات في حياة الناس » - (العربي : نوفمبر ١٩٧٢) .
- « توحد المذاهب والمشارب والعادات في الأمة الواحدة يسهل مسيرة الحياة فيها » - (العربي : أغسطس ١٩٧٣) .
- « التقاليد » - (العربي : يوليو ١٩٧٤) .
- « أهل اليمين وأهل اليسار » - (العربي : أكتوبر ١٩٧٤) .
- « الضمير لفظ له معنى في اللغة لم يعرفه العرب » - (العربي : مارس ١٩٧٥) .
- « سوق عكاظ أيكون له نشر من بعد انطواء » - (العربي : أغسطس ١٩٧٥) .

الفصل الثامن

المجتمع

الإصلاح عندى لا يبدأ من أسفل ، ولكن يبدأ من الأعلى إلى الأسفل أو هكذا هو يجب أن يكون... إن الإنسان أوثق قدما وأثبت موضعاً وهو فى الدور السفلى من ناطحات السحاب ، « فإذا أنت علوت ثم علوت ثم علوت حتى بلغت الدور الأربعين أو الخمسين من البناء ، ونظرت إلى أسفل ، هالك المنظر ، وضاعت عند ذلك وثاقة القدم ، وذهب ثبات الموضع. وأنت إن بقيت هناك طويلاً نسيت ما العيش ، مع سواء الناس ، على الأرض الجامدة ».

الفقر

كان « القضاء على الفقر » بمثابة أهم عنصر من عناصر الإصلاح الاجتماعى فى فكر أحمد زكى (الذى تولى وزارة الشؤون الاجتماعية) . . وكان ينظر إلى الفقر على أنه مشكلة كبيرة جداً تؤثر فى

مقومات البنيان الاجتماعى حتى إن الأخلاق كانت فى رأيه نوعين : أخلاق على الفقر ، وأخلاق بعد القضاء عليه . وعباراته فى هذا المعنى واضحة ، ومنها قوله فى (يوليو عام ١٩٧٢) : «القناعة تكون بعد الثراء لا قبله ، ولا بأس من البجوحة فالناس ناس » .

والفقر فى تقديره مأساة تؤثر حتى على الإيمان (العربى : ١٩٥٩ / ٧) : « الجوع كافر ، فلا تأت لكافر ، كفره الجوع ، فتحدثه عن إيمان . إن سبيل الإيمان عنده الرغبة والإدام . إن هذه هى الطبيعة ، وهكذا خلقنا الله » .

والفقر فى رأيه مأساة تؤثر فى الإنسانية أيضًا ، فتتزل بها عن المستوى الذى أراده الله (العربى : ١٩٥٩ / ٧) : « الإنسان على الجوع المتصل نزل فى الفهم إلى مستوى البهيم » .

والفقر كذلك سبة (العربى : ١٩٧٢ / ٧) ، سبة للفرد لأن مع الفقر الضعفين : ضعف الجسم ، وضعف النفس ، وكلاهما سبيل الضعة والمذلة . فالفقير لا يكاد يرفع يديه ليرفع بصرًا ، لأنه تعود النظر إلى الأرض » .

والفقر سبة للجباة أيضا كما هو سبة للفرد ، وسبة للأمة التى أكثر أهلها فقراء فى عصر حضارى .



ولكن على من يقع وزر الفقر ؟ إن أحمد زكى (وهنا موطن التفرد أو التقدم فى فكره) يلقي به صراحة على عاتق الدولة (العربى : ١٩٦٧ / ٣) : إن وزر الفقر على الدولة ، ووزر البطالة ، وهى فقر - على الدولة . والدول الواعية اليوم تدرك أنه ما من بطالة إلا وهى سوء تنظيم وتخطيط . « إن تيسير اللقمة النظيفة لتصل إلى أفواه المواطنين هى فى حسابنى أول واجبات الدولة » (العربى : ١٩٧٤ / ١٢) .

وفى هذا المعنى يقول أحمد زكى : « لا لربط الفقر بالمذاهب . إنها طبخة الطابخ ، هذا يجبذ أن تطبخ فى نحاس ، وهذا يجبذ أن تطبخ فى حديد . . فى فخار ونسوا الطبخة نفسها . . والطبخة قيمتها ليست فى وعائها ولكن فيها تحويه من لحم وشحم ، وما الوعاء إلا عارية » . « والناس تقضى أمساءها والأصباح فى مذاكرة المذاهب ، ولو أنهم صمتوا عن هذه المذاهب ونزلوا إلى الحقول يعملون لأغناهم العمل ، وأنتجة العمل ، عما كانوا فيه مجتمعين » . « أخطر من المذاهب

الاقتصادية الاقتصادية نفسه . « لابد من عمل الناس كافة ، فلا يكون بينهم قادر كسول عالة . . يأكل بلا عمل ، أو يأكل من عمل غيره ، عمل الناس » .

ويضرب أحمد زكي الأمثلة التي يؤيد بها وجهة نظره : « لقد زرت ألمانيا بعد نكبتها بسنوات ، فوجدتها كخلية النحل لا تهدأ عملاً ، والنحل يعمل نهاراً ، وهؤلاء كانوا يعملون ليلاً ونهاراً ، في «الرور» . . في «الرين» . . في «كولون» . . إلخ . . « صفوف كصفوف النحل رائحة بأعمالها غادية ، ومنهم من أعطى فوق حصته عملاً ، ورفض أن يأخذ عليه أجرًا . إنه يبنى أمة . إنها روح الجهاد ، شملت الناس كافة هناك ، ولم أقف لأتساءل : ما كان مذهبها الاقتصادي عند ذلك » .

« وإن تعجب فاعجب من قوم يرون في المذاهب أنها الغاية . المذهب عندهم هو الأول والآخر . يعتنقون المذاهب أى مذاهب ، ثم ينظرون إلى السماء عليها تمطر ذهباً . إنها معركة الفقر أقل سلاحها خطراً المبادئ والمذاهب ، وأعظمها خطراً عمل العامل وجهد الجاهد » .

وما الحل؟

إذن الحل هو العمل ، والإنتاج ، ولكن أى نوع من العمل والإنتاج؟ إن أحمد زكي يركز على ضرورة التصنيع . وحتى الزراعة لا بد من دخول التقنية إليها ، وهو يفيض في شرح المعنى الذى يفرق بين الناتج النهائى من الزراعة أو العمل اليدوى ، وبين ذلك الناتج بعد التصنيع . وسنورد هنا فى اختصار شديد بعض فقراته فى هذا الصدد .

□□ « والحقيقة التى أريد أن يعلمها العرب - وأكثرهم لا شك أيقاظ لها ، بها عارفون - أنه لا سبيل إلى أن تكون للعرب صناعة إلا من هذه المدخرات التى أتتهم من البترول . ولست أريد للعرب زماناً صناعياً ضحكاً كالذى كان للشعب الإنجليزى فى القرن الماضى ، ولا كالذى كان للشعب الروسى فى القرن الحاضر ، ولكن أريد أن أقول إن إنشاء الصناعة العربية يحتاج إلى تضحية ، من أقلها ترك البذخ والإسراف فى اقتناء السيارات وبناء القصور ، ويكفى العرب إلى حين أكثر مما كفى الإنجليز والروس فى نشأة صناعتهم » (العربى : ١ / ١٩٧٣) .

□□ « أكاد أقول إن البلاد التى لم تتصنع ليس من حقها أن تشتري من هذه المدنية الصناعية ما تشاء بغير حساب ، لا سيما فى البلاد التى إذا اشترت فيها سيارة ذهب ثمنها بطعام مائة أو

ألف من الناس ، لا سيما سيارة لا يركبها راكبها إلا لينتمى ظاهراً إلى المدنية الحاضرة وهو ليس منها وهي ليست منه » . (العربي : ١١ / ١٩٧٤) .

□□ « المصانع اليوم صارت أبواب الثراء وأبواب الاكتفاء وأبواب الرخاء ، وأبواب العزة لمن يطلب العزة ، والقوة لمن يطلب القوة . والعزة التي بناؤها القوة هي اليوم المتكأ الأول لمن يخشى في الحياة ذلة » (العربي : ١٠ / ١٩٦٦) .

□□ « المكن المكن يأسادة العرب ويا دهماءهم . تمكنوا بالمكن ، فليس اليوم في حاضر هذا العيش من مكنة سواه . إن الذراع الذي يعمل اليوم من حديد ، وإن بقى ذراع من عظم ولحم يعمل إلى اليوم فهو ذراع البقر والخيل والحمير » .

« الشرط الأول للتجهيز للإنتاج الميكاني : أن يقرأ العامل وأن يكتب ، فيعرف كيف يعمل المكن ؟ ثم كيف تحسن إدارته ويحسن الإنتاج به عامة ؟ » (العربي : ٣ / ١٩٧٠) .

□□ ويعلق على الذين يفخرون بإقامة مجموعة من المصانع والصناعات تبلغ خمسا أو ستا وتكون هذه فخر مواطن بوطنه ويقول : « وأحسبها فخرا لصناعة بادئة ، ولكنه يجب أن لا ننسى أن هذه الصناعات ألف وألف ، لا بضع خمسات أو عشرات . وعلى هذا المواطن أن يراجع قوائم الصناعات في البلاد الصناعية ، ويحتاط حتى لا يتورط في انهيار عصبي شديد » (العربي : ١ / ١٩٧٣) .



هل لنا أن نتقل بعد هذه الفقرات ، التي أضاعت لنا فكرة أحمد زكي في مكافحة الفقر بالتصنيع ، إلى الجانب الثاني من جوانب الإصلاح الاجتماعي ، وهي مسألة متصلة أشد الاتصال بالجانب الأول من حيث أهمية العلاقة بين الأجور والإنتاج ، لأنه لا بد من مراعاة « أن كل محاولة لرفع الأجور الحققة فوق ما يأذن به الإنتاج ، أو خفضه دون ذلك لا بد أن تنتهي بالفشل ، وتعم المأساة حين يصل تأثير هذا الخفض في سائر الإنتاج فتفسد به الأجور ويتعطل العمال . والنتيجة التي لا مهرب منها إنما تكون زيادة الأسعار ، وزيادة الأسعار عقوبة للشعب » .

ويصل اقتناع أحمد زكي بهذه الفكرة إلى حد أن يجاهر (العربي : ٩ / ١٩٧٣) بأن « كل مؤسسة عامة أو خاصة لا تحسن الإنتاج - كثيراً ما يكون إغلاقها خيراً لأنها تنزل بالأجور وترتفع بالأسعار ، والفقر يرقد في كليهما والإفقار » .

ويلجأ أحمد زكي إلى فكرة جيدة من حيث هي معيار للتقييم فهو يقيس الإصلاح الاجتماعي ،

والنجاح الاقتصادي المسبب له بالمستوى الأدنى الذى يكون فى البلاد . بعبارة أخرى ، يذهب الدكتور أحمد زكى فى تعريف الفقر إلى أنه غياب الضروريات . « والضرورة هنا ليس معناها أن الشيء هذا الذى نسميه بالضرورى إذا غاب هلك الإنسان ، ولكنه ضرورى بمعنى أنه إذا غاب افتقده الإنسان افتقاداً شديداً » .

بعبارة ثالثة أقرب إلى علم الحساب والرياضة ، إنه يجعل حد الفقر هو الحد الذى يكون من تحته فقيراً ٧ بدلاً من ٣ وهكذا .

ونحن نجد هذه المعانى فى حديثه عن الصناعة وعلاقتها بالحرية ، وهانحن نختار من حديثه فى هذا المعنى ثلاث فقرات من إحدى مقالاته (العربى : ١٩٧٢ / ٧) :

□ « الرجل القنوع هو الذى يأكل ولكن دون أن يشبع ، ويطلب الطيب من ثمرات الأرض ويقف دون الكثير حتى يكون لغيره نصيب ، وهو الذى يلبس الثياب نظيفة مريحة لا بهرج فيها ، ويفى بمطالب العيش ولكن فى اعتدال » .

□ « والرجل القنوع هو الذى يقنع بالعيش المحدود ، شريطة أن يكون هو الذى يجد منه . والرجل القنوع هو الذى يرضى بالعيش القليل ، شريطة أن يكون هو الذى يقلل منه ، لبقى منه شيء ينتفع به ذو رحم أو ذو صداقة أو ذو ميزة أو ذو جاه » .

□ « وليس من القناعة أن يقنع المرء بالعيش الزرى الذى تفرضه عليه الأيام فرضاً ، ذلك الذى نسميه بالفقر ، فما كان الفقر يوماً بزينه . وما كان صبر على فقر له أجر فى دنيا أو آخرة ، والرجل قادر على تغييره . أما أن يطلب الفقر عمداً ، فى اليوم الحاضر رجاء أجر مرجو غداً ، ففكرة تعجز عن فهمها العقول » .

وأروع من هذه الفقرات الثلاث ، فكرة ذكية لأحمد زكى يرد فيها على أولئك الذين يرضون لشعوبهم - أو لغيرهم أو لأنفسهم - الفقر تحت شعار الزهد ضارين الأمثال بالزهد الكبار فى تاريخ الإنسانية والإسلام . فيقول أحمد زكى إن هؤلاء عملوا ولم يرفضوا أجر عملهم ، وإنما أجلوه - إلى يوم القيامة - فهو نسيئة .



وفي النهاية ، فإن أحمد زكي كان يجاهر بأنه ليس في عالم اليوم مكان للضعفاء ، على النحو الذي يجده القارئ مفصلاً في الباب الأول . . وهو يتحدث في مقاله (العربي : ١٩٦٨ / ٦) عن أحكام القانون الدولي في شأن الدول المتخلفة . ثم يقول عن هذه القوانين إنها صارت كلها كسائر قوانين أهل الأرض ، إن كنت ضعيفاً وتخشى الملامة فأنت تتقبلها وتحاول فيها ظهر منك أن تخضع لها ، وإن كنت قويا فمندا الذي سوف يطالبك من بعد حساب ؟ » .

المصادر :

- « الفقر داء عز دواؤه » (الهلال : مايو ١٩٤٨) .
- « معركة الفقر قائمة » (العربي : يوليو ١٩٥٩) .
- « فقر الدولة من فقر أفرادها وغناها من غناهم » (العربي : يوليو ١٩٦٤) .
- « ألف مصنع ومصنع تفتح الآن أبوابها لتصنع الرجال » (العربي : أكتوبر ١٩٦٦) .
- « الفقر . . الفقر » (العربي : مارس ١٩٦٧) .
- « الدولة الخيرة ترعى أبناءها من يوم يولدون إلى يوم يقبرون » (العربي : ديسمبر ١٩٦٨) .
- « فقر وغنى » (العربي : مارس ١٩٧٠) .
- « التربية كيف تمارس على التخلف والفقر » (العربي : فبراير ١٩٧١) .
- « هموا إلى الإصلاح » (العربي : مارس ١٩٧١) .
- « معركة الفقر والغنى » (العربي : يوليو ١٩٧١) .
- « بين الحرية والكسب » (العربي : يوليو ١٩٧٢) .
- « حقائق عشر عن تخلف الشرق » (العربي : يناير ١٩٧٣) .
- « الأجور وكيف اختلفت بين الناس » (العربي : سبتمبر ١٩٧٣) .
- « الأسعار . . الأسعار » (العربي : نوفمبر ١٩٧٤) .
- « الفقر أكثر أسباب التخلف أصالة » (العربي : ديسمبر ١٩٧٤) .

فهرست منابع

1. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
2. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
3. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
4. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
5. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
6. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
7. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
8. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
9. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
10. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
11. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
12. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
13. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
14. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
15. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
16. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
17. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
18. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
19. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».
20. (1391) وزارت بهداشت، درمان و آموزش پزشکی. «سند ملی سلامت 1391».

الفصل التاسع

المرأة

« أحب المرأة التي تقول لا ، ولا أحب التي تقول نعم دائماً لأنها تعيش على الظلم ، ولا التي تقول لا دائماً لأن هذا ينافي طبائع الأشياء ».

يناقش هذا الفصل نقاطاً قد تبدو منفصلة بعضها عن بعض ، أو تبدو كل واحدة منها متممة إلى عنوان كبير غير الذي تنتمي إليه النقاط الأخرى ، ولكننا مع ذلك نجتمعها في هذا الباب الذي يحمل عنواناً له الصدارة من حيث أهميته على بقية العناوين ، من حيث كانت المرأة طبيعة ، وللطباع السبق عند التقسيم ، وأفضل التقسيمات هي تلك التي تخضع للطبيعة .

ومن هذه القضايا حاجة الرجل إلى المرأة : طبيعة هذه الحاجة ومداها وسرها ، ويعرض رأي

الرجل في تحرر المرأة وأى نوع من التحرر يميز وإلى أى درجة يوافق ، ويعرض أيضاً مذهبه في أن الأسرة باقية ، وأن الإباحية لن تستمر إلا إلى حين مؤقت ، وإلى حد معين . والأمومة ، ودورها في تربية الإنسان ، ربابة البيت كمهنة المرأة الأولى ، طبيعة المرأة التي تضيق بالعرى والإباحية : كل هذه أيضاً رءوس موضوعات يتناولها هذا الباب على نحو نرجو له أن يلقي القبول .

ويستمد هذا الفصل أفكار أحمد زكى من فصول ومقالات متعددة يجد القارئ قائمة بها في نهاية الفصل .

على أنه ينبغي لنا قبل أن نمضى مع أفكار أحمد زكى في هذا الفصل أن نشير إلى أمرين :

□□ أولهما : أن أحمد زكى كان من أنصار المرأة - إن صح أن للمرأة أنصاراً وأعداء - كان يدافع عنها في العهد الذى كان الدفاع عنها فيه شىء غير مألوف من الرجال ، وكان يفخر بالمرأة المصرية في كل مجال ، وكان يدعو إلى التقدم المحسوب بالمرأة العربية ، المحسوب ولكن في جميع الميادين . وكان يعتب على المرأة نفسها أنها لا تنهض بينات جنسها النهوض الواجب عليها نحوهن . كان أحمد زكى يقدر فضل المرأة على ولدها جنيناً ورضيعاً وطفلاً وشاباً يافعا ورجلاً . . . وكان يعتز بفضل أمه عليه ويوليها من حبه أكثره ، وكان يقدر لزوج صبرها وتحملها وجلدها ورعايتها له . . . وكان يصرح بذلك في فخر . وكان يحترم المرأة في بيتها وعملها ، وكان يشجعها في الجامعة وهو أستاذ وفي مصلحة الكيمياء وهو مدير ، وكان يهتم بأمرها في مجلة العربى وفي مجلة الهلال من قبل ؛ يخصص ركن الأسرة والمرأة ، يعنى فيه بكل الأمور المنزلية والصحية .

□□ ثانيهما : أن أحمد زكى كان من المقتنعين تمام الاقتناع بأن الأسرة باقية ما بقى الزمان ، أو بتعبيره ما بقى طير قادراً على بناء عش لم يتعلم كيف يبنيه . وكان ينظر إلى كل موجات الانحلال على أنها عوارض ستزول ، وكانت له في ذلك فلسفته التي سنقرؤها بعد قليل .

هذان الأمران ستتناولهما الجزئيات القادمة من زوايا مختلفة . فلنبداً :



حاجة المرأة إلى الرجل :

١ - إن المرأة لا بد لها في الحياة من سند . . رجل كل ما ترجوه أن يكون سنداً معاوناً ، فيه الود والحب ، والفهم معه الرحمة . وكل هذه صفات تناهض في القوة وعنفوانها وغطرستها .

٢- « إن المرأة قد تكسب حق التصويت في سياسة ، وقد تكسب ما تراه نصيبها في إدارة ، وقد تكسب حق العمل ، وحقوقا لها في زواج ، وحقوقا في طلاق ، وقد تخاصم الرجل خصومة تقول أنت لشدتها : ما بعد هذا الخصام وئام ، ولا بعد هذا الانفصام التئام ، ثم تنفض الجلسة وتأتى للاستراحة فترة تبحث فيها عنه وعنهما فتجدهما وراء الكواليس قد جمعتهما قبلة » .

« إن الغاية لا تستغنى أبدا عن وسيلتها ، والرجل وسيلة المرأة ، والولد غايتها . هكذا قال زرادشت » (الهلال : ١٩٤٩ / ٩) .

٣- « المرأة ترضى بغضب الرجل لأنها بدونه سوف تلقى من البشر الذئاب ، وهو إن مات عنها تحرشت بها السباع والضباع . فهي مع زوجها ، كما قال الشاعر وأحسن ، الأعشى : «ويلي عليك وويلي منك يارجل » (العربي : ١٩٧٥ / ١) .



حاجة الرجال إلى المرأة : الأمومة :

يؤمن أحمد زكي إيماننا يقينا (العربي : ١٩٦٦ / ٦) بأن الإنسان يولد ليموت لولا أمه ، فإن فقد الأم فأبوه ، وذووه . إنه لا يدري ما يأكل ، ولا كيف يأكل ، فتعلمه الأم ما يأكل وكيف يأكل . . وكذلك الشرب والمشى والتعبير . . ويكبر الطفل ، وفي أثناء ذلك تعلمه الأم الكثير من ثقافة العيش الأولى . واللغة . . ومع اللغة ثقافة القوم .

والمرأة روح البيت لا الرجل . إنها ساكنته ، وإنها حارسته ، وإنها الحانية على فراخه ، ولهذا وجب أن تتثقف كتثقف الرجل أو فوق تثقف الرجل ، وأن تفتح لها بالتعليم على الدنيا ألف نافذة .

والتعليم والتثقف ليسا تعرية نحور ، ولا كشفا عن ظهور ، ولكنهما كذلك ليسا اختباء في جحور ، والتثقف وقاء من شرور الدنيا ، وإلا فثقافة الطبع أولى وأحكم .

والأمومة في الحياة عامة إذن ليست بالواجب الحقيقي (العربي : ١٩٧٢ / ٣) . أنها أصل الكون ، وأصل الحياة المركبة في شتى درجاتها على سطح هذه الأرض ، ولكن أشق الأمهات عبئا إنما هي أم الإنسان .

والأم في المدنية واجبتها أكبر ، عليها أن تصنع من الأولاد ما يتفق وهذه المدنية وفقا لما أخرجه علماءها ويخرجونه كل عام من كشوف تتصل بنشأة الأطفال .

الأمومة إذن دراسة . . الأم ليست وعاء حمل فحسب ، ولا مرضعة فحسب . . إنها تشكل الرجل . . تشكل جهاز النفس .

ويستلفت الدكتور أحمد زكى النظر إلى أهمية الموازنة بين حقوق الزوجية والأمومة . وفي هذا يقول إن جهاز الأمومة ليس من فولاذ ، إنه لحم ودم وأعصاب ، يضع الولد الواحد فيه في العام الواحد ، ثم هو لا بد أن يستريح لأعوام .

والمجتمع لا يكون إلا بالأسرة ، والأسرة لا تكون إلا بالزوجة ، والزوجة لن تشبع مطالب الأنوثة إلا بالأمومة . فلا تقيمه إلا امرأة أخرى . . المرأة إذن هي البيت في الإصباح والإمساء .

« الأمومة شاملة في ذاتها على الثراء ، فكيف بها على الدخل المحدود ، وعلى الدخل الذى يزداد كل يوم تحددًا؟ » .



ربابة البيت هي مهنة المرأة الأولى :

لأنها كما يعبر أحمد زكى في العناوين الفرعية لإحدى مقالاته الأخيرة (العربى : ١٩٧٥ / ٩) :
« أول مهنة . . وأقدم مهنة . . وأثقل مهنة . . وأكرم مهنة » :

إنه مبدأ تقسيم العمل ، هذا المذهب الحديث الذى اعتنقه كل ناظر فى الاقتصاد من الناس ، علام قالوا إنه مذهب حديث ، وهو أول المبادئ التى طبقها الإنسان بفطرته على نفسه ؟

والإنسان الأول لم يكتشف هذا المبدأ عن علم واسع أو تقنية مساعدة . إنه اكتشفه بحكم الطبع ، لا بحكم الفكر .

وليس معنى هذا أن أحمد زكى يريد أن يقصر عمل المرأة على ربابة البيت ، ولهذا فهو يسارع فيقول : « إن ربابة البيت ليست هي المهنة الواحدة المفتوحة للمرأة التى تجب سائر المهن أو سائر

الأعمال ، فإن المرأة - في نظره - على رقتها (ويتحوط فيقول : ولا أقول ضعفها) يتسع وقتها للحمل وأشياء غير الحمل . وليس من هم الرجل أن تظل المرأة تحمل له العام بعد العام ، فلا تكون هناك فترات راحة واستجمام . حتى المكناات الصماء لا بد لها من إجازة تنأى بها العمل . والمرأة تنتج بمقدار ما تحمّل جسمها ، وبمقدار ما يتسع رزقها ورزق زوج . . ثم إن الأطفال يكبرون ، وتقل عنهم رعاية الأمومة .

□ فالمرأة إن ملأت رعاية الزوج ، ورعاية البيت والأولاد وقتها كله ، فأنعم بذلك ، وأنعم بمهنة امتهنتها هي أشرف مهن المرأة على الإطلاق .

□ « والمرأة إذا فاض وقتها عن رعاية البيت ، وطلبت إلى مهنة البيت مهنة أخرى ، فأهلا بذلك وسهلا . وليس في هذا جديد ، فالمرأة من قديم الزمان خرجت عن بيتها لمعونة المرضى ومواساة الفقراء ورعاية الأشياخ الضعفاء ، وخرجت حتى مع الخارجين إلى الميدان لتعالج الجرحى وتحمل المثونة والسلاح . . ومنهن من تسلحن وأخذن يدفعن مع الدافعين » .

□ « والمرأة اليوم تمتهن التمريض ، وتمتهن التدريس ، ومهنا أخرى كثيرة اتضح أن الأنوثة أدق أداء فيها وأحسن إنتاجاً ، ولا بأس عندى أن تخرج المرأة إلى كل عمل يأتلف وطبيعتها . ولكن في الرجال مروءة تأبى عليهم أن يروا امرأة تكنس الشوارع أو تحفر الأرض أو تسوق قاطرة بخارية ، أو يروا امرأة متمددة على الأرض تحت سيارة تحاول أن تصلح فيها ما فسد » .

□ « إن مهن النساء تعددت اليوم ، وهى مهن كريمة : في الطب . . في علم الحياة . . في العلم جميعا وفي الجامعات . . وفي البنوك ، والشركات وفي الصحف والإذاعات » .

□ « ولكن في كل هذه تحتاج المرأة إلى حماية ، وإلى حماية تأتيها من الرجال . من المجتمع ومن كل ذى شارب وكل حليق » .

□ « إن حرية المرأة لا يكفلها في المجتمعات إلا كبح جماح الرجال . فإن من الرجال رجالاً كان من الخطأ إدماجهم في الجنس البشرى ، وهم كانوا بالظهور في أجناس الماشية أولى ، بل إن في الماشية احتراماً للأثنى أكثر من احترام نراه في بعض المجتمعات الإنسانية » .



الأسرة باقية :

يخصص أحمد زكى حديث الشهر (مجلة العربى: ١١ / ١٩٧١) لدراسة موسعة تناول فيها التطور التاريخى للأسرة عبر العصور والأزمان ، وفى الأديان ، وعند الفلاسفة ، ويناقش كل موقف من هذه المواقف ، ويحلل الإباحية المتفشية اليوم ، وينتهى إلى أن الاتة الإباحى — إن يكن مهربا للرجل ، فهو مهرب إلى حين ، فالجنس فى الحياة ليس كل شىء ، والجنس ينطفئ لهيه على السنين . ثم يبحث الرجل عن طمأنينة الحياة بتقدم السن فيفتقدها : الصلبة الصادقة ، المشاركة فى السراء والضراء ، الأنس فى الوحدة ، فى غربة وغير غربة ، وفى وحدة النكبات ، فى كل هذه لا يكون لارتداء الشهوة مكان ، وفى الأزمان تتراءى الشهوة على حقيقتها : إنها الأنانية . وإنها أنانية الرجل خاصة . وإنها الكراهية الخبيثة فى قلب المرأة » .

الإباحية يغالبها الإنسان . . . ولإنسان خصائص لا يمكن أن يتخلص منها لأنها معجونة فى كيانه . فهو لا يستطيع أن يستعير طبع الكلاب طويلاً ، فيلقى بشهوته ، كما يلقي الكلب ببوله ، وهو عابر سبيل ، فالشهوة للبقاء لا للهرب ، والحياة تمسك بالأيام وتعلق ، والإنسان منا ذاهب ، يعمل فى الأرض لإرساء أقدام لاحق . وشر الذاهبين من قدروا ولم يلحق بهم أحد .

لا ، لا ، إن الأسرة باقية ما بقى طير قادراً على بناء عش لم يتعلم كيف يبنيه ، أو حيوان وحش يطلب جحرًا يطويه . أو إنسان يأوى إلى كهف يسكنه أو بيت يحتويه .



حرية المرأة :

من مقال مبكر (الهلل: ١٢ / ١٩٤٩) ننقل هنا بالنص رأى أحمد زكى فيما يتعلق بحرية المرأة . وهو رأى واضح صدر عن صاحبه فى مرحلة مبكرة مما يدل على تقدمية واضحة كانت الطابع المميز لفكره الاجتماعى ، وفضلاً عن هذا فإن أحمد زكى ينطلق فى هذا الرأى من منظومة قيمية ثابتة الأركان . يقول الدكتور أحمد زكى :

« الخير كل الخير أن نقر تحرر المرأة ، وأن نقر سفورها ، وأن نقره لا شعور قلب فحسب لكن شعور عقل وشعور فكر وشعور لسان وشعور اختلاط ، وأن ننظم هذا الاختلاط فنخلق من ذلك أعرافا جديدة مكان العرف القديم . وأن ننظمه بحيث نهدي الفتاة الطيبة إلى الفتى الطيب ، ونزيد الفرصة للقاء طالب بمطلوب على براءة وحسن مقصد ، فيبنى الزواج الذى هو غاية كل حى ، على اختيار متكافئ ليس فيه مشتر ومشتري ، ولا بائع ومبيع . وسوف تتطلب منا حتى هذه الحرية المنتظمة قربانا ، فلنتقرب به عن رضا ، ولنتذكر دائما عند التقرب به أن للنظم جميعا ما تحرر منها وما تقيد ضحايا وقرابين اقتضاها الزمان من كل الأمم وكل القرون ».



دفاع عن المرأة :

يدافع أحمد زكى عن المرأة فيطالب بألا تكلف فوق طاقتها ، انطلاقاً من مبدأ المساواة ، الذى يريد البعض الانتقام به له منها .

وتشتد الحملة على المرأة فى بعض الأحيان ، وتُتهم فى خلقها ، فيجاهد أحمد زكى قائلاً : « ينسى الشرق أن الأنثى عندما تبسّم فى لطف ، أو تغمز بعين ، لا تطلب العاشق العابر ولكن تطلب العاشق المقيم ، تطلب الزوج وتطلب الولد ، وتطلب من حيث تدرى أو لا تدرى عماراً يكون بإعطائه طفلاً يولد مكان شيخ يموت ، وينسى الشرق وينسى ذكره أن المرأة لا يمكن أن تفسد إلا إذا فسد فى قبالتها رجل ».

ولو ذهبنا نستقصى للقارئ ما لخصناه واستنبطناه من حديث أحمد زكى فى شأن المرأة ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، لا أقصد سبيل قدرة ، ولكن أقصد سبيل تواؤم مع الخطة الزمنية التى قسمنا عليها وقت هذا الكتاب . . لهذا سنسرع لنهيه هذا الباب بعد دقيقتين نروى فيها ما يرويه أحمد زكى من حلم رأى فيه نفسه فى مزرعة العراة ووجد النساء أكثر هذه الجموع ضيقاً ، وأكثرهن سخطاً ، «فقلت لهن : أفما كانت هذه الغابة التى رمت إليها أكثركن؟! قلن : قبحت من غابة!! . . لقد كنا نتخذ من الثياب ستاراً للمصائب نخفيها ، وإطاراً للمفاتن نبديها ، وكنا نملاً بها الفراغ ، ونخفف بها عن الملائن ، والزوايا نحشوها فنصطنع منها الدوائر ، والذيل نجعله أحياناً ، والمعطف نعطفه فتنة ودلالاً . قلت : والرجال ؟ قلن : قبحهم الله !! لقد كان الرجل منهم يدخل بيوتنا ، فأول ما ينادى : (ياستار) ! فما أولاهم اليوم بهذا النداء !! وما أولى بهذه الكروش الورمة والصدور المعشبة ، وتلك السيقان النحيلة العوجاء التى كأنها تمشى القرفصاء ، ما أولاهما الآن أن تصرخ تطلب الستر من الله !! » .

المصادر :

- « للنساء حروب ناعمة » (مجلة الهلال : سبتمبر ١٩٤٩) .
- « الخاطبة » (مجلة الهلال : ديسمبر ١٩٤٩) .
- « اللهم نسألك الستر » . . الفصل العاشر من « ساعات السحر » (١٩٥٠) .
ونشر في مجلة الاثنين قبل ذلك .
- « عتاب » (مجلة حواء : ١/٣/١٩٥٦) .
- « الأمومة » (العربي : مارس ١٩٦٢) .
- « حجر الأم أول كرسى في مدرسة الحياة » (العربي : يونيو ١٩٦٦) .
- « أحب المرأة التي تقول لا وتقول نعم » (العربي : فبراير ١٩٦٨) .
- « الأسرة بين عصرين : زراعى قديم ، صناعى حديث » (العربي : نوفمبر ١٩٧١) .
- « مكانة المرأة في سائر الأمم عبر القرون » (العربي : يناير ١٩٧٥) .
- « ربابة البيت أول مهنة ، وأقدم مهنة ، وأثقل مهنة ، وأكرم مهنة امتهنتها الأنثى في شتى العصور ،
ولسائر المهن في حياة المرأة المكان الثانى » (العربي : سبتمبر ١٩٧٥) .

١٩٩٩ - ٢٠٠٠ (١٩٩٩ - ٢٠٠٠) (١٩٩٩ - ٢٠٠٠)

٢٠٠٠ - ٢٠٠١ (٢٠٠٠ - ٢٠٠١) (٢٠٠٠ - ٢٠٠١)

٢٠٠١ - ٢٠٠٢ (٢٠٠١ - ٢٠٠٢) (٢٠٠١ - ٢٠٠٢)

٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣)

٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤)

٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥)

٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦)

٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧)

٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨)

٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩)

٢٠٠٩ - ٢٠١٠ (٢٠٠٩ - ٢٠١٠)

٢٠١٠ - ٢٠١١ (٢٠١٠ - ٢٠١١)

الفصل العاشر

تنظيم الأسرة

«إن الأمة قد يكون لها مصادر طبيعية للثروة كثيرة، ولكن ليس كالثروة البشرية ثروة. إن الإنسان ثروة، وهو قد لا يكون ذا قيمة كبيرة وهو خامه، ولكن قيمته هي القيمة الكبرى من بعد تصنيع».

ثور الدهشة في نفس المطالع للبيولوجرافيا حين يجد شيئاً من التعارض في عناوين مقالات أحمد زكي. فبينما يجد كثيراً من هذه الموضوعات تدعو عناوينها صراحة إلى الحد من النسل وتنظيمه، يجد على الصعيد الآخر بعضها يدعو إلى التناسل والتكاثر. ومن الطريف أن هذه الموضوعات التي يدعو فيها الرجل إلى التناسل هي آخر موضوعاته. وهكذا يصبح من السهل على الذين ينادون بالتناسل والتكاثر أن يضعوا أحمد زكي في قائمة المعارضين لتحديد النسل،

ويصبح من السهل أن يقال في بساطة: إن الرجل العالم انخدع طيلة عمره، ولكن الله هداه في النهاية. فكتب يقول: «أيها العرب... تناسلوا، تكاثروا، حتى تملثوا البر والبحر عرباً!»

ليس يعيننا هنا أن نضع الرجل في هذه القائمة أو تلك، أو على رأس هذه القائمة أو تلك، أو أن نتقل به بين القائمتين. وإنما يعيننا أن ندرس فكر الرجل محللين ومقارنين ومتوصلين إلى جوهر رأيه في الموضوع. فالجوهر واحد وإن كانت الصور التي تظهر له متغيرة. المبدأ واحد، أما المواقف التي تنشأ عن المبدأ الواحد فيجوز لها أن تتغير، هذا هو كما نعرف بعض الفرق بين المبدأ والموقف. كلاهما صورة للرأى، وكلاهما يتخذ الرأى صورة، وكلاهما يتخذ صورته في الرأى. ولهذا كان عنوان هذا الفصل من رأى أحمد زكى في تنظيم الأسرة، ولم نقل مبدأ لأننا لن نقتصر في التناول على الجانب النظرى من فكر الرجل، ولم نقل موقفاً لأننا لن نبرر مواقفه الأولى والأخيرة، وإنما سنناقش فكرة الرجل وكيف أوقفته مواقفه التي وقفها، ووقفته إلى آرائه التي أبداهها.

وسوف يناقش هذا الفصل أربعة من النقاط الأساسية، يتحقق بمناقشتها مجتمعة فهم فكر الرجل في شأن تنظيم الأسرة.

□□ الوجهة الدينية في الموضوع :

كان أحمد زكى من المؤمنين أنه ليس في تنظيم الأسرة تعارض مع الدين، ولا مع الإيمان بأن الله هو الرازق.

وهو يؤكد على هذا المفهوم غير مرة في مقالاته في أول حياته وفي آخرها. ويكفي أن ننقل هنا عنه قوله في إحدى مقالاته (مجلة العربى: ٤/ ١٩٦٧).

« وهم يؤكدون لك أن عليك أن تلد وأن الرزق على الله ».

« أما إنها إرادة الله فلا علم لنا بأنها إرادته، إنما الذى يعلم أن الملايين تموت كل عام جوعاً في الأرض، حيث لا يكون النسل ضابطاً حابساً بالقدر الذى فى الموارد من وفاء ».

« أما إن الله يرزق من يشاء، فإنه يرزق حقاً وصدقاً، ولكنه لا يرزق الجاهلين العابثين غير الحاسبين من عباده إلا الفقر. وإنه جعل فى الخلق قوانين لا يخرقها، وجعل لكل شىء سبباً ».

ويمضى أحمد زكى، فيؤكد على المعنى الذى تضمنه حديث رسول الله ﷺ فى أمر دابة الأعرابى، حين قال له: اعقلها وتوكل.

ويكرر أحمد زكي ذات المعنى بأسلوب آخر فيكتب بعد حوالي ثلاث سنوات مقالا آخر (العربي : ٣ / ١٩٧٠) تحت عنوان « فقر وغنى » ويقول فيه بكل صراحة : « لن يقول أحد بإطلاق النسل لأن الله يرزق من يشاء بغير حساب . ذلك ، أن الله أول ما رزق الإنسان رزقه العقل ، والعقل يقضى بأن زيادة السكان مع ثبات الإنتاج يؤديان إلى زيادة الحرمان ، والتاريخ دليل ذلك » . ويعقب بقوله : « وأنا أؤمن بإطلاق النسل وزيادة الإنتاج والجمع بينهما . فدون ذلك فناء العرب ، ولكن لهذا حديث آخر » .

□□ طبيعة دعوته إلى تنظيم الأسرة :

ينبغي أن نشير إلى أن أحمد زكي كان مهتما بهذا الموضوع أشد الاهتمام ، كوزير سابق للشئون الاجتماعية . أما عنه شخصيا ، فقد ذكرنا في الباب الأول أنه كان له ابنة واحدة ، في حين كان هو أكبر ستة أشقاء .

وهو يفرد مساحة كبيرة من حديث الشهر (العربي : ٢ / ١٩٦٦) للحديث عن تزايد السكان في حين لا يزيد الإنتاج (على النحو الذى قال به من قبل علماء الاقتصاد) . وهو يؤمن إيمانا شديداً بقول الخبراء : إن الخطورة في مسألة تزايد السكان أشد ، والنكبة في هذه الناحية أقرب في الأمم المتخلفة وحدها . وهذا هو ذات المعنى الذى عبر عنه من قبل حين تولى وزارة الشئون وخرج يطالب بتحديد النسل حيث يوجد الفقر والتعاسة . وهو يرى أنه لا فائدة حاسمة ترجى من معونة القادر لغير القادر ، والغنى للفقير إذا لم يرقم العاجز الفقير نحو نفسه بما يجب عليه من التدرج في مدارج الرخاء وأولها ضبط النسل .

وبتفكير علمي يتميز بطول النظر ، ومن أجل تقصى المشكلات وحلها من جذورها ، نجد أحمد زكي يجاهر في العناوين الفرعية أن « لا مخلص إلا التوعية ، ومع التوعية الحبوب واللؤلؤ » .

أما التوعية « فيكون هدفها إقناع الأم بمخاطر الأمومة التى تتضاعف مثنى وثلاث ورباع . . وثمان وتساع . . مخاطرها على صحة الأم نفسها وذبول زهرتها بهذا التكاثر ، ومخاطرها على الأولاد الذين سوف تنجب للفقير ، لنصف طعام ، ونصف كساء ، وللحقير من الإيواء ، وما يصاحب هذا ، وما قد صحبه فعلا عند ملايين من سكان بعض من نعرف من الأمم الحاضرة ، من هبوط في طاقة أجسام وضعف في مدارك أفهام ، جلود على عظام ، تسير بها على الأرض سيقان

كالعصى تكاد تنكفى بهم على الأرض ، سكارى ولكن من جوع ، وما يدرك ما سكر الجوع من لم يعرف حياته غير الشبع » .

« يجب أن تعى الأم أن الطعام في مستقبل الأيام ، إذا ظل حال النسل في الدنيا على هذا الحال ، سوف يعز في الدنيا فلا يشتريه حتى المال » .

« يجب أن توعى المرأة بأن مع اليوم غداً ، وأن تُعوّد ألا تنظر في يومها فحسب ، وتحت قدمها الحاضرة فحسب ، ولكن كذلك إلى الأغداء البعيدة بعد العام ، والعشرة والعشرات من الأعوام ، وحينما يكون أطفالها رجالاً ، سببت هي وجودهم على الكثرة في هذه الدنيا ، فضاقت بهم الموارد ، رغم التشمير عن السواعد ، أو جاءت بهم قلة فنعموا بمقدار ما يأمل أن ينعم الإنسان بالذى يبذر ويحصد من طيبات هذه الأرض » .

« ومع توعية النساء لا بد من توعية الرجال ، ومع التوعية حبوب ضبط النسل ولوالب » .

وينبغي لنا أن نشير أيضاً إلى أن عالمنا قد خصص الصفحات العديدة من مجلة العربى يكتب فيها بقلمه وبقلم غيره ، لمتابعة آخر ما وصل إليه العلم من استكشافات في مجال وسائل منع الحمل .

□ □ خفض سن الزواج لا رفع سن الزواج :

ولكن هناك وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة لم يكن أحمد زكى يرتاح إليها ولا يجبذها ، بل كان يسعى إلى نقيضها على خط مستقيم ، وهى المطالبة بـ سن تشريع يرفع سن الزواج « إلى عشرين مثلاً للفتاة وأربعة وعشرين للفتى » . وكان أحمد زكى يعارض هذه الوسيلة بكل شدة ، وقد جعل لهذا النصيب الأكبر من حديثى الشهر (العدد ٤١) و (العدد ٧٨) وهو يجاهر بهذا مع علمه بأن هذا القول قد حظى برضا الكثيرين ، « ووافق عليه بعض أهل العروبة ، وصادق على أقوالهم الأطباء ، وصادق العلماء ، والمهندسون ، وصادق النفسانيون ، ولم يبق أحد إلا قال له آمين . ومن ذا الذى لا يقول آمين ، لأول وهلة ، وقد فجأه حل تراءى ، أنه يقف سدا يمنع هذا الفيض الذى يهلك بعضه بعضاً من خلق الله » . لكن أحمد زكى مع هذا يرتاب في فعالية هذا الإجراء للأسباب التالية :

□ لا ينجح قانون ليس وراءه رأى عام في الشعب يدعمه ، وإن كان الشعب يؤمن حقا بنظرية احتمال انفجار المكان بالسكان ، إذن فما الحاجة إلى القانون ؟

□ إن القانون يتدخل في شهوة طبيعية ، تكون عارمة في بعض الناس ، وقد تكون مجنونة ، يريد القانون كبجها فلا تكبح ، وفي هذا خطر كبير . ولنذكر دائما أن طالب الشهوة قسرا ، لا يطلبها للطفل الوليد يأتي من بعدها ، وإنما هو يطلبها ليخفف عن نفسه قسوتها ، تمامًا كالجوعان يطلب الطعام ، لا يعفيه من ألمه أن يقول له القانون اصبر على الجوع يوما أو بضعة أيام .

□ إن القانون المطلوب سوف يحرم الزواج ليمنع النسل ، ولكنه سوف يمنعه فقط في زواج ، ولن يمنع النسل يأتي في غير زواج ، إذا تراضى الطرفان .

□ إذا منع القانون اتصالا بين الفتى والفتاة في زواج ، اتصالا في غير زواج ، وعين القانون تنظر ، ويده تعجز عن عمل ، ثم يخشى الفتى وتخشى الفتاة مغبة الطفل ينتجانه في غير ظل الله ، فيعمدان إلى منع الحمل بالحبوب الواقية ، واللوالب المانعة ، إذن فما كان أولاهما أن يعمدا إلى الحبوب واللوالب على الزواج ، فسيبقى القانون المطلوب إلى أهدافه وهي الحد من النسل مع إباحة الزواج بدون حد .

□ إن المرأة تستطيع الإنجاب عادة فيما بين الخامسة عشرة والخامسة والأربعين ، وفي هذه الثلاثين من السنين يستطيع بعض النساء إنجاب العشرة من الأخلاف فما فوقها ، فإذا نحن رفعنا سن زواج الفتاة إلى العشرين فكم يكون قد وفرنا من النسل ؟ الولد أو الولدين ؟ وتستطيع المرأة بين العشرين والخامسة والأربعين أن تأتي بالثمانية من الأولاد فما فوقها .

□ يذكر المحبذون للقانون أن أمم الغرب رفعت سن الزواج ، فلم لا نرفع مثلها ؟ وهنا يحذر الدكتور أحمد زكي بشدة مما وصلت إليه الحال عند هؤلاء الذين فعلوا هذا في بلاد الغرب . ويضرب مثلاً بالسويد التي ارتفع عندها سن الزواج إلى ٢٨ أو ٢٩ عند قيام الحرب العالمية الثانية . . وصل الأمر بها إلى ما صار من إباحية .



ويحذر الدكتور أحمد زكي من انتشار ما حدث في السويد إلى غيرها نتيجة عاملين :

□ الأول : هو ضغط الحياة الاقتصادية الحديثة ، وطول الزمن الذي يتجهز له الفتى والفتاة للتعليم فالكسب .

□□ الثاني : « ما يقول به الكثير من النفسانيين في الغرب بأن إطلاق الشهوة قبل الزواج هي للنفس أشقى ، وعلى الصحة النفسية أعون . ومن أجل هذا الرأي الخطير ، وقبل أن يصلنا نحن أهل الشرق شره المستطير، دعونا لا إلى الزواج المتأخر ولكن إلى الزواج المبكر يعقد حتى بين طلاب الجامعات وطالباتها ، زواج يمنع فيه النسل ، حتى تيسر القدرة بالتعليم على كسب الرزق ، والنسل يمنع بالوسائل الطبية المستحدثة ، وهي لا شك ناجحة مهما شكك في أمرها المشككون» .

ويعرب الدكتور أحمد زكي عن سعادته عندما قرأ أن فكرته هذه قد لاقت نجاحًا وانتشارًا في جامعات أمريكا ، حتى إن منها ما شمل نحو الثلث من طلابها ، ولعله سهل من أمره عندهم أن الطلاق في حالات الشقاق صار أيسر مئونة .

ويلخص الدكتور أحمد زكي مزايا النظام الذي يدعو إليه بخفض سن الزواج لا برفعها في ثلاث نقاط يكتبها بالبنط الثقيل :

١ - شهوة جامحة اشتفت .

٢ - شرائع الله رضيت .

٣ - أنسال منعت .

ويعود أحمد زكي في مقال تالٍ (العربي : ١٩٧٠ / ٧) ليتحدث عن الطعام والجنس باعتبارهما الغريزتين الكبريين في حياة الإنسان . وبعد أن يفصل القول فيما يتعلق بغريزة الجنس ، يناقش نفس القضية التي نحن بصدددها ولكن من بداية أخرى تتصل بغريزة الجنس كغريزة ، ويقول إن المدنية الحاضرة خططت لكل شيء إلا الجنس . .

« وكان من بعد ترك أمر الجنس على عواهنه تصنع به ريح الزمان الهوجاء ما تشاء أن ظهرت الإباحية في بعض الأمم التي تدعى التقدم . . » . وتجاوز وصفه للمشكلة إلى رأيه في حلها ، حيث يقول : لو أن هؤلاء الناس نظروا ثم خططوا لوجدوا أكثر من حل حاصر . ثم يشرح لنا ما ارتآه هو من بعد نظر ، فيقول : إن المشكلة اليوم تكمن في طول فترة التأهل للزواج ، وعلى الناحية الأخرى فإن « إباحية اليوم حيث هي من شمال الأرض لا ترتبط هذه الإباحية بالكسب » . ويضع حله في صورة تساؤلات :

□ «فماذا لو غيرنا من مفاهيمنا التقليدية ، وحلت العقدة بالسيف يقطع ما بين الزواج وقدرة الزوج على الكسب من رباط ، وإذن يحدث الزواج في عام مبكر من العمر؟» .

□ « وستسأل من يعول ؟ وأقول : ما داموا في جامعة أو مدرسة فالعائل لكل منها هو العائل القديم وهما كلاهما في مدرسة أو جامعة ، ما دام الأب رضى بالنفقة على ابنه حتى يبلغ العشرين أو الخامسة والعشرين ، فحاضره أن ينفق سواء كان ولده أعزب أو له علاقة بالزواج لا يضمهما سقف دار خاص به . وما يقال عن الفتى يقال عن الفتاة ، إن في الزواج المبكر منجاة » .

□ « وستسأل من يعول الأولاد ؟ والجواب حاضر . حبس النسل اليوم في مكتنة الزوجين إلى حين ! حتى المسيحيين الذين لا يميزون العقاقير حابسا ، عندهم طريقة التوقيت والتزمين » .



وهكذا يمضى أحمد زكى يدفع الاعتراضات التي تقوم في وجه افتراضه .

□ « وستسأل فيما يقول به بعض علماء النفس من أن الأنفس على الصغر لا تدرى ما يلائمها من الأزواج ، فيؤدى الزواج الباكر إلى الإخفاق . فأقول إن علمى وخبرتى تدلان على أن الأنفس إذا لم تدر ما يلائمها من زواج ، فهي هكذا تفعل على صغر وعلى كبر على السواء . على أن السن الكبيرة أفضل في خدع صاحبها » .

□ وآخرون يقولون إن الجسم لا يكون في الزواج الباكر قد نما النمو الكافي لإنتاج البنين ، والبنات إذا هم شاءوه ، وتسهلت سبله . وهؤلاء نقول ، إنا لا نقول بالزواج عند الخامسة عشرة أو السادسة عشرة حتى ، ولكن وراء ذلك بقدر ما يستطيع الفتى أن يصمد على الفردية . . وهؤلاء أذكر بأن العالم منذ وجد لم يعرف إلا الزواج الباكر ، وأنتجة القرون الماضية من أجسام ومن لحم وعظام ومن عقول وفث لا شك بحاجات الزمان ، وكان في الناس العمالة ، وكان القوم الشداد ، وكان الذكاء وكانت الفطنة النادرة » .

ويعود أحمد زكى ليكرر القول بأنه « في غريزة الجنس لا هناة إلا بالوفاء بها ، فإن هناة العيش إنما تكون بالاستجابة إلى الغرائز ، فواضعها إنما وضعها لفائدة العيش ، وهو وضعها فينا للهدى وإنارة السبيل ، وعلى الإنسان العاقل أن يفهم الغاية منها وأن يبذل لها بمقدار ما يصل بها إلى غايتها ، فإذا زاد فعله وزر ذلك » .

وفي موضع آخر يرد أحمد زكى على مَنْ ناقشوه في رأيه فقالوا له مستنكرين : وما رأى الدين في منع النسل عند الولد يتزوج مبكراً ؟ ويقول الدكتور أحمد زكى في رده على هؤلاء : « إن المقبل على الموت إذا أعطى سبيلاً للخلاص منه ، لا يذكر الحلال في ذلك والحرام . والفجور إن لذ الشباب

منه أول جرعة ، فهو يغص بألف جرعة من بعدها ، وتبتذل المرأة خاصة من بعد ذلك في الطريق كقشرة الموز بعد أن زال عنها لبها ، فتأخذ تدوسها الأقدام . فمن أجل تجنيب الفتاة هذا المآل لا تسألني ما الحلال في حبس النسل هنا وما الحرام .

□□ لماذا دعا أخيرا إلى التناسل والتكاثر ؟ :

وأما دعوة أحمد زكي الأخيرة إلى التناسل والتكاثر: « أيها العرب تناسلوا تكاثروا حتى تملئوا البر والبحر عربا » (مجلة العربي : ١٩٧٥ / ٥) ، فلم تكن تنصلا من دعوته الأولى ، ولا خروجا عن إطارها وخطها العام ، وإنما كانت دعوة سياسية اقتضتها ظروف العرب الذين كثرت عندهم الخيرات كثرة هائلة بحيث زادت عن طاقتهم ، لا في الانتفاع بها على الوجه الأمثل فحسب ، ولكن زادت عن طاقتهم في الدفاع عنها . وإذن فلا مبرر هنا إذن للحد من النسل ولا للدعوة إلى تنظيمه ، وإنما يدعو الفكر العلمي المستنير المستقيم في هذه الحالة إلى الاستزادة من السكان باعتبارهم يمثلون القوة البشرية .

وينبه أحمد زكي إلى حاجة الوطن العربي إلى العون المستمد من القوى البشرية لسبيين : أولها أن العرب ليسوا من أحب الأمم إلى الأمم . . أما أوربا فعداؤها للعرب قديم ، بدأ منذ الحروب الصليبية ولم ينته بعد . . وسوء السمعة هذه الكاذبة بكل صنوفها لا يرفعها العرب عن أكتافهم إلا بالشموخ ، والشموخ الصادق قوة . أما الأمر الثاني الذي يدعو الوطن العربي إلى الاستزادة من العون المستمد من القوة البشرية فهو إسرائيل . .

يناقش أحمد زكي في هذا المقال الذي هو من أخريات مقالاته (العربي : ١٩٧٥ / ٥) قول الشاعر الذي يذهب إلى أن الكرام قلة ، ويقول إن الاعتداء على القلة هنا اعتذار شاعر ، فالكرام يكونون في الأمة على القلة ، وكذلك على الكثرة .

على أنه يبدو لي أن من الأفضل قراءة أفكار الرجل في هذه النقطة بالذات في فقرات ثلاث :

□ « إن الأمة قد يكون لها مصادر طبيعية للثروة كثيرة ، ولكن ليس كالثروة البشرية ثروة . إن الإنسان ثروة ، وهو قد لا يكون ذا قيمة كبيرة وهو خامة ، ولكن قيمته هي القيمة الكبرى من يعد تصنيع » .

□ « إن الدعوة مؤسسة بوجه عام على العلاقة الكائنة أو التي ستكون ، بين الأرض - أي أرض

- وسكانها . فإن زاد السكان على ما تطيقه الأرض ، فالحد وارد ذكره ، ووارد بحثه . وإن قل السكان عن الأرض ، فلا معنى للحد ، ولا بد للنسل أن يزيد ما دامت هناك أرض صالحة هي وعاء حياة » .

□ « وأرض العرب أكثرها الصحارى ، وفي أجزاء كثيرة من الصحارى ينزل المطر ، ولا يلبث أن ينزل إلى مخازنه في بطن الأرض . وهذه ظاهرة جديدة تعرف عليها العرب وأخذوا بها يستقون ، ومن مائها يزرعون . والسعودية تضرب الأمثال الطيبة في ذلك » .

وهكذا يستبين لنا أن الدافع الحقيقى وراء دعوة أحمد زكى هذه ، هدف سياسى واجتماعى واضح لا لبس فيه يدعو إليه أحمد زكى من هذا الطريق ومن طرق أخرى كالهجرة فيما بين أرجاء الوطن العربى . وهو يستعرض المحاولات العربية في هذا الصدد ، ويشير إلى السودان والعراق وغير ذلك من التجارب ، ويقرر أن الأمر في مسألة الهجرة في الوطن العربى لا بد من أن يعتمد على نتائج التجربة : « فعندما ظهرت لأول مرة سارت مسار كل الأفكار الجديدة تتلقاها الشعوب بالرفض لغرابتها ، ولأن العقل لم يتسع لدرسها ، ولأن العاطفة البادئة صدمتها فقضت عليها . ثم يتسع الوقت للفكر ويتسع للدرس ، ويتسع لخبرة الأيام ، وللثقة التى يعطيها الزمان والاطمئنان ، فإذا المرفوض مقبول ، وإذا به لا صواب سواه . وكذلك كانت فكرة الهجرة في الوطن ، سارت من الرفض إلى القبول والممارسة » . وعند هذا الموضع يحذر أحمد زكى من الأثر السيئ الذى قد يحدثه تعكر العلاقات في سير مثل هذه التجارب .

وفي موضع آخر يتناول الدكتور أحمد زكى نفس الفكرة بقدر أكثر من الصراحة والوضوح ، ويقول : إن تجربة التهجير الجماعى « هى في رأى ، وأنا واحد من ألف ، تجربة فيها الكثير من الريبة ، ومع هذا أدعو لها بالنجاح ما دام هدفها زيادة ثروة العرب حيث الطاقة البشرية أقل مما يجب ، وزيادة في الرجال الذين يدفعون عن العرب غائلة التعدى من أية طائفة من البشر جاء » . وفي صراحة أكثر : « إن الإيمان بالتهجير إيمان بالوحدة العربية تكون أو لا تكون . إن نجاح التهجير امتحان لإمكانية الوحدة ، وإخفاقه يجعل العرب يقفون من أمر الوحدة الشاملة موقف التريث الطويل » .



خاتمة:

يتضح لنا من هذا الفصل كما اتضح في غيره من الفصول والموضوعات أن أحمد زكى لم يكن من ذوى الأفكار الجامدة ، ولا الآراء المتصلبة ، وإنما كان من أصحاب العقلية الناضجة ، والأفكار المفتوحة . وكان يدعو إلى ما فيه الخير لوطنه : يدعو إلى التحديد حيث الفقر والتعاسة ، وإلى التزايد حيث الحاجة إلى مَنْ يدافع عن خيرات أنعم الله بها على عباده العرب .

ولم يكن عالمنا يعنى بالفكرة ذاتها فحسب ، ولكنه كان معنيا أشد الاعتناء بالوسائل الكفيلة بتحقيقها سواء فى ذلك ، الوسائل العلمية على نحو ما ذكرنا من فضله فى هذا المجال ، وتسخيرها للصحافة والإعلام فى أداء دوره الرائد فى هذا المجال ، والوسائل الاجتماعية التى ناقشها بقلمه وفكره ودعا إلى الوسيلة الأنجح .

يبقى أن نختم هذا الفصل بقوله فى إحدى مقالاته : حديث الشهر (العربى : ١٢ / ١٩٧٢) تحت عنوان « حضارتان عريقتان يعيش العربى فى ظلالهما » :

«إن الرأى عندنا أن ندرس موضوع الجنس عمليا كما درسه القوم هناك ، وأن نستنبط فى ظروفنا وفيما يأتلف مع تقاليدنا غير ما استنبطوا ، وأن نخرج الشباب بجنسيه من هذا الحرج الذى لا شك فيه والذى زادته المدنية الحاضرة حرجاً ، بما يحفظ على الفتى والفتاة ماء الوجه ، وعفة النفس والعزة التى هى عزة الشرف غير الجريح » . فهذه هى الوسيلة التعليمية ، والوسائل التعليمية أنجح الوسائل على مر الأزمان والأجيال .

المصادر:

- « وزير الشئون يدعو إلى هجرة المصريين ويطلب تحديد النسل حيث يوجد الفقر والتعاسة » (الأخبار : ١٩٥٢/٧/٧).
- « أقراص لمنع الحمل أم لتشتيت الشمل ؟ » (العربي : إبريل ١٩٦٢).
- « أرقام تدغدغ الأفهام » « خفضوا سن الزواج لا ترفعوها » (العربي : فبراير ١٩٦٦).
- « المسكن . . المسكن » (العربي : إبريل ١٩٦٧).
- « الدولة الخيرة ترعى أبناءها من يوم يولدون إلى يوم يقبرون » (العربي : ديسمبر ١٩٦٨).
- « فقر وغنى » (العربي : مارس ١٩٧٠).
- « الطعام والجنس » (العربي : يوليو ١٩٧٠).
- « معركة الفقر والغنى » (العربي : يوليو ١٩٧١).
- « الأسرة بين عصرين : زراعى قديم ، وصناعى حديث » (العربي : نوفمبر ١٩٧١).
- « حضارتان عريقتان يعيش العربى فى ظلالهما » (العربي : ديسمبر ١٩٧٢).
- « مكانة المرأة فى سائر الأمم عبر القرون » (العربي : يناير ١٩٧٥).
- « أيها العرب تناسلوا تكاثروا حتى تملئوا البر والبحر عربا » (العربي : مايو ١٩٧٥).

نتیجه

- شش‌پایه سبک‌پوشی در شهرهای مختلف ایران، به دلیل تفاوت در اقلیم و فرهنگ، دارای ویژگی‌های متمایزی است.
- در شهرهای شمالی، استفاده از پارچه‌های ضخیم و گرم، مانند پشم و پنبه، رایج است.
- در شهرهای مرکزی، استفاده از پارچه‌های متوسط، مانند کتان و پنبه، رایج است.
- در شهرهای جنوبی، استفاده از پارچه‌های نازک و خنک، مانند ابریشم و ساتن، رایج است.
- در شهرهای کوهستانی، استفاده از پارچه‌های ضخیم و گرم، مانند پشم و پنبه، رایج است.
- در شهرهای ساحلی، استفاده از پارچه‌های نازک و خنک، مانند ابریشم و ساتن، رایج است.
- در شهرهای صنعتی، استفاده از پارچه‌های ضخیم و گرم، مانند پشم و پنبه، رایج است.
- در شهرهای کشاورزی، استفاده از پارچه‌های نازک و خنک، مانند ابریشم و ساتن، رایج است.
- در شهرهای تجاری، استفاده از پارچه‌های ضخیم و گرم، مانند پشم و پنبه، رایج است.
- در شهرهای علمی، استفاده از پارچه‌های نازک و خنک، مانند ابریشم و ساتن، رایج است.

الفصل الحادى عشر

التعليم الجامعى

القمر يطلبه كل الأطفال ، ولكن الرجال تعرف ما ينال .

سنتناول فى هذا الفصل ، بإذن الله ، الآراء التى استقر عليها أحمد زكى فيما يتعلق بالتعليم الجامعى ، وسوف يلاحظ القارئ أن مصادرنا فى هذا الباب تغلب عليها الحداثة . وبما هو جدير بالذكر أننا عبرنا بذلك عن مصدر آرائنا ليس إلا ، ويأتى هذا من حرصنا على أن نسجل آراء الرجل الأخيرة أو ما عبرنا عنه فى الجملة الثانية من هذا الباب بعبارة : « التى استقر عليها أحمد زكى » . وليس معنى هذا أن الرجل كان دائم التغير فى أفكاره فى هذا المجال ، ولكن السبب الحقيقى يرجع إلى أن الرجل وهو جامعى أصيل ظل طيلة عمره مهتما بأمر التعليم الجامعى من جميع الزوايا : كيف يبدأ؟ وكيف يستمر؟ وكيف يقوم ؟ وكيف تكون علاقته بما قبله من تعليم عام وما بعده من حياة عامة؟ وكيف يمول؟ وكيف يستقل؟ وما هو المستوى الذى يجب أن يكون عليه

التعليم الجامعي ذاته وخريجه؟ وبأى لغة وعلى أى منهاج؟ وأيها يفضل : التخصص أم التعميم . . إلخ . هذه النقاط التى سنعرض لفكره فيها . وكان أحمد زكى فى رحلاته وقراءاته حريصاً على أن يوفى هذه النقاط جميعاً حقها من البحث والاستقصاء .

فإذا جاءت صفحات هذا الفصل متعرضة لكل هذه القضايا فى هذا القدر من الإيجاز، فإنه لا بد لنا من أن نشير إلى القدرة التعبيرية الهائلة فى تلك الألفاظ والعبارات التى صاغ فيها الدكتور أحمد زكى الآراء التى نعرضها له هنا بعد الانتقاء والانتخاب . وسوف نشير إلى أهم المقالات والأحاديث التى صنفنا منها أفكار أحمد زكى فى هذا الفصل فى نهايته .

١ - ضرورة الجامعة :

□ يؤمن أحمد زكى بأن الجامعة هى أول حاجات الاستقلال (العربى : ١٩٧٢ / ٥) ، لأنها تخرج الفئة المثقفة المختارة التى تدير رعى العيش فى الدولة الجديدة (يقصد بعد استقلالها) . ويستعرض أحمد زكى تاريخ الأمم النامية فى هذا المجال ، والظروف المتغيرة التى مرت بها هذه الدول بعد خلاصها من الاستعمار .

□ يشير أحمد زكى إلى ارتباط ديمقراطية التعليم بالقوميات ، ويتتبع تطور هذا الارتباط فى أوروبا بعد العصور الوسطى ، وأهم عباراته فى هذا المعنى قوله (العربى : ١٩٧٢ / ٦) : « والظاهر أن فكرة الديمقراطية ، ولو أنها فكرة قديمة ، لم تحظ دولة بتطبيقها ، من حيث الشمول فى الخدمات كخدمات التعليم إلا بعد العصور الوسطى فى أوروبا الحديثة » .

«نشأت فكرة الديمقراطية بمعناها ومبناها مع فكرة الوطنية لما أخذت أوروبا تتفاضل إلى أمم لها لغات خاصة بها ، وملوك يرعون أمورها ، وفروق تفرق بين أجناسها ، فهذا فرنسى ، وهذا بريطانى وهذا . . . وبنشوء الدولة الوطنية نشأت فكرة اللغة القومية ، ونشأت معها الحاجة إلى التعليم . وقد بدأ التعليم فى أول مرة محدوداً تقوم به جمعيات خاصة وهيئات ، ولاسيما الهيئات الدينية ، ثم أصبح رويداً رويداً من بعض واجبات الدولة » .

ومن هذا المنطلق كان تأكيد أحمد زكى (العربى : ١٩٦٨ / ٢) على أن التعليم اليوم حق الدولة على كل فرد فيها (لاحظ التقدمية فى فكر أحمد زكى الذى لم يتوقف عند قول القائلين إن التعليم حق الفرد على الدولة) . . وأكثر من هذا يرى أحمد زكى أن التعليم هو أحد الواجبين

الأساسيين للمجتمعات الإنسانية وهما «السعى للعيش لوصل الحياة ودفع الموت، وتنشئة جيل قادم يحل محل هذا الجيل الحاضر الذى هو لا بد ذاهب وذلك لكى تتصل الحياة باتصال الأجيال».

□ وكان الدكتور زكى يتابع بقلمه كثيراً أخبار التعليم الجامعى فى الخارج ، وخصوصاً فى إنجلترا . وفى مقال له (العربى : ٢ / ١٩٦٧) تحدث عن رفع إنجلترا لرسوم الدراسة وبدء تنفيذ هذه الزيادات على الأجانب ، ثم أهاب بالعرب أن يسارعوا إلى إنشاء جامعاتهم « وأن ينشئوها سريعاً ، وأن ينشئوها أكثر وفاء بالعتاد والرجال للقاء المستقبل الذى لن تكون فيه سوق الجامعات الأجنبية سوقاً مفتوحة على مصراعيها » .

ويمضى فى تحذيره ، فيقول : « لقد أوشكت الأبواب أن تسد ، ومنايع العلم المفتوحة التى يغترف منها الآن من يشاء ما شاء ؛ لا تلبث أن يقف عندها حارس يأذن لبعض ولا يأذن لبعض . وقد يكون من أسباب ذلك الولاء السياسى أو غير الولاء . إن العلم سيصبح نادراً ، فعلى العرب أن ينبؤوا له صروحه » :

وينتهز الفرصة ليعبر عن سعادته بإنشاء جامعة الكويت : « وبهذه المناسبة أقول مرحباً للكويت أن بدأت بجامعتها على خير ما تكون الجامعات . وهى بدأتها ككل الجامعات فى الأمم النامية ، وفى جامعة القاهرة خاصة ، بأساتذة من غير أبنائها . . ثم يفعل الزمان فعله ويرث ذلك الجيل جيل من أبناء البلاد لاحق » .

٢ - استقلال الجامعة :

وفى مقاله عن الجامعات فى الأمم المتخلفة ، يتعرض لقضية استقلال الجامعة ، من وجهة نظر مختلفة تماماً عن وجهات نظر الذين تناولوها من مفكرينا العرب - فأحمد زكى يعتبر أن مشكلة الأعداد الكبيرة هى الخصومة الكبرى بين الجامعات والحكومات ، وأنها أخطر الأمور على الاستقلال : « على أن الخصومة الكبرى التى بين الجامعات والحكومة خصومة حلها مستعص على جامعة وعلى حكومة على السواء : ذلك ضغط الحكومة على الجامعات أن تفتح أبوابها لكل من أراد أن يدخل جامعة ، ولو لم يحصل على النصاب الأوفى ، والحكومة تنزل بالمستوى الذى يجيز للطالب دخول جامعة ، لأن الشعب وراءها يطلب لأبنائه أن يدخلوا الجامعة ، لأنها فى نظره ،

هى الطريق الوحيد لحياة أفضل . فنزول بمستوى التعليم عند دخول الجامعة يجتمع فى الجامعة بمدرسين جامعيين اسما ، وهم غير كفاة لما يتصدون له من التعليم . حالان ، الجمع بينهما يخرج الخريجين وهم أنصاف متعلمين ، وهؤلاء يدخلون فى مرافق الدولة يديرونها ، وهم غير أهل لها ، وتكون العاقبة خسارة جامعة شاملة . . الشعب لا بد أن يرضى . . والجامعات لا بد أن تخضع . . والمرافق لابد أن تسوء » .

أما عن التعريف المألوف لاستقلال الجامعات ، فأحمد زكى مطمئن تمام الاطمئنان إلى أن الحكم فيه هو الزمن ، وهو تطور المجتمع وتطور فهمه وممارسته للحرية ، وإن كان فى نفس الوقت لا يقف مسلما ١٠٠٪ باستقلال الجامعات فى أعظم الدول تقدما وهو يقول فى هذا المعنى :

« ولكن واقع الأمر ، أن الشعوب المتقدمة ، جرى فيها استقلال الجامعات بجرى سائر الحريات التى تتطلبها الديمقراطية وتتطلبها العلم والمعرفة فى هذه الحضارة العصرية القائمة فالحكومات اليوم ، دفعت من نفقات الجامعات أو لم تدفع ، لا تتدخل فى شئون الجامعات حتى يتواصل النظام فى الحرم الجامعى ، وإذا استدعى ذلك استدعاء رجال حفظ النظام ، لم يدخل فى الحرم جندي واحد إلا إذا كان مدير الجامعة هو الذى استدعاه وأذن له بدخوله .

« هذا هو العرف فى الأمم المتقدمة ، ومع هذا فلا بدلى من القول إننا الآن فى زمن أسهل شىء فيه العبث بالأعراف » .

٣ - أيهما أولى : التوسع فى الجامعات أم القضاء على الأمية ؟

طرح الدكتور أحمد زكى هذا السؤال قبل أن تطرحه الظروف والأحداث العلمية فى وطننا العربى مع الزيادة المضاعفة التى شهدتها أعداد الجامعات وأعداد الطلاب فيها فى العقد الأخير وقد دعا أحمد زكى فى مقاله الافتتاحى (العربى : ١٠ / ١٩٧١) إلى إنشاء « جامعة الهواء » على غرار تلك التى فى بريطانيا . واستطرد فى مقاله إلى مناقشة الآثار التى قد تنشأ نتيجة تنفيذ هذه الفكرة ، وأولها زيادة عدد الجامعيين مع ما زلنا نعانى منه من أمية . وقد رد على هذا التساؤل فى وضوح وقوة بيبين عنهما قوله :

« وسيقول قوم كيف تأذن للتعليم العالى أن يمتد هكذا ، وأكثر العرب أميون؟! وهذا حق ، وكان المنطق يقضى بأن نزيل الأمية قبل أن نرتفع بالتعليم ونحدده ، ولكن أعداء العرب قائمون

من حولهم كالسباع لا يعطون التى أكثرها الخراف والنعاج ، فهى طعام لها طيب وفير ، لا يعطونها الزمن الكافى لتتطور وتتحسن أحوالها وتستأسد من بعد ذلك . لهذا وجب أن نعالج الأمة العربية من طرفيها ، الطرف الناهض لنملأه علما ولنزيده ولنتسع ، والطرف المتخلف لنرفع عنه أميته ، طلائع ترتفع بأمته وتصون وحدتها عن علم لا دجل فيه ولا خداع ، وتضرب عند الجذ وتدفع الأعداء بآخر ما ابتدعه العلم من سلاح ، وطوائف فى الجانب الآخر كالنمل عدداً تعينها على الخروج من وحل الجهالة التى رطمها الزمان فيه .

٤ - ماذا تضيف الدرجة الجامعية إلى صاحبها؟ :

يجيب أحمد زكى عن هذا السؤال ، فيضرب مثلاً بالحداد ، ويقول : « ولا أحسب أن هذه الدرجة ستجعل منه حداداً أكثر حدادة ، ولا أمهر فى حدادته كثيراً ، وهى لن تحوله عن حدادته إلى سبيل للرزق غيرها ، فلا بد فى الناس من حدادة . وإنما سوف تجعل منه إنساناً أكثر عرفانا ، وأوسع إدراكا ، وأقدر على التفتح للحياة ، والاستمتاع بمتع العقل والقلب فيها ، ما كانت تنهيا له وهو على الحديد والنار . وفوق ذلك ، وأخطر من ذلك أنها سوف تجعل منه لأمة ، مواطناً صالحاً » .

ويستطرد الدكتور زكى فيقول : « إن آماله هذه قد تكون أحلاماً ، ولكن حاضراً أن نحلم ونحلم ونحلم ، لعل نفس الأيام أن تحقق لنا حلماً يكون واحداً بألف ، والذي لا يحلم أبداً ، لا يصدق له حلم ، ولا يتحقق أمله » .

٥ - الحفاظ على المستوى الرفيع لتعليمنا الجامعى :

يؤكد أحمد زكى فى كل المواضع - وإن لم يواظب على هذا التأكيد فى مقاله الأخير - على أهمية العناية بمستوى خريجي جامعاتنا ، وعباراته فى إحدى مقالاته (العربى : ١٩٦٩ / ٥) صريحة واضحة حادة حيث يقول : « ألا تخرج الدولة جامعيين وفنيين بخير من أن تخرج أنصاف جامعيين أو أنصاف فنيين . إنهم صانعو الدولة فى غدها ، ولا نريد دولة نصف مصنوعة فيها الأطباء ، ولكن أنصاف ، والمهندسون ولكن أنصاف ، والفيزيائيون والكيميائيون والذريون ولكن أنصاف وأرباع وأخماس » .

وفي مقالة له (مجلة العربي : ١٩٧٠ / ٥) يؤكد أحمد زكي رأيه ويوضح فكرته من هذا الرأي بقوله :

« إن هذه المتوجات الإنسانية لا تستهلك في عام أو عامين . . إن الطبيب الماهر باق معنا ننعم بمهارته ثلاثين عامًا أو أربعين . . وكذلك الطبيب العاجز باق معنا نعانى من عجزه ثلاثين عامًا أو أربعين » .

« فالضبط والربط يجب أن يبدأ حيث يبدأ الخلق في الجامعات . الجامعات تختبر ، ولكن قبل أن تختبر يجب أن تختبر . « تختبرها الأمة لتتأكد من أن النتائج الذى سوف يأتي أخيرًا سيكون نتاجًا بحمد الله طيبًا حميدًا ، وحديثًا ، مواكبًا لزمانه » .

« ولهذا ، وجب على الأمة العربية أن تقوم بتقويم ما عندها اليوم من جامعات : كم هي ؟ وأين هي تقع من مراتب جامعات الأرض ؟ وعلى أى شيء بنى تقويم جامعاتنا : على كلمة من صحفى ، أو خبر شارد علمي ؟ أم على قرار للجنة محايدة فاحصة ، عارفة عادلة ، صادقة صديقة ، نستدعيها من أقصى الأرض ، يكون أكثر صداقتها وصدقها فيما تكشفه لنا في جامعاتنا من نقص مع ما تذكر من جودة ، وإذن نسير وفي أيدينا مصابيح تهدي ، نرسم على ضوءها الطريق الذى نسلكه في غد ليس كله بنور الشمس غامرا » .

ولهذا أيضا يدعو أحمد زكي ويكرر دعوته إلى امتحان الطبيب والمهندس والمعلم كل ١٠ سنوات للتأكد من أن كلا منهم ما زال يلاحق العلم الجديد كلما نبت فيه في الطريق نابت . . وهذا هو ما يعبر عنه باختصار عنوان مقاله « المعلم كالسيارة هي من طراز ١٩٣٠ أو ١٩٥٠ » . . بل ويدعو أحمد زكي إلى امتحان البرامج وأساليب التعليم والأجهزة .

٦ - بين التخصص والتعميم في الدراسات الجامعية :

يقصد أحمد زكي بالتخصص ، ذلك الأسلوب الذى أخذت به حديثا الجامعات الأمريكية من تطعيم الدراسات الإنسانية بالدراسات العلمية الطبيعية والعكس . . وما إلى ذلك من الأساليب المستحدثة في التعليم . وقد ناقش أحمد زكي في مقاله بمجلة العربي « ١٠ / ١٩٧٢ » أصل فكرة التخصص وتطورها على مدى التاريخ ، وعرض لآراء القائلين بأهمية ضرورة التخصص ، وعرض لرأيه في تطبيق هذه النظم في جامعاتنا العربية ، وانتهى إلى أن : « البلاد العربية لا تزال في أول الطريق ، والبلاد العربية بها نحو ٧٠٪ أميون ، فأين نحن من الترف العقلي أو القلبى الذى لا

يخطر إلا على بال أمة اكتملت فيها الدراسات الجامعية في نواح كثيرة . . وبلغت مستويات عالية ، ووصلت بمعارفها إلى القمر ، وهي تطلب المريخ . . وكثرت كذلك أموالها فهي تفيض على أهل الأرض بالمعونات التي يرضاها الله أحياناً ، ويرضاها الشيطان أكثر الأحيان بما تفيض . . والرفه الدراسي المقترح يكلف الدولة أموالاً طائلة ، والدولة العربية يعد فيها الفقراء كثرة ، فقر غذاء ، وفقر كساء ، وفقر مسكن ، وفقر رءوس كثيرة من أهلها لم تزود بعد بالأقساط الضرورية للحياة الحاضرة من معارف وعلوم » .

وعلى الرغم من أن هذا الرأي قد يبدو متعارضاً مع طموح أحمد زكى وأحلامه خصوصاً في التعليم الجامعى ، وهي طموحات تعرضنا لها بالتحليل والسرمد منذ لحظات ، إلا أن الحقيقة في هذه المسألة على ما يبدو أن أحمد زكى كان يريد للتعليم الجامعى العربى أن يمضى فى سبيله الطبيعى ، بالتقدم الذاتى ، وبالتجريب المتناسب مع ظروفه وإمكاناته بعيداً عن الطفرات التى هى فى الواقع ليست من أنسب الأمور للعلم والتعليم الجامعى .

بعبارة أخرى كان أحمد زكى يريد للتعليم الجامعى أن يرتبط بالبيئة التى هو فيها ، حتى يكون صادقاً فى الأجيال التى يعمل عمله فيها ، ومؤثراً فى الأجيال والأعمال التى تتعامل مع هذه الأجيال .

وعلى الصعيد الآخر كان أحمد زكى يعتذر عن قصور إمكانات التعليم بالقصور الذى فى إمكانات البيئة على النحو الذى سنتناوله فى الفقرات التالية .

٧ - التعليم الجامعى والمجتمع :

عبر أحمد زكى عن أنه مقتنع تمام الاقتناع بأن التعليم - حتى فى البلاد المتقدمة - لا يتطور بالسرعة التى يتطور بها المجتمع هناك ، وهو يرى أن من الطبيعى أن يسبق المجتمع العلم .

وفىما يتعلق بحالنا يقرر أحمد زكى أن الفقر هو علة تخلفنا الكبرى فى كل جبهة ، وليس هو العلة الواحدة ، ولكنها العلة الأخرى بين العلل جميعاً . « أثر الفقر يتراءى فى كل منشط علمى ، وفى كل اقتراح نتقدم به للتقدم التكني ، ولكنه يتراءى خفياً فى أيسر الأمور التربوية وأظهرها . . فالفقر . . الفقر ! فليذكره الذاكرون عندما يجتمعون فى مؤتمرات التربية . . اجتمع فيها وزراء أم خبراء أو مدرسون عاديون » .

« والجامعات إنما تحيا بمقدار ما فى البيئـة من موارد حياة . . وتموت بمقدار ما فى البيئـة من أسباب موت » .

« والذى يسأل أين جامعاتنا من جامعات الغرب . . إنما يسأل عن بيئتنا أين تقع من سائر هذه البيئات » .

« نحن نحتاج إلى الفنين تخرجهم الجامعات المختلفة ، ولكن « اقتصادهم اليوم ليس فى حاجة إلى تدريب خاص لمهنة خاصة بقدر ما هو فى حاجة إلى رجال ذوى ذكاء وذوى فطنة - حتى الذكاء البالغ هم لا يطلبون أن يكون فى كل من يريدون - فعندهم أن صنوف الخبرة متعددة ومتغيرة ، وكثير منها لا يستدعى ذلك القدر من الذكاء الذى يقيسه علماء التربية بالمقياس المعروف عندهم بمقياس الذكاء ، فعندهم كذكاء الرأس ، ذكاء اليد ، وذكاء العيش ، وذكاء الأذن ، وذكاء العصب فى ساعد ، وفى قدم ، حتى ذوو العاهات لهم فى التطبيق أماكن » .

٨ - التوافق بين إمكانات الطالب ودراسته :

بقيت نقطة لا بد للشباب ولموجهيهم من الاستفادة بثاقب فكر أحمد زكى فيما يتعلق بها ، وهى ضرورة وضع الشاب المناسب فى المكان والمهنة المناسبين لإمكاناته العقلية والتعليمية . . وهذه فقرات من رأيه فى هذا المعرض نضعها أمام الأبصار .

يشبه أحمد زكى فى مقاله (الهلال : ١٩٤٨ / ٧) التعليم العام بالطريق السلطانى الواسع العريض ، ولكنه يوشك أن يكون له انتهاء ، وعند الانتهاء يتفرع فروعاً عدة ، يقف عندها المتخير حيران ، لا يدري أيها يسلك ، وأيها أهدى إلى العيش الرخيص والحياة الهانئة .

ويستطرد معبراً عن واقع الحياة ، فيقول : « لكل شخص طريق لا يطلبه ، ولكل طريق شخص لا يطلبه ، وسر النجاح فى الحياة هو ذلك التوفيق بين طالب ومطلوب ، وهو سر غامض ، من أجله النجاح فى الحياة وعمر » .

« خير للطالب أن يطلب التل إذا تعذر الجبل واستحال ، والقمر يطلبه كل الأطفال ولكن الرجال تعرف ما يُنال ، وما لا يُنال ، فنفسك الحكم الأول فى كل ذلك » .

« وأول ما توائم فى نفسك ذكاؤك العام الذى يجىء بعضه من التعليم وبعضه من الطبع ،

فليست المهنة كلها تحتاج لقدر من الذكاء واحد . . واذكر دائماً أن الحلاق الناجح خير ألف مرة من الطبيب الخائب . . وأن النجاح في حد ذاته متعة وهناءة وفرحة وسرور لا يغيض منبهه أبداً .

« إن وضع الشاب الصحيح في المهنة الخاطئة ، هو ، على ما يقول المثل الأجني ، كوضع الخابور المدور في الخرق المربع لا يكون للشاب منه استقرار ، ولكن يكون منه القلق ، وهو لا يشقى وحده بذلك ، ولكن أسرته وبيته وأمه تشقى به » .

وأظن أن هذه النقطة بالذات قد لا تقل في أهميتها فيما يتعلق بموضوع التعليم الجامعي عن النقاط السابقة الأخرى ، وإن كنت قد أخرتها إلى هذا المقام ، ففيها العبرة الأولى والأخيرة .

المصادر:

- « الطريق السلطاني وما وراءه » (الخلال : يوليو ١٩٤٧) .
- « التعليم كم منه للثقافة ؟ وكم منه للرزق ؟ » (العربي : أكتوبر ١٩٦٢) .
- « شبابنا وثقافة العصر » (العربي : يوليو ١٩٦٦) .
- « ألف مصنع ومصنع تفتح الآن أبوابها لتصنع الرجال » (العربي : أكتوبر ١٩٦٦) .
- « جامعات الغرب مفتوحة الأبواب اليوم وقد تضيق في وجه أهل الشرق مسالكها غدا » (العربي : فبراير ١٩٦٧) .
- « المعلم كالسيارة هي من طراز ١٩٣٠ أو ١٩٥٠ » (العربي : فبراير ١٩٦٨) .
- « الدولة الخيرة ترعى أبناءها من يوم يولدون إلى يوم يقبرون » (العربي : ديسمبر ١٩٦٨) .
- « الكتاب العربي : سبب التخلف الحضاري والتخلف العلمي والتكني في روضة أو مدرسة أو جامعة » (العربي : مايو ١٩٦٩) .
- « الجامعات بين قديمها والحديث » (العربي : ٥ / ١٩٧٠) .
- « التربية كيف تمارس على التخلف والفقر » (العربي : ٢ / ١٩٧١) .
- « جامعة الهواء » (العربي : ١٠ / ١٩٧١) .
- « الجامعات في الأمم المتخلفة » (العربي : ٥ / ١٩٧٢) .
- « تربية ابنك كانت تبعتك فصارت تبعة الدولة » (العربي : ٦ / ١٩٧٢) .
- « بين التخصص والتعميم في الدراسات الجامعية » (العربي : ١٠ / ١٩٧٢) .

الفصل الثانى عشر

فى الثقافة والإعلام

« وعلموا الطابعين أن الجمال قد يشتري بأبخس الأثمان . . وأن الكتاب كامرأة هذا العصر أجمل ما تكون وهى فى أبسط الثياب » .

مع أنى قد أؤمن بضرورة الفصل بين الثقافة والإعلام ، فإننى لا أفهمه على أنه فصل بين متناقضات ، ولا بين أشياء ينشأ عن اجتماعها آثار مدمرة ، أو آثار غير مرغوبة ، وإنما هو الفصل الذى يتيح لنا أن نركز على كل من الثقافة والإعلام فى خطط التنمية بالأسلوب المناسب لكل منهما ، وبالقدر المطلوب ، بل وأكثر منه .

لهذا السبب كان فى خطة المؤلف أن يجعل من هذا الفصل فصلين : فصلاً يتعلق بالرؤية الثقافية لأحمد زكى ، وفصلاً للمفاهيم الإعلامية ، ولكنه وجد أن تركيز أحمد زكى فى كتاباته التى تناولت الحياة الثقافية كان على مسألة القراءة والكتاب ، وأن تركيزه فى كتاباته التى تناولت المسائل

الإعلامية كان على الصحافة والإعلام الصحفي . . القضية إذن في القلم ، والقلم هو جوهر الثقافة والإعلام ، وهو البؤرة التي تلتقى فيها جميع إشعاعاتها ، بل هو البؤرة التي تخرج منها تلك الإشعاعات .

وآراء أحمد زكى في الثقافة والإعلام لا تحتاج إلى كثير من التعليق ، ولا إلى أى قدر من الإيضاح . وجزئيات هذا الفصل واضحة التميز لا تحتاج إلى كثير من الربط ، إنما ينصرف الجزء الأكبر من جهد المؤلف في هذا الباب إلى إعادة ترتيب الأفكار ، والخروج بالمشابهة على النحو الذى لا يجعل القارئ ينصرف بعد قراءة الباب إلا بفكرة واضحة على نحو ما كانت أفكار أحمد زكى ، في حجم قد يكون العشر أو أقل من العشر بالنسبة لما كتبه أحمد زكى في هذا الصدد ، هذا فضلا عن دورات ثلاث من الاختصار اضطر إليها المؤلف في هذا الفصل وفي غيره من الفصول .



يؤمن أحمد زكى بأن الدعاية علم ، كالنهر ، تمده بالماء روافد من المعرفة شتى : معرفة تتصل بأنفس الناس ، ما هى ، وكم هى ، وما مزاجها ، وكم سرعتها في تقبل المعنى والخبر وكم هى من التشكك والحذر ، وأين هى من العلم ، وأين هى من الجهل ، وما صنع التاريخ بها ، وكم ضيع من آمالها ، وكم أحيا ؟ .

□ « وأنت تستطيع أن تصل إلى الناس عن طريقين : طريق العقل والمنطق ، وطريق الانفعال والعاطفة ، وأغلب الظن أنك سوف تحتاج إلى العقل والعاطفة معا . »

□ « والدعاية في الدين كل دين ، دعاية تخرج عن عقل ، ودعاية تخرج عن عاطفة . ويصل المعقول منها أهل العقل فيكون الرضا ، ويصل المعطوف منها أهل العاطفة فيكون الرضا . ولقد مر بخاطري يوما رأى خبيث عن الخرافات التى أدخلها الجهال في سائر الأديان ، فقلت لنفسي : وما ضرر ذلك إذا كان في الخرافة إحياء أمل أو طمأنينة من بعد خوف ؟ وخيل إلى أن بعض الفلاسفة ، حتى من المسلمين سبقونى في هذا الرأى فيما سبقوا . »

□ « والرأى عندى أن الدين ، أى دين ، لا تأتلف وإياه الدعاية إلا أن تكون حقا . أما التحبيب والتحبب في الدين فتتهريج لا يستقيم مع عقول تطلب حقيقة الكون الكبرى : حقيقة الله سبحانه . »

□ « ولكل نشيد وطني من هذه التي في بلاد الغرب ، ولكل سلام قومي قصة امتزجت بدماء ، أين منها أناشيدنا ، أناشيد الشرق تلك التي وكلنا أمرها إلى قاعد منا يقعد في حجرته ليضع لنا الحنا من عنده ، فاترا ، مأجورا ، وتدق به بيننا الطبول في الاحتفالات ، فنقوم له في غير كثير من احتفال ، إذ ليس له في القلب صدى » .

□ وقد تقدمت الدعاية تقدماً كبيراً في الحرب العالمية الثانية عنها في الأولى : « حدث تحول في دعاية الحرب من الغلو إلى الاعتدال ، فاقتربوا بالصدق ما أمكن ، وعرف القارئون للصحف ، والسامعون للإذاعات من أمر هذه المصادر ما عرفوا فأقبلوا عليها . وبالطبع نجد أن الأمم مع القوة ، أقدر على الصدق ، وهي مع الضعف تتوارى في الكذب ، وهي تكذب على أهلها سواء بسواء » .

□ والثورات تهتم كثيراً بالعلاقة بين الدعاية والتعليم : « فالدعاية في حجرات الدراسة وبرامج التعليم هي أنجح الدعاية ، وتستوى في استهداف ذلك ثورة اليمين ، وثورة اليسار . وأول العلوم ملائمة للدعاية ، الدروس التي نعتها بالأدبية ، وأسرعها استجابة علم التاريخ ، فصاحب الدعوة يستطيع أن يبدل فيه ، فيثبت ما ليس فيه ، ويحذف مما فيه ، وفقاً للدعوة التي يريد ، ووفقاً للأهواء العاطفية التي يريد أن يزرعها في الطلاب » .

□ « وإن يكن التعليم الرسمي بين الحوائط الأربعة يتخذ وسيلة للدعاية ، فالتعليم الطليقي وسيلة أفعل وأوسع دائرة وأبعد مدى » . يقصد الصحف والإذاعات والتلفزيون : « ومن أجل هذا احتوته على الأنحس الحكومات التي لها في الدعاية أهداف تستهدفها ، ومذاهب تشيعها وتشرها » .

□ « وباحتواء الحكومة كلا النوعين : التعليم والإعلام (التعليم الطليقي) تستطيع إذا هي أرادت أن تخلق الإنسان الذي تريد . ونحن في العصر الصناعي نصنع الخامات المعدنية ، وكذلك نستطيع إذا أردنا أن نصنع الخامة الإنسانية ، فنتنتج منها الخراف ، والأسود ، والحمام ، والصقور ، وما لم يخطر ولا خطر ببال أحد » .

□ « إن الإعلام من العلم ، والمدارس والجامعات تعطي العلم ، والدنيا تعطي العلم ، والإذاعة والتلفاز جامعتان عظيمتان يظل يستمد منهما تارك الجامعة بعد تركها ، علماً وأدباً وفناً ، وخبرة حياة ، ليس شيء منها من الصنف الذي تعطيه المدارس والجامعات عادة » .

□ « إن أجمل شيء في الحضارة الحاضرة العلم والمعرفة والاستنارة إجمالاً ، وأخطر ما في العلم والمعرفة والاستنارة مصدرها ، ومن أخطر هذه المصادر ، مصدر الكلمة المذاعة ، والصورة المذاعة ، بهما تخلق خلقاً جديداً ، وبهما تتغير مقادير الشعوب » .

□ «الرأى العام صار يصنع كما تصنع البضائع ، بالشكل الذى يريدون ، كما يحيل الخزاف صلصاله ، فهو يصنع منه مزهرة لعطر ، أو مبولة لطفل . . . » وهو لا يمكن أن يعمم وقد نشأ الناس أمزجة ومشارب شتى ، وليس كل فرد فى جماعة بقادر على إبداء رأى ، وقد يستطيعه الفرد القادر ولكنه يبنيه على الخبر الكاذب .

□ «إنها هى الصحف تمارس لأئمها ما يمارسه الطبيب النفسانى الذى يحاول أن يذهب بالقلق عن مريضه ، فأحيانا هو بالعقاقير المسكنة يهدئه ، وأحيانا هو يعطيه حقنة من أنسولين تصدعه ، أو لعلها شحنة من كهرباء تهز كيانه .



ويبالغ أحمد زكى فى تقدير دور الإعلام إلى الحد الذى يصفه فيه بأنه أخطر عامل يهدد بقيام حرب عالمية جديدة : « والرأى عندى أنه والحرب بالكلم قد وقفت عند هذا الحد أنه لن تنطلق قنبلة ذرية أو غير ذرية إلا من بعد مفاوضة . هذا إذا حبست الصحافة فى كل البلاد ألسنتها ، وكظمت ما فى صدرها ، وسكت كذلك كلاب الحرب ، وكفوا عن نباح لا يجنى منه الموقف إلا شرا .

وإذا أراد القارئ أن يطالع رأى أحمد زكى فى إشكالية حرية الصحافة فى أثناء الحرب . . فليرجع إلى الفصل الثانى من هذا الكتاب حيث المفكر الذى يكبح جماح نفسه .

«ونحن فى البلاد العربية فى حاجة ماسة إلى إعلام فعال بقضيتنا . هذا لاشك فيه ، ولكننا أحوج إلى إعلام عربى فى البلاد العربية نفسها .

وأحمد زكى يعتقد «أن رجل الإعلام غير رجل الشرطة ، وغير رجل المخابرات . رجل الشرطة ورجل المخابرات يجب أن تتوفر فيهما كفايات كبيرة ، ولكن لتظل فى الظلام محجوبة ، أما رجل الإعلام فمصباح نصنعه ليشع بنوره ، هكذا إعلانا حيثما حل .

وهو يأسف لهؤلاء الصحفيين الشبان « الذين يكتبون أكثر مما يقرأون » .

وهو لا ينظر إلى حرية الصحافة نظرة منفصلة عن الجو العام : «إنها هى حرية واحدة من حريات عشرات نعرفها فى هذا العيش الحاضر . وحرية الصحافة إنما هى معنى متفرع من معانى

الحريات عامة ، وبقدر ما يكون في الناس من إيمان بمعاني الحريات الأصيلة يكون إيمان بالفروع ، والإيمان بالحريات ، لا يكفى وإنما لا بد مع الإيمان من ممارسة » .

والجانب الآخر من القضية لا يغفله أحمد زكى : « والذين يتحدثون عن رقابة الحكومات على الصحف ، ينسون ، أن هناك رقابة مثلها توازنها ، تلك رقابة الصحف على الحكومات » .

« إن الصحيفة تأتي للناس بالأخبار من داخل البلاد ومن خارجها ، وتنشر في الناس الرأي ، وهو رأى فيها تجرى به الأيام من أحداث . ومن أمس أحداث اليوم بالناس هي أحداث تتأثر أشد التأثير بعمل الحكومات ، لا سيما بعد التطور الكبير الذى طرأ على واجبات الحكومات بعد قلاقل القرنين الماضيين ، فالصحافة أصبحت اليوم ، قائمة برقابة على الحكومات لعلها أخطر من رقابة الحكومات على الصحف . . ولكن من عجب أمر هذه الرقابة ألا يتحدث عنها من الكتاب غير قليلين » .

« وهناك معنيان لحرية الصحافة والنشر عامة ، أحدهما هو الأشهر ، وهو الأوضح وهو حرية الصحافة فى أن تنشر ما تشاء ، لأن الخطأ التاريخي الأكبر كان فى كبت الحكومات حرية الصحافة ، وعلى زعم أن صوت الصحف هو صوت الشعب ، فهذا الكبت إنما كان كبت حرية الشعب أن يقول ما يقول » .

« أما المعنى الآخر الأخصى فهو محافظة الصحف على حرية الشعوب أفراداً وهيئات ، فلا تنال أحداً بسوء اعتماداً على ما لها من قوة هي فى آخر الأمر مستمدة من الشعوب » .

« وقد نضيف إلى هذين المعنيين معنى ثالثاً ، وهو محافظة الصحف على حرية الحكومات . فالحكومة التى يقيمها الشعب على الأسس الديمقراطية من حقها أن تنال حريتها فى القول والعمل فلا تهاجم افتراءً وادعاءً . . حتى من معركة قائمة . . » .



يتحدث أحمد زكى عن الصحافة فى البلاد الواقعة تحت الحكم الكلى (الشمولى) ، وهو الواقع الذى عاشته معظم البلاد العربية والنامية ولا يزال أغلبها يعيشه : « والصحافة تحت هذا الحكم جزء منه ، والصحفيون عندئذ موظفون فى الدولة ، وموظف الدولة مطيع . . لهذا لا أرى وجهاً للذين يلومون رجال الصحافة فيما كانوا صنعوا وهم غير أحرار ، إنه لوم غير جائز إلا إذا جاز لوم

سائق القاطرة أو ضابط الشرطة ذلك أنهم جميعاً ضربوا على نغمة واحدة قادها رئيس الجوقة الموسيقى ، وفي يمينه عصا القيادة ، ومن ورائه « مسرور » صاحب نطع الرشيد وسيفه ، وويل لمن خرج عن الصف فضرب نشاراً » .

« ذلك أن الحريات أخذ وعطاء ، وميزانها العدل بين شعب وصحافة وحكومة في الأحوال السوية ، والإسراف في إعطاء الحريات تبذير ، وكل تبذير مفسدة » .

ويدرك أحد زكى حقيقة متاعب الكاتب من جهل الشعوب « الشعوب كالقطط تنتظر منك أن تمر بكفك مرّاً خفيفاً على شعرها في اتجاه واحد . . فإذا أنت غيرت هذا الاتجاه نالك من مخالبتها الشيء الكثير » .

وفي قضية الرقابة على الصحف والرقيب يقول : « الفكر لابد له من ضابط ، وخير ضابط للفكر كتابه ومن الكتاب من لا يقدر تبعة ما يكتب . . فيكون كالفردي في المجتمع الذي يعمل ما يشاء على هواه ، ولا يقدر تبعة ذلك ، فيقف له رجل الشرطة بالمرصاد » .

والذى يشكوه الكتاب ، والصحف والكتب « ليس هو قيام الرقابة ، ولكن مقدار ما تعطيه الرقابة لحرية العمل وحرية الفكر والكتابة من رحابة » .

الحلال بيّن والحرام بيّن ، ولكن الأمر يختلف من رقيب لآخر ، وكثير من الرقباء فيهم كثير من سعة الفكر ، والكثير من النبل .

المصادر

- ١- «قصة العربى كيف نشأ» العربى : ٨ / ١٩٥٩ .
- ٢- «الصحافة : انحرافات تذهب بسمو الرسالة» العربى : ٤ / ١٩٦١ .
- ٣- «حرب أم سلام» العربى : ١٠ / ١٩٦١ .
- ٤- «يومان : يوم للإعلام ، ويوم للوقاية من العمى» العربى : يونيو ١٩٦٧ .
- ٥- «الرأى العام : صار بضاعة تصنع فى الناس» العربى سبتمبر ١٩٦٧ .
- ٦- «البروباجنדה : لفظ برىء صاف كالماء فى الزجاج ، تدخله السياسة فيتلون» العربى : ديسمبر ١٩٦٧ .
- ٧- «القبة تغيرت وظل الرأس واحدا ، شهر انتظار واصطبار وترقب» العربى : أبريل ١٩٦٩ .
- ٨- «الكتاب العربى : سبب التخلف الحضارى والتخلف العلمى والتكنى فى روضة أو مدرسة أو جامعة» العربى : مايو ١٩٦٩ .
- ٩- «١١ عاما من حياة العربى» العربى : يناير ١٩٧٠ .
- ١٠- «هذا شهر حزين» العربى : يونيو ١٩٧٠ .
- ١١- «اسموه إعلالا ، وما هو إلا مواصلات بين أرواح وأفهام .. من بعد مواصلات بين أجسام وأجسام» العربى : ديسمبر ١٩٧١ .
- ١٢- «عصر الضياع .. إنها حيرة الشباب فى كل عصر» العربى : يناير ١٩٧٢ .
- ١٣- «حرية الصحافة» العربى : مارس ١٩٧٣ .
- ١٤- «الكتاب العربى بين أمية فاشية ، وقرصنة باغية» العربى : أبريل ١٩٧٢ .
- ١٥- «للمجدل آداب لابد من إحيائها» العربى : فبراير ١٩٧٣ .
- ١٦- «الدعوة ، الدعاية ، الإعلام ، البروباجنדה» العربى : مارس ١٩٧٣ .
- ١٧- «حرية الفكر فى سلام وفى حرب» العربى : مايو ١٩٧٣ .
- ١٨- «اختلاف الرأى فى سبيل الخير غير اختلاف الرأى عن خبث ومكر» العربى : أبريل ١٩٧٤ .

مقدمه

1- در مورد اهمیت این موضوع

2- در مورد روش تحقیق

3- در مورد جامعه آماری

4- در مورد ابزار گردآوری داده ها

5- در مورد روش های تجزیه و تحلیل داده ها

6- در مورد نتایج تحقیق

7- در مورد نتیجه گیری

8- در مورد پیشنهادها

9- در مورد منابع

10- در مورد پیوسته ها

11- در مورد ضمیمه ها

12- در مورد فهرست مطالب

13- در مورد فهرست جداول

14- در مورد فهرست تصاویر

15- در مورد فهرست کلمات کلیدی

16- در مورد فهرست منابع

17- در مورد فهرست پیوسته ها

18- در مورد فهرست ضمیمه ها

19- در مورد فهرست جداول

20- در مورد فهرست تصاویر

21- در مورد فهرست کلمات کلیدی

22- در مورد فهرست منابع

23- در مورد فهرست پیوسته ها

24- در مورد فهرست ضمیمه ها

25- در مورد فهرست جداول

26- در مورد فهرست تصاویر

27- در مورد فهرست کلمات کلیدی

28- در مورد فهرست منابع

29- در مورد فهرست پیوسته ها

30- در مورد فهرست ضمیمه ها

الباب الثالث

القدرات والآثار الأدبية
للدكتور أحمد زكي

مكتبة المجلد ١٢

مكتبة المجلد ١٢

مكتبة المجلد ١٢

الفصل الأول

نظرة على مكانة الدكتور أحمد زكي في الأدب العربي المعاصر

كان الدكتور أحمد زكي - رحمه الله - كاتباً غزير الإنتاج ، وكانت كتابته في العلم وفي غير العلم نموذجاً رائعاً للكتابة الأدبية التي تعتمد على المعاني في جوهرها ، وعلى البيان في عرضها ، كما تستعين بالبديع على بيان المعاني ومعاني البيان.

وليس من شأننا هنا أن نحصى للقارئ عدد مقالات الدكتور زكي لنثبت له مدى غزارة إنتاج الرجل ، ولكن الباب الرابع من هذا الكتاب «البليوجرافيا» سوف يقوم بهذا الجهد خير قيام وسيجد القارئ فيه القوائم الطوال التي تحاول أن تحصر إنتاج الرجل وتحاول قدر الطاقة أن تجد إلى ذلك سبيلاً.

على أن المؤلف لا يزال يعتقد أن تقدير المرء (عالماً أو أدبياً أو سياسياً) لا يقاس بمقدار ما أنتج ، ولا بنوعية هذا الإنتاج فحسب ، وإنما ينبغي أن يقاس الكم والكيف (أو المقدار والنوعية) في ظل المقارنة مع المعاصرين ، فإذا كانت الحال مع أحمد زكى وجب أن ننظر إليه ضمن نظرة أكثر شمولاً تحيط بالآثار الأدبية والعلمية والفكرية لمعاصريه .. فلنحاول إذاً أن نوازن بين أحمد زكى وأعلام المعاصرين:

أولاً: ففي المجال العلمى كان الدكتور زكى مع مشرفة باشا علمين خفاقين من أعلام العلم الحديث فى مصر ، وكان الرجلان يؤمنان بدورهما الرائد ، ويريان أن الكتابة للجماهير من الواجب عليهما ، وقد أتيح لأحمد زكى أن يعيش بعد وفاة مشرفة ربع قرن وشهوراً ، فلا محل للمقارنة بين الإنتاج الغزير للدكتور زكى وبين الآثار القليلة (نسبياً) للدكتور مشرفة ، ولا أظن أن المتوسط الحسابى يغنى فى هذا ، فقد كانت معدلات الإنتاج الأدبى والفكرى مختلفة عاماً بعد عام ، عند كل من العلمين ، وليس هذا - هو ما يعنينا ، إنما يهمنا أن نركز على طبيعة الإنتاجات الفكرية لكل منهما ، فعلى حين كان أحمد زكى يوجه الشطر الأكبر من اهتمامه إلى تبسيط الثقافة العلمية ، وعرض العلوم الطبيعية على الناس ، والبحث والتنقيب عن تلك الموضوعات التى تحتل هذا العرض ، فإن مشرفة كان معنياً بالكتابة فى القضايا العلمية الكبرى التى ترتبط بعلاقات العلم بالحياة ، والدين ، والأخلاق ، والقومية ، واللغة العلمية ، والصناعة ، والبحث العلمى ، والحياة العامة.

وليس فى هذا غرابة إذا ما تأملنا مثلاً المواقع الوظيفية التى شغلها الأستاذان ، فأحمد زكى قد تولى مسئوليات تنظيم العلاقة بين العلم والمجتمع ، والتطبيق العلمى فى الحياة العامة فى مصلحة الكيمياء ، وفى مصلحة الصناعة ، وفى مجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث ، فكأنما كان يتمم واجبه العلمى الذى تأهل له بالشرح والتحليل ، وهو فى كتاباته كان وكأنه يشرح لطلبة أوسع عدداً ، ويشرح فى عبارات أبقى على الزمان.

على حين كان الدكتور مشرفة مسئولاً فى المقام الأول عن تخريج تلاميذه فى كلية العلوم التى ظل أستاذاً بها وعميداً لها إلى أن انتقل إلى الحياة الآخرة ، وكان له حظ المشاركة فى اللجان والمجالس التى تنظم تلك العلاقات العلمية ، ولكنه فيما يبدو لم يكن سعيداً بما تنتهى إليه تلك اللجان مع طبيعة البطء التى تسود أعمالها ، ولهذا فإنه كان يحاول أن يكون رأى العام ، وأن يوقظ رأى الخاص بأفكاره وآرائه.

وقد لا تكون هذه النظرة إلى طبيعة الفروق بين الكتابتين كافية لتفسير الموقف مائة فى المائة ، ولكنها على كل حال تستطيع أن تلقى الضوء على أكثر من خمسة وسبعين فى المائة منه.

أما الجوانب الأخرى لهذه القضية فقد تعود إلى انشغال مشرفة في وضع الكتب المدرسية العديدة التي لا تزال تمثل المرجع الأول في الرياضيات بكل فروعها ، على حين لم تكن علوم الكيمياء قد لاقت ذلك الاهتمام الواسع في مراحل التعليم العام حتى وفاة الدكتور زكي في ١٩٧٥ .

وقد تعود هذه الفروق أيضا ، بل إنها بالتأكيد تعود ، إلى تلك القدرة الهائلة التي كانت للدكتور زكي في الاستيعاب والتحليل والشرح على هذا المستوى المتوسع من الثقافة العلمية وتاريخ العلم للجماهير ، على حين كان الدكتور مشرفة مشغولا ومأخوذا بتفسير وفهم التطور الذي حدث للعلوم فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين ، وفيما قبل النسبية وبعدها .

ومع هذا كله ، ومع غيره فإنك لا تستطيع إلا أن تثبت أن العلمين كانا يتمتعان بطبيعة متشابهة فيما يكتبان من أدب : صدقا ، ورقة ، وروعة بيان ، ودقة وصف ، ونقاء قلم ، وبعدا عن الأغراض ، والتزاما بالحقيقة مهما تكن .

ولا ينكر المؤلف أنه قبل أن يكتب هذا الباب قام بمراجعة ما كتبه من قبل في الباب الخاص بقدرات مشرفة البيانية في كتابه « مشرفة بين الذرة والذروة » فوجد نفسه في موقف لا يحسد عليه حين أدرك أنه لو تناول أحمد زكي من الزوايا التي تناول بها قدرات مشرفة البيانية لجاء هذا الباب صورة أخرى من الباب الذي كتبه من قبل عن مشرفة ، ولهذا فقد أخذ المؤلف نفسه بمنهج آخر في تناول الدكتور زكي ، يتلاءم مع الجوانب الأخرى في شخصية عالمنا .



ثانيا: وفي مجال الكتابة عموما فإنه لا يسعنا على سبيل المثال مع احترامنا لمجموعة كتابنا الأدباء الكبار وفي مقدمتهم الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين إلا أن نسأل: أيهما كان أجدى على الثقافة العربية ؟ تلك المقالات التي كتبها في تأييد هذا الحزب أو ذاك الزعيم أو مهاجمته ، أم تلك التي كتبها الدكتور زكي في قصة اختراع ، أو شرح دورة حياة ، أو مكافحة ميكروب ، أو ترسيخ مفهوم علمي ، أو تبسيط فهم صناعة من الصناعات .

وقد قلت في سؤالى « الثقافة العربية » ، خروجا بالقارىء إلى الإقرار بفضل الدكتور زكي في هذه الناحية ، ولا أظن الأمر يختلف كثيرا إذا ما قلت الأدب العربى ، غير أنى في هذه اللحظة سأواجه الذين يقولون بفضل المعارك الأدبية ، ولكنى أعتقد أنه إن كان للمعارك الأدبية أثر إيجابى ، فإن هذه

الإيجابية تنضاعف إذا جاءت المعارك بعد مستوى من التقدم الفكرى والسياسى لا قبل هذا التقدم الذى لا يقوم ولن يقوم إلا على العلم. والمعارك شأنها شأن كل عناصر الحضارة سائرة إلى التقدم مع مرور الزمن ومرور العلم .. ولهذا فإننا لا نجد حرجا من أن نقول إن فضل أحمد زكى ومشرفه وزملائهما على الأدب العربى بما كتبوا من مقالات علمية ، أضافت إلى أدب العربية وقاموسها اللغوى ما يفوق فضل أعلام الكتاب فى مقالاتهم السياسية التى تركت العقول غير الناضجة فى حالة تشكك لا تقبل لها بديلا.



ثالثا: على الصعيد الفكرى لا نستطيع أن نضع أحمد زكى من ناحية كونه فيلسوفا فى المرتبة السامقة التى نضع فيها الدكتور محمد كامل حسين مثلا ، ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن ننكر أن السبب فى هذا كان أنبل من الغاية ذاتها. ذلك أن الفكر الذى أخرج الدكتور زكى لمجتمعه لم يكن من ذلك النوع الفلسفى دقيق الفهم ، غزير المعانى والتناجى والمقدمات على النحو الذى نلقاه مثلا فى «التحليل البيولوجى للتاريخ» أو «وحدة المعرفة» أو «الوادي المقدس» ، ولكنه كان من ذلك النوع الذى يرتبط فيما يستهدفه بمرحلة محدودة من الزمن هى الحاضر الذى عشناه ، والمستقبل القريب الذى نؤمله ، ولهذا كانت كتابات الدكتور زكى فى الجوانب الحى من الحياة من الحياة ، وفى ملاحظة الأحداث ، والأزمات العربية والدولية (وخاصة أزمة فلسطين ، والظواهر الاجتماعية والمشكلات الناجمة عن التحولات .. إلخ) .. سواء فى هذا مقالاته فى الصحف عامة وفى الهلال وفى افتتاحيات العربى بصفة خاصة.

لهذا كله وبهذا كله كان أحمد زكى مصلحا ، وكانت له فلسفة فى الإصلاح ، وكان إصلاحه يستقى معظم كيانه من الفلسفة ، ولهذا كان قولنا إنه لم يكن ولم يشأ أن يكون فيلسوفا من أصحاب الفلسفات العميقة ، لأنه اتخذ الفلسفة سبيلا إلى الإصلاح والعلاج ، وليس على الطبيب الذى يعالج الحالات البسيطة أن يستعمل المركبات الدوائية المعقدة التى لا حاجة إليها ، لهذا كانت بساطة الفلسفة التى اتخذها أحمد زكى سبيلا إلى الإصلاح ، ولو أنه اتخذ الفلسفة سبيلا إلى الفلسفة لنبح وبرز فى هذا المجال ، ولكن السبب فى هذا كان كما قلنا أنبل من الغاية نفسها.

وأنا لا أدافع عن أحمد زكى بهذا ، فإن كلامى نفسه يقول إنه فى هذه الناحية أعظم من كل دفاع ، ولكنى أبغى توضيح حقيقة أرادنى الكثيرون من زملائى أن أوضحها لهم ولغيرهم حين وجدوا تفكير

محمد كامل حسين الفلسفى وكأنه قمة ليس إلى المقارنة بها من سبيل ، وسألوني هل كان عند مشرفة وأحمد زكى انتاج فكرى من هذا النوع ، ولا أظنهم يجدون هذا الطراز عند أحمد زكى أو مشرفة ، وليس فى هذا ما يقلل من قدر فلسفة مشرفة أو فلسفة أحمد زكى أو فلسفة على إبراهيم ، كما أنه لا ينقص من قدر كامل حسين ألا يجدوا عنده من هذا الطراز الذى أفاض فيه أحمد زكى من عطائه تبسيطا للثقافة العلمية ، وتفكيراً بالعلم فى نواحي الحياة الاجتماعية ، ذلك أن السبب فى هذا - وأكرر - أن السبب كان أيضاً أنبل من الغاية نفسها.

وهكذا يتضح لنا إلى أى حد كان أحمد زكى فى عصره الزاهر وبين هؤلاء الأقطاب الأربعة ، ولا أظن أننا فى حاجة إلى أن نقارنه بعد ذلك ببقية الأقطاب ، إلا إذا ذكرنا له من الفضل بإنشائه العربى ما يوازى فضل صديقيه الكبير أحمد حسن الزيات بالرسالة ، وأحمد أمين بالثقافة ، أقصد فضل نشر الثقافة بالصحافة ، وأن تكون هذه الثقافة ذات رسالة عليا ، وأن تمتد آثارها ما امتد اللسان العربى ، وأن تستقى مواردها من كل منهل ، وفى هذه الخاصة الأخيرة فإن أحمد زكى بلا شك وبلا جدال وبلا محاجة كثيرة قد فاق الأحمدين الآخرين. وليس هذا محلاً لتفصيل القول فى طبيعة فضل «العربى» على أختيها السابقتين (الرسالة والثقافة) وبخاصة أننا تناولنا هذا المعنى فى الباب الأول بفقرات مفصلة.



ومع أن ترجمة الآثار الأدبية المكتوبة فى لغات أخرى ليست من المجالات التى يضع التفاضل فيها صاحب السبق فى الصف الأول ، إلا أننا مع ذلك لا نستطيع أن نتجاهل فضل أحمد زكى حين ترجم «غادة الكاميليا» و«جان دارك» ، وأعتقد أن هذا الفضل يضاف إلى أحمد زكى مع أفضال أخرى فى نفس القائمة التى وضعته فى الصف الأول بين كتابنا الكبار ، وأحمد زكى فى قصصه ليس رجل العربية الأول ، ولكنه مع ذلك من رجالها الأوائل ، وإنى لأعجب لأولئك الذين ذهبوا يبحثون عن ريادة القصة القصيرة كيف يغفلون الإشارة إليه وإلى قصص «بين المسموع والمقروء» ، غير أن عجبى هذا يتلاشى عندما أجد البليوجرافيات المصرية للقصة تغفل قصص الدكتور زكى وكأنه كان واجبا عليه حين نشر هذه القصص فى الدوريات أو فى الكتاب أن يكتب قبل عنوان القصة أنها قصة حتى لا يتجاهلها نقاد الأدب والبليوجرافيون وهم يظنون أنها مقال ، ومن ثم لم يعرفوا للرجل أياديه فى هذا المجال.

وسوف نتناول فى الفصول المتتالية من هذا الباب بعض القصص بقدر يسير من التفصيل والتحليل والنقد، ولن نغفل أيضاً بقية القصص التى لن تتناولها فصول هذا الباب بالتفصيل وإنما سنعرض لها على نحو سريع يعطى الهيكل العام فى القصة، والهيكل الخاصة الأخرى التى نود استلفات النظر إليها بما يتسق والفكرة من هذا الباب الذى نعرف فيه بأثار أحمد زكى الأدبية.

لعلى استأذن القارئ أن أكتفى بهذا، مشيراً إلى أن للدكتور زكى عدد آخر من القصص المنشورة ضمن منشوراته فى المجلات، منها «المطلقة» (الهلال: ٧/ ٤٩)، وهى قصة قصيرة تتناول فى تحليل عميق لحظة الطلاق وشعور المطلقة فى هذه اللحظة، و«وصاحت صبيحة أخيرة: بالله كل الأحزان إلا حزننى هذا، وكل الوجائع إلا وجيعتى هذه، ويزيد فى وجيعتى أنها من صنع يدى. فأترلى الطريق يارب الأنوار جميعاً. ارفع فتيلاً فى سراجى ليخرج منه النور ساطعاً، فقد عمشت عينى، واختلطت عليها المسالك».

ولا ينبغي لنا أن نغفل الإشارة إلى القصص العلمية التى روى فيها الدكتور أحمد زكى أبرز النقاط التى تحول عندها مسار العلم الطبيعى والبيولوجى وقد بدأ عالمنا خطواته فى هذا الاتجاه منذ مرحلة مبكرة، ومن قبل أن يترجم كتاب العلامة الكبير كونانت عن المواقف الحاسمة فى تاريخ العلم، أو كتاب أستاذه جافى عن قصة الكيمياء. وإن كانت هذه القصص قد جاءت، من ناحية أخرى، بعد ترجمته قصة الميكروب على صفحات الرسالة على مدى سنوات متصلة.

الفصل الثاني

بعض الخصائص الفنية في أسلوب أحمد زكي

نستطيع أن نشير في سرعة وإيجاز شديدين إلى أن أهم هذه الخصائص (في نظرنا ، وبعد دراسة مستفيضة لتطور هذا الأسلوب) تتمثل في تطوره مع الزمن من دقة اللفظ إلى سلاسة اللفظ، ومن إحكام اللفظ إلى تعبيريته، ومن تقليدية التركيب إلى دقة البناء..

هذه الأمور الثلاثة تعطينا المؤشر الواضح عن طبيعة أثر الزمن في أسلوب أحمد زكي. أما الرصانة فهي فيه بادىء ذي بدء ، وعودا على بدء ، والجمال فيه جمال الشباب ثم جمال الشيخوخة ، والعلم فيه علم الشاب المحصل ثم علم العالم الشيخ المحنك ، ولكننا مع هذا نود أن نطلع القارئ على بعض فقرات من مقال الدكتور زكي «ماذا أفدت من الإنجليز» الذي كتبه قبل وفاته بخمسة وثلاثين عاما، ثم نترك للقارئ أن يعود إلى أى مقال من أحدث مقالات الدكتور في مجلة العربى المتاحة في معظم بيوتنا ومكتباتنا.

هذه بعض فقرات من المقال القديم عن الإنجليز:

«كنت فى القطار أنتظر تحركه . وكان مقعدى فيه وثيرا ، ومس هواؤه وجهى ويدى دافئا لذيذا . وزاد فى لذاته تلك النظرات التى كنت ألقبها عبر النوافذ المغلقة لأستشرف ما وراءها فيحجبه عنى بخار متكاثف على زجاجها يحدث عما وراءه من برد قارس شديد .. ومددت يدى أمسح زجاجها فتبين فى الضباب السائد أشباح الرائحين والغادين من رجال ونساء وعمال يسرون فى اختلاط ، وزناط فى هذا الجو المعتم البليل ، وقد زاد البرد فى وزن ملابسهم كما زاد فى سرعة خطاهم . وكان الوقت ضحى ومع هذا أنارت المصابيح فى سماء المحطة الفسيحة . وجاءت فتيات حسنات فى ملابس واحدة تشق بين الناس ، وتجر أمامها عربات خفيفة عليها الفناجين والفطائر وقد تصاعد بخار الشاى من أباريقه ، فسطعت نفحاته فى العين بأحسن مما تسطع فى الأنوف . وصفر الصافر فتحرك القطار فمشى ديبيا ، ثم خيبيا ، ثم انطلق مسرعا إلى العراء الواسع فلم يبلغه إلا بعدحين طويل . فقلت : إلى اللقاء يا لندن ، لقاء غريب ما سلم حتى ودع . غريب أشعت فى نفسه الإجلال والإكبار لا الحب والهيام ، فحب المدن غير حب العذارى ، لا تقتل فيه النظرة العابرة الأولى» .

«ومضت بنا فى القطار الساعة تلو الساعة ونحن نتجه شمالا إلى الريف . وأخذت أبحث عن هذا الريف فيما انكشف من الأفق فلم أجد شجرة قائمة أو عود نبت يهتز . ووجدت الطبيعة قد تعرت من كل شىء ، والأرض قد نزلت عليها عناصر الأجواء القاسية كما ينزل الجراد فمسحتها مسحا من كل أخضر ، فترأت واحدة اللون سوداء تنقسمها أسيجة كثيرة متلاقية كرقعة الشطرنج ، تقوم عليها لتحرس غير محروس ، وتخفر شيئا غير موجود . فكانت كأرض عاد وثمرود . وانتصف النهار ، واكتهل ، ولم تظهر للشمس شعاعة . وخيم الظلام عصرا فحسبت بالساعة خلا . فقلت فى نفسى هذا بلد القحط والبرد والظلام لا يعيش فيه وخوم كسلان» .

«فهذا ما تعلمته فى هذا البلد الكبير . بل هو أجل ما تعلمته : العمل وقديسيته ، العمل الكامل الشامل الذى يتجه إليه المرء بقلبه ثمنا لقوته ، وأداء لواجب حياته . العمل الذى يستغرق أكثر ساعات النهار . العمل الذى لا يأذن فى العام إلا بإجازة تتراوح بين الأسبوعين والأربعة . العمل الذى اشترك فيه من السكان الجنسان فيصبح به إنتاج الأمة إنتاجين ، وثروتها ثروتين . العمل الذى لا يطلب الكفاف ، بل ما وراء الكفاف ليرتفع بالعيش عن مستوى البهائم . العمل الذى أساسه «ذل من قنع ، وعز من طمع» . العمل الذى يقوم به صاحبه دفاعا عن أسرته فى تنافس الأسر ، ودفاعا عن أمته فى تنافس الأمم . العمل الذى هو مطعم الرجولة والأنوثة على السواء ، مطمع الإنسان الذى يستكمل كونه يؤدى به رسالته فى هذا الوجود على ابتهاج الغاية واحتجاب الغيب» .

«والعمل الكثير المتلاحق على هذه الصورة العامة لا بد له من النظام ، فتعلمنا إلى جانب العمل النظام.. تعلمناه فى المنزل ، متابعة لأهل المنزل فى قيامهم وقعودهم وطعامهم وخروجهم ودخولهم ، وتعلمناه فى الجامعة ، مسابقة لأهل الجامعة فى الدرس والرياضة والحفلات. وفى الملاهى تعلمنا الوقوف على الأبواب فى الطوابير ، ووقف فيها معنا الكبير والصغير. وتعلمنا الوقوف عند أعتاب الترامات ومواقف السيارات ونوافذ التذاكر فى المحطات. والبيئة المنتظمة يُنظم من دخل فيها غصبا خشية أن تفوته القافلة ، ثم يصبح الغضب عادة سهلة. ومع النظام تعلمنا قراءة الساعات ، نقرأ عقاربها الكبرى بمثل ما نقرأ عقاربها الصغرى ، ونعنى بالدقائق عنايتنا بالساعات ، وذلك فى تقدير الزمن وإنفاقه ، وفى تحديد المواعيد والبر بها».

«والعمل يقتضى حسن المعاملة ، فتعلمنا حسن المعاملة وآداب اللياقة. فالإحسان يُشكر ولو جاء من خادم يؤجر. والإساءة يُعتذر عنها ولو إلى أفاق فقير. ولكل كتاب جواب .. وساعد على حسن المعاملة تقارب ما بين الأفهام فى بلد ديمقراطى عمه التعليم. والتعليم يعرف المرء قدر نفسه وقدر غيره ، فهو لا يبالغ فى تناسيها. والتعليم إذا عمّ الأحقاب ساوى بين الطبقات من الوجهات الاقتصادية تساويا كبيرا. وعلى هذا التساوى ، أو إن شئت التقارب فى الماديات ، والتقارب فى العقلية ، تقوم الديمقراطية ، وإلا فهى دكتاتوريات متشعبة الرءوس تنزىا بزى الديمقراطية لأنه زى جميل خداع يسهل على الطغاة قيادة الأمور. ففى هذا البلد الذى نصف صغرت الطبقة الفقيرة الجاهلة التى ينعتونها بالدنيا صغراً نسبيا كبيرا وصغرت الطبقة الغنية صغراً نسبيا كثيرا. وتضخمت الطبقات المتوسطة تضخما عظيما كما تتضخم نواة الخلية فتملؤها. فعلى هذه النواة الضخمة ، على هذه القاعدة العريضة قام صرح الحكم ، وصرح النظام ، وصرح الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، فلم يكن من المستطاع إلا أن يكون صرحا شعبيا دستوريا. وكان على ضخامته فيه اتزان لاتساع قاعدته ، فلم يخشوا عليه العوادي. وأمنوا عليه فلم يعنوا بوصفه وتحديد به بألوف المواد ومئات القوانين ، حتى القوانين التى تصفه اختاروا لها الثوب الفضفاض الذى يتسع لآراء كثيرة مما تحتمله الرءوس العاقلة فى الظروف المتغيرة الكثيرة. وقد يجدون فى هذا الصرح الضخم على الزمن تصدعا فلا يرتاعون له ، وإنما يجمعون له المعاول والفتوس ليصلحوه فى تؤدة على أسلوب الزمان الجديد بما لا يتنافر كثيرا مع الأسلوب العام للبناء القديم ، ويسهل عليهم إصلاحه لأنهم هم بانوه».

فن المقالة عند أحمد زكى

يدرك أحمد زكى أسرار المقالة إدراكا لا سبيل إلى الإحاطة بكل جوانبه ، فهو منتبه إلى صياغة المقال لابد أن تعتمد على التنوع ، وخصوصا إذا كان فى المقال بعض الوحدات المتكررة ، لهذا فهو لا يضى على نمط واحد فى مقاله ، وإنما يتنقل بين الوسائل المختلفة التى تعينه على بلوغ غايته .

وأحمد زكى يدرك هذا الخلق منذ بدأ الكتابة ، كما قد أدركت من مطالعة تلك الفقرات الطويلة التى نقلناها عن مقاله «ماذا أفدت من الإنجليز» ، ولكنه كان مع تقدم الزمن وتراكم الخبرة يزداد قدرة على تحقيق هذا التنوع . وهو فى هذه التنوعات لا يخطئ اختيار القالب للفكرة ، بحيث يظهر براعة أخرى فى التوفيق بين الفكرة وقالبها ، أو الفقرة وقائلها .

وقد كان فى نية المؤلف - بل فى مسوداته - أن يعرض للقارئ أمثلة من هذه القدرة لأحمد زكى ، ثم وجد أن الإشارة إليها فحسب بعد هذا التنبيه خير وأولى ، اختصارا وتقديرا .

وقد يؤخذ على مقال أحمد زكى ، إذا ما قيس بمعايير الزمن الحاضر ، إفراطه فى الإطناب فى كثير من الأحيان ، وبخاصة فى تفسيره للموضوعات العلمية ، والواقع أن مرجع هذا إلى طبيعة المعلم فى الرجل ، تلك الطبيعة التى تحمل صاحبها - حتى من دون أن يدرك - على أن يبذل الجهد والجهد حتى يصل إلى إفهام أدنى المتلقين عنه ، فى الوقت الذى قد يعبر فيه بعض النجباء من القراء (أو المتلقين) عن ضيقهم لهذا الوقت الضائع .



وعبارة أحمد زكى واضحة ، فإن لم تكن واضحة للوهلة الأولى ، فهى واضحة من اللحظة الثانية ، وكل عباراته لا تحتاج لحظة ثالثة كي تتضح عندها .

أما لماذا كانت بعض هذه العبارات أوضح فى الثانية من دون الأولى ، فذلك راجع إلى طبيعة أخرى فى أسلوبه تتعلق باستعماله للألفاظ ، فقد يكون اللفظ غريبا أنى به أحمد زكى ليجرى على ألسنة الناس ، وقد يكون اللفظ نفسه معبراً عن معنى غريب عن أفهام الناس فإذا هم يقرءونه عند أحمد زكى للمرة الأولى فى قراءاتهم ، فتكون الغرابة عندئذ غرابة العلم الجديد ... وهكذا ...

إلا أننا مع ذلك كله لا نستطيع أبداً أن ننكر وجود نسبة لا يستهان بها من غرابة الأسلوب أو قل اختلاف الأسلوب في أدب أحمد زكى ، وقد نتعرض لها بشيء من التفصيل في موضع آخر .
وأحمد زكى يدقق في اختيار العناوين التي يضعها لمقالاته وهو لا يلزم نفسه بعدد للكلمات لا يتعداه العنوان ، وإن كان مع ذلك يدرك أهمية الاختصار في العنوان لهذا تجده هو نفسه في الفهرس (سواء فهرس العدد ، أو الفهرس العام لمجلة العربى) يختصر العنوان الطويل .
والإثارة في عناوين مقالات أحمد زكى لها طابع خاص فهي إثارة صادقة لأنها تحمل للقارئ الشيء المثير والموجود فعلاً ، وذلك على عكس الإثارة الكاذبة التي قد تشد المرء إلى شيء ما «حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً» .

ومع تطور الزمن ومساعدة تكنيك العصر بدأ أحمد زكى نفسه يضع العناوين الفرعية في مقالاته في مجلة العربى وكانت هذه العناوين أيضاً خير تعبير عن الفكرة التي عنونت لها .

القدرات التصويرية فى أدب أحمد زكى

أحمد زكى من قمم الكتاب القادرين على التصوير فى أدبنا العربى الحديث وبخاصة إذا ما تناول حديثه الحواس والمشاعر والأمور الدقيقة والماديات على ماديتها ، ولكن تصويره للمرأة (على سبيل المثال) فى كتاباته ليس فيه هذا العمق الذى تجده عند آخرين من رواد فنون القصص والمسرحيات إنما هو تصوير نابع من الحواس الخارجية إن جاز هذا التعبير ، ولك أن تنظر ، على سبيل المثال ، إلى عباراته حين يصف بعض النساء اللاتى رآهن فيقول:

«رأيت الحواجب مزججة ، ورموش العيون مسودة ، والحدود موردة ، والشفة معنية ، والصدور تزينها العقود ، وتزينها النهود ، وعلى المعاصم أساور ، وعلى الأصابع جواهر.. دمية حقا من بعد دمية من بعد أخرى تطلب اللاعب فمن يلعب بها؟»

ألا ترى أن هذه العبارات التى أراد بها التصوير لم تتمخض إلا عن أسلوب لا يزيد على وصف واحد من الفتيان يصف النساء لأخته الصغرى بعد حفل سهرة.

ولكن انظر معى ، من زاوية أخرى ، إلى هذه الصور التجسيدية الرائعة وتكاملها حين يصف المثل الأعلى الذى يتمناه للشباب فى مقالته «يعجبني الشباب» فيقول:

«يعجبني الشباب إذا هو استقام واستطال ، ثم انفتل ، عضل مشدود يستطيع أن يرتخى وذراع ممدودة تستطيع أن تنطوى ، ورأس مرفوع ، وصدر مفتوح يستقبل الريح باردة ويستقبلها لافحة ، وظهر عريض يحمل الأثقال ابتساما ، وقدم ككرة المطاط لا تمس الأرض حتى ترد عنها ، ومفاصل كمفاصل الفولاذ أغرقت فى الزيت ، جسم صحيح سليم كالدينار ، إذا ضربته على الرخام رن ، له متانة الحديد ، وليس به مسه».



وعلى كل الأحوال فسوف نستعرض مع القارئ - فى فصل خاص - التصوير البيانى فى قصص الدكتور أحمد زكى حيث أثرنا أن نختار عدداً محدوداً من القصص التى كتبها أحمد زكى ونتأمل خصائص الناحية التصويرية الغالبة عليها.

مكانة الشعر فى استشهاده

يستشهد الدكتور أحمد زكى بالشعر كثيرا ، ولكنه لا يأتى به إلا فى موضعه الأمل حتى إنك تجد فى نفسك إعجابا بهذه القدرة على التوفيق بين المعنى والبيت الذى استشهد به ، وقد يتفوق هذا الإعجاب على إعجابك بالبيت أو بالمعنى ، وليس هذا إلا صورة من صور التواءم العقلى الطبيعى الذى كان من أخص خصائص أحمد زكى والذى ساعده بالتالى على بلوغ هذه الدرجة الرفيعة من روعة الإسناد !

أقول التواءم العقلى الطبيعى لأن هذا الاستشهاد لم يكن يأتى نتيجة جهد جهيد بذله أحمد زكى فى أى وقت من أوقات حياته ، وإنما جاء كنتيجة طبيعية لكل الجهد الذى بذله أحمد زكى طيلة حياته فى تكوين شخصيته وعقليته والاتساع بمداركها حتى توافقت مع الكون الذى خلقه الله متوافقا مع بعضه بطبيعة الحال.

وكان أحمد زكى قد صرح فى أحد أحاديثه أن أكثر استشهاده الشعرية من قول المتنبى ، ولكننا بعد النظر فى كتابات عالمنا ، وجدنا أن قوله هذا يحتاج إلى نظر.

ولكن هذا لا يمنعنا من النظر فى طبيعة التوافق الذى وجده أحمد زكى فى نفسه مع شعر المتنبى ، والإجابة عن هذا السؤال قد تحتاج الليالى الطوال ، فأحمد زكى رجل متواضع ، إذا ما قورن بالمتنبى ، وأحمد زكى نال ما تمنى من غير إرهاق لنفسيته ، على حين أن المتنبى لم ينل ما تمنى لحياته حتى بعد أن أرهاق نفسه ، وبعدها أرهاقت نفسيته حتى كان منه ما يعرفه قراء العربية أجمعون ، وأحمد زكى رجل مدقق ، والمتنبى كان يطلق القول على عوامه وعلى قوانينه - إن جاز هذا التعبير .. وهكذا ...

ولو أننا ذهبنا نبحت الأمر من هذه الوجهة وهذا المنطق ما أدر كنا من الصواب شيئا ، إنما يتأتى لنا فهم جوهر هذه المسألة على الوجه الأكمل إذا ما اتخذنا لها مدخلا آخر فنجيب عن سؤال محدد: بأى من شعر المتنبى أعجب أحمد زكى واستشهد ؟

تسهل الإجابة بأنه أعجب بشعر الحكم ! ولم يكن فى العربية على ما نظن أنسب للمعانى التى استشهد فيها أحمد زكى بالمتنبى من المتنبى.



على أن هذا لا يعنى أن أحمد زكى قد استشهد بالمتنبى استشهاد المضطر ، فقد كان الرجل يحب المتنبى لاشك فى ذلك ، ولا غرابة فى هذا أيضا ، لأنه من البدهى أن الحب والإعجاب بالشاعر لا يستلزمان توافق الطباع .. بل ربما يكون العكس هو الأقرب إلى الصواب .

ولا شك أن أحمد زكى كان يميل إلى الحكمة .

وكان - رحمه الله - يعرف فى نفسه هذا ، وقد وجدنا فى تحليل نصوصه كثيرا من الشواهد ، لعل أبرزها ما كان فى مقدمة مقاله «قلوب كبيرة» حين يقول:

«فى العصر الإغريقى رأى الناس حكيما من حكمائهم يمشى فى الطريق وهو يحمل مصباحا ، والمصباح يضىء ، فسألوه ماذا يصنع والشمس طالعة ؟ فقال: أبحث عن رجل ، عن رجل ذى قلب كبير» .

وقد وجد أحمد زكى رجلا لا رجلا واحداً ، ولهذا فإنه ليس بمستغرب ما كان أحمد زكى يفعله بأسلوبه فى أحيان كثيرة حتى يصوغ منه عبارات باقية على الزمان .



أما أقوال الحكمة التى صاغها أحمد زكى فلم يكن ينقصها المعنى السامى أو النبيل أو الجميل أو الدقيق أو غير ذلك من الصفات السامية المتميزة ، ولكن أحمد زكى كان يتغنى لهذه المعانى التى عرضها أن تخلد ولو إلى حين فى عبارات مصاغة على النحو الذى تصاغ فيه الحكم ، لهذا كان أحمد زكى حريصا فى أحيان كثيرة على هذه الصياغة .

أساليب القصر

ووسائل أحمد زكى فى صياغة عبارات الخلود متعددة منها أساليب القصر .

والحق أنى أحس بأن أساليب القصر هذه كانت كثيرا ما تقلق ضمير أحمد زكى بعد أن يكتبها ، لأنه وهو العالم كان يعلم تمام العلم ويدرك تمام الإدراك أنه لا وجود للحقائق المطلقة ، وهكذا كان ضميره كثيرا ما يعود ليحرك قلمه ليضع جملة اعتراضية عقب هذه الأساليب ، بل أحيانا فى

وسطها ، وتكون النتيجة الحتمية أنه قد يذهب بالصياغة التقليدية للحكمة، ولكن تصبح الحكمة
أحكم مما كانت.



وخلاصة القول أن أحمد زكي كان يحب الشعر بكل ما يملك من جوارح ، وهو يقول في ذلك:
«ولم أجد كالشعر مخرجا من ضيق ، وكاسرا لقيد ، ومحطما للأسوار ، ولم أر مثله جناحا
يحملك بعيدا عن بيئة لا تلذ ، ووجود لا يحمد ، والحقيقة المرة أو ما يتراءى أنه الحقيقة المرة تطيب فيه
وتخلو ، ذلك أن عماده الخيال والخداع والكذب ، وبه تجلس على عرش كسرى ، وتتزوج ابنة
فرعون ويكون لك مال قارون ، أو هو يعزف بك عن هذا ويخيل لك فترى مائدة في رغيف ،
وموسيقى الدنيا في صوت ، وترى النعيم أطيب النعيم في فقر».

مدى التأثر باللغات الأجنبية فى صياغة العبارة

يبين أسلوب أحمد زكى عن تأثر واضح باللغات التى أجادها ، وتكراره للضمائر يعطيك مؤشرا قويا على التأثر بالأدب الإنجليزى ، على حين تأخذ الانطباع بتأثره بالألمانية من تكرار حروف الجر مع كل مجرور ، ومغايرتها ، وتكرار المقاعيل والترتيب بينها ، وهذا ما كنت أحس به على سبيل الإجمال ، وإن كنت أرى نفسى مشوقة إلى إنجاز دراسة موسعة فى هذا الموضوع بالذات إذا ما أتيج لى العمر والوقت.

وكان أحمد زكى يحب شو، ويعجب به ، وكان سعيدا أن عاصره فى إنجلترا ، وفى مقدمة ترجمته لمسرحية جان دارك قال أحمد زكى عن شو:

« حضرته خطيبا وسمعتة مجادلا ، وقضيت عقدا من الدهر فى بلده وبين قومه ، فلم أجد بينهم اسما فى عالم الأدب والسياسة ترهف له الأذان كاسمه ، ولا جدلا يهرع الناس لحضوره كجدله ، ولا لسانا أقنع فى النقاش وألذع فى الجواب كلسانه ، ولا فكاهة تنم عن صاحبها كفكاهته...».

غلبة روح العلم على أدبه

أما غلبة روح العلم على أسلوب الدكتور أحمد زكي فأمر جلي ، وروح العلم لا تغلب على روح أدب الدكتور زكي فحسب ، ولكنها تتجلى في بناء المقال عنده ، وتتجلى روح العلم كذلك في التدقيق الشديد والأخذ بالمحترزات ، وتتجلى أيضاً في التخريج استدلالياً كان أو استنباطياً ، وتتجلى قبل ذلك كله في بدء الدكتور أحمد زكي بالتعريفات حتى حين لا تبدو هناك حاجة ملحة إليها اقرأ مثلاً هذه الفقرة من مقاله «خواطر .. عند الخلاق» حيث يقول:

«وهل تدري ما الموسيقى؟ إنه ليس موسى الكليم ، وإنه ليس بسكين وليس بساطور ، ولا هو بسيف ، إنه شيء ذو شفرة تطأطأء لها إقراراً بالسبق شفرات السكاكين والسواطير والسيوف . جرة واحدة من يد الخلاق لا يتحرك لحفتها ونعومتها ونظافتها حتى الهواء ، يحركها في هذه الرقبة التي أمسك بها بشماله ، وأعمل فيها الموسيقى بيمينه .. إلخ».

مقارنات الكتب العلمية

كذلك فإن المقارنات التي تأتي في أسلوب أحمد زكي تذكرنا في سرعة بمقارنات كتب العلوم ، سواء كانت في جداول أوفى سطور ، ولتأمل عبارة أحمد زكي وهو يصف الموسيقى لو أصاب رأس الإنسان فأدماها بدلا من أن يؤدي وظيفته المعهودة منه عند الخلاق ، هنا يفرق أحمد زكي بين الحالين بوصف الطريق الذي ساره الموسيقى في عبارة أقرب إلى علم الطب الشرعي حين يقول:

«هذا السلاح الذي خرج مرة من عادته ، فجري في الجلد قائما غائرا وقد عود الناس أن يجري عليه زاحفا».

الفصل الثالث

إسهامات أحمد زكى فى أدب الرحلات

قد يمكن القول بأن أدب الرحلات لم يكن من الغايات التى قصدها أحمد زكى، وأبلغ دليل على ذلك أنه لو كان من الغايات لكتب لنا أحمد زكى فى هذا المجال أضعافاً مضاعفة من واقع رحلاته العديدة والممتدة التى كانت لا يفتأ يقوم بها.

ولكن أحمد زكى مع هذا لم يحرمننا من الكتابة عن رحلاته العلمية، وقد ضمن هذه الكتابات فى تقريره عن مجلس فؤاد الأول الأهلئ للبحوث: ماضيه وحاضره ومستقبله.

كذلك كتب فى المصور ستنى ١٩٥١ و١٩٥٢، عن رحلاته إلى ألمانيا وباكستان والهند عدة مقالات منها «الألمان كالقطط لهم سبعة أرواح»، و «باكستان أمة بنيت بين يوم وليلة»، و «الهند بعد باكستان».

أما بلاد الله المكرمة فى الحجاز، فقد شد إليها أحمد زكى الرحال أكثر من مرة، وكتب لنا فيها ما سنعود إليه بالتنويه بعد قليل.

وقد تعرضنا لحديثه عن هذه الرحلات فى الجزء الأول من هذا الكتاب فى عجلة شديدة.

ويعيننا الآن أن نلتفت إلى علاقة أحمد زكى ببلاد الإنجليز، التى تزوج إحدى بناتها، وكان على صلة مستمرة بالسفر إليها، وكتب عنها الكثير، وبخاصة تحت عنوان «لندن فى الصيف» ما نشره فى مجلة العربى فى أعداد (٦٤/١٠)، (٦٦/٨)، (٦٨/٩)، (٧١/٩)، وقبل هذا (٤٧/٩)، (٤٧/١٠).

وقد فصل الدكتور زكى فى آخر هذه المقالات (العربى: ١٩٧١/٩) الإجابة عن هذا السؤال «لماذا لندن بالذات»، فى بداية مقاله. ولكن العبارة التى تعبر عن هذا المعنى فى أبلغ صورة ليست تلك الفقرة من مقال ١٩٧١، ولكنها عبارة جميلة وردت فى مقال للدكتور أحمد زكى سنة ١٩٤١ فى مقال سنقطف منه فقرات طوالا يصف فيها تحرك القطار من لندن فيقول: «فتحرك القطار فمشى ديبيا ثم خبيبا، ثم انطلق مسرعا إلى العراء الواسع فلم يبلغه إلا بعد حين طويل. فقلت: إلى اللقاء فى لندن لقاء غريب ما سلم حتى ودع.. غريب أشعت فى نفسه الإجلال والإكبار لا الحب والهيام. فحب المدن غير حب العذارى، لا تقتل فيه النظرة العابرة الأولى». هنا جوهر علاقة أحمد زكى، وتقديره للندن إجلالا وإكبارا، لا حبا وهياما.

ومن هنا قد يبدأ الخيط الأول الذى نستطيع معه أن نفهم طبيعة أدب الرحلات عند أحمد زكى فهو أدب تقديرى لا تقريرى إن صح هذا التعبير وذلك أنه يبحث عن أسباب العظمة المبهرة أو الباهرة قبل أن يصف هذه العظمة، انظر إلى عبارته فى وصف لندن حين يقول: «وعشت فى هذا البلد ما يقرب من عقد من الزمان لم أر فيه مظهر الفاقة المدقعة أبدا لأننى لم أر مظهر الكسل الفاحش أبدا».

هل يمكن لنا أن نسارع الآن إلى القول بأن أدب الرحلات عند أحمد زكى أدب تحليل قبل أن يكون أدبا وصفيا، وهو نقد علمى قبل أن يكون نقدا انطباعيا وهو يرتفع بعقل قارئه إلى مستوى التقدم، قبل أن يرفع خياله إلى طائفة يركبها إلى البلد الموصوف.

وأحمد زكى يتحدث كثيرا عن بلاد الإنجليز، وعن الإنجليز أنفسهم وهو يصرح بهذا فى أول ما أدركت له من مقالات فى هذه الناحية فيقول فى نهاية حديثه:

«إن حديث هذه البلاد حديث طويل، وما أفدته منها عديد كثير. وحسبى منها سنوات قاربت العشر قضيتها بين الحقيقة والخيال، بين اليقظة والأحلام. وهى أحلام برئت منها على أثر دقة عنيفة دقها رجل على رأسى. وجاءتنى هذه الافة وأنا على الباخرة أهم بالنزول إلى أرض بلدى. وجاءتنى على رأسى من الوراء فتلفت خلفى، فإذا بالدقة من صندوق عظيم حمله حمال، ووجدت الحمال يزعم فى وجهى: «أنت أعمى؟ أعينك مفتوحتان؟ ألا ترى؟» فقلت فى نفسى: «لا والله

لم تكونا مفتوحتين ، ولكنها فتحتا الآن». ومضى الآن على عودتي سنوات ، ولا أزال أحسب أن الصناديق لا تزال تدق رءوس الرجال ، وتدفعها من الخلف .

عبارة أخرى لا أظننى أستطيع أن أحرم منها القارئ بدعوى الاختصار ، لأنها تبلور أدق وأروع آراء زكى فى بلاد الإنجليز حين يقول فى مقاله : «على ضفة التايمز» (الهلال : ١٠ / ١٩٤٧) :

«إنجلترا بلد يتلبد جوه كثيرا ، ولكنه يصحو من بعد غيام ، وقد عود هذا أهلها أن يطلبوا الصحو دائما إذا تلبد وجه الحياة وتجهم» .



ونحن نلاحظ أن الموضوع من تلك الموضوعات التى تتناول لندن وغير لندن من بلاد الإنجليز أو غير بلاد الإنجليز لا يقف عند فكرة واحدة يناقشها وإنما يتحرك أحمد زكى بقلمه طوال الموضوع وكأنه يدير كاميرا سينمائية تركز على أبرز الأحداث فى البلد وحضارته وتحولاته الاجتماعية . فمن حديث عن أزمة الأجور إلى معاشات التقاعد ، إلى انخفاض قيمة النقد ، إلى التغيير فى الأوراق النقدية : الجنيه وشللناته ، إلى الحياة الاجتماعية والأطباء إلى الحياة السياسية والديمقراطية ، إلى الحضارات وعلاقاتها ببعض ، إلى الطريق والمرور ، إلى أزمات السكن وهكذا . . وفى مواضع أخرى يقارن بعمق بين حال البلاد قبل الحرب الثانية وبعدها ، وتعدادات السياحات ، وأثار التقدم العلمى والتكنى والصناعى والاقتصادى ، وأوضاع أساتذة الجامعات والتعليم الجامعى وأنماط التعليم المستحدثة .

أما الوصف فىأتى فى المحل الثانى ، ولكننا مع ذلك لا نعدم نماذج رائعة للوصف الدقيق الذى عودنا عليه أديبنا الكبير ، وانظر إلى هذه الصور الثلاث ، الأولى يصف فيها الورد على ضفة التايمز فيقول :

«والورد مالت علينا أغصانه من فوق شجرة كانت وراءها ، أمالتها ربح رحاء فيها من البرودة ما ينغس ولا يرعش ، والورد على التايمز أجمل منه على غير التايمز لأنه أعز وأنضر» .

والصورة الثانية لأحمد زكى ورفاقه وهم يُجرمون ابتغاء تأدية الفريضة :

«وأقبل الصباح فصحبونا ، وأفطرننا واستحممنا ، ولم نلبس من بعد استحمام ثيابا . إن الذى يلقي الله ليس فى حاجة إلى ثياب . كان علينا أن نلقاه فى جلودنا كما خلقنا الله . إنه الإحرام . وفى لفائف من القطن أحرمننا ، ثوبا درنا به حول السيقان والبطون ، وثوبا درنا به حول الصدور والظهور . وركبنا السيارات فأخذت تحطف بنا الأرض خطفا بين تلال سوداء ووديان من رمال

الصحراء صفراء ، وتنبت الأرض انبساطا عظيما فأنظر إلى السماء فأقول يارب أين الماء . وذكرت قول إبراهيم : ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ . [إبراهيم : ٣٧] .

والصورة الثالثة تصور السير في الليل في ساعات السحر إلى المسجد الحرام في بلاد الإسلام المقدسة :

«ألا ما أحلى السير في ظلام الفجر والناس نيام ، والخوانيت مغلقة ، والطرق فارغة وبصيص النور يشع من هنا وهنا على غير سالك الطريق ، ونجوم السماء تطل من السماء ساكنة فتزيد في سكون الأرض» .

هذا وقد سافر أحمد زكي إلى الأراضي المقدسة غير مرة ، وكتب عنها - كما ذكرنا من قبل - كثيرا (الهلال : ٥٤ / ٣ ، ٥٥ / ٨) وفي العربي بعد ذلك كثير .

بقى أن نشير إلى الناحية المهمة من شخصية أحمد زكي الرحالة الذي كان يقضي الصيف في الترحال ، بينما هو ميال إلى الوحدة ، وقد يكون القارئ قد أدرك هذا الخلق منه في الباب الأول من هذا الكتاب لكننا هنا نضع أمام القارئ نصوصا كتبها أحمد زكي في «الجنة التي وعد الصابرون» يعبر فيها عن هذه الناحية من خلقه ، حلمه أن يعيش في وحدة :

«فهذا حلمي الذي حلمته ، تحقق لغيري ، ولكنه حلم لا يزال حيا ، وهو رغبة لا أزال أحتفظ بها من نفسي حيث المرء بالأمال ، وهي أمنية أرتد إليها دائما كلما ساء الحال» .

«وأخذت أتحدث إلى نفسي ، وتحدث نفسي إلى ، عما يكون لي فيها ، أنا وزوجي من حياة ثانية ، نبدأ فيها دنيا جديدة ، تكون بعد مغادرة دنيا الناس ، أشبه «بالجنة التي وعد الصابرون» .

الفصل الرابع

أدب التراجم

لأحمد زكي بعض الآثار في أدب التراجم ، خاصة مع أولئك الذين كان يبدي إعجابه ببعض سجاياهم ، ومن آثاره في هذا المجال كلمة رائعة عن أحمد لطفى السيد حين توفي ، وأخرى في نهرو ، ومقال عن ويلز.

ويميل الدكتور زكي في تراجمه إلى تأكيد الصفة البارزة في مَنْ يترجم لهم ، وقد لا تكون هذه الصفة البارزة هي ما برز عند الناس ، ذلك أن لأحمد زكي مقياسا خاصا في قياس العظمت يختلف كثيرا عن معدلات القياس الجماهيرية.

أما التراجم «الرسمية» فقد حفظت لنا منها مجلة الهلال مقالا له في عدد خاص عن «إبراهيم باشا» وهو لا يخلو من طرافة حين تجد أحمد زكي يلتفت إلى السمة المميزة في حياة إبراهيم وهي

وجوده وتزامنه مع عهد أبيه محمد على باشا الكبير فلم يُحس به منفردا. وفي هذا المعنى يقول الدكتور أحمد زكى :

«حق لإبراهيم أن يشتكى من أبيه ، مثل اشتكاء القمر من الشمس ، فقد شاء القدر أن يطلع إبراهيم فى سماء مصر فى الوقت الذى طلع فيه أبوه فى سمائها ، وشاء القدر أن يهبط إبراهيم من سماء مصر ، بل بالموت من كل سماء قبل أن يهبط أبوه بالموت منها».

ويفرق أحمد زكى بين العاهلين خير تفريق يمس فيه أبرز وجوه الاختلاف فى أعماقها لا فى ظواهرها ، على نحو ممتع لابد لمحبي الثقافة والمتأملين فى التاريخ أن يرجعوا إليه فى عدد مجلة الهلال (نوفمبر ١٩٤٨).

وأحمد زكى لا يخطئ المدخل إلى تقدير الشخصية ، ونحن نقرأ له فى مقاله عن ويلز حين يتعرض لقصة زواجه وما يوجهه الناس من انتقادات حولها فيقول: «وما كان نبيا وما جاز له أن يكون. كان صاحب رسالة كريمة ، فلبنا أفكاره يجب أن يتوجه البحث والتاريخ لمن أراد بحثا وتاريخا ، أما ما جرى لشخصه فى الحياة ، فلا خطر له فى ذاته إلا بالقدر الذى يتصل بالفكر ويؤثر فى الإنتاج».

وسنقدم للقارئ فقرات مختارة من حديثه عن شخصيتين من اللتين ترجم لهما:

أحمد لطفى السيد

□ لم يمّ فى مصر أحد ، منذ عشرات السنين ، هز العاصمة فاجتمعت على تشييعه بقلوب مؤمنة بما تفعل ، حزينة خاشعة آسفة ، كما اجتمعت يوم جنازته ، على الرغم من الرجل نيف على التسعين.

□ وبسبب ما أمدّ الله الراحل الكريم من عمر ، لا يكاد الجيل الحاضر ، أعنى الشباب فيهم ، يعرف من سيرة الرجل إلا أنه كان فى ختام حياته رئيسا لمجمع اللغة العربية ، وأنه كان يوما قبل ذلك مديرا للجامعة القاهرة.

ويستخدم أحمد زكى علمه فى تطبيق فكرة «نصف العمر» على حياة أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد على الرغم من أن هذه الفكرة لا يمكن أن تطبق فى حياة الإنسان إذ كيف يدرك الإنسان عمره حتى يحسب نصفه ! ولكن لتأمل ماذا أفادتنا هذه الفكرة:

□ إن لطفى السيد ولد فى عام ١٨٧٢ ، وتوفى فى عام ١٩٦٣ ، وهو إذا كان بلغ منتصف عمره فى نحو عام ١٩١٧ ، إذ كان قد بلغ الخامسة والأربعين.

□ وقد كانت العشرة الأعوام التي سبقت هذه السن ، والعشرة الأعوام التي جاءت بعد هذه السن ، هي السنوات النشطة المثمرة أكبر الإثمار في حياته . وهذه العشرون من السنوات تقع من عمره بين سن الخامسة والثلاثين وسن الخامسة والخمسين.

□ وهو في هذه الفترة كان بحق واضع أسس الوطنية الصادقة في مصر ، وواضع مبادئ الإصلاح فيها ، ومركزها على ركائز هي وحدها التي ثبتت ودامت ، وآتت أكلها على مدى العقود التالية من السنين.

□ فالشباب الذي يعيش اليوم ، إنما يعيش في أطوار من الحياة جاءت من صنع قوم غابرين ، كان لطفى أحدهم في ذلك قَلَمًا ، وأصفاهم فكرا ، وألهمهم . في إيضاح معاني الشقف والتقدم والحرية.

□ لم يكن لطفى رجل جمهور . لم يكن خطيبا . ولم يكن ذا مزاج يشور . وعرف هذا في نفسه ، ولعله أسف له إذ قال : «إن خير الزعماء إنما هو الزعيم الذي قد يكون من الصفوة المختارة من حيث فكره ، ولكنه يستطيع أن ينزل إلى الجمهور ويشاركه الخامة من عواطفه ، وبذلك يكسب ثقته ، ثم يقوده ، ولو غير واعٍ ، إلى حيث تكون مصلحته ونفعه».

□ كان لطفى يكتب للصفوة أراد هو ذلك أو لم يرد . وكان قرأ للكثيرين من كتاب الشرق والغرب ولحكمائهم . قرأ لفلتير ، وقرأ لروسو ، وقرأ لكونت Conte ، ومِلْ Mill ، ولك Locke واسبنسر Spenser . وقرأ لفلاسفة اليونان ولأرسطو خاصة ، وسلك في تفكيره ، بناء على خبرته في ريف مصر (وهو ابن عمدة ابن عمدة) وخبرته في مدن مصر ، وبناء على ما اكتسبه من لقاء رجال كجمال الدين الأفغانى (قال إن تأثيره فيه كان عظيما) ومحمد عبده ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، وعبد الخالق ثروت وأضرابهم ، وكذلك بناء على ما قرأه لكتاب الغرب ، ممن ذكرنا ، ومفكره من فرنسين وإنجليز (مترجما إلى الفرنسية) ، بناء على كل ذلك حاول لطفى أن يصوغ لمصر فلسفة خاصة بها ، في وطنية ، وفي حكم ، وفي استقلال ، وفي حرية ، وفي تعليم ، وفي لغة ، وفي مدنية . فلسفة تستمد عناصرها من تربة مصر ، متمازجة متعاونة مع المدنية الغربية الحاضرة».

ولقد كان من الطبيعي ، وهو قد جعل المنطق الصارم أسلوبه في التخريج والحكم فيما كان يكتب أو يقول للناس في العقد الثاني والثالث من هذا القرن ، أن لا ينتفع بكتاباته ومقالاته غير المثقفين ، والناهين منهم خاصة.

□ لهذا كان لطفى ، في أزحم سنواته بالجديد النافع من آرائه ، وأكثرها الغريب غير المؤلف الذي يماشى العقل أكثر من مماشاته العاطفة السائدة ، كان أبعد ما يكون عن الجمهور . إن الصفوة من شباب ذلك العصر الماضى هم الذين انتفعوا بهذه الآراء . وشبوا ، وصاروا من بعد ذلك رجالا وكهولا ،

وكتبوا وخطبوا ، وغَيَّرُوا وجه مصر على توالى السنين . وصاروا فى العصر الحاضر أساتذة . وعندئذ فقط شاع لقب «أستاذ الجيل» تنويها بفضل لطفى الذى كان ، وكاد ينسى ، بحسبانه أستاذ أساتذة اليوم فى معانى الحرية الحققة والوطنية الصادقة غير الصارخة ، ووجوه الاصلاح الأصيل جميعا .

□ ولقد أذكر فيما أذكر يوم سماعى الأول باسم لطفى السيد . كنا نمر أغلطة مراهقين ، فى أوائل هذا القرن . بذلك الشارع الذى كان يربط بين ساحة قصر عابدين ، وميدان باب الخلق ، بالقاهرة ، فنجد إلى يسارنا قصرا عظيما قديما كأنه بعض مخلفات القرون ، له فناء واسع ، وفى أقصاه بناء عتيق . ويشير إلينا المشير بأن هذا هو البيت الذى تخرج منه «الجريدة» ، لسان حزب الأمة . وأنه على رأس هذه الصحيفة اليومية رجل ذو ثقافة يرى فى الأشياء رأيا غير الذى يراه الناس . ففى صفحات هذه الجريدة صب لطفى كل أفكاره . صبها غزيرة حثيثة متلاحقة كأنما كان الرجل يحس بأن عمر هذه الصحيفة لن يدوم طويلا ، وأن هذه هى النافذة الكبرى التى هيأها له القدر ليطل منها على الناس ، وأنها وشيكا تغلق . وهو قد عاش فى الجريدة ، مديرا لها ، يكتب باسمه ، وأحيانا يكتب ولا يمضى ، فى كل شأن يراه عاجلا ملحا ، يهدى الناس إلى الطريق الذى يراه هو الطريق القويم ، غير الخادع ، وإن لم يره الناس مثل رؤيته .



ويلتفت الدكتور أحمد زكى إلى مراحل مهمة فى حياة أحمد لطفى السيد وهو يتأملها على نحو بديع متمكن منه بفضل ثقافته وقربه من عقلية أستاذ الجيل .

□ ولقد عاش لطفى فى الجريدة من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩١٥ . والحرب العالمية الأولى قامت فى عام ١٩١٤ . وأعلنت بريطانيا الحماية على مصر ، وأصدرت الحكومة المصرية التى كانت تعمل تحت سلطانها قانون المطبوعات . فلما اشتدت الرقابة على «الجريدة» لم يجد لطفى بدا من استقالة . استقال من «الجريدة» عام ١٩١٥ ، وراح يعتكف فى قريته ، قرية برقين بالدقهلية .

□ استقال لطفى من «الجريدة» ، واعتكف ، ولكن لم يطل اعتكافه . فقد عينوه مديرا للكتبخانة الخديوية (دار الكتب اليوم) ، فكان أول مدير مصرى لها . وفى هذه الدار هدأ . وانصرف يقرأ . وترجم لأرسطو كتبه الشهيرة ، وهى لا تزال إلى اليوم جارية سيارة تباع وتقرأ . وهو لم يترجم لأرسطو ترجمة سوق . لقد كانت ترجمة ودراسة معا ، وتفننا فى اختراع الألفاظ العربية للمعانى الإغريقية مما مهد له أن يكون رئيسا لمجمع اللغة العربية فى آخر أيامه . واطراه شوقى بما صنع . ومن أجل هذا ارتبط اسم لطفى بالفلسفة ارتباطا وثيقا . وكان لطفى قد قرأ لأرسطو شابا ، وأعجب به

اعجاباً ، ورآه عقلاً جباراً فاق كل العقول فى كل الأزمان. وكثيراً ما تحدث لطفى (باشا) فى شيخوخته ، واقتبس من أرسطو أقوالاً له جامعة يعزز بها مايقول. وكان الجمع بين ارسطاطاليس والقاف الصعيدية يكسب منطقة فى أذن السامع طرافة: «كان المعلم أرسطو يجول....». وما قلب لطفى قافه العربية ، إلى جيمه المصرية ، لأنه صعيدى ، ولكن كانت لغة قريته ، لغة الدقهلية. وثبت عليها. فقد كان لطفى ، على ثورته الفكرية ، ذا حفاظ على التقاليد عجيب. تسمع الحفاظ فى لفظه ، وتراه فى ملبسه فى بيته. كان خارج البيت مثل الرجل الفرنسى الأنيق ، وكان فى بيته يلبس الجبة من الحرير الشاهى ومن حولها الحزام الأصفر ، فتحسبه أحد التجار الأثرياء بخان الخليلي ، أو بسوق الحميدية. وهى بعض ملابس القرن الذى مضى. ومن حفاظه تمسكه بسنن من الأخلاق عالية ، لا يحيد عنها حتى فى الظروف السياسية القاسية.

□ وفى الجامعة لقيت لطفى أول لقاء. وكان لقاء أذكره طريفاً. عدت إلى الجامعة أستاذاً بها ، عام ١٩٢٨. وحظيت بأن أكون عضواً فى مجلس الجامعة. وكان ذلك بعد غيبة عشر سنوات متصلة قضيتها بإنجلترا فى الدرس والبحث. وشاءت الظروف هناك أن أكون فى عزلة عن أهل بلدى. وعدت أقدر على التحدث باللغة الفصحى منى بالعامية. وتحدثت بالفصحى فى مجلس الجامعة أول حديث ، فرفعت منصوباً ، أو لعلى نصبت مرفوعاً. ولم ألبث أن استدركت فصحت. فصاح بى لطفى (باشا): ما عليك يا دكتور ، أغلط ما تشاء ، فالغلط فى النحو جائز لأهل العلوم ، غير جائز لأهل الأدب. فسكت. ثم رأيت الدكتور طه حسين يهمس همسة فى إذن لطفى ، فإذا به يقول لى: لا. لا. من اليوم سوف نعد عليك الخطأ عدداً.

□ كان لطفى فى الجامعة أباً. كان لا يتدخل فى تفاصيل الأمور. كان أول ما يعنيه المبادئ العامة. وكانت حجرته فى أغلب الأحيان ندوة يجتمع فيها الأساتذة ويدور فيها النقاش ، أصفى ما يكون ، وأنفع ما يكون. وكثيراً ما كان نقاشاً يذكر به الذاكر ما يتخيله مما كانت عليه أكاديمية أفلاطون.

□ وطبق لطفى فى الجامعة نفس آراءه القديمة فى حرية الفكر ، وفى تحرير المرأة ، وفى الديمقراطية. وكان من عمله فتح باب الجامعة للطالبات . فتحه ، وطلب منا جميعاً أن لا نذكره فيشير ذلك نائراً الرجعيين. قال: إن قانون الجامعة ليس فيه ما يمنع دخول الفتاة. ونعم أن القانون يذكر الطلبة ولا يذكر الطالبات ، ولكن لفظة التذكير فى اللغة العربية تشمل النساء والرجال. فإذا اجتمع نفر من رجال ونساء ، قلنا فى ذكركم هم ، ولم نقل هم وهن معا. ودخلت الجامعة أول الأمر قلة منهن ، كانت السيدة أمينة السعيد من أولياتهن ، ثم كثرن حتى زدن فى بعض الفصول على الذكور.

□ وحرص لطفى على استقلال الجامعة حرصا كبيرا. وكانت تلك السنوات صراعا بين الحكومة ، ومن ورائها القصر أحيانا ، وبريطانيا أحيانا ، وأحيانا هما معا ، وبين الجامعة . وكانت إقالة الدكتور طه حسين من الجامعة .

ووقعت الأزمة باحتجاج لطفى على الحكومة . وكانت الثورة الجامعية الشهيرة الكبرى .
ثار طلبة الجامعة وطالباتها ، واجتمعوا فى حرم الجامعة حتى زحموه آلافا . وتعالّت الأصوات ، وترددت الهتافات حتى صارت صراخا . وتكهرب الجو . . . وظهرت على الأفق بعض مظاهر العنف .
ويصبح الصائحون يطلبون مدير الجامعة أن يتحدث إليهم .

كنا فى حجرة لطفى نتشاور ونتداول . وبلغ الاحتجاج الحد الذى وجب فيه على رئيس الجامعة أن يتدخل ، وأن يتحدث ، وأن يظهر فى الجمع الحاشد الصارخ الواقف على الأبواب .

وخشى لطفى مغبة النزول . وكان ديمقراطيا ، يشرع دائما فى المناقشة وأخذ الأصوات ، وينزل على حكمها . ودار علينا يسأل ، أينزل أو لا ينزل . وكنت آخر من سأل . قلت أرى النزول يا باشا . قال أنا رقيق الجسم ولا أحتمل العنف . قلت : لا عنف ، وسنحيط بك إحاطة السوار بالمعصم . وسكت . ثم أخذ عصاه يتوكأ عليها وهو يقول : على بركة الله . وشق طريقه فى الزحام ونحن معه شقا . زحام فى الردهة العليا ، ففى السلم . . فى الردهة الدنيا . ثم خرجنا إلى مزدحم تلك الجموع . ولما توسطها ، طلبوا إليه الحديث ، فتحدث . لم يكن مسمعا . ولكن رضى به من سمعه ، ورضى به البعيدون على رضى القريبين . وفى أبان تلك الساعة العصبية ذرفت العيون دموعا غزيرة . . بينا وزير المعارف يقبع فى حجرته بوزارته ، يتمنطق ، بحجج من البيان زائفة ، ترفعها فتجعل لها مكاناً فى دولة الحق البنادق .



وعند هذا الحد يستعرض الدكتور أحمد زكى ، بحياء شديد ، تجربته هو الشخصية من الموقع نفسه كمدير للجامعة نفسها بعد عشرين عاما ، ويقول :

« لم يكن يخطر لى فى تلك الساعة أتى ، بعد نحو من عشرين عاما ، سأقف وقفة لطفى هذه ، فى مثل منصبه هذا ، فى نفس هذه الساحة ، بين الآلاف المؤلفة من الطلب فى أيام هى أشد أيام الجامعة حرجاً منذ كانت » .

ويعود الدكتور أحمد زكى إلى الحديث عن سنوات لطفى السيد الأخيرة:

□ ومرض لطفى فى سنواته بالمجمع ما مرض ، ومع هذا كان يؤثر الحضور إلى جلساته على ضعف. فإذا انتظم الجمع واحتد النقاش واشتد ، اشتد لطفى على اشتداده ، وظهرت عليه الصحة وظهرت العافية .

.....
وخلا المجلس يوما إلا منه ومنى. فقلت له انتهز هذا الخلو لأسألكم سؤالا طالما أحببت أن أسألكم إياه. قال هاته. قلت: إنه فى الفلسفة. قال: ما لها. قلت: إن رأى عندى أن الفلسفة كانت فى أول أمرها ، فى القديم من الزمان ، تتضمن دراسة الطبيعة التى نعيش فيها والكشف عن قوانينها ، وكذلك دراسة ما وراء الطبيعة ، ثم أشياء أخرى تتعلق بالمعانى الخفية التى تتصل بالعقول والأخلاق. ثم جاءت القرون الحديثة فنزعت من الفلسفة دراسة الطبيعة وخصت بها العلوم الحديثة ، فلم يبق للفلسفة إلا دراسة مواضيع أكثرها الضباب ، لا يهتدى فيها الإنسان إلى شىء ملموس محسوس ، اعتداءه فى علم. ويأتى الفيلسوف ، ويضع لفلسفته نظاما وألفاظا ، ويقضى حياته فى تعريف الناس بهذه الألفاظ وتحديد معانيها. ويخرج الدارس من بعد كل ذلك بشىء لا يوزن ولا يقاس ، قد يصح وقد لا يصح ، حتى أصبحت الفلسفة لا شىء إلا مرانا عقليا ، كمران الأجسام ، لا يستفيد الإنسان منه إلا تقوية عضلاته. واستشهدت بقول عمر الخيام فى رباعياته: «إن طالب المعرفة يدخل باب الفلسفة يطلبها ، وبعد لف ، يخرج من نفس الباب خالى الوفاض».

وابتسم لطفى. وسكت يفكر. ثم إذا به يقول ما لم أكن أنتظر منه: قال: هذا حق.

□ كان حظ لطفى من أعضاء المجلس ، وهم شيوخ أو قاربوا ، كل هبة واحترام. لا يقول إلا أخذ كل بقوله. وكل هذا كان عن حب دخيل. حدث مرة أن مر كاتب شهير فرنسى ؟ ، أظنه دوهاميل ، أو لعله غيره ، واضطر لطفى باسم المجلس أن يدعوه إلى حفلة شاي. ولما حضر بلغ لطفى أن الدكتور أحمد أمين يتحفز ليتحدث فى الحفل فينهر الرجل على كلام قاله ظن أحمد أمين أن فيه تعريضا بالعرب. ولم يكن أحد بالمجلس سمع هذا عن الرجل الفرنسى الكبير. بلغ لطفى هذا الذى سوف يكون ، فاستدعى أحمد أمين ، وفى ركن من أركان الحجرة قال له: بلغنى كذا وكذا. ولى عندك رجاء ، أن لا تستنى هنا فى ضيفى ، وافعل بعد ذلك ما تشاء. ونزل أحمد أمين على التو على إرادة لطفى. وقد كان لطفى لأحمد أمين أبا ، وصديقا ، وكثيرا ما طلبه ليصحبه بعد فراغ المجمع إلى بيته فى سيارته هو ، لا سيارة أحمد أمين.

نهر

□ من الناس من نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حياة قريتهم. فهؤلاء إذا ماتوا أحست القرية بفقدهم ، وحزنت عليهم. وأدار أهل القرية الأحاديث عنهم فى الأصباح ، وعندما يفرغون إلى «دوآراتهم» أو «دواوينهم» فى الأمساء. وتطول الذكرى.

ومن الناس من نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حياة أمتهم.

ومن الناس ، قلة ، نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حياة الأمم أجمعين. إذا قالوا انصت الدنيا. وإذا خطبوا أرهفت الدنيا أسماعها. وإذا احتجوا علمت الأمم باحتجاب. وإن ظهروا بعد احتجاب ، علمت الأمم بظهور.

وهؤلاء صنفان : صنف توجه إليه الأضواء احتفالا بمركزه الحاضر ، أو اعتبارا لقوة أمته. أى صنف قيمته ليست مستمدة من ذاته. ثم يموت. فما أسرع ما تنطفىء من حوله الأنوار.

مثل هؤلاء زعماء أمريكا ورؤساؤها الأحداثون. أهل السياسة فيهم والرياسة.

ومثل هؤلاء زعماء بريطانيا. أهل السياسة فيهم والرياسة.

من منهم يُذكر اليوم ، ويُذكر، ويحمد ؟ أو على الأصح من منهم تذكره الدنيا وتحمده. وكم منهم من خلف طابعا ، على حياة الأمم باقيا على الزمان.

كنت فى باكستان ، فى أوائل ١٩٥٢ ، فدعيت إلى أن أزور الهند.

ورسموا لى خطة أطوف بها مدن تلك البلاد ، أطلع على ما كان بها من بحوث علمية. وقد كنت إذ ذاك مدير مجلس فؤاد للبحوث «العلمية» فى الدولة المصرية (المركز القومى للبحوث اليوم) وكان صاحب ضيافتى فى نيودلهى ، من كان له مثل منصبى فى الهند ، الدكتور بتاجا ، رحمه الله. وكان صديقا حميما للبنديت نهر. وكان فزيائيا عظيما.

وكان يوما قضيناه معا فى زيارة معمل الفزياء القومى بالعاصمة الهندية. وفى نهاية اليوم عرض على أن يكون من برنامجى لقاء البنديت.

وتحدد الموعد فكان يوم الأحد ، فى الساعة الخامسة من بعد الظهر. وفى وزارة الخارجية.

وصعدنا السلم، وفى حجرة السكرتير حططنا. وفى الخامسة تماما أخذنى السكرتير إلى الحجرة المجاورة ، فكان بها نهر ، وحده. كانت حجرة صغيرة جدا لا تنم مطلقا عن مكانة الهند ، ولا مكانة رئيس وزرائها ، ولا نم المكتب الصغير الذى جلس إليه .. وقام وسلم ، فى حركة بطيئة وابتسامة حبيبة.

□ وجلست ، وأخذ الحديث مجراه. كانت مصر فى حالة اضطراب ، وعلم البنديت بوجودى ،

فأوعز إلى صاحبه ، صاحب ضيافتي ، أن يراني . كان يريد أن يسمع عن مصر من رجل مثلي ، لا يتصل بالسياسة . فرجل العلم عنده كالمرأة الصادقة ، يرى فيها الصور أقرب ماتكون صحة . فكان هذا الموعد ، في ذلك اليوم ، يوم الأحد ، من بعد ظهر . وسألني عما رأيت في عاصمة الهند . فذكرت من ذلك طرفا . وأطريت . وعلمت صداقته بالدكتور بتناجا فكنت أكثر تفصيلا لمختبر الفزياء القومى . وقلت : ورأيت في المختبر الموقد الشمسى ، وطبخوا لى فيه طعاما للغداء ، على حرارة الشمس ، وأكلنا . وذكرت أنه لم يكن فيه لحم . فضحك البنديت : وقلت إنه موقد رائع . فقال البنديت : أننا نهدف إلى أن نرخص ثمنه إلى سبع روبيات ، ليكون فى متناول الفلاح الهندى ، يطبخ به ، ويوفر الوقود . قلت : وفلاحونا فى حاجة إلى مثل ذلك . قال سوف أهدىكم أول موقد عندما نبدأ بتلك الصناعة . وسألني : كيف وجدت بتناجا . قلت : رجل عالم ، وإلى العلم لطف وفكاهة . فابتسم البنديت مترقبا متوقعا أن أزيد : قلت كنت أسير معه فى الطابق الأعلى من المختبر ، وكانت الأرضية جديدة ، وهى من الرخام الصقيل ، فكدت أنزلق ، فأمسك بى الدكتور بتناجا . وسألني : عن نوع الحذاء الذى ألبسه . قلت : إنجليزى . قال : إن كل شىء إنجليزى زلق خداع . فضحك البنديت نهرو طويلا . ثم قال : إن بتناجا لا يفتأ يقسو على الإنجليز وعلمه منهم . ثم انتحى الحديث ناحية أخرى كانت هى المقصودة أكبر القصد .



ويلور أحمد زكى بعض آرائه المهمة فى شخصية نهرو فيقول :

□ كان هذا أول لقاء لى بالرجل . كان عندئذ فى الثانية والستين وخرجت من عنده وأنا أذكر فيه أشياء :

فأولا إنجليزيتة : كانت لهجة صافية غير تلك اللهجة التى نسمعها من أهل الهند ، تلك التى لو أننا سمعناها وعيوننا مغلقة ، لعرفنا أن المتحدث بها هندى .

وثانيا : محضر الرجل . كان المحضر الفخم البسيط . حركته الوليدة ، وكلماته ، وفكرة الحر ، الذى كاد أن يصنع منه إنسانا قبل أن يصنع منه هنديا ، وهيهات ..

وشىء أخفى من هذا وذاك . أحسست أنه من أولئك الرجال الذين تجد فى رحابهم الراحة والطمأنينة ، هكذا يسبقونها عليك أسباغا ، كالشجرة العظيمة الظليلة البليلة فى اليوم الصائف .

□ ووقف نهرو فى مشكلة كشمير وقفته العنيدة المشهورة ، وعلل ذلك بحبه لكشمير ، وأن اقتطاعها منه كاقطاع قطعة من قلبه . وكان له فى الدين رأى ، أن لا تؤسس عليه الدول ، فصلا أو ضمّا . ونسى واقع الهند وما جره عليها اختلاف الدين ، بل والأديان ، من مأس .

الفصل الخامس

القصص السياسي في آثار أحمد زكي الأدبية

نعرض في الباب الثاني من هذا الكتاب للجوانب السياسية في فكر أحمد زكي ، وقد أفضنا القول في كثير من آراء الرجل ومواقفه وتعليقاته على مدى السنوات التي كتب فيها في أمور السياسة.

وليس من شأن هذا الفصل أن يتناول هذه الأفكار مرة ثانية ، وإن كان من شأنه أن يعود إلى تناول أحمد زكي لهذه الأمور ليصفه بأنه كان تناولا موضوعيا ذكيا يغلب الفكرة على الأسلوب ، والجوهر على القالب ، وهو وصف وإن كان من باب السهل الممتنع إلا أنه فعلا لا يحتاج إلى مزيد من التوضيح أو التعليق ، فقد كان أحمد زكي وقلمه هكذا .

إنما يعني في هذا الفصل بصفة أساسية أن نعرض بشيء من التلخيص والتعليق لاثنتين من قصص الدكتور زكي في مجموعته القصصية «بين المسموع والمقروء» ، في أولاهما يهزأ أحمد زكي

بديمقراطية الاجتماعات والشكليات على نحو يتبدى من تصويره لجلسة من جلسات مجلس الأمن، وثانيتها يروى فيها أحمد زكى قصة الرأى الحر كيف يجر على صاحبه المتاعب فى حياته، وعلى أنصاره بعد مماته، وكيف تنفض الإرادات السياسية وكيف تنعقد.



فأما القصة الأولى فقد صور فيها جلسة مجلس الأمن الدولى لعام ١٩٥٧، وقد عطس مندوب روسى فطلب الكلمة، وطالب بإغلاق المنور الذى فوق المدخل الشرقى للمجلس لأنه يدخل منه تيار هواء بارد يناله فى ظهره.

ويمضى أحمد زكى بأسلوب ساخر يعرض نموذجاً كاشفاً عن طبيعة المناقشات البيزنطية التى تدور فى اجتماعات مجلس الأمن على أشياء لا علاقة لها بالمصلحة العامة، بله الواقع، تلك التى لا تستمد وجودها من الحقائق السياسية لكن من التحزبات السياسية، إنها هى إجراءات شكلية، والتعصب قبل ذلك بين الكتلتين الشرقية والغربية واضح ظاهر للعيان حتى فى أنفسه الأمور، وهذا رئيس المجلس يرد على المندوب السامى الروسى فيقول: إنه لا مانع إلا إذا كان هنا معارض. فيرد مندوب الولايات المتحدة إنه لا بد له من وقت يشاور فيه حكومته ويرجع إليها فى هذا الأمر الذى لم يتح لها وقت كاف لدراسته. واحتج على الطلب بأنه من جانب واحد، وهذا لا يصح عنده، ويتحدى فى هذه الناحية فيرد على مندوب روسيا إحساسه ويقول: هل نقبل هذا القول لمجرد أن أحد الأعضاء قاله. إنى أقول عن نفسى: إنى لا أحس تياراً فى ظهرى ولا فى وجهى.

ويتكلم مندوب بريطانيا معززا الرأى الأمريكى ويطلب - على عادة الإنجليز - تأجيل النظر فى الطلب إلى يونيو أو يوليو فلعله فى هذه الأثناء يكون الجو قد تحسن.

ويرد مندوب بولندا، ويعلن باسم حكومته أنه يحس مثلاً أحس مندوب روسيا!! ويستشهد على صحة كلامهما بقصاصة من النيويورك تايمز.

وتكلم مندوب هولندا، وكان من رجال البنوك فقرر للأعضاء أن الحقوق التى تعطى على أنها شخصية تناقض طبيعة عمل البنوك، ودستور هيئة الأمم.

ويؤكد مندوب بولندا أن الأمر ليس فردياً، فيتدخل مندوب أستراليا مقترحاً تأليف لجنة تحقيق تباشر أعمالها فى بحر أسبوع.

هنا يعلن مندوب روسيا انسحابه من الجلسة، ويتنظر حتى تترجم كلمته، ثم يخرج ولا يلبث أن يعود، ويقول إنه أحس بتحسن الجو، ومن أجل هذا يسترد الطلب.

ولكن المندوب الأمريكى يعترض بأن الشىء الذى يدخل نطاق أعمال المجلس لابد أن يبقى قائماً حتى يتصرف المجلس فيه ، ولهذا فإن محاولة الروس إخراج الموضوع من دائرة النقاش عمل من جانب واحد .

ويمضى المندوب البريطانى ليؤكد المعنى الأمريكى ، وتمضى المسألة فى نقاش على النحو الذى مضت عليه فى المداولة الأولى لا يحسمها إلا جرس دق ليروض أعضاء المجلس على ما يصنعون إذا ما شب حريق فى المجلس ، وعند دق الجرس هرول الجميع إلى الخروج ، وبخروجهم انفض المجلس .

هكذا يختتم أحمد زكى حكايته الساخرة «العطسة التى هزت العالم» التى يبدى بها من العناية ما جعله يضعها فى أول كتابه «بين المسموع والمقروء» . ثم يعقب أحمد زكى بعد النهاية على حكايته - على عادة المذكرات الرسمية : «طبق الأصل . من محضر مجلس الأمن» .

هذه الحكاية صاغها خيال أحمد زكى ولكنها فى واقع الأمر ليست من الخيال فى شىء كثير ، فهى تعبر أولاً عن عقيدة أحمد زكى ، وتعبّر ثانياً عن طبيعة البيزنطيات فى كثير من المجالس التى تزعم أو تعتقد أنها تسلك بهذا الأسلوب أسلوباً ديمقراطياً شكلاً وموضوعاً .

والواقع - كما قدمنا فى الباب الأول والثانى - أن أحمد زكى كان متبرماً أشد التبرم من هذا الفهم وتلك الممارسة للديمقراطية على النحو الذى بيناه بشىء من التفصيل من قبل فى الفصل الخاص بفكره السياسى فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

ومن ناحية أخرى فقد كان هذا هو جوهر رأى أحمد زكى فى طبيعة عمل واجتماعات مجلس الأمن الدولى .

ولهذا جاء تعبيرنا فى نقد الحكاية ، وترتيبنا لما هدفت إليه على النحو الذى جعل التعبير عن عقيدة أحمد زكى السياسية هدفها الأول ، والتعبير عن طبيعة مناقشات مجلس الأمن ، هدفها الثانى . وقد تبين للقارئ بما لا يقبل الشك إلى أى حد نجح أحمد زكى فى الوصول إلى هدفه الأول ، ولعل أفضل الوسائل التى ساعدته على ذلك هو تحقيقه للهدف الثانى من دقة التصوير ، وروعة التعبير ، وسلاسة الحوار ، واتساقه مع ما هو معروف من مواقف هذه الدول والكتل وطوائع المناقشات السياسية على مثل هذا المستوى متى جاءت الحكاية كأنها طبق الأصل فعلاً .

ولعل نجاح أحمد زكى فى استخدام وسيلته إلى هدفه الأول . تلك الوسيلة التى هى فى الوقت نفسه الهدف الثانى ، يظهر للكثيرين على نحو يتبين منه أن الهدف الثانى وهو وصف طبيعة المناقشات كان هدفه الأوحده . ولكن الذى يدرس الفكر السياسى للرجل لاشك يوافقنا تمام

الموافقة إلى ما ذهبنا إليه من أن المسألة كانت تهدف في المقام الأول إلى بيان فكرة الرجل وموقفه الثابت وهو «السخرية من هذه الديمقراطيات المريضة أو المزيفة».

هذه هي الفكرة الأم وقد جاء التعبير عنها قمة، فجلاها، بما يملك من روعة تعبيرية حتى ليكاد الناقذ يظن الروعة نجاحا في الوصف والبيان فحسب، وفي الواقع أن هذا ليس لم يكن إلا وسيلة إلى المعنى السياسى الكبير، وأظن أن إدراك هذا ليس بالصعب!

وأكرر هنا ما أحب أن أقوله دائما «ليس أعظم من أن تكون وسيلة المرء إلى الغاية النبيلة وسيلة عظيمة».



أما القصة الثانية فتجمع بين الفهم السياسى والتاريخ، ولكن التاريخ الذى فيها ليس إلا عامل الزمن «والنمو الزمنى» الذى لا بد منه للقصة، ولكنه من التاريخ، وهنا تكتسب القصة شيئا يخرج بها إلى نطاق التاريخ حين يكون لها به نصيب من الأحداث التى دخلت التاريخ.

فقصة «منعوه أن يدخلها دما ولحما فدخلها عظاما» تدور حول كاتب «توماس بين» وهو كاتب إنجليزى حر، نشأ في بلاده، ثم هاجر إلى أمريكا، وأسهم في حركة تحريرها، وصحب أقرانه إلى النصر على أمته، واستخدم قلمه في الثورة، ثم قامت الثورة الفرنسية فنشر في نصرتها كتابا خشيت إنجلترا أثره، فخاصمت بسببه ابنتها الذى ثار عليها من قبل مع الأمريكين، وقُبض عليه، ولكنه هرب إلى فرنسا الثائرة، وولته من أمورها عظيما، ثم جرى قلمه بالذى ساء فرنسا، فلم يكن له مخلص إلا الهرب، ولكن إلى أين؟ إلى أمريكا ولكنه كان يكتب ينتقد واشنطن فقد أحب أمريكا، فلما عاد إليها لم يحتفل به أحد، ومات ودفن بالقرب من نيويورك.

وبعد عشر سنوات من موته سمع أحد الإنجليز المعجبين به، وكان اسمه «كوبيت» أن الأمريكين بدءوا يعشون بالقبر: يرفعون أحجاره، ويقتلعون أخشابه، ويقطعون فروع شجره، ويحتفظون بكل ذلك ذكرى للرجل الذى كسب غضب الأمم من بعد ما كسب عطفها وحباها.

هنا ثارت حمية «كوبيت» وهاله أن يجد إنجليزيا جرا من بنى جلدته وأهل مذهبه يسىء الناس إلى ذكره كل هذه الإساءات، ورأى إن كانت الحكومة الإنجليزية قد أبت على الرجل العظيم «بين» أن يدخل إنجلترا دما ولحما، فهو والله لعامل على أن يدخلها عظاما.

وهكذا ذهب «كوبيت» إلى نيو روشيل حيث دفن «بين» وقضى فيها بعض الأيام حتى وضع خطته ، واستطاع أن يخرج بالتابوت الذى دفن فيه «بين» إلى نيويورك ثم عبر المحيط إلى إنجلترا ، واستطاع أن يمر بجثة «بين» من جمرك ليفربول ، وأن يصل إلى بيته فى قرية بالقرب من مانشيستر ، ثم دعا أصحابه إلى حفل أقامه ، فلما انتهوا من الحفل ، قام فيهم خطيبا يخبرهم بما فعل ، ويطلب إليهم أن يساعده بالمال على إقامة ضريح لائق بالكاتب العظيم ، ولكنهم استنكروا عليه أن يفعل هذا وأن يشاركوه ، فقد كان اسم «بين» يومها فى إنجلترا اسما كريها يتصل بمعنى الخيانة لوطنه ، وهو عندهم متطرف فى التحرر تطرفاً لم يرضه حتى الأحرار ، وفشلت كل محاولات «كوبيت» فى إقناع الرجل الإنجليزى برأيه ، وأغراه الناس بدفن العظام فأبى ، وطلب إليه الأمريكان أن يعود بالعظام إلى أمريكا ، وبقيت الجثة فى حجرة نومه إلى أن صار هو جثة ثانية ، وصارت الجثة إلى ابنه الأكبر فنقلها إلى مخزن من الخشب فى ظاهر الدار إذ لم يكن يَكُنُّ لصاحبها ما أكنه له والده .

وفى عام ١٨٣٦ أفلس هذا الولد الأكبر ، وبيع متاعه بالمزاد ، وزايد على الجثة أحد الناس فناها ، وأعطاها لعامل ليدفنها ، ولكنه لم يفعل ، وبقيت فى بيت هذا العامل ثلاثة عشر عاما ، وجدت بعدها ، لغير ما سبب فى مخزن للأثاث القديمة ، بالدار رقم ١٣ بميدان بدفورد بلندن ، ثم اختفت بعد ذلك بأشهر ، وقيل بعدها إن الجثة اشتراها طالب طب ، ولكن لم يدر أحد على التحقيق مالها .



إلى هنا انتهت قصة جثة الكاتب الحر كما رواها أحمد زكى ، والهدف منها واضح أشد الوضوح حتى فى إخراجها الصحفى عندما نشرها ، ووضع إطارا بارزا كان كثيرا ما يضعه فى وسط مقالاته ، كتب فيه الهدف بصراحة ، فقال : «من الكتاب مَنْ يكتب فيشقى بقلمه ، ومنهم من يطلب فسحة الأفق للناس ، فيتتهى بأن تضيق به الأرض ، والناس» وسبحان الله فى أمر الحرية !!

قد يهمنى أيضًا أن ننبه إلى أن أحمد زكى لم يورد عبارة الإطار هذه فى متن قصته ، وكأنها أرادها خلوا من الموعظة المباشرة ، ثم انتابه الشك فى ألا يفهم البعض المغزى ، أو كأنه أراد أن يعبر عن المغزى فى عبارات حكيمة محكمة (وهذا هو الأرجح) فوضع هذه العبارة فى هذا الإطار ، مع أنها ليست من المتن وذلك على غير عادته التى جرت بأن تكون عبارة الإطار من ضمن المقال أو القصة .

ولكن ما هو مصدر هذا الشك الذى ربما ارتأب أحمد زكى من أن يحمل القراء القصة على

مغزى آخر، قد يكون مرجعه إلى أن عنوانها «منعوه أن يدخلوها دما ولحما، فدخلها عظاما» قد يعبر في سرعة عن المغزى الظاهري أو عن وجه الغرابة أو الحكاية في القصة. انظر إلى عبارات أحمد زكى في تصويره حيرة رجال الجمارك في ميناء ليفربول حين يقول: «وبلغت الجثة ليفربول في نوفمبر عام ١٩١٨، وما عرف رجال الجمر ك بالذى وقع في أيديهم، حتى حاروا في أمرهم، إن «بين» قد حرمت الأوامر الصادرة منذ سنين دخوله إنجلترا حيا، فهل هى لا تزال تحرم دخوله إياها ميتا؟». «وأغرى كوبيت رجال الجمر ك، فاقنعوا بأن الميت غير الحى، وأن اللسان الذى خشوه فى تآكل، واليد التى خافوها قد تفتتت، وأن القلم الذى هابوه قد تهشم».

وهذا هو المعنى الذى قصد إليه عنوان القصة.

بقى أن نشير إلى أن أحمد زكى لم يسرد القصة كما قصصناها هنا موضوعيًا على ترتيب تاريخي، وعرض قريب من الجفاف، ولكنه صاغها، بقدرته الأدبية، على نحو الترتيب القصصى البديع المشوق بدءا بوصف قبر على قارعة الطريق... مرّ عليه فلاح فى ليلة من ليالى أكتوبر الباردة عام ١٨١٩، فرأى أضواء صفراء تخرج منها، وسمع صوتا كصوت الفئوس، تضرب فى أرض جامدة ذات حصى، «ومشى خفيفا على أنامله، فزاد من المقبرة اقترابا، إنها عربية عند الباب يجرها حصانان، وقفان ينفخان هواء الليل البليل نفخا، ويضربان بالأعراف، ودفعه الشوق إلى أن يعرف فوق ما عرف، فخطا نحو الموضع خطوات خفيفة جريئة أخرى، ونظر فهاله ما رأى... إنهما رجلان قد حفرا القبر... إلخ»، وجرى إلى العمدة فأخبره، وجرى العمدة يحاول أن يلحق بما خرج من قريته، ولكن هيهات فإن عظام «بين» كانت فى عرض البحر إلى حيث لم تسترح !!

الفصل السادس

القصص الاجتماعية

قد يكون التعريف ببعض القصص الاجتماعية لأحمد زكي هو أنسب الوسائل لاستعراض ملامح هذا القصص وخصائصه الفكرية والفنية.

□ فقصّة «بيوت مسكونة» تحدثنا عن أن السمعة بين الناس وطيب الأحاديث لهما علاقات وثيقة بالكسب ولهما روابط متينة بالحب، وهذا هو ما يحدث في البيوت، حين يشتهر عنها أنها مسكونة بالعفاريت، عندئذ تسوء السمعة، ويقل القدر، ويقل الأجر، وهذا ما حدث مع بطل القصة الذي لم يدرك من التجارة غير عبارة ساعدته على أن يكسب ما لم يكسبه أمهر التجار، وهي عبارة الاقتصاديين التي تقول «اقبل على الشراء إذا أحجم الناس، وأحجم إذا أقبل الناس»، فكان هذا المدرس يشتري البيت الذي ساءت سمعته بثمن بخس ثم يعيش فيه حتى ينسى الناس ويبيعه بالثمن المضاعف، وهكذا تاجر بغفلة الناس حتى أثرى. ولكن النهاية أن جاء زمن اشتدت فيه أزمة المساكن فأصبح الإحجام عن البيوت المسكونة بالعفاريت ترفاً لا تطيقه أزمة السكن، وعبارة أحمد زكي في هذا في نهاية القصة رائعة، إذ يقول: «والواقع أن الإيمان بالعفاريت ترف لا يسوغ وهذا الضيق قائم».

□ وأما « الإسكافي الذي ملأ سمع الدنيا في ليلة »، فهي قصة ألماني بائس طارده الشرطة بعد السجن حتى يش، فاحتال على عمدة إحدى البلاد وذهب في لبس الحرس الإمبراطوري وقد تقمص شخصية ضباط هذا الحرس، وفعل ما فعل من خداع طويل، قامت له الدنيا في اليوم التالي، استغل مكره وفكاهته وخياله الخصب في فعلته التي هزأ بها تلك الروح الألمانية تهزينا «لا يقدر عليه مائة كاتب وخطيب ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا».

□ أما «ساعات الحرج على المسارح» فليست قصة قصيرة، وإنما هي أقصوصات أو أسكتشات تدور حول هذا الموضوع، ويقدم أحمد زكي بمقدمة عن الذاكرة وقوتها ثم يذكر «أن أخرج من تخرج الذاكرة من الرجال والنساء، هم رجال المسرح، فالممثل ليس من صفاته أن يحسن التمثيل وكفى، بل لابد له من الذاكرة، وليست الذاكرة ذاكرة ألفاظ وجمل وسطور فحسب، بل لابد له من أن يذكر أين يبدأ وأين ينتهي. ويعسر هذا عليه، وخاصة في المحاور والمداولة لاسيما إن كانت بين أكثر من اثنين. وعلى الممثل فوق ذلك أن يذكر في أي مكان من المسرح ينطق بها ينطق ويمضي الدكتور زكي فيروي لنا بعض الطرائف في هذا الصدد للممثل «فل باكرا» في رواية «الابن المسرف» وللممثل «روبرت جليكار» حين سقطت فردة شاربه اليمنى، والممثلة «بيجي ريان» حين كتبت أدلتها على ظاهر الستار الأول، فلما غيروا المنظر رفعوا الستار الأول إلى السقف... إلخ.

يختم أحمد زكي هذه الطرف بقوله «إن اللباقة وحضور الذهن، ضرورتان لازمتان لأدوار المسارح، وهما كذلك لازمتان لأدوار الحياة، فكم خلصت الكلمة الواحدة، أو الحركة الواحدة، أو الفعلة الواحدة، من مواقف، وكم دفعت من مكاره».

□ وقصة «فأل البيت الجديد» تريد أن تضرب لنا مثلا عاليا رفيعا في تربية الأبناء، ومعالجة أمور الحياة لخصه أحمد زكي في قوله: «استمتعوا بأولادكم ما بقوا تحت سقفكم»، «إن الأولاد كالأفراخ، لا تبقى في عشها الأول إلا ريثما تنبت أجنحتها فتشيل، ثم لا يبقى لكم منها غير الذكرى»، ذلك أن أسرة من أبوين وولدين انتقلت إلى بيت جديد، لم يكن فيه عيب إلا الخلاف الدائب بينهم، بين الزوج وزوجه، والولد وأخته، فلما أخذوا يبدون تأملاتهم في حسن البيت وجماله وقفوا عن كلمة لولا يشيرون بها إلى ما يتهمون به بعضهم بعضا وما يلحظونه من ازدياد ولدهما وبنتهما على الأيام سوءا، رغم ما يغمرانهما من رعاية، ولكن الزوجة تلفت لتقول: نحن بشس الأبوان، فلا مراوغة بعد اليوم ولا مداورة، إننا نرى ما في ولدنا من عيوب، فنحاول أن نصلحهما وننسى ما نحن فيه، كيف نصلح عيوبهما، وعيوبنا قائمة تقول لهما بمثل هذا فليقتد المقتدون، إننا جميعا

حساسون، ونحن متركزون أكثر التركز على أنفسنا، لا يهمننا إلا همها وحدها، ولا نطلب الراحة إلا لها. إنا نعمل أفراداً، ونحن فرقة تعمل بروح الفرد لا بروح الجماعة، روح التسامح والتناصح والتعاون، فهل بعد ما نحن فيه نعجب أن يكون أولادنا ما نرى، إنا نجنى عليهم، فالبدار البدار يا عزيزي لنعطى لهم قدوة أصلح، ومثلاً أنبل مما يجب أن يكون عليه الناس، والوقت الباقي قليل، فما هي غير سنوات حتى يذهب ابنك عنك، وتذهب ابنتي، إن الأولاد أفرأخ لا تبقى في عشنا الأول إلا ريثما تنبت أجنحتها فتشيل». . ثم يردف أحمد زكي بقوله:

«وأثر هذا الخطاب في الزوج لأنه خرج من القلب. . ومضى الزوج والزوجة يقولان: لم لا نبداً من جديد في هذا البيت الجديد. لم لا نضبط أمزجتنا ونلجم انفعالاتنا على وفق مزاجه، وهو مزاج لطيف خفيف. . ومضت القصة تروى ما حدث بعد ذلك من ضروب التعاون والإيثار والسبق إلى العمل، وما كان من أثر ذلك على ولديهما. . ولم يكن النجاح بالأمر السهل، ولكنه يحتاج إلى مران، وهذا ما استغرق بقية القصة.

□ أما «القصاصاة العمياء» فسيده افتقدت أولادها واحدة بعد أخرى، فذهبت تعيش مع أخت لها. وعاشت سنوات حتى بلغت عامها التاسع والخمسين، فجاءها ابن أخ يزورها وكان طفلاً فأراعها، لقد ذكرت بزيارته عهدها القديم بالأطفال، وما كان لها بهم من أنس، وما كان لهم بها من أنس، فقد ظلت تعمل مدرسة خمسة عشر عاماً، أما الآن، فماذا يجد الطفل في امرأة عمياء! ثم خطر لها أن تروح عنه بقصص تحكيها له مما عت الذاكرة، ولم يلبث هذا أن جاء بصاحب له ثم زادوا إلى عشرة ثم كثر الزحام حتى شكا الجيران إلى عمدة البلدة من زناط الأطفال، وطلبها العمدة، وطلب إليها أن تكف عن الحكايات في هذا الموضع، ولكن لكي تتولى المهمة في الحديقة العامة، قالت السيدة: من أين لي أن أعلم أن الأطفال يرغبونني أن أقص عليهم، قال العمدة: يا عزيزتي البلهاء: كيف ترين في شيء يطلبه ألف صبي وصبية أهم يرغبون فيه أم عنه؟ إن تحت يدي الآن التماسا وقعه ألف صبي وصبية يطلبون أن تستمرى في قصصك هذا.

وأما «محنة كبرى» فقصة أقدار، وما أعجب الأقدار، ثلاثة رجال يهبطون من وادي الموت حيث تتقطع بهم أسباب الحياة، فلا يكون لأحد منهم أمل في عودة، ثم يأخذون يضربون في مجاهل الفناء أحد عشر نهراً، وإحدى عشرة ليلة، يذكرهم النهار بالحياة وصحوتها ويذكرهم الليل بالقبور وظلمتها، ثم يقضى لهم آخر الأمر ألا يعبر هذا الوادي فيجوز إلى الحياة والإحياء مرة أخرى

غير واحد منهم ، ليس بأقواهم وليس بأكثرهم تمرسا بنوائب الزمان وهو يجوز هذا الوادى ليحكى ما جرى ، وتمضى القصة (أو الحكاية) تروى وتصف على نحو شيق ما يمكن أن يجرى للإنسان عندما يلقي الموت صريحا لا شبهة فيه .

أما «بيت من طين» فبيت بنى فى الهند ، فى منطقة تقع قرب خط الاستواء حيث التفاوت الشديد فى درجات الحرارة بين الفصول وبين الليل والنهار ، وحيث النمل الأبيض الذى يأكل مائدة من الخشب فى ليلة واحدة ، بناه أهل قرية بأكملها (استعملهم المقاول لذلك) لسيدة أمريكية جاءت من حيث ناطحات السحاب . . ويمضى أحمد زكى فى تفاصيل بناء البيت مرحلة مرحلة على نحو أخرى به أن يكون الحديث عنه أدب الرحلات ، ولكنه يختم القصة بقوله : «وعاشت السيدة فى المنزل سنين خالت فى أثنائها أن المنزل يزداد جودة ، وسألت أهل الناحية كم يبقى مثل هذا البيت . قالوا : إذا ولد فيه الطفل استطاع أن يستظل بسقفه حتى يرى أبناءه وأحفاده وأحفاد أحفاده» . ثم يعقب أحمد زكى «بارك الله لها فيه ، وبارك الله لكل مصرى يستطيع أن يجعل من بيوت مصر ، وهى من طين ، بيوتا من الجودة بحيث تستطيع أن تسكنها ، على استمتاع ، سيدة تأتى من حيث المنازل تنطح السحاب» .

□ ونمضى بعد هذا كله لنقرأ مع أحمد زكى فى «تضحك والأحزان ملء جلودها» قصة زوجين سكنا إلى بعضهما وسكنا فى ضاحية هادئة من ضواحي العاصمة ، وكانا سعيدين فى حياتهما ، سعيدين بالرضا بما هما فيه ، وبأنه ليس لهما آمال تقض المضاجع . . ولكن الزمن لا يسكت دائما حتى عمن عنه يسكتون ، ولا يترك حتى أولئك الذين بالقناعة تركوه وارتضوه قسمتهم فيه . فقد جاء السيدة سرطان الثدى فتركها «قلقة مرتاعة» ، وكان زوجها أشد قلقا وأشد ارتياحا لأنه كان ذا حس مرهف ، وزاد حسها بالمصيبة التى نزلت ، وبأعقابها التى لا تفتأ تهدهدهما ، إنها عاشا منطويين على نفسيهما ، ففى صلتها الواحدة تركزت لذة الحياة ، وبين حيطان بيتهما الصغير اجتمعت مفارق العيش ، فلم يكن لهما خارج هذه الحيطان صلات وثيقة ، ولم يكن لهما أصحاب وثائق ، وذهبت آثار المرض اللعين مع مضى الزمان ولكنه عاد إلى الظهور مرة أخرى ، وكتمت الزوجة الخبر عن زوجها ، واحتفظت بسرها طويلا حتى ثقل عليها الداء ، فأخذ وجهها يصفر ، وجسمها ينحل ، وقوتها تقل ، وهى تغالب كل هذا ، وأخذت تضحك ، وتخرج كعهدى القديم ولكن زوجها لم يلبث أن أدرك أن شيئا ما قد اختل ، وخطر بباله أن البلوى قد عادت ، فأشار على

زوجته أن ترى الطبيب ، فضحكت الزوجة من تلك المشورة . قالت : وما حاجة امرأة صحيحة سليمة مثل أن ترى الطبيب ، وزادت مخاوف الزوج فأصر على أن يذهب ، وذهب ، وأدرك الطبيب أنه الموت المحتوم ولكنه لم يرد أن يسود أيامها الباقية وأيام زوجها معها .

وأخذت صحتها بمضى الأيام في المهبوط ، وعجب زوجها ، واعتزما أن يريا جراحا في العاصمة ، وذهبت إليه وحدها ، وكان اليوم يوم عيد ميلاد زوجها ، فلم يذهب إلى العمل بدعوى أنه عيد ميلاده ، والواقع أنه لم يذهب لشدة قلقه . . وظل قلقا طوال اليوم يذرع الشارع جيئة وذهابا ، ويضرب بقطعة الفضة يستلهم الخبر . . وكانت الزوجة قد لقيت الجراح وعرفت منه بعد إلحاح أنه الموت والموت القريب ، فلما لقيت زوجها قالت له إن الحال طيب ، فضمها في الشارع ، ونسى أين هو فرقص .

وتدخل الزوج إلى بيتها فتقترح على زوجها أن تدعو الجيران والأحباب إلى بعض الطعام وبعض الشراب احتفالاً بعيد ميلاده ، فيقول بل احتفالاً بهناءتنا ، ويحضر الجيران فيكون طعام ويكون شراب ، ويكون ضحك وتكون نكات ، ويضحك الزوج ، ويشربون الأتخاب لصحة زوجته .

ويصبح الصباح فتخبره الخبر اللعين . لقد عز عليها أن تحزنه في آخر عيد للميلاد يجمعها . لماذا هذه النهاية الحزينة يا أستاذنا الدكتور زكى ، ألم يكن أخف منها أن تقول وماتت بعد أسبوع؟ وإنى لأتحيل نفسى وقد طرحت السؤال على أحمد زكى فأجاب : ومن أدراك أنى أبحت عن النهايات الحقيقية؟

□ ساعة في قطار : تحكى عن ساعة قضاها أحمد زكى في قطار ولا لزوم للقطار هنا في حبكة القصة إلا أن الجو كان حاراً ، فكشف جندي أجنبى جلس أمام أحمد زكى عن صدره ، يزيد مساحة المعروض من صدره ، وعجب أحمد زكى وصديقه الذى جلس لجوار هذه اللوحة المرسومة بالوشم على صدر الجندى ، وأخذتا يتأملان ، ثم سألاه أصنعه فى لندن؟ فقال : لا ، إنه فى المحيط الهادى فلن تجد فى الدنيا وشامة كوشامته . . ومضى أحمد زكى يحكى على لسانه وعلى لسان الجندى فى أمر الوشم ما حكى من تاريخه . . على أننا نختار لمتعة القارئ فى شأن الوشم ما رواه أحمد زكى من أن سفاحا فرنسيا كان يقتل القتل ولا يلبث أن يشم اسمه على جلده ، ويشم تاريخ فعلته ، وعلم أنه لابد صائر إلى المشنقة فوشم خطا على عنقه ، وكتب بالوشم تحته : أيها الجلاد . . اشتق هنا .

ثم إن أحمد زكى قال للجندي مباسطا: فهل توصى بهذا الجلد الجميل الذى فوق صدرك لأحد من بعدك؟ إنه قطعة من قطع الفن ذات بال، فابتسم متعجبا وقال: وما نفع ذلك فقال أحمد زكى: لقد وقعت مرة فى معرض على كتاب عليه جلدة بها وشم جميل، فسألت أمين المعرض عنها فعلمت منه أنها جلدة إنسان دبغوها، ثم إلى هذا أصاروها، قال ضاحكا: والله لن أضن على أحد بالذى أجود به للدود، على شريطة أن أعلم ما الذى سيصنعه فى كتاب هذه جلده. «قلت: شعر جميل يحكى عن أفراح القلوب أحيانا، وعن أحزانها أحيانا، قال: أما هذا فنعم فهل لديك الوثيقة فأمضيها الآن. قلت دون هذا العمر الطويل إن شاء الله، وكان قد بلغ القطار غايتنا منه فودعنا ونزلنا»، لماذا هذه النهاية التى افتعل فيها المصادفة على نحو المقامات الحريية؟ لعلها الفورمة التقليدية لذلك الزمان ولغير ذلك الزمان لم يجد أحمد زكى بدا ولا بأسا من اتباعها، ولو تركها لكان خيرا وأولى.

□ أما «حضرية فى أقصى الريف» فليست إلا قصة فتاة نشأت فى عاصمة ثم ذهبت فعاشت فى ريف من أقاصى البلاد، وتمضى القصة تعقد المقارنات فى تأمل بين الحياتين وكيف رضىتها صاحبتهما وتأقلمت عليها وسعدت بها.

وأما الصيدلى الذى تدور حوله قصة «من الناس وإلى الناس» فقد قضى من حياته خمسين عاما فى هذه المهنة. . والدكتور أحمد زكى يسأله فى أول القصة: «ألم يسأم العمل فى هذه الصناعة الواحدة طوال هذه المدة، فقال: إن صناعة الصيدلة لا تسأم أبدا، ولا يمكن أن تسأم أبدا، فأنت تقعد منها على مرقب من الحياة، يمر بك الناس وأنت ثابت، تتفرج بموكبهم الذى لا ينتهى، وتوثقت بينى وبين الناس من وراء منضدتى هذه صداقات تتجدد لذتها كل يوم، وتسر أخبارها أو تسيء، ولكنها دائما تثير الهم، ومن أثير هم لم يفقد الرغبة فى الحياة أبدا، ولم يزهد فى العمل ولو أتعب أبدا.

والمسألة بسيطة، ذلك أن الصيدلانى فى البلد الصغير ليس ساكب سوائل فحسب، ولا طاحن أخلاط وعقاقير فحسب، وإنما هو رجل قبل كل شىء ومستمتع وناصح على كل حال، يأتيه الناس يتحدثون فى آلامهم، وعن أطفالهم، وعن زوج سكير وكلب مريض، والفقراء يختصرون الطريق فلا يذهبون إلى الطبيب، ولكن يجيئون الصيدلانى، وعليه أن يشخص الداء وينصح بالدواء.

وهكذا كان صاحبنا بل كان أكثر من ذلك، وقصته التى يرويها لنا الدكتور أحمد زكى تحكى لنا

أمثلة من الواقع الذى قابله فى الحياة، كإنقاذ أم أرادت الانتحار، وهى اليوم - جدة، ولم يكن يغضب أحدا لأنه كان يعتقد أن الذى يضيع الحرص يضيع الكرم ومع أن ثروته تعد بمئات الألوف فلا تكاد تجد فى المدينة شيئا حسنا إلا وله نصيب فيه: فى الحدائق، والمدارس والمكتبة ومؤسسة لإقراض الفقراء. وحين جاءت الانتخابات ذهب إليه السكان فحملوه على ترشيح نفسه نائبا، ففعل، فلما كان فى مجلس تبيئت له فيه الريبة من النقاش الذى كان فيه قام فى المجلس وقال لأعضائه: أنا لا أدرى أين أزمعتم أن تختبئوا بعد هذا، أما أنا فلم أعزتم اختباء، وأريد أن أعيش بين أهل بلدى أنظر إليهم ملء عيني وينظرون. وأخفق المتآمرون... ذكر أحمد زكى كل هذا بعد ما جاءه الخبر - منذ أيام - بأنه مات، وهذه القصة لا تهدف تمجيد صيدلى بعينه أو عرض قصة كفاح إنما أراد أحمد زكى بهذه القصة تلك العبرة التى وصفها صريحة واضحة فى نهايتها حين قال: «فرحمه الله رحمة واسعة، ورحم أمثاله من تجار يحرصون ويجمعون، فى غير نفاق، ويجمعون لينفقوا من بعد ذلك فى وجوه الخير عامة، وعلى ذوى الحاجات وخاصة أن الذى يجمعونه، من الناس وإلى الناس! هل عرفت إذن ما هو هذا الذى من الناس وإلى الناس؟»

□ وفى «لابد لها من أنف جديد» يروى لنا الدكتور أحمد زكى قصة فتاة، كان لها أنف طويل وكان هذا يضايقها، الناس تضحك عليه، فضحكت هى الأخرى عليه تدارى ضحك الناس، فكانوا يطلبونها لإضحاحهم، فاستاءت أن تكون كمضحك المنك. وكانت تحاول تصغيره بربطه فى الليل، فلم يكن يطاوعها. ثم دخلت مدرسة التمريض وتخرجت، وسر المرضى بروحها الجميلة التى واتتها من طفولتها (الضحكة). ثم كان أن طلب أحد هؤلاء المرضى الناقهين يدها. عندئذ ذهب ما كان بها من تردد فى أن تجرى عملية جراحية لتجميل أنفها «كان يمنعها من ذلك فيما يمنع خشية أن يقول الناس إنها إنما تطلب الزوج، أما الآن، وزوجها فى يدها، فهى إنما تطلب الأنف، تطلبه لتكون جميلة - جذابة وليس فى هذا المطلب ما يشين. إنه مطلب يطلبه النساء جميعا والرجال. ولو قالوا غير هذا لكذبوا».

«وما ذنب زوجى ألقاه بهذا الأنف؟، وهو زوج حبيب ودود كريم».

وذهبت فاستشارت طبييها وأعطاهما أسماء الجراحين، وعرض عليها الجراح الذى اختارته لقربه إلى منزلها نهاذج تختار منها، واختارت، وراجعها فى الاختيار، وتمت العملية ووصف أحمد زكى العملية وصفا دقيقا على عادته، وما بعد العملية بيوم ويومين وبأسبوع وبأسبوعين وبأربعة شهور.

وعند ختام الأسبوع الثاني عشر أخبرها الجراح بأنه لن يكون بوجهها تغير بعد الذى كان، وأرسلها إلى رسامه ليأخذ صورتها من جديد، قال إنه يحتاجها لبحث هو ناشره فى مجلة طبية. واستراحت أخيرا من بعد عناء، ولاشك استراح زوجها.

وكان دليل تغير وجهها إلى ما هو أحسن أنها خرجت من بعد ذلك، فصفر لها فى الطريق صافر يريد مغازلتها. وهو حادث لم يحدث لها أبدا. فعرفت وعرف زوجها من هذا الصغير، أن الجراحة نجحت والحمد لله.

□ و«الجنة التى وعد الصابرون» جنة فى الدنيا لا فى الآخرة. وهى تحكى قصة زوج اشترى جزيرة فى البحر، مهجورة، وجهز بيته فيها، وأخذ زوجه إليها، ورزقوا هناك بالولد وعاشوا جميعا. . كيف كانت حياة الوحدة عظيمة.

«وعلمنا من ذلك أن الناس على الزحام تسوء أخلاقهم وتخبث نياتهم، ولكنهم على التفرقة، وعلى الوحدة، وفى اختلاطهم بالطبيعة، بدءوا بعدا وفكرا، لا يبقى فى أنفسهم مكان تشغله الأحقاد وتملؤه المخابث».

□ وتصور لنا قصة «يوم مات أبوها» فتاة جلست فى ليلة تتذكر يوما كان من عشرين عاما، يوم مات أبوها، وهو لم يمت مودة طبيعية، وإنما أعدم، لأنه قتل عاملا فى الميناء. كانت الفتاة يوم وقع هذا الحادث فى الثالثة عشرة من عمرها. وكانت أختها فى العاشرة والثانية، والقصة لا تصور لنا إلا حال هذه الأسرة فى ظل عائلتها متعهد السفن، يشحنها ويفرغها لا يغيب عن البيت إلا ثلاثة أيام كل ثلاثة أشهر. . وكان للأسرة حظ لا بأس به من السعادة بأبيهم، كان يكسب، وكان ينفق، وكان له قلب رحيم، ومزاج، على غير السكر محب جميل. ولكن حدث ما حدث وقتل الرجل رجلا فى الميناء، وجاء الخال، وذهبت الأم، وسجن الزوج، وزار البنات أباهن فى

السجن، فلاطفهن، وضحك معهن، ولما غادرن لاحظن أن عينيه غاضتا بالدموع، وطلب ألا يراهن بعد ذلك. ثم حكم عليه بالإعدام، وكان بين الحكم وتنفيذه خمسة أسابيع مرت سريعة، وتحدد إعدام الأب في الساعة العاشرة مساء. وجاء ذلك اليوم، وبقي الخال والخالة مع الأم في المطبخ، وذهبت البنات فجلسن في الصالون. حتى كانت العاشرة إلا ربعا، «وبغته صرخت الأم وصاحت»: «أى زوجى العزيز! ماذا يصنعون بك الآن»، وخرجت من المطبخ فزعة إلى الصالون إلى الابن الأصغر فرفعته إلى صدرها وإلى النافذة اتجهت، ورأت كبرى البنات ماذا تصنع الأم بنفسها وبأخيها الصغير، ولكنها لم تفعل شيئا. لقد تسمرت رجلاها في الأرض فلم تستطع حراكا، فهي لم تذهب حتى إلى النافذة لترى ماذا جرى وهي لم تصرخ ولم تستغث وهي لم تبك. . . وسمعت شيئا يرن في أذنها. . . إن الساعة تدق. . . إنها تدق العاشرة».

□ وقصة «طمأنينة» قصة من أروع القصص النفسى، لا التى تصور عقدا نفسية، ولا التى تقوم على مثل هذه العقد، ولكنها من ذلك القصص الذى صور نفسيات طريفة، فهذا رجل في الثالثة والخمسين ذهب إلى جراح كبير، والقصة تحكى لنا ما دار بينه وبين الجراح من حوار، الجراح يبحث عن شيء غير طبيعى في كل جسم الرجل فلا يجد، ويعاود فلا يجد، ويستخدم كل الوسائل فامتحن قلبه، ونظر في عينيه، وقاس ضغط دمه، وجس كليتيه وكبدته، ودغدغ باطن قدميه، ودق على ركبتيه بمطرقة فارتاح المريض لكل هذا، وعندما طلب إليه أن يلبس ملابسه بان عليه كأنه يتلصقا، بان عليه كأنه يريد من هذا الفحص مزيدا للغبطة التى وجدها فيه، فلم يجد الجراح الكبير بدا من أن يصارح المريض أن لا شيء فيه على الإطلاق مع أن سلامته في مثل هذا السن سلامة نادرة.

هنا قال المريض: إذن فأنت ترى رأى الطبيب فلان؟ قال: نعم، قال ورأى فلان وفلان. . . وعد أسماء خمسة من الأطباء وثلاثة من الجراحين، واثنين من النفسانيين وكلهم من مشاهير الرجال، فسأله الجراح: هل رأى كل هؤلاء؟ وأجابه المريض: وكلهم أمن على مثل ما تقول، ولكن قل لى ما رأيك في الدكتور فلان؟ قال الجراح: إنه خير من أنجب الطب من الأطباء ولكن هل أنت قاصده أيضا قال نعم. . . واستشاط الجراح من هذا المريض الذى يهدر وقت الأطباء إهدارا ولكن صاحبنا صمد لغضبة الجراح ولم تفارقه ابتسامته، وقال: قد يكون هذا، ولكنى رجل بلغ الثالثة والخمسين. وهى سن يأخذ الرجال عندها في الهبوط، وإنى أجد سرورا عظيما كلما قال

لى طيب كبير إن صحتى على خير ما يرام . إنها طمأنينة كبيرة تساوى أضعاف ما أَدفع فيها من مال ، مرة كل شهرين .

قال هذا وهو يأخذ سبيله إلى الباب ، وعلى فمه ابتسامة فوز ، وعلى وجه الطبيب دهشة وغيظ .

□ «شكرا لك يا جدتى» هذه هى العبارة التى قالتها لأحمد زكى وصحبه عازفة من أبرع العازفات على البيانو، حين شكروا لها عزفها فقالت إنها الشكر لجدتها ، وقصة ذلك أن جدتها

كانت تستمع إليها وهى طفلة فى الرابعة أو الخامسة من عمرها ، وكانت تأخذ - تعزف لها «فتارة خفقا ، وتارة موجا ، وتارة عاصفة بالموسيقى ، فأنصت وأنا ذاهلة عن نفسى ، وقد علمت من بعد

ذلك أنى كنت فى عداد القلائل الذين كانت جدتى تعزف لهم عن طيب خاطر ، وتلمع عيناها أحيانا فتدق الأوتار بجري بالردة فى نثار ظهري ، ثم هى تدق دقا خفيفا فتقربنى بالأحلام» .

ثم أنها أوصت صغيرتها أن تتعلم الموسيقى وأن تخصص لها وقتا يوميا للدرس ، ولم يكن من عادة المدرسين إلا أن يعطوا درسا واحدا فى الأسبوع ، وبعد أسبوعين من هذه النصيحة أصابتها السكتة

المخية ، وانصرفت الفتاة ، فلم تعد إلا بعد شهر ، كانت أمها والدها وعمها عند جدتها ، فوجودها لا تفتأ تلعب بأصابعها على الفراش كما تلعب على البيانو وتنتظر إليهم ، فظنوا أنها ربما

تعنيها فأتوا بها إليها ، فلما رأتها انشرفت وأخذت تلعب على الفراش كأن من تحته مفاتيح البيانو ، ففهمت صاحبنا ، ونزلت إلى حجرة الجلوس ، فعزفت على البيانو وعادت ، فرأت جدتها تعد

بأصابعها ثلاثا ثم ثلاثا ، «فعلمت أنها تذكرنى بالدروس الثلاثة التى أوصتنى بها ، فهززت رأسى بنعم ، فابتسمت عيناها إذ لم تقدر أن يتسم وجهها ، ثم حدث شىء عجيب ، جاءت قصفة من

الريح جانبنا من النافذة خلت منه أشعة الشمس فأضاءت وجهها ، وعند ذلك أغمضت جدتى عينيها» ، وجاءت الأم فاكشفت وفاة الجدة . وعلى لسان أحمد زكى يقارن لنا أحمد زكى بين جانبيين

مختلفين جد الاختلاف فى موقفهما ذات اليوم ، حيث تقول : «لقد افتقدت فى ذلك اليوم شيئا على بساطته عظيما ، وكسبت كذلك شيئا على بساطته عظيما ، عزمنا أن أعمل وأعمل وأعمل ، وأعمل

في جد لا يني، وكسبت شيئا آخر خيرا من هذا وهذا، أحسست بأنني عرفت أين ذهبت جدتي، ولا شيء أكثر من هذا، ومن يومها وأنا أود أن أذهب حيث ذهبت. لهذا، ولكثير من مثل هذا، شكرالك يا جدتي!

□ وفي «حتى الحيوانات منها المجنون» يروي أحد عمال حديقة الحيوان لأحمد زكي صورا من الجنون الحيواني التي أدركها بحكم مهنته، ورحلاته في أفريقيا.

الفصل السابع

نموذج القصة التأملية

قد لا أظننى أجد فى تعبيرات النقد ما يقول بأدب تأملى أو قصة تأملية ، وإن كان من الممكن إطلاق هذا الوصف على أجزاء أو فقرات معينة من العمل الأدبى ، ولكنى مع هذا أجدنى مضطراً إلى استعمال هذا التعبير للدلالة على مجموعة من السمات والمكونات لبعض الأعمال الأدبية لأحمد زكى .

خذ على سبيل المثال قصة «دينار» بالتأمل لجعله المحور الكبير الذى تدور حوله «قصة دينار» وهى إحدى قصص «بين المسموع والمقروء» ، وفيها يحكى الدكتور أحمد زكى قصة جراح متقدم فى السن جلس ذات يوم يتأمل فيما احتواه مكتبته من متاع ، ويتذكر من خلال هذه المحتويات أيامه الخوالى . وفجأة يقع نظره على علبة صغيرة ، ويفتحها فإذا به يجد فيها دينارا ذهباً يتوسط بطانة من حرير أزرق .

ويأخذ صاحبنا يتذكر قصة هذا الدينار . نعم لقد كان هذا من سنوات بعيدة جاء به بحار عجوز دخل المستشفى يطلب الشفاء من داء ألم به في رحلته الأخيرة، وكان يحسب في الجراحة التي تجرى له نهاية أجله، وأجرى له صاحبنا الجراح العملية، ونجحت، وقام من سريريه بعد أسابيع معافى، ولكنه عاد إلى الجراح في منزله بعد ثلاثة أسابيع، فحسب الطبيب أنه يطلب إحسانه، وأخذ يشكر له ما فعله من أجله، ثم أخرج من جيبه دينار الذهب ووضعه على المنضدة حيث يجلس الجراح قال: أرجو منك يا سيدى أن تقبل منى هذا. إننى أعلم أنه شيء قليل لا يزيدك ولا ينقصك، وأعلم أنه من سوء الأدب أن أتقدم به إليك عوضاً عما أسديته لى، وإنما أرجو منك قبوله على أنه تذكاري لما أنلتنى من صحة. إننى تركت بيتى من بلادى منذ سنوات ثلاث، وعند وداعى زوجتى أعطتني هذا الدينار، ولم تعطه يدا بيد، وإنما خاطته في كم سترتى، وجعلتني أعتها ألا أفك عنه هذا الخيط إلا إذا أخذت أحس الموت جوعاً. إن حياة البحار منا يا سيدى حياة غير آمنة، فهو قد يمرض في غربته، وهو قد يتعطل طويلاً، وقد قام هذا الدينار بينى وبين الموت ثلاثة أعوام، وقد أردت في المستشفى أن أهديه إليك إذا أنا قمت في عافية، وهأنذا في عافية، فأرجو منك يا سيدى أن تقبله.

ويصور لنا أحمد زكى موقف الطبيب حينذاك في لحظة دقيقة معبرة عن لحظة دقيقة من لحظات الحياة التي تضطرب فيها نفس الإنسان بين جلال المشاعر السامية ولا تدرى أيها أسمى، وهو يصور لنا هذا الموقف في عباراته التالية من دون أن يشير إلى ما أشرت إليه هنا من وصف للموقف، ولكنه يعطينا في عباراته الإحساس الذى لا يبد للذواقة منه إذا أراد أن يدرك أية لحظة أراد أحمد زكى تسجيلها في قصته القصيرة، وهو يقول:

«سمع الطبيب ما سمع فاهتز له، وحرار في الذى يصنع، لقد كان تهاً لأن يعطى، فإذا إليه يساق العطاء، وأخيراً جمع عزمه وشكر للرجل جميله وشكر عاطفته ولكنه أبى أن يأخذ الدينار ورجا منه أن يعود به إلى بلاده فيهديه إلى زوجته، وعندها اغتم الرجل غماً كبيراً وتجههم وجهه، ومضى بأصابه إلى الدينار يدفعه على سطح المنضدة قريباً من حيث جلس الطبيب، وأخذ يقول: أرجو منك يا سيدى أن تقبله، لا على قيمته النقدية التى هى له، ولكن على قيمته التى كانها لى طوال هذه الأعوام الثلاثة، إننى منذ تركت المستشفى لم أجد عملاً، ومنذ تركت سريرى فيه لم أجد سريراً ألقى عليه هذا الجسد المتعب لأنام، ولم يكن بينى وبين الموت جوعاً غير ساعات، ولكنى وفقت اليوم إلى سفينة أعمل فيها، فشكراً لله على هذا التوفيق، وشكراً لله أعظم الشكر على أن أعطاني القوة التى أصبر بها مع الجوع على الإبقاء على هذا الدينار. فتقبله يا سيدى منى بالذات كأنه لى. فلم يسع الطبيب إلا أن يتقبله».

ويمضى أحمد زكى بعد ذلك يحدثنا عما دار بخلد الطبيب بعد ما تذكر قصة هذا الدينار الذى وجده لساعته، فيروى أن الطبيب أخرج ورقة وكتب فيها وصف الحادث فقال: لقد قبلت فى حياتى الطويلة كثيرا من الهدايا الثمينة أهداها إلى قوم كرام. . وإن لم يكن فى تلك الهدايا هدية أثنى من ذلك الدينار الصغير القليل، ورفعت بأصابعى عن المنصدة وأنا أحس كم كلف هذا الدينار - هذا الرجل البحار الساذج الغريب من آلام، وتخيلته وهو يطوف الميناء يبحث عن عمل فلا يجد، وما لقي فى أثناء ذلك من جوع، وتصورت ما لا بد قد افترشه من الأرض. كل هذا والدينار فى جيبه يستطيع أن يشتري به القوت والفراش، وهو يأبى أن يضيعه ليهديه إلى وفاء لجميل زعم أنى صنعتة فأى هدية تقول هذا؟ وأى وفاء، ولو مخدوعا، يعدل هذا الوفاء، وأى قلب فى قلوب الناس فى أية طبقة من طبقات الأرض يكبر هذا القلب الشديد، ولم ينل من الأوسمة اعترافا بهذا المجهود إلا أنه يجوع أحيانا».

وختم أحمد زكى عبارته بعلامة التعجب!

هل أراد مفكرنا أن يحدثنا فى عطف عن حياة البحارين وما يلاقونه، فجعل ذلك فى صورة الحديث على لسان الطبيب الذى روى لنا ما تذكر مما حدث، لواحد من هؤلاء أصابه المرض، والإشراف على الموت، والجوع والإشراف على الهلاك، والبعد عن الوطن، والتعطل، والإشراف على الضياع؟

هل أراد أن يعبر لنا عن هذه المعاملة النبيلة فى قلب البحار كيف كانت، وإلى أى مدى يكون نبيل العواطف؟

أم إنه أراد أن يحدثنا عن عاطفة أخرى لا تقل نبلا هى عاطفة ذلك الجراح الذى قدر عاطفة البحار ونبيل خلقه حين أهده ما كان أعز عليه من كل شىء عند غيره، مهما كان هذا الشىء، وهكذا فإن قيمة الهدية لا تتمثل فى قيمة الشىء فى ذاته، ولكن فيما يمثله هذا الشىء عند باذله. وهو المعنى الذى عبر عنه أحمد زكى بعبارات بلغت ذروة البيان فى قوله: «أرجو منك يا سيدى أن تقبله، لا على قيمته التى هى له، ولكن على قيمته التى كانها لى».

أغلب الظن أنه أراد هذه المعاني الأربعة مجتمعة والقصة على لسان الجراح ، وهي تأتيه من باب الاسترجاع ، وهو استرجاع ذاتي ، يعود فيه إلى ذاكرته (Flash back) وليس في الأمر اعتماد على مصادفات ، هو رأى شيئا فتذكر فيه القصة ، فلما تذكرها ومرت بذهنه معانيها الخالدات أخرج الورقة وسجل فيها ما سجل من رؤيته لهذه المواقف .

وقد استبقنا التعليق بينما كنا نسرد القصة ، فأشرنا إلى أن أحمد زكي كان يصور الموقف اللحظي في تأملات دقيقة جدا ، وذكرنا لذلك مثلا بالحوار الذي أداره عالمنا بين جراحه وبحاره ، ولكن لا بأس أن نشير هنا إلى تلك العبارات التي يصف بها أحمد زكي حديث البحار إلى الطبيب في بداية لقائه به عندما ذهب يقدم إليه الدينار فيقول :

«وتحدث في بساطة وفي تؤدة ، وفي حرارة ، ووثوق أعوزه الطلاء فتأثر الطبيب من هذا اللسان الخام تأثرا كبيرا ، وهو الذي استمع لمئات من كلمات الحمد ، والعد العديد من خطب الشاء مزوقة مطرزة» .



ولابد لنا أن نقف هنا أمام هذه الصفات الأربعة التي وصف أحمد زكي فيها حديث البحار في بساطة وفي تؤدة ، وفي شوق أعوزه . . . نقف لتساءل هل جاءت هذه الصفات المثالية من قلم أحمد زكي كما تحب المتراذفات على أقلام كتابنا تتوالى تترى وراء بعضها تأكيدا للمعنى المراد أو زيادة في إيضاح الصورة ، أم إنها (وهذا هو رأى) جاءت كما تحب عبارات عالم الكيمياء يصف المادة التي أمامه فيذكر شكلها وحجمها ولونها ووزنها وكثافتها وحالها من الصلابة والسيولة . . إلخ هذا هو الفارق الحقيقي ، والفارق الدقيق ، والفارق الأول بين كتابة العالم متأثرا بعلمه ، وكتابة العالم غير متأثر بعلمه ، هذا معنى التفاوت بين القلم المتدفق يعطف ليتناول الجوانب والأعطاف من زوايا عديدة ، وبين القلم المتدفق الواحد بالكلمة ذاتها وبأخواتها الشقيقات وغير الشقيقات .

ولو أنك غيرت أو بدلت في عبارة أحمد زكي بالحذف فحذفت التؤدة أو البساطة أو الحرارة أو التدفق لما وصلت إلى المعنى الذي أدته العبارة مكتملة . على حين أنك تستطيع أن تحذف فقرات

وسطورا بأكملها من مقالات وقصص أخرى فلا يهتز المعنى المراد ولا شعرة واحدة، ولست أنت
الذى تستطيع أن تحذف من مقالاتهم ولكنهم هم أيضا يستطيعون بل هم أول من يفعلون.
ليس بعد ذلك من قول إلا الثناء على التوفيق فى اختيار عنوان القصة التأملية (الذى لا أظنه
يكون إلا هكذا كلمة واحدة نكرة) وإطلاقه هكذا نكرة، ولكن من باب التنكير للتعظيم! وما كان
أعظمه من دينار.

الفصل الثامن

بعض ملامح التصوير البياني في قصص الدكتور أحمد زكي

يركز هذا الفصل بصورة مختصرة على جلاء بعض ملامح التصوير البياني في أدب أحمد زكي على نحو لا يستقصى، ولكنه يضرب الأمثلة، ذلك أن المؤلف يؤمن بالقول القائل بأن خير ما في الصورة هو الصورة نفسها، ولهذا فإنه سيتعرض في هذا الباب لأبرز الصور البيانية في قصتين من قصص أحمد زكي وهما «شعاع في الظلام» و«نزل الستار فحجب النور ثم ارتفع»، وسنقدم لكل قصة بفكرة عن القصة عامة ونبذة عن موضع الصورة بخاصة، وسنكون في هذا التقديم أشبه بالمرشد أكثر منا بالقارئ الذي يقرأ من أجل النقد، ولكن مرجع هذا بلا شك هو الصورة نفسها التي هي أبلغ ما في الصورة.

فأما قصة «شعاع في الظلام» فقصة فتاة عمياء، قامت على تعليمها في تصبر وتجلد سيدة عظيمة من أولئك اللاتي منحهن الله القدرة على العطاء، فعوضتها عن هذا البصر المفقود خير تعويض... هذه هي القصة في اختصار شديد، يسمح لنا أن ندلف مباشرة إلى الجوانب التصويرية التي أعطت لهذه القصة أبعادها البيانية:

١ - ففقد البصر عند الطفلة ليس بالأمر الهين على حسب ما عبرت عنه عبارة أحمد زكي في بلاغة رقيقة في أول القصة حين يقول: «ما أشق على الرجل أن يفقد بصره، وأشق من هذا أن تفقده امرأة، وقد نراه في طفل فتأسى له، ولكننا نأسى أكثر إذا نحن رأيناه في طفلة، وفاقد البصر يحرم من كثير من خيارات هذه الدنيا، ويحرم أشد حرمان من ثمرات العقول إذا لم تتح له فرصة التعليم، وهي قل أن تتاح لأعمى».

٢ - يصور لنا أحمد زكي - على لسان الفتاة - أول شعاع من نور رآته الفتاة العمياء على يد مدرستها فيقول: «... ونزلت في بيتنا، وجاء اليوم التالي، فأخذتني إلى حجرتها، وأعطتني عروسا من قطن في ثوب حرير، ولعبت بالعروس ساعة، وبينما أنا في أثنائها، فتحت مدرستي يدي، وكتبت في كفي «عروس» لعبة جديدة تلهو فيها الأصابع، تابعتها حتى حذقتها، فملأني حذقي إياها فرحا، وثقة وإعجابا، وجريت إلى أمي أرسم لها هذا الرسم الجديد بأصبعي في كفي، ولم أكن أدري عندئذ أنني أتهجى كلمة، بل لم يكن يخطر في بالي أن للكلمات وجودا، وفي الأيام التالية تعلمت بهذه الطريقة كتابة كلمات كثيرة، مثل قلم وساعة وباب، ومن الأفعال: قعد وجلس وشرب وجاع، ومضت أسابيع كثيرة قبل أن أعى أن هذه كتابة، وأن للأشياء ألفاظا مرقومة».

٣ - يتقدم بنا أحمد زكي إلى تفصيلات مهمة وطريفة، في طريقة تعليم المكفوفين على هذا النحو، فيذكر على لسان الفتاة: «واختلطت على ذات يوم كلمتان كلمة «ك» و «ب» وكلمة «م» و «أ»، وألح الاختلاط» رغم ما حاولته مدرسته من إيانة، عندها أخذت بيدي وخرجت إلى الحديقة، ووضعت يدي تحت صنوبر ماء، فأحسست السائل البارد يغمر يدي، وهي تكتب في يدي الأخرى «م أ»، وتركز فكري كل التركيز على يسراي ويمناي، عندئذ انحلت عقدة في نفسي فرحت لها فرحا شديدا، في تلك الساعة تكشف لي معنى اللغة لأول مرة، وعدت إلى الدار

مغتبطة أحس كل شيء في طريقى، وأحسست كأن كل شيء يتحرك عند مسى، لأنه أخذ عندى ينبض بالحياة، لكل شئ اسم، ولكل اسم كلمة، وفي كل كلم فكرة، ومن مجموع هذه الأسماء والكلمات والأفكار تتألف لغة الكلام والكتابة، شيء عظيم، وتعلمت معنى الأم والأب، والأخ والأخت والمعلمة، معان تشع بالنور الأبيض في حياة كل ما فيها سواد.

٤ - وهذه لوحة رابعة رائعة يصور فيها أحمد زكى الفتاة، وقد تقدم بها التعليم إلى المرحلة التى صاغت فيها الجمل، وأدركت فيها اختلاف الفصول والمطر والشجر والطيور والأرانب وتفتحت لها أروقة الدنيا، ودرست الطبيعة ثم المعنويات. وهذه هى اللوحة التى يصور لنا فيها أحمد زكى هذا الانتقال إلى مرحلة المعنويات على لسان الفتاة، إذ يقول: «سألتها يوما» ما معنى الحب؟ وكنت جئت لها بزهرات بنفسيج جمعتها ذلك الصباح من الجنية، فوضعت ذراعها حول خاصرتى وقبلتنى، ثم كتبت بأصبعها فى كفى: «إنى أحبك». قلت: ما الحب؟ قالت: إنه هنا، وأشارت إلى مكان قلبى من صدرى، كأنها أحسست بضربات قلبى لأول مرة.

«ولكن حيرنى ما تقول، لأننى لم أتعود أن أفهم الأشياء إلا عند مسها. وشممت البنفسج، ثم سألتها فى شيء من الكلام على إشارة أريج البنفسج هذا هو الحب أو هو بعضه؟ قالت: لا، عندئذ أحسست بدفء الشمس تقع علىّ، فقلت: أهذا هو الحب؟. قالت: لا، فأحسست بالخيبة أن مدرستى لا تستطيع أن ترينى الحب. وذات يوم كنت أنظم عقدا، ولأمر ما أخطأت فى ترتيب حباته، وأخذت أطلب الطريقة إلى تصحيحه، عندئذ كتبت مدرستى على جيبى «فكرى»، فعرفت من ذلك أن الذى يدور فى رأسى هو معنى الفكر. فكان هذا أولا اطلاعى على معنى مجرد، وقد كنت أعرف معانى الأشياء محسوسة.

«عندئذ خطر لى أن أعود فى ضوء هذا المعنى الجديد، فأسأل عن معنى الحب، وكانت الشمس قد غابت».

قالت: «إن هذا الغمام فى السماء لا تمسه يدك، ولكنك تحسبه فى المطر إذا نزل فى يوم صائف، وعندئذ تغتبطين له، وتغتبط معك زهور الحديقة لنزوله، فكذلك هو الحب، لا تستطيعين مسه، ولكنك تحسبه فى قلبك وتحسه الأشياء، فلولا الحب يتخلل الأشياء والناس، ما كانت سعادة، ولولا الحب ما كنت تسرعين إلى الحقل وتلعين».

«كلام استعصى علىّ فى تلك السن فهمه، ولكنى أحسست بأنه على انبهامه، مد لى خيوطا تربطنى بالحياة وبالوجود».

والقصة الثانية «نزل الستار فحجب النور، ثم ارتفع»، تدور في نفس الظروف مع فارق الترتيب والزمن، فهي قصة رجل أصابه العمى، ثم شُفي منه، وأحمد زكى يحكى لنا فيها تجربة فقد البصر من ناحيتين، الناحية الطبية المادية، والناحية النفسية، لهذا فإن «نزل الستار» من الأدب التصويرى في المقام الأول، قبل أن تكون قصة رجل ذهب عنه العمى رويدا رويدا، ثم أتاه البصر دفعة واحدة، فرأى، فعلم أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.

ولهذا فلن نطيل في استخلاص العبر من القصة إلا بالقدر الذى عبر أحمد زكى في آخر مقاله حيث قال: «فلنحمد الله على نعم لا ندركها إلا عند افتقادها». وسنعود إليها بعد قليل ونحن نتأمل بعض الصور البيانية التى فيها.



وقبل أن نبدأ استعراض الصور البيانية التى أتحفنا بها أحمد زكى، ينبغي لنا أن نقف عند نقطتين:

□ أولاهما: الإشارة إلى سبب ما أحسه القارئ من أن هذا الباب الذى يدرس التصوير البيانى فى أدب الدكتور زكى قد جمع قصتين تدوران حول فقد البصر، وليس من شك فى أنه لا غرابة فى ذلك، فالبصر هو أول الحواس وأقدرها على التصوير وإدراك التصوير، وليس من مجال أروع ولا أبعد لبيان القدرة البيانية على التصوير من هذا المجال الذى يتصل بتصوير أدق الإحساسات والمشاعر.

□ وثانيتهما: المقارنة بين طبيعة القصة فى الحالتين، وكيف استطاع أحمد زكى من خلال الصور، أن يعبر عن الحالتين المتشابهتين، مبينا أثر وجوه الاختلاف من دون أن يشير إلى أنها وجوه اختلاف، وإنما تستبين هذه الفروق للقارئ الذى يقرأ القصتين، أو الذى يقرأ هذا الفصل فيدرك الدرجة الرقيقة من التمييز والتفريق التى حباها الله أحمد زكى.

ونعود إلى الصور البيانية في قصة «نزل الستار، فحجب النور، ثم ارتفع» :

□ فأحمد زكى يشرح نظرية التعويض من غير تصريح باسمها، فيقول: «وإذا عمى الإنسان وحجب نوره، استيقظت فيه الأحاسيس الأخرى استيقاظا غير منظور، فهو يسمع أكثر مما يسمع، ويشم أكثر مما يشم، والخشب والمعدن يقتربان منه، فيدرك اقترابها بفروق خفيفة من حرارة وبرودة، والقطن والصوف وقد كان مسهما أطول المس، يمسهما الآن، فيجد من مسهما شيئا جديدا، والكلب والقطة والناس يصبح لهم إلى جانب الشم هالة، كأنها هالة من مغناطيسية كهربية» .

□ يصور أحمد زكى مراحل العمى فيقول: «وجاء العمى على مهل، فأخذ منه متع الحياة واحدة بعد الأخرى: فالرياضة والألعاب ذهبت وأول ما ذهب لعب التنس ثم الكرة، ثم السيارة، أخذ سيرها في يديه يتباطأ حتى صارت أبطأ من حمار، ثم الكتب عزت قراءتها، ثم امتنعت، وكذلك الصحف لم يعد يقرأ منها إلا عنوانها ثم ذهبت هذه» .

□ صورة أخرى للرجل وقد عاد إليه بصره، فهو ينظر إلى رجل أمامه ويسأل من هذا الرجل، وللرجل صورة ولده الأكبر «إنه لا يعرفه . موقف غريب . يلذ ويؤلم . ويسأل الابن أباه: ألا تعرفنى؟ فيقول الأب فى نفسه: «الحق أنى لا أعرفك يا بنى: ووجهه أزرق كسائر الوجوه، ولكن من تكون؟ أنت؟ ابنى؟ لا يمكن هذا ! إن ابنى طفل أو شاب، أما أنت فكهل» .

ويعود الابن يسأل: ألا تعرفنى يا أبت؟ فيقول فى نفسه: «نعم إنه صوت الولد . . ولكنه ليس الآن بولد . كبر خلصة . . .» . ويتعارفان .

الفصل التاسع

بعض ملامح الدراما القصصية فى أدبه

يبدولى أن عاطفة الحب هى جوهر الدراما فى أدب الدكتور أحمد زكى القصصى ، وهو حب لا ينال نهايته التى يرجوها ، أو حب لا ينتظر المصير الذى كان يعلقه على الأحداث لكى تجلب له السعادة التى يبتغيها ، ولتأمل معا بعض قصصه فى ضوء هذه الفكرة.

(١)

أما القصة الأولى فيرويها أحمد زكى عن طبيب شيخ ، أخذ يذكر له ما يتذكره من الذكريات . . كانت امرأة فانت العشرين من عمرها ، قليلة الجسم ، رقيقة البنية ، جميلة ، ناعمة البشرة ، مستطيلة الوجه ، عيناها زرقاوان ، وفمها صغير حساس ، لكن فيه قوة العزم واضحة ، هادئة النفس ، بطيئة الخطى .

وجاءت الفتاة الطبيب في وقت مخصص لزيارة المرضى ، ولم يكن معها خطاب من طبيبها (على عادة النظام الإنجليزي) يوصى بها ، واعتذرت عن ذلك بأنه ليس لها طبيب ، وأنها جاءت إلى لندن من أقصى شمال إنجلترا توا ، وقالت إنها تعلم ما بها ، وأنها تود أن يجري لها الطبيب الجراحة . وفحصها الطبيب ، وأخبرها بأنها جراحة خطيرة ، وقد لا تكون حاسمة ، ولكنها إن نجحت كان لها البرء الكامل فلم تتردد ، لقد انعقد عزمها على أن تتحدى الداء ، وكفى ، وسأل عن أبيها فقالت إنها يتيمة الأم والأب ولا أقارب لها ولا أصدقاء . . ولم يزل الطبيب بها يلح عليها في أن يحضر عملياتها رجل أو امرأة «يعرف عنك ويعنى بك» ، بل ويشترط عليها ذلك ، حتى وافقت أخيرا على أن تأتي بامرأة عجوز ذات قرابة بعيدة بها .

وأخذ الطبيب ينظر إلى هيئة الفتاة ، وقد جلست على هيئة لا تنم عن حالها ، وهو يتأمل هذا التزق الذى أبدته ويبحث عن سببه ، أيا أس ؟ « وكل الذى بان لى فى حيرة هذا الخفاء أنها كانت ترفع يدها إلى صدرها تمس فيه من حين إلى حين دبوسا من ماس ، كأنها تستمد منه الصبر والإيمان » .

« وأجريت الجراحة فنجحت على غير كبير انتظار ، ونجحت نجاحا تاما ، ولم يعقبها ارتفاع فى حرارة ، ولا تعقيد كائنا ما كان ، وأخذ الجرح يلتئم التئاما سهلا ، ولكن برغم هذا أخذت حالة المريضة تسوء يوما بعد يوم ، فقد اعترها قلق نفسانى شديد ، وذهبت عنها الرغبة فى الحياة وصمتت فلم تجب عن أى سؤال بغير نعم أو لا . ورضيت كل أنواع العلاج ، ولكن فى غير مبالاة » .

وتتبع الطبيب سبب قلق مريضته ، فعلم أنها فى انتظار شىء ، تطلبه فلا يجيء ، كان خطابا أخذت تنتظره دون جدوى ، فكانت تنظر إلى الباب ، وإلى خطوة على السلم . . « وهل رأى خطابا فى بهو الدار ؟ وكم مرة يأتى البريد فى اليوم ؟ وهل هو يأتى دائما فى ميعاده ؟ وهل حدث للقطار حادث ؟ وهل يجوز على الخطابات أن تضيع فى الطريق ؟ » .

وأخذ الدكتور يسأل الممرضات ، فلم يعرفن عن هذا الخطاب شيئا . ثم سأل : هل كتبت هى كتابا لأحد ؟ فكان الجواب : لا ، إلا خطابا كتبتة قبل إجراء الجراحة مباشرة « وحرصت على أن تضعه فى الصندوق بيدها ، فلم يدر أحد إلى من كتبت » .

وألح عليها الترقب ، وثقل عليها اليأس حتى صار داء ، فلم تعد تنام إلا بالمورفين ، وجاءها بطبيب نفسانى لعله يعين ، فما أعان شيئا .

وهكذا حتى جاءتها النهاية ، وانظر إلى الصورة المعبرة التى يصف بها أحمد زكى النهاية على

لسان الطبيب فيقول: «وزادت الحالة سوءاً، وظهر أنها آخذة سبيلها إلى الفناء، فلاحمها ذاب، وعيناها تغوران، وشدقاها تعظمتا، والدبوس الذى لحظتها تمسه حين جاءتنى أول مرة رشقته فى الوسادة، ولم ترض أن يزيجها أحد عنها، وظلت تلبس هذا الدبوس من حين لحين كلما استطاعت لذرأها رفعاً».

«وأخيراً جاءها الموت وأنا فى حضرتها».

«ففى ذلك اليوم دخلت الحجرة على عادتى، فنظرت إلى على عادتها، وعيناها تسألان عن هذا الخطاب، وشفاتها تهبأتا على جفافهما ونضوبهما لأن تتحركا للسؤال عن هذا الخطاب، ولم يكن لى حاجة إلى الجواب، فقد كان فى وجهى الجواب»

هنا قد يظن القارئ - الخبير بقصص الأفلام العربية - أن النهاية ستكون كنهايات هذه الأفلام ولكن النهاية هنا مختلفة:

«وعندئذ جاءتها قوة لا أدرى من أين، فقد تحركت لتشريح وجهها عنى تريد أن تكون وحدها، وبصوت لم أحسب أنها تستطيعه، وهى فى هذه الحال، صرخت صرخة مدوية هتفت فيها باسم رجل، كانت صرخة عتاب، وما صرختها حتى استرخت أعضاؤها، وفارقت الحياة».

ليس من تعليق على هذه القصة إلا سؤالان، أولهما: لماذا كانت النهاية حزينة هكذا. وهذا سؤال كان - ريباً بنا أن نسأله للطبيب الذى روى القصة لأحمد زكى ولو سألناه لقال لنا إن للحياة نهاية أقسى، وإن على الأسرة البيضاء ما هو أشد.

والسؤال الثانى: لماذا أخفى أحمد زكى السبب الذى أضنى الفتاة؟ هل هى مهارة قصصية؟ أم هو شىء آخر؟ يبدو لى شخصياً أن مهارة أحمد زكى فى هذه القصة لا تخرج عن أن تكون من هذه النوعية التى تعظم المستور فيبدو الموقف وكأنك سترت عظيماً.

(٢)

أما قصة «يا ليتة درى» فقصة حزينة، والحزن فيها تأمل، تأمل معنى هذه السيدة التى ذهب عنها زوجها منتحراً فى ساعة من ساعات الضيق بالفقر الذى آل إليه من بعد غنى، وكانت زوجته تشاركه فى السراء والضراء، ولم تكن قد عرفت الفقر قبل معرفتها به، ولا فى أثناء حياتها الأولى معه، أما هو فكان فى الأصل فى شبابه فقيراً عرف معنى الفقر بعدما عاناه.

«والأم تأخذ تفكر فيما ورث الوالد المتحر أولاده، فتجد أنه ورثهم فيما ورثهم الكفر بالحياة والريبة في أمر أنفسهم . . والابنة المسكينة تخرج إلى المكتبة تطلب قصة، وتسأل عن ختامها، فيقول أمين المكتبة أو أميتها إنها قصة غرام تنتهي بهناء، فترد عليه الابنة قائلة: رد عني هذا السخف، وأعطني شيئا يتفق مع الحياة، شيئا ينتهي كما تنتهي الأشياء بمأساة. والولد تدخل عليه كرها مفارح الحياة فيغتبط قليلا، وتدخل عليه مفارحها في غير استئذان، فينقبض كثيرا، ويشد عليه انقباضه حتى يحسب أنه المزاج الذي قضى على والده وأنه بدأ يلعب دوره بالوراثة فيه . . إلخ». وهكذا «تطيل القصة في وصف مظاهر المأساة التي تعبر لنا عنها على نحو دقيق لا يتأتى إلا لذوى البيان العالى.

ثم يحدثنا أحمد زكى عن الفقر كيف دفع بالرجل إلى الانتحار، فقد عاد إليه خوفه القديم، خوف الفقر، وخوف الحياة، وعملت الزوجة ما استطاعت ليفى المورد الضئيل بالحاجات المتضائلة، ونظرت إلى الفقر على أنه شيء طارئ إلى زوال، بينما كبت الزوج الأمر في نفسه، وفكر في أقساط التأمين وشبهها

«إنه لا بد أن يفى بأقساط لا سبيل إلى الوفاء بها، وأنه على الموت سينال أهله التأمين كاملا، وفعل فعلته، وأكسب أهله قدرا من المال وافيا».

وهذا هو جوهر المأساة في هذه القصة . . وفيه العقدة أو فيه الحل أو فيه الحل ثم العقدة، ولست أستطيع القول إن أحمد زكى هو صاحبه الأول، فقد قرأت هذه الفكرة من قبل في قصتين إحداهما في الأدب العربى، والأخرى في الأدب الإنجليزى وليس في استطاعتي الآن أن أحقق أى الثلاثة كتب أولا؟ وليس في هذا ما يهم القارئ من قريب ولا من بعيد ولهذا فسأنتقل إلى الوجه الآخر في حل العقدة، وهو النظر في فلسفة أحمد زكى التى نظر بها إلى هذا الحل، وموقف أحمد زكى يجريه على لسان الزوجة، إذ قالت لنفسها: «كيف ساغ عنده أن في وفاء حاجة الجسم غناء عن حاجة النفس، وهو لو عاش لكافحنا سويا وكان لنا في الكفاح على الإخلاص لذة؟؟».

وليس هذا إلا صدى لإيمان أحمد زكى العالم المؤمن بأن حاجة النفس فوق حاجة الجسم، وهو أمر لا يحتاج إلى تعليق الناقد أو إلى لفته نظر القارئ إليه.

ولكن هل تحظى هذه الفلسفة بالقبول عند الناس، وفي مجتمعات البشر؟ يقرر لنا أحمد زكى هنا رأيه: لا.

وهو هنا يقرر الأمر في صورة قصصية فيجعل قلم المؤلف يعقب على فكرة الزوجة التى تساءلت بها فيقول: «ولكن لمن تقول؟ والأذن التى تريد أن نسمعها ملؤها التراب»، وسواء كان ملؤها

التراب لأنها ميتة، أو كانت من طين وعجين وهى حية، فهذه هى الحقيقة المؤلمة التى بنى أحمد زكى مأساته فى هذه القصة القصيرة، ولكن هل هى قصيرة حقاً؟

(٣)

«إنه قضاء الله» قصة ميلودرامية أخرى ليس فيها أحداث كثيرة، ولكنها قصة طباع والطبع يعبر عنه بالموقف أو الموقفين، وليس فى حاجة إلى تنمية للشخصية من خلال مواقف متتالية تأتى بين فصول قصة طويلة، إنما هو طبع وخلق، فى أشخاص، فى أوقات حتى صار ظاهرة.

وأبطال هذه القصة ثلاثة: أب وزوجته وابنته، والأب سكير، والبنت ضعيفة الجسم لا تقوى على العمل، ولهذا تقوم الأم بكل الجهد فى تسهيل الكسب الذى يقوم بالحياة لهذه الأسرة، هكذا كان قدرها، إنه قضاء الله، ولكنه لم يكن قضاء الله الذى انتهت إليه قصتنا.

ذلك أن الزوج، كان يغتصب أجر زوجه فينفقه فى شراب ليلة واحدة، زائطاً صارخاً معربداً بين بطانة السوء، وهو الأجر الذى عملت بإبرتها فى تحصيله خمس عشرة ساعة قضت أكثرها فى المشغل وأقلها فى البيت.

«وهو إذ يغتصبه منها كان لا ينتزعه إلا بضرب وركل يسود عينها، أو يجرح جلدها، وكان يؤتبه هواه فى ضربها وركلها فيشفى هواه من ذلك فى الليل أو النهار»، «ومن الغريب أنه حين كان يفعل بها ما يفعل من أذى كان يقف دائماً عند الحد الذى تعجز عن العمل إذا ما زاد عليه، فكأنها فى صحوه أو فى سكرته يدرك هذا الحد الذى إن تخطاه فقد بتخطيه الثمن الذى كان يدفعه فى الشراب، فامراته وحدها كانت مصدر ما كان يمكن أن يأتيه من مال».

إلى هنا صار الخط الدرامى فى هذه القصة واضحاً، فهو يؤذيها، ولكن بقدر، ليؤذيها ثانية، وتكرر المواقف. . . ولكن أحمد زكى سرعان ما يأتى بالحدث الذى يجعل فى الأمر قصة، ويكسر دائرة التكرار، ويضع للأمر خاتمة، وإن كانت مأساوية، فالسيدة تعمل على ضوء مصباح، ويأتيها زوجها فى يوم، وهو سكير كعادته، فيطلب إليها أن تشتري له هو الآخر مصباحاً، ولم يكن الزوج يقرأ، ولا كان فى حاجة إلى مصباح.

واشتريت له المصباح فى اليوم التالى، وزينته بحيث يجوز أعظم قدر من رضا الزوج، وعاد صاحبنا فوجد البيت مضاء جميلاً، فراحه ذلك الجمال، وافتعل المشاجرة مع زوجته وقذفها

بالمصباح فأشعل النار في ثيابها، ثم ناولها المصباح الثانى من الناحية الثانية فأحاطتها النيران من كل جانب، وحاولت ابنتها أن تنقذ الموقف فلم تستطع، وجاء الجيران، وحملوا الزوجة المسكينة ملفوفة بكل ما وجدوه، ومسرعين بقدر ما أمكنهم إلى المستشفى وهناك أدرك الطبيب أنها مفارقة الحياة من قرب، فجاء بوكيل النيابة ليأخذ أقوالها قبل أن تذهب عنها الروح، وأومأ النائب إلى الطبيب أن يخبرها أنها مفارقة الحياة، فأومأت بما ينبىء عن إدراكها لذلك، وعندئذ سألهما النائب: مَنْ فعل بك هذا؟ وما فرغ من سؤاله حتى اقتربت الأذان تلتقف ما قد يخرج من فمها من كلمات، وبعد جهد خرج من فمها فى ببطء شديد ما يلى: لم يفعل بى ذلك أحد. إنه قضاء الله.

هنا انتهت القصة، ولكن أحمد زكى لم ينهها ههنا، وإنما عقب بقوله: ثم غابت عن وعيها، ثم فاضت روحها، وارتفع صوت من الجميع يقول: «إنها كذبة قد تجوز على قضاة، ولكنها لن تجوز أبدا على قاضى السماء».

وكأنها أراد أحمد زكى بهذه العبارة أن يضع العبرة، ولا يترك الأمور هكذا بحيث تذهب نفس القارئ فى تأثرها إلى الكفر بالعدالة فى الإنسانية، مهما أمنت بهذه الصورة التى بذلت الزوجة فى حياتها وفى مماتها! وخاصة أنها مثال لزوجات كثيرات.

ليس من شأننا هنا أن نعبر عن اهتمام أحمد زكى بأمر المرأة المظلومة المضحية العظيمة فى كل ذلك. وإن كان قارئ هذه القصة لا يستطيع أن يعبر إلى الجانب البيانى من دون أن يشير إلى هذه الناحية، وإلى الوجهة الاجتماعية الإصلاحية فى القصة على العموم.

إنما يجب أن نعلم ونحن نحاول أن نستلفت النظر إلى المهارات البيانية إلى أن نشير إلى العبارات التى صور فيها أحمد زكى المرأة، وقد أصابها الحريق فى كل جسمها، وقد وضعت على سرير المستشفى: «فوجدوا امرأة قد ضاعت معالمها أو كادت، فملابسها تلزقت وتصلبت، ومن الرماد الذى تخلف من هذه الملابس عند صدرها برزت إبرتان كانت لاشك رشقتها عند موضع ثديها ساعة توقفت فى عملها، ووجهها تبدل فانكشف عن عينين مغمضتين لا رمش لهما، ولا حاجب إلا خطوطا رقيقة سوداء، وشفتاها تضخمتا فكانتا كالكرة انتفاخا، وخداها تفحما لولا بقعات برقت كما يبرق الدهن على الشواء» صورة أدبية رائعة البيان، وهى مع ذلك أقرب

الصور إلى الصواب (دقة وشمولا) إذا طلبت الصورة الإكلينيكية لحريق من طالب طب في امتحان السنة الرابعة .

(٤)

أما القصة الرابعة « في أسماها تغنى » فهي قصة فتاة يتيمة ، ولدت في أحد الأزقة وقام بتوليد أمها الباغث قابلتان . . رجل من رجال البوليس ، وامرأة عابرة ، فقد كانت الولادة في الفجر ، ولم يكن في الطريق غير هؤلاء ، ولما بلغت من عمرها الشهرين تركتها والدتها ، فكفلها أبوها إلى سن الخامسة عشرة ، وكان بهلوانا جوالا فذهب بها مع جماعتها في كل أرض .

وحين بلغت الثالثة عشرة أدرك أبوها لأول مرة أن لابنته صوتا حسنا ، فكان يريد لها على الغناء في المقاهي في كل بلد حل به ، وفي هذه المقاهي تتلمذت ، وفيها تدربت على الغناء ، ودللها الناس ، فأحبت تدليلهم ، ولكنه لم يفسدها ، وعملت جاهدة في كسب رزقها الحلال .

فلما بلغت عامها الخامس عشر ، قصدت إلى المدينة الكبيرة ، وصدحت في شوارعها بغنائها عاما كاملا على غير جدوى ، وكانت تقف في الطريق تغنى ، والناس ينقدونها قطع الفضة فتنتظر إليهم نظرات قاسية ، وكان وراءها رجل يسعى فيأخذ هذه النقود التي تترامى إليها من النوافذ والأدوار العالية ، (هنا يؤجل أحمد زكى أن يدلنا على أن هذا الرجل هو أبوها) .

وساقت إليها الأقدار رجلا من أرباب النوادي الليلية ، فأبدى إعجابه بأغانيها وعرض عليها أن تغنى في ناديه الفخم ، وبهرها النادى ووافقت على الغناء فيها في أسماها هذه . ولم تبتسم للناس ، ولكنها هزت لهم رأسها بالتحية هزة قليلة ، ووضعت يديها وراء ظهرها واستندت إلى عمود المسرح وأخذت تغنى . وخرج الصوت قويا عارما ، فيه روح وفيه حرارة تماما كما تصدح به في الشارع .

وأعجب الناس بها، وصاحوا بها: أعيدى... أعيدى... وظلت على حالها هذا بضعة أعوام. وأخذت تسير إلى الشهرة في نفس الطريق الذي سارت فيه من قبلها كبريات المطربات، ولكن الأقدار التي أحسنت إليها بما جمعت بينها وبين هذا الرجل، عادت بعد ستة أشهر تسيء إليها من أجل هذا الرجل.

ذهبت صباح يوم إلى داره لتراجع معه بعض الأغاني، فوجدته مقتولا، وأخرجها البوليس في سؤاله لها، وانتهزت الصحف فنسجت من هذا الحادث رواية غرامية شائعة أسمتها «ابنة السبيل والرجل الذي عشقها»، واهتدى البوليس أخيرا إلى اللصين اللذين قتلاه، ولكن الجرائد كانت قد هلهلت من أمرها ما هلهلت، فلم تغنها براءتها من تهمة القتل شيئا.

وأصابتها الحيرة بعد أن ذهب عنها صديقها البوحيد في دنيا لم تلقها أبدا بغير القسوة، وهما هي الدنيا تعود لتتأصبها العداوة مرة أخرى. ولم تدر ما تصنع. وهمت أن تعود إلى الشارع، ولكن سرعان ما جاءها خطاب من مسرح كبير يعرض عليها الظهور عليه، فوافقت، وظهرت على المسرح فاستقبلها الناس بالصفير والصخب، وكان أمامها خطتان أيسرهما صعب: إما أن تهرب كالقطيطة التي جرحت، فوجب عليها أن تركز إلى ناحية لتلحق جزوحها، وإما أن تقاتل كقتال الهرة التي ضيقوا عليها الخناق. فلم يعد لها بد إلا أن تدفع بالمخالب والنااب فاخترت الثانية، وكسبت دورها الأول بإسكات الصائحين، ورد المشاغبين، ثم أطلقت حنجرتها تندفع بكل ما في صدرها من قوة، فلما سكنت انطلقت الأيدي تصفق حتى كادت تدمى.

وأخذ الشلل يزحف في جسدها زحفا، فلما عرفت أنها الغاية المحتومة والأمل المقطوع قالت: «أى ربى، ضربت لى موعدا، وضربوا موعدا، وموعدا الرب لأبد فيه من وفاء». وبلغ الداء الصدر، فأرادت أن تصدح بالغناء، بالذى بقى من هواء، قبل أن تفوت الفرصة، فكانت شهقة واحدة انطفأت بها بقية من حياة كما تنطفئ شمعة.

وهكذا انتهت هذه «المأساة القصيرة» التي روى فيها أحمد زكى ما كان من شأن هذه المطربة الصغيرة.

ولكن أية عبرة أرادها أحمد زكى من قصته هذه، هل في ذلك الموعد الربانى الذى قضاه الله فلايد من قضائه قبل الموعد الذى ضرب الناس، ولو كان فى هذا الموعد البشرى المجد البشرى كله؟

وخرجت من المسرح في تلك الليلة ، وقد آمنت بأن الله أودع في كيانها شعلة لا يمكن أن تنطفئ ، لأن الله موقدها . . وأخذت تعتمد إلى المؤلفين ليكتبوا لها الأغاني الجديدة ، فكان لهذه الأغاني الجديدة عمل السحر في تجاوز ما كرهه الناس منها ، وكانت تحرص عند غنائها على ذكر اسم مؤلف الأغنية إشهارا له ، وتنبئها عليها .

«ورتبوا لها حفلا تبلغ فيه الذروة ، واجتمع الناس وامتلا بهم المكان ، ولم يبق في المدينة نابه إلا حضر ، كلهم حضروا إلا واحدة هي صاحبتنا ، أصابها ، وقد شاب النهار ، تحاذل في الساقين لم تحفل به ، وقامت تتزين فأحست بثقل في الساقين ثم أرادت أن تمشى فعجزت ، وبينما كان مكان الحفل يصطخب بمن فيه ، كانت هي على سريرها بالمستشفى وحيدة إلا من صاحب وصاحبة ، وانتهت بفكرها نحو ذلك الجمع الحاشد ثم إلى النساء ، ولم تدر في ذهولها ماذا تقول وقد علمت أنه الشلل .»

هل هو الحظ السيئ يلاحق هذه الفتاة في حياتها منذ ولدت في الشارع ، وحين قضت حياتها بلا مأوى حتى قضت حياتها وهي أحوج ما تكون إلى الاستمتاع بهذه الحياة بعد كل هذا العذاب؟ هل هي قسوة القدر؟

قد لا يكون أى من الأمرين هو غاية أحمد زكى من قصته ولو نظرنا إلى هذه القصة على أنها حكاية يحكيها أديبنا مما قرأه أو سمعه كما يشير عنوان الكتاب الذى وضعها فيه «بين المسموع والمقروء» . ولو كان الأمر هكذا - والاحتمال قائم ولكنه احتمال ضعيف - لكان علينا أن ننظر لتأمل إلى أى حد كانت ريشة الفنان المعبرة عن الصورة أو المعبرة في الصورة ، ولهذا فإنى أرجو القارئ أن يقرأ معى وصف أحمد زكى لفتاتنا وقد أخذت تسير إلى الشهرة :

«وحفظت على المسرح كثيرا مما ظهرت به عليه أول مرة . فهي تحتقر الزينة ، وتلبس البسيط من الثياب ، وينشق الستار فتراها واقفة وحدها على المسرح الهائل كالكلب المقلوب المضروب يتحدى سيده ، وتقف وقفة المعاند كأنها تتحدى سعة المسرح وتتحدى السامعين ، ورجلاها الطويلتان قد تسمرت بالذى وقف عليه . وشعرها قد تدلى على جبهتها الحالية ، وقد تهبأ ليتنقذ إلى الوراء عندما يحين موضع النغم وقت انقذافه ، ويدها اللتان كانت تربطهما وراء ظهرها ، تحررتا لتقوم بدور مهم في غنائها . فهي تحركهما إفصاحا وتعبيرا حتى تكادا تنطقان . فيفهم الرائي منهما ما يفهم من الكلام . فحينما تجرى بهما أصابع على أوتار عود لا وجود له إلا في خيالها . وحينما تطويهما كفين يخرج من بينهما الصوت المنغوم خافتا كأنها تسريه إلى أذن بعيدة محاكاة وتمثيلا» .

هذا وصف علمى تشريحي كالعادة الغالبة على كثير من أوصاف أحمد زكى التى يصل فيها إلى

القمة كمصور للشخصيات وكأنه الفنان يرسم البورتريه . وأنت تطالع أوصافه فلا يدهشك أن تلحظ فيها أثر عقلية العالم الذى يصف على نحو مرتب ، وقد لا يهيمه أن يبدأ بأبرز الأمور أو بما يراه أبرزها أو أشدها تأثيرا على السامع والقارئ ، وقد لا يهيمه أن يبدي شيئا واحدا ويسلط عليه الأضواء ويتعمق فيه ، ولكنه قبل ذلك كله معنى بالصورة الكلية التى تتكون من الأجزاء موصوفة جزءا جزءا ، فهذا الملبس ، وهذه الوقفة ، وهاتان الرجلان ، والشعر ، واليدان ، وحركتهما .

وهذه فقرة ثانية يحدثنا فيها أحمد زكى عن أغاني بطلة القصة ويظيل فيقول :

«وكانت تختار من الأغاني القوى الحار . ومن أغانيها الشهيرة أغنية فى الزواج الفاشل ، وهى أغنية تمثل امرأة قتلت زوجها لأنه خانها ، وفى دار البوليس تستمتع إلى أجراس عرسها القديم الذى كان ، وتختيل حياة السعادة الأولى . ثم إلى الريبة التى جاءت من بعد ذلك . ثم الشقاء آخر الأمر» ولنا أن نسأل ما هو الغرض من الحديث عن هذه الأغنية ؟ وإلى أى مدى يتلون إبحاؤها فى قصة صاحبتنا .

بل ما بال الأغنية الثانية التى سمتها «رجل يتبعنى فى الطريق» ، وهى أغنية تغنيها عاهر تصف فيها من تلقى من رجال . وكيف يضيق صدرها بهم ، وما يصيبها منهم من ميعة نفس يكاد يتبعها قىء . قد لا يستطيع القارئ الصادق مع نفسه إزاء وصف هاتين الأغنيتين ، إلا أن يقول لقلمه أن يتصرف فى «البنائية» المحكمة للقصة بحيث يخرج منها ما لا تقتضيه دواعيها .

هذا إذا كان عليه أن يمضى فى البناء القصصى المسلك التقليدى ، ولكنه لم يمض فى هذا البناء إلى غايته ، بل منذ البداية ، وانظر على سبيل المثال إلى هذا التناقض الزمنى فيما يتعلق بالمدة التى قضتها تغنى فى ملهاها الأول هل هى مدة سنوات أم ستة شهور كما عبر أحمد زكى فى موضعين مختلفين من قصته ؟؟

قد يمكننا القول كذلك بأنه ليس فى القصة عقدة ، وإنما اعتمد أديبنا فى التشويق مذهبا من مذاهب التدوير ، لا يبدأ بالخاتمة ، وإنما يبدأ يحدث من أحداث القصة فى وسط حياة الفتاة يوم وقفت فى الشارع فرآها رائد الملهى فأعجبه صوته فأخذها إلى حيث أبرز من فيها ما نال الإعجاب .

على أن قصة أحمد زكى مع كل هذه الملاحظات تنال من الإعجاب الإنسانى الحد الذى قد لا تبلغه عند النقاد المتزمتين .



ها نحن قد رأينا كيف عرض لنا هذا الفصل أربعًا من هاتيك القصص ، أولها قصة «خطاب يا ليتته وصل» ، إذ لو وصل ذلك الخطاب لأنقذ البطلة من أقسى النهايات الدرامية وهي الموت . والقصة الثانية تحمل أيضا كلمة التمني ليت في عنوانها «يا ليتته درى» ولو درى البطل حقيقة ما فعله حين انتحر ما أقبل على الانتحار الذى ظن فيه مكسبا لعائلته التى أحبها وأراد أن يبرهن على حبه لها بانتحاره .

أما القصة الثالثة فقصة زوجة لا تدرى هل تزوجت عن حب أم لا ، ولكنها تدرى أنها أحبت من تزوجت وعملت بالحب على إسعاد مَنْ أنجبت على الرغم من ذهاب كل المقومات التى تستبقى هذا الحب أو بعضه ، ولا يزال بها الأمر على هذا حتى يذهب هذا الحب بحياتها على يد زوجها فتأبى وهى تلفظ أنفاسها أن يؤخذ بجريرة ما فعله بها وتقول : «إنه قضاء الله» ، وهذا هو عنوان القصة .

أما القصة الرابعة فقصة فتاة «غنت فى أسماها» فلم يغنها الغناء ولا أغناها ، ولكنه ذهب بها من فاقة إلى فاقة ، ومن أسمال إلى أسمال ، حتى ذهبت إلى الآخرة قبل أن تغنى كما ينبغى لموهبتها ، وقد مضت وهى لا تزال فى الأسمال !!

الفصل العاشر

عنصر المصادفة في البناء الفني للقصة

لابد أن نقدم بالقول بأنه ليس مما يعيب أحمد زكي ولا أمثاله من رواد مرحلة النهضة في الأدب القومي أن تكون المصادفات من الصيغ الغالبة على أعمالهم القصصية التي يبدؤون بها القصة في الأدب العربي أو في غيره من الآداب التي دخلت إليها القصة بعد نهضتها في آداب أخرى.

إنما ينبغي على الناقد أن يمحس الدرجة التي تلعب فيها الصدفة الدور في حل العقدة أو سلسلة الأحداث أو النمو الزمني، ومدى إسهام ذلك كله في صياغة الفن ثم الإدراك الفني السليم لمقومات العمل الفني.

ومثل هذا التمحيص لا يتأتى لدارس الأدب أن يصل به إلى قارئه إلا بعد عرض القصة على النحو الذي لا يذهب بجهاها من أجل إبراز قدرة صاحبها، بل إن هذه القدرة لن تتجلى بمعزل عن الجمال الفني الذي هو أروع صور العمل الفني.

ولهذا السبب فسوف نستعرض في هذا الفصل أربع قصص لأحمد زكى لعبت المصادفة فيها دورا كبيرا حتى غلب على القصة طابعها، أولها قصة «وفاء متبادل» يريد كل طرف أن يتم السعادة للآخر فإذا نتيجة فعله النبيل تصيب الهدف المعاكس تماما ومن العجيب أن هذا يتكرر في نفس اللحظة بين طرفي الحب: الزوج والزوجة على نحو ما سنقرأ في قصة «تنافس الأحباب»، أما قصة «خشيت الأولى» فقصة طيب تزوج أول فتاة عالجها من الانتحار وكانت المصادفة في هذا العنصر فحسب، وأما قصة «تسعة تصيب وعاشرة تخيب» فقصة طيب آخر يصيبه القدر في العملية العاشرة بما يضيع النجاح الذي أحرزه في التسعة السابقة، وأما الرابعة فقصة «هدية يأبى المهدي إليه الاحتفاظ بها»، وتدور تهدي من صديق إلى صديق حتى تباع في السوق فيشتريها المهدي الأول ليهديها مرة ثانية من دون أن يدري إلى الطبيب وهو فرح أن أحضر ما يكمل الهدية زوجا من التماثيل، وهذه هي قصة «قطعة من الفن رائعة».



أما «تنافس الأحباب» فقصة زوجين حبيين، وتقع أحداثها كلها في ليلة العيد، قامت الزوجة إلى صندوق صغير ادخرت فيه ما استطاعت من نفقة الطعام على مدار العام، وأخذت تعد ما ادخرته لهذا اليوم الذي كانت تحلم به رمزا للمحبة، وعنوانا للإعجاب، فلم تجد إلا مائة وعشرين قرشا كلها قروش وأنصاف قروش. وداخلها هم، وصعد الدمع إلى عينيها، وقامت إلى المرأة تنظر إلى وجهها فيه، لقد تغير وجهها، وإنما كانت تتنوى بيع شعرها الجميل هذا، وحلت شعرها، ومشطته، فانسدل على كتفيها انسدا، واستطال، ورشته، فلم، ثم جمعت وقصعته، ووضعته حيث كان أول الأمر، ونزلت مسرعة بعد تردد، ووقفت عند دكان كتب عليه «مدام سمسون» عندها كل ما يصنع من شعر واستجمعت قواها، ودخلت فعرضت على مدام سمسون شعرها، وفحصته السيدة الخيرة بالشعر، وقالت: خمسة جنيهات، فقالت الفتاة: أعطينيها وأسرع، وأخذت صاحبتنا الجنيهات الخمسة، ومضت تبحث في واجهات المحلات عن الهدية المناسبة التي تقدمها لزوجها في العيد السعيد.

وما زالت في حيرة بين هذا وذاك حتى استقر رأيها على أن تشتري له سوارا جميلا لساعة يد، فقد كانت ساعة يد جميلة، قيمة حقا، ورثها عن أبيه، ولكن حزامها وكان من جلد أسود بلى، وكاد ينقطع، ويضطر زوجها أحيانا إلى النظر في ساعته وهو مع الناس، فيختلس إليها النظر اختلاسا «فسوار من بلاتين، ولو قشرة، لابد واقع من نفسه أحسن موقع، وعندها سوف يستطيع الزوج أن يبرز ساعته للملأ في غير استحياء... جمال في الساعة العتيقة، وجمال في سوارها».

وعادت الزوجة، إلى البيت، وأحمت مكواة شعرها، ثم دارت على ما بقى من شعرها القليل تكويه خصلة قصيرة من بعد خصلة، وأخذت تنتظر زوجها، ودخل فإذا عيناه تعلقان برأس صاحبه، وتعلقتا به طويلا، وانتفضت الزوجة المسكينة من مكانها تريد أن تقرأ في وجهه ما خط فيه، فلم تقرأ شيئا واضحا، لم يكن ما قرأته فيه غضبا، ولا دهشة، ولا فزعا، ولا حتى عدم رضا، لم تقرأ في وجهه شيئا مما كانت تتوقعه قط فصاحت به: عزيزى، لا تنظر إلى هكذا، لم تكن لى مندوحة من قص شعرى، ولقد قصصته وبعته لأشترى لك هدية فقل لى: كل عام وأنت بخير، وابتسم لى، ولنفرح معا. . قال الزوج وهو فى ريبة مما سمع: أنت قصصت شعرك، قالت الزوجة وهى فى ضيق: نعم قصصته أفكنت تحبنى من أجل شعرى وحده. . والزوج يقول وكأنه فى غيبوبة: وبعته من بعد ذلك، قالت الزوجة: نعم بعته من أجلك، وإنى أحبك بعدد شعراته فقل لى: إنى فعلت خيرا، ولكن الشاب يخرج من ذهوله ويضم إليه زوجته، ثم يخرج من جيبه شيئا ملفوفا يدفعه إليها وهو يقول: لا يا حبيبتي ليس شيء من شعر أو غير شعر، يستطيع أن يؤثر فى حبي لك مثقال ذرة، ولكن دونك هذه الربطة، وعندئذ تعلمين لأى شيء أذهلنى حديث الشعر أول وهلة. . وفكت الزوجة الربطة فى سرعة فما رأتها حتى اندفعت فى البكاء، كانت صندوقا فيه تلك المجموعة من الأمشاط التى صنعت من سن الفيل النادر، وعلى جوانبها بريق الجواهر، تلك المجموعة التى طالما رأتها فى نوافذ المخازن واشتاقتها وتمنتها. . وضمت الأمشاط إلى صدرها، ونظرت إلى زوجها من خلال الدموع، وقالت: «إن شعرى يا عزيزى ينمو بسرعة. . فلا يهلك».

وتذكرت هديتها إليه، وبسطت سوار الساعة على كفها، ومدت يدها إليه تقول: هذا لساعتك الجميلة يا عزيزى. . هات ساعتك هات لأرى كيف تكون على رسغك بهذا السوار، قال الزوج الشاب وهو يقهقه استغراقا، وقد وضع يده اليسرى، حيث اعتاد أن يحمل ساعته، وراء ظهره: دعينا من الهدايا وذكرها الآن يا عزيزتى. أو فاعلمى الآن ما أنت لأبد عالته، إنى بعث الساعة لأشترى لك هذه الأمشاط!!



لأبد أن نشير هنا إلى أن البطل والبطلة - وهما كل شخصيات القصة اللهم إلا إذا أضفنا مدام سمسون - مثالان رائعان فى التضحية، ولكن يبدو أن أحمد زكى وهو نصير المرأة يأبى إلا أن يجعل تضحية المرأة أعظم، فهى تضحى بجزء منها، بشعرها، أحد أسباب أنوثتها، وجمالها، ولا محل للقول بأنها ضحت بها إلى عودته سبيل حين ينمو فى حين ضحى الزوج بساعته إلى الأبد، ذلك أن العواطف فى رأى لاتقاس إلا بالعواطف، ولا تقاس بالماديات.

وفي الغالب أن القارئ أحس بأننا في عرضنا قد اختصرنا الجزء الأكبر من النصف الأول من القصة، في حين اختصرنا من نصفها الثاني جزءه الأقل، وإنما أردنا بذلك تأجيل هذا الجزء الأول إلى حيث نسبقه هنا بالإشارة إلى أن أحمد زكي لم يترك القصة تتحدث عواطف مطلقة تتحكم في أصحابها فحسب، وإنما كان حريصا على أن يبرز الدوافع، والدوافع المناقضة، انظر إليه في تصويره للزوجة وقد عادت بالسوار إلى البيت، وقد صارت بلا شعر وهو يصف هذه اللحظة فيقول:

«وعادت الزوجة إلى البيت، وما كادت تدخله حتى أحست بأن الوعي الذي كان فارقه بعضه، وهى خارج المنزل قد بدأ يعود، وعادت الرزانة تحل محل الخفة، والنظر في العواقب أخذ يشتد، لهذا قامت توا إلى مكواة شعرها، فأحمتها، ثم دارت على ما بقي من شعرها القليل تكويه خصلة قصيرة من بعد خصلة، ولما فرغت تراءى رأسها كراس الفتى تموج شعره، وظهر الخبث في عينه».

«ونظرت إلى نفسها في المرآة فهالها ما رأت، وهالها ما يكون من أمر زوجها إذا هو رآها، ولكن ماذا كانت تصنع غير ذلك، والصندوق ليس به إلا عشرون ومائة قرش، والعيد ليس بينها وبينه غير يوم».

ولنتأمل أخيرا في هذه اللوحة الصغيرة التي تعبر عن لحظة ترقب الحبيب للحبيب:

«ودقت الساعة السابعة مساء، موعد حضور زوجها من عمله، والشاي كان جاهزا ماؤه فوق النار، جزلتا اللحم كانتا حاضرتين تنتظران النضج والتحمير، وبغته تسمع وقع قدميه على درجات السلم السفلى، رويدا يقترب وقع الأقدام، واصفر وجهها بعض اصفرار، ولكنها عادت فامتلكت قواها، وانفتح الباب ودخل الزوج... يا للمسكين، ويا لمظهره! لم يكن تعدى بعد الثانية والعشرين من عمره، ولكن ظهر عليه أنه يحمل هم الدنيا! «إنه تنافس الأحباب».



أما القصة الثانية من أدب المصادفة «مصادفة سعيدة» فقد كتبها أحمد زكي من ثلث قرن أو يزيد، ولو كتبها اليوم لقلنا إنها للسنيما المصرية، فهي مع شيء من التطويل البسيط تصلح فيلما جميلا.

هذا طبيب شاب يسأله أحمد زكي عن الخشية في الطب ويتطرق الحديث إلى خشية ذلك الطبيب الأولى، فيروى له الطبيب أنه كان طبيبا مبتدئا يتدرب على العمل في المستشفى ودق

التليفون في الرابعة صباحاً ، فإذا سائق النقالة يطلب إليه أن ينزل على عجل إلى حجرة الحوادث . ولم يشأ صاحبنا أن يوقف زميله الطبيب الآخر ، وأحس بالثقة في نفسه ، وأخذت السيارة تنهب الشوارع نهبا حتى إذا كانوا في الطريق خلا الطبيب إلى نفسه ، بعد الذكريات التي مرت بخاطره سأل سائق الإسعاف عن الحادث الذي هما ذاهبان إليه ، فأخبره بأنها فتاة انتحرت بإطلاق غاز الاستصباح في حجرتها ، وعقب السائق بأنه على ما يظن حب خاب ، ونزل من السيارة فحادثته الأعين ، وإذا بصوت رجل من رجال البوليس يقول : اتبعنى يا دكتور.

وبلغ الطبيب الحجرة فأمر بفتح النوافذ ، وصاح بمن فيها أن يخرجوا ، واختبر النبض فوجده سريعا مضطربا ، وتمتم بالذى رأى ، وأخرج من حقيته حقنة كورامين ، وحقنها في الوريد ، فتحسن نفسها ، وهبط نبضها إلى مائة ، وأمر الشرطى بأن ينزل فيأتى بأسطوانة الأكسجين . وجاء الأكسجين وأنشقه إياه حتى أفاق ، وفتحت عينيه ونظر لها فكأنها نظر لأول مرة فرأى فتاة جميلة في العشرين من عمرها ، وشعر كالذهب ، وشفة كالعناب ، وعين فاتنة ، فقال لها أهلا . وغمز لها بجانب عينيه مداعبا ، ثم طلب إلى رجال الشرطة إعطاءها أكسجينا لمدة نصف ساعة تنقل بعدها للمستشفى لتبقى زمنا تحت الرعاية ، وعاد صاحبنا إلى المستشفى ، وقد نسى إلى الأبد ما كان من أمر القلق والخوف الذى ساوره في طريقه إلى الحالة .

ولكن ماذا كان أمر الفتاة؟ هكذا سأل أحمد زكى قال الطبيب : كان من أمرها أنى تزوجتها . إنها أم ولدى !!

هل أدرك القارئ الآن لماذا كنا نحرص على الاختصار في سرد وصف الإجراءات الطبية ، ولكننا مع ذلك لم نصرح له بنتيجة الصدفة .

ونستطيع أن نجزم مع القارئ بأن المصادفة في هذه القصة ليست لها علاقة بالفن القصصى من قريب أو من بعيد ، كل ما في الأمر أنها شيء طريف في قصة طريفة ، وهكذا الجانب الوحيد المضىء الباقي في السينما المصرية اليوم !

ولهذا فإننا على الرغم من وضع هذه القصة في أدب المصادفات إلا أننا سنتناول فيها جوانب أخرى أجدر بالتناول من حيث بذل فيها أحمد زكى من قلمه وفكره في تصوير المشاعر ما يستحق استلفات النظر إليها للتعلم منها .

انظر معى إلى اللوحة التى يصور فيها أحمد زكى نفسية الطبيب حين كانت السيارة التى تقله في الطريق لإسعاف المريضة ، وهى لوحة تعبر لنا عن قدرة أحمد زكى على إدراك الأحاسيس النفسية الدقيقة ، وهى من أوليات قدرات التصوير الفنى في الأدب على ما أظن . يقول أحمد زكى :

«وأخذت السيارة تنهب الشوارع نهبا إلى حيث يُنتظر منى الإسعاف، فأحسست بأنى بعد بضعة سنوات قضيتها في التلمذة قد صرت في تلك الساعة طبيبا كاملا، فأنا وحدى ولا طبيب معى، يشرف على ويساعد وينفذ، ويصحح الأخطاء، فالصواب الآن صوابى والخطأ خطئى».

«كانوا في مدرسة الطب يراقبوننا مراقبة الأم أطفالها، حتى لا نجرى سريعا فنقع كما تقع الأطفال، فكان إحساسنا واحدا لا يختلف، إذا ربطنا إصبعنا جريحا أو فككنا خيطا، فمن فوق أكتافنا كان يطل علينا دائما طبيب به سن وله حكمة، يقول: نعم هكذا. أو لا: ليس هكذا».

«إن الذى يعتمد دائما على عكازه، يقلقه أكبر القلق أن يمد إليها يده ذات يوم فلا يجدها».

«وقد أقلقنى خروجى إلى هذا الحدث الأول، وخروجى بلا زميل، أكبر القلق ولكن ما أسرع ما لبث الثقة الهاربة عندما ناديتها من أعماق نفسى، وألهانى عما كان يعاودنى من خوف كسرنا كل قوانين المرور المعروفة في الطرقات، فالسيارة قد أطلقنا لسرعتها العنان، والضوء الأحمر الذى يسد الطريق لم نعبأ به، وذلك على مرأى السيارات جميعا، وكانت كثيرة في ذاك الصباح على غير عادة، وهى تتخلى فجأة كلما بلغناها لتخلى لنا السبيل».

وفي موضع آخر يصف أحمد زكى حالته بعد أن عرف طبيعة الحال:

«وعندئذ قلت لنفسى: لا حاجة إلى الهلع، وسألتها أن تهدأ، فليس هذا الصباح آخر صباح في الدنيا، وأخذت على برود مصطنع أستذكر تركيب هذا الغاز وأثره في التنفس، وفي الدورة الدموية، وكل هذا جاءنى على عجل وأخذت أنظر بعد ذلك في طريقة العلاج. في الطريقة المثلى».



ومن أدب المصادفات أيضا قصة «تسعة تصيب، وعاشرة تخيب»، وهى قصة طبيب قضى سنوات دراسته في الكلية محمودا مقدرا ثم تخرج، ونال زمالة كلية الجراحين بلندن، ثم شاء القدر أن يعمل في عاصمة من عواصم الريف، وعلى الرغم من أنه ساعد طيلة تلمذته في جراحات كبيرة، إلا أنه لم يقم في الريف بجراحة ذات بال (تستأهل أن يباشرها زميل من كلية الجراحين بلندن) فكان من ذلك أن نسى الجراحة على توالى السنين.

وأحب، وتزوج، وأحبته زوجته، وكان أكبر إعجابها به، فهو مخلص وجميل وعالم، وعاشا سعيدين، ولا حرج في ألا نطيل الآن في وصف سعادتهما كما وصفها أحمد زكى، إنها يهمننا الحادث

الذى تتطور عنده القصة ، والمسألة بسيطة ، جاءت الزائدة الدودية - بسيطة ، لابد من جراحة ، ويختار الزوج الجراح ، ولكنها تأبى إلا أن يقوم هو بالجراحة «زوجها العبقري هو وحده القمين بها ، وهى لن تثق بأحد سواه ، ثم ما فائدة المهارة والعلم والفن إذا لم يبذلها الرجل لزوجته أول باذل» .

ويصور لنا أحمد زكى فى عبارات بليغة العوامل التى تنازعت نفس الجراح حتى جعلته يقتنع بأن يقوم هو بالعملية فيقول :

«وعقد إطراؤها إياه لسانه فلم يقل لها إن مجرد فكرة إجرائه العملية تصيب رأسه بدوار ، وقلبه بخوار ، ومعدته بالغثيان ، وذهب تملقها إياه بالبقية الباقية فيه من بصيرة ، فاعتزم أن يقوم بها ، وزاد فى دفعه ما قد يثيره إجراؤها فى البلدة من أثر محمود ، فلا شك أن الناس سيقولون هذا هو جراح ماهر وثق كل الثقة بنفسه ، فلم يتردد فى إجرائها حتى على زوجته ، وعداً هذا ، فمساعدته فى إجرائها سيكون زميله طبيب البلدة ، ولا شك أنه سيزداد به إعجابا عندما يراه يقلب أحدث ما عرف الطب من أداة للجراحة فى خفة ولباقة إصبع ، ثم ثقة زوجته به لابد أن يحتفظ بها ، وإيمانها بمهارته لابد أن يحققه ، ونسى أن هذه أول عملية «كبرى» جاءت فى حياته الريفية» .

من أين جاءت خيبة العاشرة إذن ، وليس فى عملية الزائدة هذا الخطر الكبير .

«ولكن ما بلغ من الجرح غوره حتى ظهر له ما لم يكن فى الحسبان ، ظهرت له أنسجة ملتحمة مختلطة لا يبين بعضها من بعض ، ولم يكن قرأ عن شىء كهذا أبدا ، إنها الحالة العاشرة ، الحالة المعقدة هى التى تراءت له الساعة على غير انتظار فأخذه القلق ، ثم أخذه الخوف» .

وهكذا كانت المصادفة السيئة التى ذهبت بروح الزوجة الحبيبة على يد زوجها زميل كلية الجراحين الملكية بلندن فى مأساة ميلودرامية .

وقد يكون هذا مبررا لأن نذهب بهذه القصة إلى موضع آخر يتناول الدراما فى أدب أحمد زكى ، ولكنى أعتقد أن العبرة فى الدراما أوفى غير الدراما و فى الفانتازيا وغير الفانتازيا حين نصف القصص بالتوظيف .



كانت القصة الأولى من أدب المصادفات مصادفة مؤلمة ، وكانت الثانية سعيدة ، وكانت الثالثة ميلودرامية ، والرابعة إذن على هذا الترتيب التبادلى فيها فرح ومرح ، ولكن أى فرح وأى مرح .

فهذا صبي قد ذهب إلى الطبيب بقطعة رائعة من الفن ، هدية من والدته إلى الطبيب صاحب الفضل فى إنقاذ حياته ، والصبي ووالدته فقيران ، ولم يكن أمامها من سبيل لرد جميل الطبيب إلا هذه القطعة من البرونز التى خلفها أبو الصبي :

«كان شمعدانا، حمل الشمع فيه فتاتان، سترتا جسميهما بمثل ما سترت أمنا حواء، كانتا غاريتين عرى الوليد، وابتسمتا للناس ابتسامة الخبث، (استمتع معي هنا بالوصف لتوفّر على الوقت في إعادة استلفات النظر إليه عند التعليق)، والحمد لله أن كان من واجبهما حمل الشمعة فاستقامتا، إذ لولا ذلك لانتنتا، فحجل الواصف عند الوصف فلم يصف».

وهنا كانت العقدة فقد استحي الطبيب أن يحتفظ بمثل هذا (الشيء) في عيادته، لأنه ليس بالشيء الذي تسيغه التقاليد وتبش له الآداب «لأن الشيطان نفسه ما كان يستطيع أن يبدع شيئا ألعن من هذا».

وارتاع الصبي من رأى هذا الطبيب في الفن، وأخذ يقنعه فيصف ما في التمثال من فن، ولكن الطبيب لا يجيبه إلا بقوله: «أعلم هذا يا بني، ولكنني رجل متزوج، ولي أطفال يروحون في البيت ويحيثون، ومرضى بينهم نساء كثيرات»، ولا يزال الفتى يلح على الطبيب في الإقناع، ويتأسف له من أنه لم يحضر له لهذا الشمعدان أخا، لأن العادة أن تهدي الشمعدانات اثنين، وما زال الصبي على هذه الحال من الإقناع، حتى أيقن الطبيب أن مثل هذا الصبي لا ينفع معه الجدل، فأخذ التمثال منه، وشكره على هديته، وطلب إليه أن يبلغ والدته هي الأخرى شكره.

هل انتهت القصة هنا، لا ولكنها بدأت وهذا ما يجعل منها قصة جيدة الحبكة إلى الحد الذي يبلغ بحبكة القصة حد الجودة على الرغم من أنها كما نراها تعتمد على عنصر المصادفة اعتمادا كبيرا.

وأخذ الدكتور يتأمل التمثال وهو يحك رأسه ويقول لنفسه: «أما الجمال فلا شك فيه، حرام أن أرمي به أو أن أدقه فأفنيه، ولكنني كذلك لا يمكنني أن أبقيه».

وأخيرا خطر له أن يهديه إلى محاميه، وكان صديقا له، وهو إلى ذلك مدين له بخدمات قدمها له على سبيل الصداقة، وكان هذا المحامي أعزب، مفراحا عرف الدنيا، لما وصل إليه بالتمثال ليهديه له، أخذ المحامي بروعة التمثال، وأخذ يصف جماله. . ولكنه ما أتم قوله حتى اعتذر عن عدم قبوله وطلب إلى صديقه الطبيب أن يأخذه معه، فدهش الطبيب من تصرف صاحبه وسأله عن سر ذلك فقال المحامي «لأن أُمّي تزورني هنا، وعندى زبائني، إذا اكتشفوا مثل هذا عندى يحتقروني، وأنهن. .». وهنا سارع الطبيب بخرج محاميه حتى يقبل الهدية.

وما خرج الطبيب حتى أخذ المحامي يتفحص التمثال عن قرب ويقول: تمثال جميل حقا. . وحرام أن أرمي به، ومحال أن أحتفظ به، ولكن لا. . فلا تخلص منه بإهدائه إلى الممثل الكوميدي فلان صديقي. إن هذا المهذار هو أولى الناس بالاحتفاظ بمثل هذا التمثال.

وما عثم المساء حتى كان المحامى قد بلغ دار التمثيل ، وذهب إلى حجرة الممثل فى الدار ، وأهداه إياه ، وأخذت الحجرة طوال المساء ترن بالذى ينطلق فيها من ضحك الرجال ، فما دخل رجل ورأى التمثال حتى انضم إلى زمرة الضاحكين . وتأتى الممثلة بعد الممثلة إلى باب الحجرة فتدقه ، فيصيح بها الممثل الفكه : لا لا . لا تدخل بالله عليك ، فإنى عار لم ألبس بعد ثيابى .

وما انصرف الرجال حتى أخذ الممثل ينظر إلى التمثال ويتساءل ، ماذا يصنع به ؟ وتأتى الإجابة هنا مختلفة عن النتيجة التى توصل إليها صاحباها من قبل ، (وإلا كانت صدفا مكررة ، ونمطية مملّة) . وقال : صاحب الماكياج : تبيعه ، والإجابة هنا جاءت على لسان البيكادير وكأنها اختاره أحمد زكى من بين رجال المسرح بالذات ليضع على لسانه الإجابة التى هى أنسب ما تأتى إذا أتت من الرجل الذى لا يفتأ يغير .

أخذ الممثل نصيحة صاحبه ، وباع التمثال . فماذا حدث بعد ذلك ؟ هل انتهت القصة بخروج التحفة من أيديهم إلى سوق الفن ، لا لأن النهاية عندئذ لا تكون رائعة بروعة نهايات أحمد زكى .

وإنما جاءت النهاية على النحو التالى :

« فى صبيحة اليوم التالى كان الطبيب فى حجرة الدواء يمزج شيئا منه ، وإذا بالباب يفتح فى عنف ، وإذا بالصبي فزع مهتاج لا يكاد يأخذ أنفاسه وفى يده شىء ملفف فى ورق قال :

« يا دكتور . أتدرى ماذا صنعت ! افرح ! افرح معى ومع أمى ، فقد وجدنا للتمثال أخا هو هذا . . وأخذ يسرد ما قاله من قبل فى فضل الدكتور عليه وهو وحيد أمه . وذهب بالتمثال فوضعه على المنضدة ، وفتح الطبيب عينيه وسعها ، وفتح فاه ، كأنه أراد أن يقول شيئا ، ولكنه لم ينطق بكلمة » .

الفصل الحادى عشر

الظاهرة الطبية فى أدب أحمد زكى

فى أدب الدكتور زكى وقصصه بعض الظواهر التى تنتظمها ظاهرة أكبر يمكن لنا أن نسميها بالظاهرة الطبية . أما تلك الظواهر الجزئية فثلاث :

أولها : هى الصور واللوحات الطبية التى يتضمنها أدب أحمد زكى على نحو رائع سواء فى المقالات أو القصص ، ، وسواء فى التشبيهات أو التجريدات ، وقد أشرنا إلى كثير من هذه الصور واللوحات فى موضعها .

وثانية هذه الظواهر الجزئية : اهتمامه بأمر الأطباء وضرورة العناية بتعليمهم وتدريبهم ، وتصويره لأحوالهم فى البلدان المختلفة التى زارها ، وروايته للقصص على ألسنتهم ، وتكراره الأخذ من مجالهم .

وثالثة هذه الظواهر : تلك الآثار الأدبية من قصص ومقالات تتعلق بالطب وترتبط به ، وبالأطباء على النحو الذى سنسرده للقارئ بعد قليل .

وقبل أن نحقق في إجابة السؤال التقليدي هل كان يتمنى أن يكون طبيباً أم لا؟ يجدر بنا أن نشير إلى الجانب المضيء في شخصية العالم العظيم الذي كان يحترم الطب ويؤمن بفوائده، بل يحرص على أن يتناول الحديث من كشوفه واختراعاته بقلمه وهو في مجلة الهلال لعهد قصير، ثم في مجلة العربي لزمان ممتد حتى اعتلت صحته عن القيام بهذا الواجب على النحو الرائع الذي داوم عليه.

أكثر من هذا فقد كان أحمد زكي يتولى صياغة الإجابة عن أسئلة القراء واستشاراتهم في كل فروع الطب والعلاج والأمراض.

ولنتأمل معاً مدى تعاطف مفكرنا مع الطب كما يظهر في عبارة له في قصة «لابد لها من أنف جديد» حين يروى فيقول:

«وحذرنا الطبيب من أن الأنف المطلوب لا يخرج دائماً كما يود صاحبه، ويود الجراح، ولكنه طمأننا مع هذا بأنه عدل المئات من الأنوف ولم يقل من يده غير أنف واحد، ذلك لأن تركيب عظامه كان بعد القطع غير ما قدر»، وهنا يأبى عطف أحمد زكي على الطب وتقدمه إلا أن يقلب الآية فيستطرد قائلاً على لسان الجراح «ومع هذا فهذا الأنف الواحد خرج، لا على الصورة التي اعتزمها، ولكن على صورة خير مما كنت اعتزم».

وأظن الآن أنه لا محل هنا لأن نبحت في إجابة السؤال الذي أجلبنا الإجابة عنه إلى حين اكتشفنا قبل أن ينتهي حينه أن الرجل كان نبيلاً إلى أبعد الحدود في مواقفه من الطب بل ومن الأطباء.

ويعبر أحمد زكي عن أن الطبيب كثير الاتصال بالناس، بل هو أمسهم بحياتهم وهو في مقدمة قصة «خطاب ياليتيه وصل» يقول:

«خطرلى أن أسائل نفسى : أى الرجال أكثر مساسا بالناس ، وأيهم أدور فى عمل يومه على وجوه الخلق وذكرى المعلم ، وذكرى المحامى ، وصاحب القضاء ، وذكرى المهندس ، ورب الأعمال فى بؤرة المدينة ، وهى تعج بالحياة ، فلم أجد من بين هؤلاء جميعا رجلا كالطبيب الناجح تمر بين يديه طائفة من أرباب الحاجات والعاهات وتستعمل عند سمعه وبصره ، وتأخذ من حديثه ويأخذ من حديثها ما يكفى لإثبات صورهم فى صحيفة ذكراه» .



وإذن فهل لنا أن نسرده الآن للقارئ بعض ملامح الظاهرة الثالثة من الظواهر الطبية فى أدب أحمد زكى متخذين من مجموعة «بين المسموع والمقروء» عينة محددة لهذه الدراسة :

□ قصة «دينار» يرويها طبيب شيخ .

□ وقصة «قطعة من الفن رائعة» تحدث لطبيب ، وقطعة الفن هدية تتعقبه .

□ وقصة «خشيت الأولى» ت وبطلها طبيب شاب سأل أحمد زكى : «ومع هذا الاعتداد بالنفس ، ألا تأتلك الخشية أبدا» ، فقال : «إن الطبيب الذى لا يخشى أبدا ، ولا يخاف أبدا ، ولا تأتية الريبة أحيانا فيما يصنع ، فالحذر فيما يصنع ، ليس من الطب فى شيء» . . فقال أحمد زكى : «حدثنى عن بعض ما جاءتك الخشية فيه ، فمضى الطبيب يحكى له القصة التى سنعرضها فى فصل تال» .

□ وقصة «شماع فى ظلام» ترينا كيف يكون علاج المعوقين على نحو إنسانى رائع . . وصحيح أن المعالجة لم تكن طبية ، ولكن الجانب الإنسانى فى العلاج يكاد يقترب بالقصة من ظاهرتنا .

□ وقصته «خطاب يا ليت» وصل «يروىها طبيب عن حادثة وقعت تحت سمعه وبصره ، ولفظة أجرى لها عملية وأشرف على علاجها .

□ «القصاصه العمياء» لعمها قصة، فقد كانت لها عين واحدة تبصر بها، فكانت حريصة عليها، ثم احمرت فذهبت إلى الطبيب وكان ضعيف البصر، فحدد في عينيها، ثم أخذ يتحسس بيده على الرف يطلب زجاجة دواء، وهو يقول لها: لابد أن تحرصي كل الحرص على هذه العين، وأنت مهما صنعت فلن تبلغني بالحرص عليها الغاية، وفتح الزجاجة، وأخذ منها بالقطارة بعض ما فيها، وأمال رأسها إلى الخلف وفتح العين وقطر فيها، فكانها صب فيها

جمرات . . لقد نحس يطلب الزجاجة التي عليها مس «أرجيرول» فوقع على الزجاجة التي عليها اسم «ارجنت»، وكان الأخير محلولا مركزا من أزونات الفضة حارقا. حرق عينيها فتحرقت به، وظلت تتحرق به عشرة أعوام انتهت بانطفاء نورها، وزال ألم العين بزوال نورها.

□ وقصة «تضحك والأحزان ملء جلدتها»، تدور بعض فصولها عن الطبيب اللذين يتولون الكشف على بطة القصة، فأولها يعالجها في المرة الأولى من السرطان، ثم هو في المرة الثانية يخفي عنها النبا لأنه عرف أنها على وشك الموت مما بها منه، فلم يرد أن يسود أيامها الباقية وأيام زوجها معها . . أما الجراح الثاني الذي تذهب إليه بعد أن شكت فيها طمأنها عليه الأول، فإنه يفكر ساعة لما وجده بها، ولكنه ينكر، ولا تزال به حتى يخبرها الأمر.

□ وقصة «من الناس وإلى الناس» هي قصة صيدلى في بلد صغير، كان له شأن كبير.

□ وقصة «تسعة تصيب، عشرة تخيب»، هي قصة طبيب شاب ابتلى في زوجه، فتوفيت وهو يجري لها عملية جراحية.

□ وبطلة قصة «لا بد لها من أنف جديد» فتاة عانت من كبر أنفها، ثم درست التمريض، وعملت ممرضة، ثم طلبت يدها، فذهبت وأجرت عملية تجميل لأنفها على يد جراح من جراحى التجميل.

□ وقصة «طمأنينة» تحكى عن نوع من المرضى متعب للأطباء، أولئك الذين لا هم لهم إلا أن يستشيروا أكبر عدد من الأطباء، في سبيل زيادة الاطمئنان على أنهم خالون من الأمراض، وهم في ذلك يرهقون الطبيب ويستغلون وقته، ظانين أن هذا حق مكتسب لهم بأموالهم.

□ أما «نزل الستار» فقصّة مريض أصابه العمى ، ثم عاد إليه البصر بعملية جراحية أصابتها نكسات بعدها ، إنها معجزة من معجزات الجراحة يجب ألا تخيب ، لا من أجل الراحة فحسب ولكن من أجل الطب والأطباء .

□ «إنه قضاء الله» تدور الخاتمة في المستشفى حيث يكتشف الطبيب أن المريضة التي حملوها إليه للإسعاف مفارقة الحياة لأشك ، فينبئ النائب بذلك ليأخذ أقوالها قبل صعود روحها إلى بارئها ، أما ماذا كانت هذه الأقوال فاقرأ عنها في فصل تالٍ .

الباب الرابع

البليوجرافيا

Handwritten text

Handwritten text

١- مقدمة	١- مقدمة
٢- تاريخ الطباعة	٢- تاريخ الطباعة
٣- تاريخ الطباعة	٣- تاريخ الطباعة
٤- تاريخ الطباعة	٤- تاريخ الطباعة
٥- تاريخ الطباعة	٥- تاريخ الطباعة
٦- تاريخ الطباعة	٦- تاريخ الطباعة
٧- تاريخ الطباعة	٧- تاريخ الطباعة
٨- تاريخ الطباعة	٨- تاريخ الطباعة
٩- تاريخ الطباعة	٩- تاريخ الطباعة
١٠- تاريخ الطباعة	١٠- تاريخ الطباعة
١١- تاريخ الطباعة	١١- تاريخ الطباعة
١٢- تاريخ الطباعة	١٢- تاريخ الطباعة
١٣- تاريخ الطباعة	١٣- تاريخ الطباعة
١٤- تاريخ الطباعة	١٤- تاريخ الطباعة
١٥- تاريخ الطباعة	١٥- تاريخ الطباعة
١٦- تاريخ الطباعة	١٦- تاريخ الطباعة
١٧- تاريخ الطباعة	١٧- تاريخ الطباعة
١٨- تاريخ الطباعة	١٨- تاريخ الطباعة
١٩- تاريخ الطباعة	١٩- تاريخ الطباعة
٢٠- تاريخ الطباعة	٢٠- تاريخ الطباعة

الفصل الأول

أعمال الدكتور أحمد زكي

أولا : الكتب

١- سلطة علمية

١٩٤٨ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١. ١-٢٠٠٠

١٩٥٠ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢. ٢-٢٠٠٠

يتضمن هذا الكتاب عددا من الفصول في الثقافة العلمية، ألقاها أحمد زكي كأحاديث إذاعية في الإذاعة، وهذه هي فصول الكتاب :

- ١ - سلطة
- ٢ - عندما يسدل الليل على الغاب ستاره
- ٣ - لعاب الشمس
- ٤ - العقول كالبحار لها أعماق
- ٥ - القمح الذى عاش أربعين قرنا
- ٦ - صراع الحى فى سبيل الحياة
- ٧ - حلاوتى مرارتك
- ٨ - قصة الزجاج
- ٩ - لو خير الناس ، بين الزجاج والألماس
- ١٠ - نقيق الضفادع
- ١١ - عود الكبريت
- ١٢ - شمعة تحترق
- ١٣ - أول الحياة بيضة
- ١٤ - الحضانة فى الطير
- ١٥ - لماذا تبيض الدجاجة ولكن تلد المرأة؟
- ١٦ - عقول مريضة
- ١٧ - خداع الحى فى سبيل الحياة
- ١٨ - طفولة
- ١٩ - الثلج
- ٢٠ - وادى الموت

٢- مع الله فى السماء

١٩٤٨ ، دار الهلال ، ط ١ .

١٩٥٧ ، دار الهلال .

١٩٦٧ ، دار الهلال .

١٩٧٦ ، دار الهلال

يتضمن هذا الكتاب عددا من الفصول فى الثقافة العلمية ، التى تتعلق بعلوم الكون والفضاء والفلك ، وهذه هى فصول الكتاب :

الفصل الأول : ما هذه الحياة ولماذا نحن هنا ؟

الفصل الثانى : عبادة الله بغير علم كعبادة الأصنام .

الفصل الثالث : ما الساء ؟

الفصل الرابع : الأرض كرة تدور .

الفصل الخامس : الشمس وأسرتها : الكواكب السيارة .

الفصل السادس : قوانين الحركة وقوانين الجاذبية .

الفصل السابع : الأرض كرة تدور على نفسها . تفرطح قطباها . ما أسباب هذا؟ وما نتائجه؟

الفصل الثامن : الأرض سعة الكون العظمى .

الفصل التاسع : جوف الأرض من نار بلا نور .

الفصل العاشر : جو الأرض بحر من هواء نعيش في أعماقه .

الفصل الحادى عشر : الكواكب السيارة .

الفصل الثانى عشر : الشمس التى عبدها الناس .

الفصل الثالث عشر : المذنبات والشهب .

الفصل الرابع عشر : نجوم السماء .

الفصل الخامس عشر : دنيانا سكة التبانة .

٣- ساعات السحر :

١٩٥٠ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ .

١٩٦٩ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ .

يتضمن هذا الكتاب عددا من المقالات الصحفية والاجتماعية التى نشرها أحمد زكى فى مجلتى «الإثنين» و «الاحلال» ، وسنسرّد فصول الكتاب حسب ما رتبها الدكتور أحمد زكى ، مشيرين إلى أعداد مجلة الاحلال التى كانت هذه المقالات قد نشرت فيها أما المقالات التى نشرت فى مجلة الإثنين فلم نستطع تحديد أعدادها بدقة .

١- يعجبنى الشباب إذا (الاحلال : ١ / ١٩٤٨) .

٢- قلوب كبيرة (الإثنين)

٣- خواطر عند الحلاق (الإثنين)

٤- للزعامات عورات فاستروها (الإثنين)

- ٥- تعلمت حكمة من حمار وجزرة (الإثنين)
- ٦- لذة الجرام (الإثنين)
- ٧- دنياك لا تحشها أبدا (الهلال : ١٩٤٩/٢)
- ٨- عطشان يا صبايا (الهلال : ١٩٤٨/٣)
- ٩- حدثني الجمال قال : (الهلال : ١٩٤٨/٦)
- ١٠- اللهم نسألك الستر (الإثنين)
- ١١- سلاسل وأغلال (الهلال : ١٩٤٨/١٢)
- ١٢- الكرة التي تحمل فوق عنقك (الهلال : ١٩٤٨/٩)
- ١٣- الكذب في قديم الزمان وحديثه (الهلال : ١٩٤٩/٤)
- ١٤- خذوا الدنيا غلابة واعتصبا
- ١٥- الحمار الحزين (الإثنين)
- ١٦- علمتني الحياة (الإثنين)
- ١٧- حب الأوطان (الهلال : ١٩٤٨/٢)
- ١٨- أصحابي الذين خابوا (الهلال : ١٩٤٧/٣)
- ١٩- قطرة الجارة (نشرت في الإثنين بعنوان آخر : تعلموا من القطط)
- ٢٠- دفاع عن القديم (الهلال : ١٩٤٩/١)
- ٢١- بادلوهم إيماننا بإيمان (الإثنين)
- ٢٢- تحرك الزمن ، فتحركت همومه (الهلال : ١٩٤٧/١٢)
- ٢٣- حشاشون ، بلا حشيش (الإثنين)
- ٢٤- الأكل فن وفلسفة (الإثنين)
- ٢٥- النسبة والتناسب (الإثنين)
- ٢٦- أستاذنا معذور (الإثنين)

٢٧- هربوا من الحياة ، فلاحقتهم (الإثنين)

٢٨- قلمي (الإثنين)

٤- بين المسموع والمقروء : قصص من الحياة الواقعية

١٩٥١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

يتضمن هذا الكتاب عددا من القصص تمثل معظم الإنتاج القصصى للدكتور أحمد زكى ، وهذه هى أسماؤها :

- ١- العطسة التى هزت العالم .
- ٢- يا ليتته درى .
- ٣- بيوت مسكونة .
- ٤- الإسكافى الذى ملأ سمع الدنيا فى ليلة .
- ٥- فى أسماها تغنى .
- ٦- دينار .
- ٧- قطعة من الفن رائعة .
- ٨- ساعات الحرج ، على المسارح .
- ٩- خشيته الأولى .
- ١٠- شعاع فى ظلام .
- ١١- خطاب يا ليتته وصل .
- ١٢- فآل البيت الجديد .
- ١٣- القصاصة العمياء .
- ١٤- محنة كبرى .
- ١٥- بيت من طين .
- ١٦- تضحك والأحزان ملء جلدتها .
- ١٧- ساعة فى قطار .
- ١٨- منعه أن يدخلها دما ولحما ، فدخلها عظاما .
- ١٩- حضرية فى أقصى الريف .
- ٢٠- من الناس وإلى الناس .
- ٢١- تسعة تصيب ، وعشرة تخي .
- ٢٢- لا بد لها من أنف جديد .
- ٢٣- اللجنة التى وعد الصابرون .
- ٢٤- يوم مات أبوها .
- ٢٥- طمأنينة .
- ٢٦- شكرا لك يا جدتى .
- ٢٧- حتى الحيوانات منها المجون .
- ٢٨- نزل الستار ، فحجب النور، ثم ارتفع .
- ٢٩- إنه قضاء الله .
- ٣٠- تنافس الأحزاب .

٥ - مع الناس

مايو ١٩٥٤ ، شركة التوزيع المصرية ، سلسلة كتب للجميع - ٧٩ .
يتضمن هذا الكتاب عددا من الفصول والمقالات الاجتماعية تدور حول العلاقات الاجتماعية .

وهي :

- ١ - أعياد الناس .
- ٢ - الصيام والناس .
- ٣ - راحة البال في الناس .
- ٤ - المجاملة بين الناس .
- ٥ - الكلمة التي تفلت من الناس .
- ٥ - الشائعات وكيف تروج بين الناس .
- ٧ - أحاديث الناس .
- ٨ - أسماء الناس .
- ٩ - أرزاق الناس .
- ١٠ - وجوه الناس .
- ١١ - ملابس الناس .
- ١٢ - صحة الناس .
- ١٣ - العمل والناس .
- ١٤ - الفكر في الناس .
- ١٥ - هموم الناس .
- ١٦ - حسن السمعة بين الناس .
- ١٧ - روح الجماعة في الناس .
- ١٨ - آداب الطريق والناس .
- ١٩ - أوطان الناس .
- ٢٠ - الزعامة في الناس .
- ٢١ - البطولة في الناس .
- ٢٢ - الأعزبون المعذبون في الناس .
- ٢٣ - الناس بين ماضيهم وحاضرهم .

٦ - مع الله في الأرض

١٩٧٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، ط ١ .

يتضمن هذا الكتاب عددا من المقالات العلمية التي نشر أحمد زكي معظمها في مجلة العربي في سلسلة كانت تحمل عنوان «وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه» ، وهي تتناول الحياة على وجه الأرض ، وتطور مخلوقات المملكة الحيوانية على النحو الذي يبين عن التطور والرقى ، وسنشير بين

قوسين إلى تاريخ صدور عدد مجلة العربى الذى نشر فيه الفصل ، أما ترتيب الفصول هنا فهو ترتيبها فى الكتاب المنشور وذلك حسب ترتيب قام به أحمد زكى نفسه قبل وفاته ووجدناه فى تراثه الذى أطلعنى عليه شقيقه اللواء حسن عاكف :

- ١ - أجسام الناس .
- ٢ - الهرمونات (العربى : ١٩٧١ / ٩)
- ٣ - للنبات هرمونات كما للحيوانات هرمونات (العربى : ١٩٧١ / ١١)
- ٤ - الخلائق (العربى : ١٩٧٠ / ٤)
- ٥ - هياكل الحيوانات (العربى : ١٩٧٠ / ٥)
- ٦ - المملكة الحيوانية والمملكة النباتية (العربى : ١٩٧١ / ٣)
- ٧ - التغذية . . والمواد الغذائية . . والهضم والمواد الهضمية (العربى : ١٩٧١ / ٥)
- ٨ - الخماثر (العربى : ١٩٧١ / ٧)
- ٩ - الهضم والتغذية (العربى : ١٩٧١ / ١٢)
- ١٠ - الجهاز العصبى
- ١١ - من هنا تبدأ المسيرة مع الوحدة (العربى : ١٩٧٢ / ١)
- ١٢ - شعبة الإسفنج (العربى : ١٩٧٢ / ٢)
- ١٣ - الحيوانات اللاسعة (العربى : ١٩٧٢ / ٣)
- ١٤ - الديدان المفلطحة (العربى : ١٩٧٢ / ٣)
- ١٥ - الديدان المدورة (العربى : ١٩٧٢ / ٤)
- ١٦ - الديدان المحلقة
- ١٧ - شعبة الحيوانات الرخوة (العربى : ١٩٧٢ / ٦)
- ١٨ - الحيوانات ذوات الأرجل وذوات المفاصل والشعبة المفصليّة (العربى : ١٩٧٢ / ٧)
- ١٩ - الحشرات (العربى : ١٩٧٢ / ٨)

- ٢٠ - العقارب (العربي: ١٠/١٩٧٢)
- ٢١ - وقفة بين شطرين من الحيوانات
غير ذات فقار، وذات فقار (العربي: ١٢/١٩٧٢)
- ٢٢ - الأسماك (العربي: ١/١٩٧٣)
- ٢٣ - الضفدع (العربي: ٢/١٩٧٣)
- ٢٤ - الزواحف (العربي: ٤/١٩٧٣)
- ٢٥ - العظايا أو السحالي (العربي: ١/١٩٧٣)
- ٢٦ - الثعابين (العربي: ٦/١٩٧٣)
- ٢٧ - التماسيح (العربي: ٣/١٩٧٣)
- ٢٨ - الطير (العربي: ٨/١٩٧٣)
- ٢٩ - البيضة أصل الحياة (العربي: ١٠/١٩٧٣)
- ٣٠ - الحيوانات ذوات الثدي (العربي: ١١/١٩٧٣)
- ٣١ - الخلية (العربي: ١٢/١٩٧٣)
- ٣٢ - الوحدة (العربي: ١/١٩٧٤ : تحت عنوان
الوحدة كما تتراءى في هياكل الحيوانات)
- ٣٣ - الطعام (العربي: ٢/١٩٧٤)
- ٣٤ - الديدان (العربي: ٤/١٩٧٤)
- ٣٥ - الهضم وأجهزته (العربي: ٣٠/١٩٧٤)
- ٣٦ - بالوصول إلى الديدان بدأت خطة الهضم
تتضح استطرادا منها إلى الإنسان (العربي: ٥/١٩٧٤)
- ٣٧ - التماثل (العربي: ٦/١٩٧٤)
- ٣٨ - الدورة الدموية في الإنسان (العربي: ١١/١٩٧٤)

٣٩- دم الإنسان «العربي ١١ : ١٩٧٤»

٤٠- الدورة الدموية فى سائر الحيوانات

٤١- التنفس

٤٢- التناسل

٧. فى سبيل موسوعة علمية

١٩٧٧ ، دار الشروق ، القاهرة.

٨. حديث الزمان

مارس ٢٠٠١ ، دار الهلال ، القاهرة.

يعود الفضل فى نشر هذا الكتاب إلى الأستاذ مصطفى نبيل رئيس تحرير الهلال ، وقد قدم له بمقدمة رائعة ، وجمع فيه خمسة وأربعين مقالا من مقالات الدكتور أحمد زكى فى مجلة الهلال ، وهذه قائمة بفصول هذا الكتاب وتواريخ نشرها فى مجلة الهلال على نحو ما أشار كتاب الهلال فى هامش كل فصل.

الباب الأول: بين الشباب والكهولة

- | | |
|----------|-----------------------|
| ١٩٤٨ / ١ | ١- يعجبني الشباب إذا |
| ١٩٤٨ / ٢ | ٢- حب الأوطان |
| ١٩٥٠ / ٢ | ٣- إلى أين المسير؟ |
| ١٩٤٨ / ٥ | ٤- الفقر داء عز دواؤه |
| ١٩٤٨ / ٣ | ٥- عطشان يا صبايا! |
| ١٩٤٩ / ١ | ٦- دفاع عن القديم |
| ١٩٤٩ / ٢ | ٧- دنياك لا تخشها أبد |

- ٨- الكذب ١٩٤٩ / ٤
- ٩- بين الليل والنهار ١٩٥٠ / ١
- ١٠- هكذا أدبنا أسياننا ١٩٥٠ / ٥
- ١١- العيد شيء يعود ولكنه فرصة للبر والإحسان ١٩٥٧ / ٥
- ١٢- الحكم الصالح ١٩٤٩ / ١١
- ١٢- العداوة غالية الثمن ١٩٤٩ / ١٠
- ١٤- جماجم ١٩٤٩ / ٨
- ١٥- رفعة الشطرنج ١٩٥٠ / ٣
- ١٦- أعياد الحمقى ١٩٥٠ / ٤
- ١٧- أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض ١٩٥٠ / ٦
- ١٨- هذا ما أؤمن به ، النجاح في الحياة .. حظ ١٩٥٦ / ٦

الباب الثاني: الحرية والاستبداد

- ١٩- الحصانة الدبلوماسية في مطبخ سفير ١٩٥٧ / ٣
- ٢٠- مصرع الحرية في القرن العشرين ١٩٤٩ / ٦
- ٢١- أخذت أجازة من نفسي ١٩٥٠ / ٧
- ٢٢- ثورة في حديقة الحيوانات ١٩٥٠ / ٨
- ٢٣- أيتها الحرية.. كم باسمك تقترف الآثام ١٩٥٠ / ٩
- ٢٤- المدرسة والحرية والحياة ١٩٥٥ / ١٠
- ٢٥- لماذا يخشى الغرب العرب؟ ١٩٥٧ / ١

الباب الثالث: الحب والجمال

- ٢٦- حدثني الجمال .. قال ١٩٤٨ / ٦
٢٧- الطبيعة حين تنام وحين تصحو ١٩٤٨ / ٤
٢٨- للنساء حروب ناعمة ١٩٤٩ / ٩
٢٩- جمال الشيخوخة ١٩٥٥ / ٣

الباب الرابع: العلم بين الحقيقة والخيال

- ٣٠- الذرة فى حياة الناس ١٩٥٠ / ١٠
٣١- الهجرة إلى القمر : خرافة .. ومراء ١٩٥٦ / ٣
٣٢- التنجيم وقراءة المستقبل .. لهو .. لمن لا لهو له ١٩٥٦ / ٤

الباب الخامس: إسلاميات

- ٣٣- مكة عاصمة الإسلام ١٩٥٥ / ٨
٣٤- كنا بالأمس سادة فلنكن اليوم أسياداً ١٩٥٦ / ١
٣٥- رجل عاش فى متحف ١٩٥٦ / ٢
٣٦- عبادة الله بغير علم كمعبادة الأصنام ١٩٥٦ / ٥

الباب السادس: رجال لهم تاريخ

- ٣٧- أبطال لا تقام لهم أنصاب ١٩٤٩ / ٣
٣٨- هـ . ج . ولز ١٩٤٩ / ٥

الباب السابع: خواطر

٣٩- المطلقة

١٩٤٩ / ٧

٤٠- الخاطبة

١٩٤٩ / ١٢

٤١- فى بيت المرض

١٩٥٠ / ١١

٤٢- أتمنى .. لنفسى وللناس

١٩٥٥ / ٢

٤٣- رقم ٧ الرقم السعيد فى حياة الناس والكون

١٩٥٧ / ٢

٤٤- أصحابى الذين خابوا

١٩٤٧ / ٣

٤٥- سألت عن السعادة

١٩٥١ / ٢

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

١٩٥١ / ٢

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

١٩٥١ / ٢

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

١٩٥١ / ٢

٢٠٥٦١

تقاریر (الحکامات) و سبب و قیاسات و حقیقتها و ۲۸۱

، وحاضره ، ومستقبله

القاهرة ، *مكتبة جامعة القاهرة* ، ١٩٧١

ثالثا : آداب مترجمة

١ - مرجريت (ذات الكاميليا) ، (غادة الكاميليا)

١٩٢٠ ، المكتبة التجارية ، باسم (ذات الكاميليا) .

١٩٢٩ ، النهضة المصرية وبعد ذلك تحت اسم (غادة الكاميليا) .

١٩٣٨ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سلسلة عيون الأدب الغربى ، العدد الرابع .

وهي ترجمة «La Dame Aux Camelias» لألكسندر دumas (الصغير) .

٢ - جان دارك

١٩٣٨ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، روائع الأدب الغربى .

رابعاً : كتب علمية مترجمة

١ - قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله

١٩٣٨ ، القاهرة ، مجلة الرسالة ، ط ١ .

وطبع بعد ذلك في دور نشر أخرى وهو ترجمة للكتاب الذى ألفه

«Dr. Paul del Kruif» «دكتور بول دى كريف» .

وقد كان أحمد زكى قد نشر هذا الكتاب من قبل ذلك على هيئة فصول في مجلة الرسالة ، كما
سيأتى ذكره إن شاء الله .

٢ - فى أعماق المحيطات

القاهرة ، دار الهلال .

وهو ترجمة لكتاب «Lady with a spear» الذى ألفته أوجينيى كلارك «Eugenie Clark» .

٣- بواتق وأنابيب ، قصة الكيمياء

١٩٦٠ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، بإشراف مؤسسة فرانكلين . وهو ترجمة لكتاب
«Crucibles: the story of chemistry» ، تأليف «برنارد جافي Bernard Jaffe» .

٤- حيوانات نعرفها

١٩٦١ ، دار المعارف وفرانكلين ، ط ١ .
١٩٦٥ ، دار المعارف وفرانكلين ، ط ٣ .
وهو ترجمة لكتاب من تأليف برتاموريس باركر .

٥- مواقف حاسمة في تاريخ العلم

١٩٦٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، بإشراف مؤسسة فرانكلين ، ط ١ ، ط ٢ ، دار المعارف
أيضا . وهو ترجمة لكتاب «Science and Common Sense» ، تأليف «جيمس كونانت James B. Conant» .

خامسا : كتب بالاشتراك

١ - مبادئ الكيمياء : جزآن

بالاشتراك مع الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني .

سبتمبر ١٩١٥ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ .

سبتمبر ١٩١٨ ، لجنة التأليف والترجمة ، ط ٢ ، أشرف الدكتور زكي بمفرده على هذه الطبعة

بسبب سفر زميله .

يناير ١٩٢٠ ، لجنة التأليف والترجمة ، ط ٢ ، أشرف الدكتور الكرداني بمفرده على هذه

الطبعة

بسبب سفر زميله .

يناير ١٩٢٤ ، لجنة التأليف ، ط ٤ .

يناير ١٩٢٥ ، مطبعة دار الكتب ، ط ٧ .

١٩٢٥ ، مطبعة دار الكتب ، ط ٨ .

١٩٢٥ ، مطبعة دار الكتب ، ط ١١ .

[هذه هي الطبعات التي عثرنا عليها في دار الكتب ولاشك في وجود طبعات أخرى غيره] .

طالبت بالحق : لستفاد

تأليف : م. م. م. م.

الطبعة الأولى : ١٩٦٦ ، دار الكاتب العربي .

سادسا : فصول من كتب

١ - الكويت بأقلام نخبة من الكتاب العرب

١٩٦٦ ، بيروت ، دار الكاتب العربي .

وقد كتب الدكتور زكي في هذا الكتاب فصلا تحت عنوان « الكويت بلغت مبلغ الاستقلال قبل أن يكون لاستقلالها إعلان » .

ملاحظة

ملاحظة

٢ - الكويت بأقلام نخبة من الكتاب العرب

١٩٦٦ ، بيروت ، دار الكاتب العربي .

٣ - الكويت بأقلام نخبة من الكتاب العرب

١٩٦٦ ، بيروت ، دار الكاتب العربي .

٤ - الكويت بأقلام نخبة من الكتاب العرب

سابعا : مقالات ودراسات ومحاضرات

آثرت أن أرتب مقالات الدكتور أحمد زكى فى المجالات المختلفة بطريقة تيسر على الباحث والقارئ الوصول إليها . . وعلى هذا فقد رتبت مجموعة مقالاته فى كل مجلة مع بعضها ، كما رتبت كل مجموعة ترتيباً زمنياً فيما بينها . أما المجلات التى نشر فيها فقد رتبها تحكيميا تبعاً للبداية الزمنية لمقالات أحمد زكى فيها ، وعلى هذا فسوف نبدأ بالكتاب السنوى للمجمع المصرى للثقافة العلمية ثم مجلة الرسالة ثم مجلة الهلال ثم مجلة الإثنين ثم مجلة الثقافة ثم مجلة العربى كما سترتب مقالاته فى مجلة العربى تبعاً لموضوعها والسلاسل التى نشرت فيها فذلك أحرى أن يقدم صورة دقيقة ومنظمة عن إنتاج أحمد زكى .

(أ) في الكتب السنوية للمجمع المصري للثقافة العلمية :

محاضرات نشرت في الكتاب السنوي للمجمع :

□ الصناعات والعلوم (الكتاب السنوي ٣ : سنة ١٩٣٢)

□ الأحجار الكريمة (الكتاب السنوي ٥ : سنة ١٩٣٤)

□ الحديد والفولاذ في المدنية الحاضرة (الكتاب السنوي ١٢ : سنة ١٩٤١)

□ معهد فؤاد الأول للبحوث العلمية (الكتاب السنوي ١٥ : سنة ١٩٤٤)

□ زيت البترول في سلم الأمم وحربها (الكتاب السنوي ١٦ : سنة ١٩٤٦)

- ١٩٣٣/٤/١ □ القهوة
- ١٩٣٣/٥/١ □ التيفسوس
- ١٩٣٣/٥/١٥ □ حديث قملة عجوز
- ١٩٣٣/٦/١ □ حلم الأستاذ فجعان
- ١٩٣٣/٧/١٥ □ الإشعاع
- ١٩٣٣/٨/١ □ الحمى داء ودواء
- ١٩٣٣/٨/١٥ □ كيمياء الروح
- ١٩٣٣/٩/١٥ □ النسل
- ١٩٣٣/١٠/١ □ عيد الكهارب
- ١٩٣٣/١١/١ □ آراء وأنباء
- ١٩٣٣/١٢/٤ □ نوبل
- ١٩٣٣/١٢/١٨ □ نذير وبشير
- ١٩٣٣/١٢/٢٥ □ هل للعلم قيود تفرضها الأخلاق؟
- ١٩٣٤/١/١ □ هل للعلم قيود تفرضها الأخلاق
- [توجد فترة زمنية لم يكتب فيها أحمد زكى لعله كان على سفر]
- ١٩٣٤/١٠/٢٢ □ ابن من يا فاجرة؟
- لجنة التأليف والترجمة والنشر. كيف نشأت فكرة
- ١٩٣٤/١٠/٢٩ هذه اللجنة . . . بمناسبة عيدها الفضى
- قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١)
- ١٩٣٥/٢/١٨ □ لوفن هوك أول غزاة الميكروب
- قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٢)
- ١٩٣٥/٢/٢٥ □ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٣)
- ١٩٣٥/٣/٤ □ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٣)

- ١٩٣٥ / ٣ / ١١ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٤) إسبيلتراني ثاني غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٣ / ١٨ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٥) إسبيلتراني ثاني غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٣ / ٢٥ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٦) إسبيلتراني ثاني غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٤ / ١ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٧) إسبيلتراني ثاني غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٤ / ٨ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٨) إسبيلتراني ثاني غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٣ / ٤ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (٩) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٤ / ٢٢ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١٠) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٤ / ٢٩ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١١) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٥ / ٦ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١٢) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٥ / ١٣ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١٣) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٥ / ٢٧ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١٤) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٦ / ١٠ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١٥) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٦ / ١٧ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١٦) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ٦ / ٢٤ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله (١٧) بستور ثالث غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ١١ / ٢٥ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله ، كوخ رابع غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ١٢ / ٢ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله ، كوخ رابع غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ١٢ / ٩ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله ، كوخ رابع غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ١٢ / ١٦ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله ، كوخ رابع غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ١٢ / ٢٣ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله ، كوخ رابع غزاة الميكروب
- ١٩٣٥ / ١٢ / ٣٠ يكتشف ميكروب السل

قصة الميكروب كيف كشفه رجاله هكوخ رابع غزاة الميكروب

١٩٣٦ / ١ / ٦ يكتشف ميكروب السل

- ١٩٣٦/١/٢٠ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله بستور والكلب المسعور
- ١٩٣٦/١/٢٧ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله بستور والكلب المسعور
- ١٩٣٦/٢/٣ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله بستور والكلب المسعور
- ١٩٣٦/٢/١٠ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله بستور والكلب المسعور
- ١٩٣٦/٢/١٧ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله بستور والكلب المسعور
- ١٩٣٦/٢/٢٤ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله بستور والكلب المسعور
- ١٩٣٦/٣/٩ قصة الميكروب كيف كشفه رجاله بستور والكلب المسعور
- قصة الميكروب كيف كشفه رجاله ، الدفتر يا بين
- ١٩٣٦/٤/٦ واجد اسمها الفرنسى ، وكاشف ترياقها الألمانى .
- ١٩٣٦/٤/١٣ - قصة الميكروب ، كيف كشفه رجاله
- ١٩٣٦/٤/٢٠ □ سفائن الصحراء للدكتور أحمد زكى
- ١٩٣٦/٤/٢٧ - الدفتر يا بين واجد اسمها الفرنسى وكاشف ترياقها الألمانى .
- ١٩٣٦/٥/٤ □ قصة الميكروب .
- ١٩٣٦/٥/١١ □ قصة الميكروب ، الدفتر يا بين واجد اسمها الفرنسى وكاشف ترياقها الألمانى
- ١٩٣٦/٦/٨ □ قصة الميكروب ، الحصانة واليهودى ، الأفان - ١
- ١٩٣٦/٦/٢٩ □ قصة الميكروب ، الحصانة واليهودى ، الأفان - ٢
- ١٩٣٦/٧/٦ □ قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ،
- ١٩٣٦/٩/٢٨ □ قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ،
- ١٩٣٦/١٠/٥ □ قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ،
- ١٩٣٦/١/٣٠ □ قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، وسطاء شر أبرياء
- ١٩٣٦/١٢/٧ □ قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ،
- ١٩٣٦/١٢/١٤ □ قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ،

- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، عزرائيل يقبض بيد صفراء ١٩٣٦/١٢/٢١
- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، ١٩٣٦/١٢/٢٨
- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، ١٩٣٧/١/٤
- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، ١٩٣٧/٢/١١
- قصة الميكروب كيف كشفه رجاله ، الرصاصة المسحورة ١٩٣٧/٥/٣
- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، ١٩٣٧/٥/١٠
- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، ١٩٣٧/٥/١٧
- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، ١٩٣٧/٥/٢٤
- قصة الميكروب ، كيف كشف رجاله ، ١٩٣٧/٥/٣١

١٩٤١/٢	ماذا أفدت من الإنجليز
١٩٤٤/١٠/٩	بين العامة والفصحى
١٩٤٥/١	هل تصبح الإنجليزية لغة التفاهم بين الأمم
١٩٤٥/٩	تنسيق البحوث العلمية في مصر
١٩٤٦/٢، ١	التقدم العلمى والتربية
١٩٤٦/٤، ٣	ساعة في مكتب تأمين
١٩٤٧/١	أنصفوا الشباب
١٩٤٧/٢	عندنا دكتاتوريات مقنعة

(ج) في مجلة الهلال :

نورد هنا المقالات الموقعة بإمضاء الدكتور أحمد زكى ، مع إقرارنا باحتمال وجود مقالات أخرى كتبها ولم يوقع عليها باعتباره رئيس التحرير، وبخاصة المقالات الافتتاحية، ولما كنا لم نحقق إنتاجه فيها مقالا مقالا فسكتفى هنا كما ذكرنا بالمقالات التى وقعها أحمد زكى باسمه الصريح .

- ☐ أصحابي الذين خابوا ١٩٤٧/٣
☐ وحش كاسر ١٩٤٧/٤
☐ طاب عيش المخادع ١٩٤٧/٥
☐ إلى الأمام ١٩٤٧/٦
☐ الطريق السلطاني وما وراءه ١٩٤٧/٧
☐ إجازة الصيف ١٩٤٧/٨
☐ لندن بين عامين ١٩٤٧/٩
☐ على ضفة التايمز ١٩٤٧/١٠
☐ الحب على المشرحة ١٩٤٧/١١
☐ تحرك الزمن فتحركت همومه ١٩٤٧/١٢
☐ يعجبني الشباب إذا ١٩٤٨/١
☐ حب الأوطان ١٩٤٨/٢
☐ عطشان يا صبايا ١٩٤٨/٣
☐ الطبيعة حين تنام وحين تصحو ١٩٤٨/٤
☐ الفقر داء عز دواؤه ١٩٤٨/٥
☐ حدثني الجمال قال ١٩٤٨/٦
☐ الدنيا في حاجة إلى زعيم ١٩٤٨/٧
☐ صفقة خاسرة ١٩٤٨/٨
☐ الكرة التي تحمل فوق عنقك ١٩٤٨/٩
☐ نشأت في الثورة طالبا ومدرسا ١٩٤٨/١٠
☐ إبراهيم ومحمد علي : شمسان في سماء واحدة ١٩٤٨/١١
☐ سلاسل وأغلال ١٩٤٨/١٢

- ١٩٤٩/١ □ دفاع عن القديم
 ١٩٤٩/١ □ دنياك لا تخشها أبدا
 ١٩٤٩/٣ □ أبطال لا تقام لهم أنصاب
 ١٩٤٩/٤ □ الكذب
 ١٩٤٩/٥ □ هـ. جـ. ويلز
 ١٩٤٩/٦ □ مصرع الحرية في القرن العشرين
 ١٩٤٩/٦ □ المطلقة
 ١٩٤٩/٨ □ مجاجم
 ١٩٤٩/٩ □ للنساء حروب ناعمة
 ١٩٤٩/٩ □ العداوة غالية الثمن
 ١٩٤٩/١١ □ الحكم الصالح
 ١٩٤٩/١٢ □ الخطابة
 ١٩٥٠/١ □ حديث الزمان
 ١٩٥٠/٢ □ إلى أين المسير .
 ١٩٥٠/٤ □ أعياد الحمقى
 ١٩٥٠/٥ □ هكذا أدبنا أسياننا
 ١٩٥٠/٦ □ هكذا أكبادنا نمشي على الأرض
 ١٩٥٠/٧ □ أخذت إجازة من نفسي
 ١٩٥٠/٨ □ ثورة في حديقة الحيوانات
 ١٩٥٠/٩ □ أينما الحرية كم باسمك تقترف الأثام
 ١٩٥٠/١٠ □ الذرة في حياة الناس
 ١٩٥٠/١١ □ في بيت المرض

- الحياة فن عسير (استفد من تجاربي) ١٩٥٠/١٢
- تعلمت في أربع جامعات ١٩٥١/١
- سألت عن السعادة ١٩٥١/٢
- حديقة الأدباء ١٩٥١/٣
- رأى الجنة ١٩٥١/٤
- أخب المهرجلة أحيانا ١٩٥١/٥
- تعلمت من الصيف ١٩٥١/٧
- حاجة الناس إلى الزعامة ١٩٥١/١٢
- أنوف الناس مهضومة الحقوق ١٩٥٢/٧
- على أساس من العلم يجب أن نبني نهضتنا الجديدة ١٩٥٣/١
- إرادة الشباب ١٩٥٣/٤
- شيخ يتحدث إلى الشباب ١٩٥٣/٩
- رابطة الثقافة أقوى من رابطة السياسة ١٩٥٣/١٢
- كنت في مكة المكرمة ١٩٥٤/٣
- الله والناس ١٩٥٤/٤
- ساعة من الله ١٩٥٤/٥
- ساعة من الشيطان ١٩٥٤/٦
- ماذا بعد الجلاء؟ ١٩٥٤/٩
- كليتان للزوجات والأزواج ١٩٥٤/١٠
- الجامعتان العربية والإسلامية ١٩٥٤/١١
- الإسلام والمسيحية هل يمكن التوحيد بينهما؟ ١٩٥٥/١
- أتمنى للنفس وللناس ١٩٥٥/٢

- جمال الشيخوخة ١٩٥٥/٣
- رجال للبيع أو للإيجار ١٩٥٥/٦
- مكة عاصمة الإسلام ١٩٥٥/٨
- المدرسة والحرية والحياة ١٩٥٥/١٠
- كنا بالأمس سادة فلنكن اليوم أسيادا ١٩٥٦/١
- رجل عاش في متحف ١٩٥٦/٢
- الهجرة إلى القمر خرافة وهراء ١٩٥٦/٣
- التنجيم وقراءة المستقبل ١٩٥٦/٤
- عبادة الله بغير علم كعبادة الأصنام ١٩٥٦/٥
- النجاح في الحياة حظ ١٩٥٦/٦
- شمعة من شموع الليل ١٩٥٦/٨
- أنت والزمان الجارى ١٩٥٦/١٠
- يسوب ١٩٥٦/١١
- الله والناس ١٩٥٦/١٢
- لماذا يخشى الغرب العرب ؟ ١٩٥٧/١
- الحصانة الدبلوماسية في مطبخ سفير ١٩٥٧/٣
- العيد شيء يعود ، ولكنه فرصة للبر والإحسان ١٩٥٧/٥
- أهل الفكر والناس ١٩٥٧/٦
- القنبلة الذرية يجب أن تصنعها مصر ١٩٥٧/٧
- الذرة وثلاثة رجال ١٩٥٧/٨
- صبي يسأل : من اخترع المدارس ؟ ١٩٥٧/٩
- ماذا بعد القمر ؟ ١٩٥٧/٩

□ وصية إلى ابنتي

□ لماذا نذهب إلى القمر؟

□ هل غير هذه الأرض أرض، وغير هؤلاء الناس في الكون ناس؟

□ جاءنا رمضان على ظهر الزمان

(د) في مجلة الإثنين

معظم المقالات الواردة هنا ليس لي فضل في حصرها فقد عثرت على قائمة بها (١ - ٣٥) بخط أحمد زكي نفسه في أوراقه التي أطلعني عليها شقيقه الطيار حسن عاكف، وقد نشر بعض هذه المقالات في «ساعات السحر»، وهي تلك التي يجد القارئ أمامها رقبا بين قوسين يدل على ترتيبها بين فصول كتاب «ساعات السحر»، أما المقالات الأخرى التي لا يوجد أمامها رقم بين قوسين فتمثل المقالات التي جمعها الدكتور زكي وأعدّها للطبع، وقد أطلع المؤلف عليها واستعان بها في هذا الكتاب.

أما المجموعة الثالثة من المقالات (٣٥ - ٤٠) فقد وجدتها بنفسى عندما تفحصت مجلة الإثنين بدقة وتأن للبحث عن تراث الدكتور أحمد زكي فيها، وتمثل هذه المقالات المجموعة الأحدث من مقالات أحمد زكي، ولعل هذا هو السبب الذي جعله لا يشير إليها في القائمة التي وجدناها في أوراقه، مما يرجح بالطبع أن تكون هذه القائمة قد كتبت منذ ما قبل ١٩٤٩ فلم تشمل هاتيك - المقالات - التي وجدتها في «الإثنين» :

- الحكومة والحب
- الحمار الحزين [ساعات السحر: ١٥]
- أعوذ بالله من السجون
- بادلوهم إيماناً بإيمان [ساعات السحر: ٢١]
- قلوب كبيرة [ساعات السحر: ٢]
- تعلموا من القبط [ساعات السحر: ٦]
- لذة الحرام
- بلدتي
- خواطر عند الخلاق [ساعات السحر: ٣]
- النسبة والتناسب [ساعات السحر: ٢٥]
- خازوق الدولية
- أصحاب الياقات البيضاء
- هربوا من الحياة فلاحقتهم [ساعات السحر: ٢٧]
- أستاذنا معذور [ساعات السحر: ٢٦]
- أسئلة عجيبة لها أجوبة أعجب
- للزعامات عورات فاستروها [ساعات السحر: ٤]
- مساومة
- العقول الفترانية
- الكسل أحلى من العمل
- البعد الرابع
- يوم عاصف
- عرفت الفقر والقبح
- هل نحن قوم غضوبون ؟

□ الأكل فن وفلسفة [ساعات السحر : ٢٤]

□ ضحككت

□ الذرة الهائلة

□ اللهم نسألك الستر [ساعات السحر : ١٠]

□ لبن مسكوب

□ عملتني الحياة [ساعات السحر : ١٦]

□ تعلمت حكمة من حمار وجزرة [ساعات السحر : ٥٠]

□ حشاشون بلا حشيش [ساعات السحر : ٢٣]

□ البغل الذي ذكره التاريخ

وهذه هي المقالات التي لم يسجلها أحمد زكي نفسه في حصره

□ قلمي [ساعات السحر : ٢٨] (١٩٤٩/١١/٤)

□ العمل هو الضريبة التي ندفعها للوطن (١٩٥٢/٧/٢١)

□ الخاطفة، مجلة كاملة رئيس تحريرها الدكتور أحمد زكي (١٩٥٤/١٠/١٨)

□ صورة وقصتها (١٩٥٥/١٠/٣١)

□ استمتعت بسياحة اختيارية (١٩٥٦/١/٢)

□ عدت إلى الطبيعة (١٩٥٦/١/٢٣)

(هـ) في مجلة الثقافة

نورد هنا مقالات الدكتور أحمد زكي مرتبة ترتيباً زمنياً مع ذكر عدد المجلة الذي نشر فيه المقال ويمكن للقارئ أن يرجع إلى هذه المقالات تبعاً لرقم عدد المجلة الثقافية، فإذا أراد القارئ أن يعرف تاريخ صدور هذا العدد فبوسعه الرجوع إلى كتابي «مجلة الثقافة»: تعريف وفهرسة وتوثيق، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣ ففيه قائمة بتواريخ صدور أعداد مجلة الثقافة.

- | | |
|----|---|
| ١ | على هامش العلوم |
| ٨ | مطالعات أشتات: على هامش العلوم |
| ٩ | مطالعات أشتات: على هامش العلوم: النحل في مجتمعه |
| ١٠ | النحل في مجتمعه |
| ١١ | الأبسطة والسجاجيد |
| ١٩ | حرب الغازات |
| ٢١ | حرب الغازات |

- ٢٤ حرب الغازات
- ٢٨ أيهما أفعل : حرب الغاز أم حرب الرصاص
- ٦٤ لماذا وكيف : عصا البهلوان وعمل الأذان في اتزان الأبدان
- ٦٦ لماذا وكيف : النمل الأبيض عجيبة من عجائب الخلائق
- ٨١ البرشوتات : أصلها ، وصنعتها ، وعملها ، وإحساس الهابط بها
- ٨٢ اللعاب واليصاد والرضاب
- ٨٤ العقرب : خلقها وخلقتها وسمها ، أمومتها حنانها صبرها ، عزوفها بيت عرسها .
- ٨٨ مات أوليفار لودج
- ٩٠ تفاحتك
- ١٠٠ الخمر غذاء غريب
- ١٠٤ حرارة الأبدان : كعائق الميزان تتأرجح وغايتها الاتزان فعل الكئوس بالبرءوس
- ١٠٤ أنباء وآراء : الخمر أغذاء هي ؟
- ١٠٩ قاتلات الحشرات في المنازل
- لماذا وكيف : إلى أى حد يستطيع الإنسان مغالبة البرد والحر وسائر الأجواء وهل في الحيوان من هو أكثر منه مقاومة لها .
- ١١٢ لغة الإنسان مطبوعة أم مصنعة وهل للحيوان لغة .
- ١٢٣ في الحديد
- ١٢٥ الجديد بين الأمم
- ١٢٧ المطاط
- ١٣٣ الأرض التي عليها روسيا
- ١٣٤ الأرض التي عليها روسيا
- ١٣٥ الأرض التي عليها روسيا

- ١٤٤ على هامش الأسبوع : الأرض التي عليها روسيا
- ١٤٥ على هامش الأسبوع : الأرض التي عليها روسيا
- ١٤٦ الطلبة والجامعات
- على هامش الأسبوع : الجامعة أيضا/ الجامعة والتعليم
- ١٤٧ الأولى توحيد المناضل / طلاب وظائف
- ١٤٨ على هامش الأسبوع العيد
- ١٤٩ على هامش الأسبوع : تيمور بك/ بين الداريجة والفصحى/ بقاء النهضة لغة المستقبل
- ١٥٠ على هامش الأسبوع : تصدير البيض/ التسعيرة والجملة/ السمن والزيت صنوان
- ١٥١ على هامش الأسبوع : أموات وأموات / جانيها غير صاليها
- ١٥٣ على هامش الأسبوع : لصوص لصوص / يوم الإثنين/ مجلس الشيوخ/ حزب الأحرار
- ١٥٤ على هامش الأسبوع : البرلمان
- ١٥٥ على هامش الأسبوع : فجيرة الدنيا في سلمها شر من فجيعتها في حربها
- على هامش الأسبوع : علاوة الغلاء/ المساواة في التضحيات/
- ١٥٨ الأخوات المتعطلات/ العزب/ وقف الغلاء خير من علاوته
- ١٦١ على هامش الأسبوع : اليابان
- ١٦٢ على هامش الأسبوع : اليابان
- ١٦٣ على هامش الأسبوع : اليابان/ ثروتها المعدنية ثروتها البحرية
- ١٦٥ على هامش الأسبوع : اليابان الأمة، صفات أهلها، عناصر تكوينه
- ١٦٦ على هامش الأسبوع : اليابان الأمة، فجر تاريخهم عبادة آبائهم
- ١٦٧ على هامش الأسبوع : البوذية في اليابان
- ١٦٨ على هامش الأسبوع : اليابان
- ١٦٩ على هامش الأسبوع : النصرانية في اليابان

- ١٧٠ على هامش الأسبوع : أول لقاء بين الروس واليابان
- ١٧١ على هامش الأسبوع : أمريكا تقتحم أبواب اليابان
- ١٧٢ على هامش الأسبوع : أمريكا تقتحم أبواب اليابان
- ١٧٣ على هامش الأسبوع : خليفة الكومادور
- ١٧٤ على هامش الأسبوع : عودة الميكادو
- ١٧٥ على هامش الأسبوع : كنفوش حكيم حكماء الصين
- ١٧٦ على هامش الأسبوع : الكنفوشية حكمة وحكومة
- ١٧٧ على هامش الأسبوع : أسباب الثورة اليابانية
- ١٧٨ على هامش الأسبوع : أسباب الثورة اليابانية
- ١٧٩ على هامش الأسبوع : اثنان وعشرون عاما بين الثورة والدستور
- ١٨١ على هامش الأسبوع : اثنان وعشرون عاما بين الثورة والدستور
- ١٨٢ على هامش الأسبوع : اثنان وعشرون عاما بين الثورة والدستور
- ١٨٣ على هامش الأسبوع : اثنان وعشرون عاما بين الثورة والدستور
- ١٨٤ على هامش الأسبوع : اثنان وعشرون عاما بين الثورة والدستور
- ١٨٥ على هامش الأسبوع : اثنان وعشرون عاما بين الثورة والدستور
- ١٩٩ إسكندر الإسكندرية
- ٢٠٠ إسكندر الإسكندرية
- ٢٠١ فكرة الله كيف توطدت عند الأمم
- ٢٠٢ الدين عند الإغريق
- ٢٠٣ الألعاب الأولمبية في عكاظ الإغريقية
- ٢٠٤ الألعاب الأولمبية في عكاظ الإغريقية
- ٢٠٦ الحكم عند الإغريق : الأرستقراطية والديمقراطية ألفاظ منابتها إغريقية

٢٠٧	الحكم عند الإغريق : الأرستقراطية والديمقراطية ألفاظ منابتها إغريقية
٢٠٩	الدكتاتورية من بعد الأرستقراطية
٢٢٦	كفاح الموت
٢٢٧	كفاح الموت
٢٢٩	كفاح الموت
٢٣٠	كفاح الموت : فجعية أيام أخيرة
٢٣٠	على هامش الأسبوع : فجعية الأيام الأخيرة
٢٣١	على هامش الأسبوع : لا علاج للداء إلا بفرض الأطباء
٢٣٢	السكر وقصة دوائه
٢٢٣	داء السكر وقصة دوائه : الوحي ينزل في السحر
٢٣٤	داء السكر وقصة دوائه : المعجزة تتحقق
٢٣٥	داء السكر وقصة دوائه : ذبابة في الحساء
٢٣٦	داء السكر وقصة دوائه : كلب ناطق يفهم ما لا تفهم الكلاب
٢٣٧	داء السكر وقصة دوائه : مولد الأنسولين
٢٣٨	داء السكر وقصة دوائه : إحياء الموتى
١٣٩	داء السكر وقصة دوائه : السير فريدريك صاحب الأنسولين
٢٤٠	أنات حائرة
٢٤١	كفاح الموت : فقر الدم الخبيث
٢٤٢	كفاح الموت : طيب وراء عصي
٢٤٣	كفاح الموت : قلب حساس وتجارب خائبة
٢٤٤	كفاح الموت : منطق يقول لا ، وطبيب يقول نعم
٢٤٥	كفاح الموت : طبيب يدس الكبد في حلوق مرضاه دسا
٣٩٧	

٢٤٦	كفاح الموت : إعلان الكبد دواء في مجمع العلماء
٢٤٧	كفاح الموت : فقر الدماء وفقر الجيوب
٢٤٨	عصابة البيت الأحمر
٢٤٩	شر في القراد : محاولات فاشلة
٢٥٠	شر في القراد : الصبر مفتاح الفرج
٢٥١	شر في القراد : وتعطلت الحركة في المعمل
٢٥٢	شر في القراد : وانتشر الموت الزاحف داخل المعمل وخارجه
٢٥٣	شر في القراد : صناعة الطعم الواقى
٢٥٤	شر في القراد : ويحقن السم في ذراعه ضنا بإخوانه
٢٥٥	شر في القراد : خاتمة
٢٥٧	كلبى
٢٥٨	إصلاح التعليم في مصر
٢٦٠	مصباح علاء الدين
٢٦١	العلم بين الكفر والإيمان
٢٦٢	مطالعات أشتات : بائع الصحف الأصم الذى أعطانى وأعطاك النور
٢٦٣	روزفلت قبل الأربعين
٢٦٤	روزفلت قبل الأربعين
٢٦٦	شيخ كريم
٢٦٧	في حفلة شاي
٢٦٩	الملاريا
٢٧٠	الملاريا
٢٧١	الملاريا
٢٧٢	الملاريا

٢٧٣	الملاريا
٢٧٤	رجل وامرأة
٢٧٥	البترول الذاهب
٢٧٦	ضغط الدم
٢٧٧	عباد الله الصالحون
٢٧٩	حديث الفرقة
٢٨١	في القراء والكتب
٢٨٢	المرأة في عاصمتين
	وكتب الدكتور أحمد زكي عدة مقالات بتوقيع الجرنوسى وهى:
٢٩١	بين المسموع والمقروء
٢٩٢	بين المسموع والمقروء
٢٩٣	بين المسموع والمقروء
٢٩٤	بين المسموع والمقروء
٢٩٥	بين المسموع والمقروء
٢٩٦	بين المسموع والمقروء
	مطالعات أشتات : فى الحمام التركى / احتجاب الشيخوخة / رمضان /
٢٩٧	شيخ جليل ولكن
٢٩٨	مطالعات أشتات : العفريت / مائدة السلام / حديث البابا / قاتل الحشرات / الديدى
	مطالعات أشتات : صورة / حادث / قطعة من رصاص /
٢٩٩	هزة الكهرباء / ابن عباس أيضا
٣٠٠	مطالعات أشتات : الأدب والمعدة. عجزة المرأة / طباع القردة / قيس ولبنى
٣٠١	مطالعات أشتات : تقرير / الحق والقوة / صرخة الشعب تعجن وهم
٣٩٩	

- ٣٠٢ مطالعات أشتات : أمة تبتلع وهم يسوء/ ما أشبه الليلة بالبارحة
- ٣٠٣ مطالعات أشتات : الإنسان والدم/ دموع شيخوخة/ شباب كالورد/اختلال ثقافى
- مطالعات أشتات : ذكرى فيلسوف / معايير القيم فى المسيحية
- ٣٠٤ الديمقراطية / شعب الله المختار
- مطالعات أشتات : مخالف القط / فى الكتب /
- ٣٠٦ ضمير/ القرض الحسن/ شيخ مرج/ شجرة/طماطم/ برنارد شو
- ٣٠٧ مطالعات أشتات : روزفلت والصهيونية/ خطورة الإعلان/ علقم معسول
- ٣٠٨ مطالعات أشتات : حظوظ وحظوظ
- ٣٠٩ مطالعات أشتات : السنهورى بك فى وزارة العدل
- ٣١٠ مطالعات أشتات : بائع الدواء الجوال
- ٣١١ مطالعات أشتات : طيب يقول فتسكته النساء/ السجل الأكبر/ أستاذ جامعة
- ٣١٢ مطالعات أشتات : هجرة الإنسان وهجرة الحيوان
- ٣١٣ مطالعات أشتات : محنة
- ٣١٤ مطالعات أشتات : الجتلمان أو درس فى الترجمة
- ٣١٥ مطالعات أشتات : عدو عاقل ، حب دام ، قولة فاجر
- ٣١٧ مطالعات أشتات : طفل يسأل وأب بالسؤال يضيق
- ٣١٧ مطالعات أشتات : الشعوب مجامع اللغات
- ٣١٨ مطالعات أشتات : على غنائك ترقص معدتك
- ٣١٩ مطالعات أشتات : محنة أخرى
- ٣٢٠ مطالعات أشتات : الحاجب الأكبر
- ٣٢١ مطالعات أشتات : الحديث فن أى فن
- ٣٢٢ مطالعات أشتات : جنون

- ٣٢٣ مطالعات أشتات : مدام ميكادو
- ٣٢٤ مطالعات أشتات : كم تعرف عن نفسك
- ٣٢٥ مطالعات أشتات : قصة
- ٣٢٦ مطالعات أشتات : شارع محمد فريد - خمر ونساء
- ٣٢٧ مطالعات أشتات : صفة دكتاتور
- ٣٢٨ مطالعات أشتات : الحيوان الذى فينا
- ٣٢٩ مطالعات أشتات : وفاء
- ٣٣٠ مطالعات أشتات : روزفلت فى مرضه وموته
- ٣٣١ مطالعات أشتات : هل يعقل الحيوان
- ٣٣٣ مطالعات أشتات : هدنة
- ٣٣٤ مطالعات أشتات : تاجر يتحدث
- ٣٣٥ مطالعات أشتات : محبوب ثابت / فى أذبال الموسيقى / قبلة من ذرة
- ٣٣٦ مطالعات أشتات : دمشق
- ٣٣٧ مطالعات أشتات : لغة السياسة / فى تعدد الزوجات / سعادة لا يا سيدى
- ٣٣٨ مطالعات أشتات : مشروع ثقافة للشعب جديد
- ٣٣٩ مطالعات أشتات : الرغيف والمرأة
- ٣٤٠ مطالعات أشتات : الحب فى السوق السوداء
- مطالعات أشتات : شريان الحب الأعظم / جلود محفظة /
- ٣٤١ حظر الأصابع والأضراس / نصيحة لطلاب الموت
- ٣٤٢ مطالعات أشتات : طبخة
- ٣٤٣ مطالعات أشتات : فرسان ثلاثة
- ٣٤٤ مطالعات أشتات : عروس يذبح فى صبيحة عرسا

٣٤٥	مطالعات أشتات : ذكر أم أنثى
٣٤٦	مطالعات أشتات : تشرشل يقول في هتلر
٣٤٧	مطالعات أشتات : دينار
٣٤٨	مطالعات أشتات : تضحك والأحزان
٣٤٩	مطالعات أشتات : إنه قضاء الله
٣٥٠	مطالعات أشتات : تسعة نصيب وعاشرة تخيب
٣٥١	مطالعات أشتات : خطاب يا ليته وصل
٣٥٢	مطالعات أشتات : ساعة في قطار
٣٥٣	مطالعات أشتات : البحر في الفاتحة
٣٥٤	مطالعات أشتات : بطل الجزيرة
٣٥٥	مطالعات أشتات : بطل الجزيرة
٣٥٦	مطالعات أشتات : بطل الجزيرة
٣٥٧	مطالعات أشتات : حين تنمر المرأة
٣٥٨	عراقيل في سبيل النهضة العربية
٣٥٩	عراقيل في سبيل النهضة العربية
٣٦٠	عراقيل في سبيل النهضة العربية
٣٦١	عراقيل في سبيل النهضة العربية
٣٦٢	بين الأدب والعلم
٣٦٤	مطالعات أشتات : قلب حبه يمتلئ ثم يفيض
٣٦٥	مطالعات أشتات : أطاق ويطلق
٣٦٦	مطالعات أشتات : الإسكافي الذي ملء سمع الدنيا
٣٦٨	مطالعات أشتات : العلم إلى التوحيد سائر

٣٦٩	مطالعات أشتات : في ضيافة فلاح ياباني
٣٧٠	مطالعات أشتات : في ضيافة فلاح ياباني
٣٧١	مطالعات أشتات : في ضيافة فلاح ياباني
٣٧٢	مطالعات أشتات : في ضيافة فلاح ياباني
٣٧٣	مطالعات أشتات : في زيارة مصنع ياباني
٣٧٤	مطالعات أشتات : صبي المصنع
٣٧٥	مطالعات أشتات : ابن جديد يولد للشمس المشرقة
٣٧٦	مطالعات أشتات : قلب حائر
٣٧٧	مطالعات أشتات : حب ومسوت
٣٧٨	مطالعات أشتات : نجاح يغري بالحياة
٣٧٩	مطالعات أشتات : نجاح يغري بالحياة
٣٨٠	مطالعات أشتات : زواج بالإنابة
٣٨١	مطالعات أشتات : زواج بالإنابة
٣٨٢	مطالعات أشتات : مارتن لوثر
٣٨٣	مطالعات أشتات : مارتن لوثر
٣٨٤	مطالعات أشتات : مارتن لوثر
٣٨٥	مطالعات أشتات : ملك الكبريت
٣٨٦	مطالعات أشتات : ملك الكبريت
٣٨٧	مطالعات أشتات : الجبل الأعظم
٣٨٨	مطالعات أشتات : الجبل الأعظم
٣٩٨	مطالعات أشتات : قبيلان من الناس : أحمر وأسود
٤١٥	مطالعات أشتات : شعاع في ظلام
٤١٦	مطالعات أشتات : عجز تستمد منه القوة
٤٠٣	

- ٤١٧ مطالعات أشتات : سجن بغير سياج
- ٤١٨ مطالعات أشتات : في السينا دار إفتاء
- ٤١٩ مطالعات أشتات : شيخوخة
- ٤٢٠ مطالعات أشتات : الإنفلونزا
- ٤٢١ مطالعات أشتات : الرجل المعقم والمرأة المعقمة
- ٤٢٢ مطالعات أشتات : صار الترحيب صناعة
- ٤٢٣ مطالعات أشتات : قطعة من الفن رائعة
- ٤٢٤ مطالعات أشتات : القصاصة العمياء
- ٤٢٥ مطالعات أشتات : البرد : أسبابه ودواؤه
- ٤٢٦ مطالعات أشتات : لص ينصح
- ٤٢٧ مطالعات أشتات : رأسمالية جديدة
- ٤٢٨ مطالعات أشتات : شكر يا جدتي
- ٤٢٩ مطالعات أشتات : يوم في الأيام حالك
- ٤٣٠ مطالعات أشتات : يتتحرون
- ٤٣١ مطالعات أشتات : من الناس وإلى الناس
- ٤٣٢ مطالعات أشتات : إذا اجتمع جمال وجنون
- ٤٣٣ مطالعات أشتات : فآل البيت الجديد
- ٤٣٤ مطالعات أشتات : هيا يابنات فالطعام قد تهبأ
- ٤٣٥ مطالعات أشتات : عربة بولمان
- ٤٣٦ مطالعات أشتات : طمانينة
- ٤٣٧ مطالعات أشتات : خزعبلات لابد منها

٤٣٨	مطالعات أشتات : سيسل رودس
٤٣٩	مطالعات أشتات : خادومات
٤٤٠	مطالعات أشتات : لا بد لها من أنف جديد
٤٤١	مطالعات أشتات : في أسماها تغنى
٤٤٢	مطالعات أشتات : بخطب والجلاد ينتظر
٤٤٤	مطالعات أشتات : أوسع رجل في العالم ذكرا
٤٥٥	مطالعات أشتات : كاسب وكاسبة
٤٥٦	مطالعات أشتات : بيت بنى من طين
٤٥٧	مطالعات أشتات : لعب وأطفال
٤٥٨	مطالعات أشتات : لبان يقف الناس ألوقا على بابه
٤٥٩	مطالعات أشتات : الحرية وراء القضبان
٤٦٠	مطالعات أشتات : ساعة في العمر لا تنسى
٤٦١	مطالعات أشتات : نزل الستار
٤٦٢	مطالعات أشتات : بالحلب عمى وبالحلب عناء
٤٦٣	مطالعات أشتات : عادت فتزوجت
٤٦٤	مطالعات أشتات : إدوار جينار صاحب اللقاح الأول
٤٦٥	مطالعات أشتات : حضرية في أقصى الريف
٤٦٦	مطالعات أشتات : بيوت مسكونة
٤٦٧	مطالعات أشتات : زواج الست عشرة : كيف يحلو
٤٦٨	مطالعات أشتات : ساعات الحرج على المسارح
٤٦٩	مطالعات أشتات : الخديعة الكبرى
٤٧٠	مطالعات أشتات : ربة البيت أيها؟
٤٠٥	

٤٧١	مطالعات أشتات : صيانة
٤٧٢	مطالعات أشتات : تنافس الأحباب
٤٧٣	مطالعات أشتات : اللجنة التي وعد بها الصابرون
٤٧٤	مطالعات أشتات : يا ليتة درى
٤٧٥	مطالعات أشتات : فتاح الحقائق
٤٧٦	مطالعات أشتات : مولد جامعة
٤٧٧	مطالعات أشتات : خدرها فصحت ونجت
٤٧٨	مطالعات أشتات : الحرب التي سوف تكون
٤٧٩	مطالعات أشتات : الخاطبة
٤٨٣	مطالعات أشتات : ساعة مع صاحب فندق
٤٨٤	مطالعات أشتات : كآبة
٤٨٥	مطالعات أشتات : إجهاد
٤٨٦	مطالعات أشتات : جلود رقيقة
٤٨٧	مطالعات أشتات : عندما تقوم القيامة
٤٨٨	مطالعات أشتات : يحكى أن
٤٨٩	مطالعات أشتات : الراديسوم
٤٩٠	مطالعات أشتات : خشيته الأولى
٤٨١	مطالعات أشتات : حتى الحيوانات منها المجنون
٤٩٢	مطالعات أشتات : رقاد لا خير فيه
٤٩٥	مطالعات أشتات : وسطاء السلام
٤٩٨	مطالعات أشتات : قرية ذهب سلامها

٤٩٩	مطالعات أشتات : يوم مات أبوها
٥٠٠	مطالعات أشتات : لابد من محال مادام في الناس غفلة
٥٠١	مطالعات أشتات : جيل يمضى وجيل يجيء
٥٢٣	مطالعات أشتات : شاهد عيان
٦٧٠	كيف : حول المؤتمر الكيميائي المصري الثاني
٦٧٠	دردشة : دروس . ندوة الخميس . متى محمد الصنع
٦٧٧	دردشة : العطسة التي هزت العالم . أو مجلس الأمن كما تصوره أمريكا

(و) مقالات في مصادر متنوعة :

وهذه بعض المقالات للدكتور أحمد زكي في أكثر من جريدة ومجلة لم يكن يواظب على الكتابة فيها، إنما دعت إليها المناسبات الوقتية، كالعودة من الرحلة، أو طلب الكلمة منه، أو الرد على رأى أبدى على صفحات تلك المجلة :

- ١ - الذرة الهائلة؟ المصور: ١٧/٨/١٩٤٥
- ٢ - الذكرى مسامرات الجيب: ٢٨/٥/١٩٥٠
- ٣ - الألمان كالقطط لهم سبعة أرواح المصور: ١٤/٩/١٩٥١
- ٤ - باكستان أمة بنيت بين يوم وليلة المصور: ٢٥/٤/١٩٥٢
- ٥ - الهند بعد باكستان.. هوايت هول تنتقل من لندن إلى دلهي المصور: ٢/٥/١٩٥٢
- ٦ - مفتى الإسلام يتعثر أخبار اليوم: ١٠/٥/١٩٥٢
- ٧ - جولة بين الكهارب المصور: ٤/١٣/١٩٥٣
- ٨ - حذاء زميلي مدرس اللغة العربية الجيل: ١٢/٤/١٩٥٤
- ٩ - عتاب حواء: ١/٣/١٩٥٦
- ١٠ - حاولت أن أتعلم الصينية الشعب: ١٢/١/١٩٥٧
- ١١ - أشياء لفتت نظري في الكويت المصور: ٣/١٠/١٩٥٨

(ز) العربي :

قد يبدو من المنطقي أن نرتب مقالات الدكتور أحمد زكي في هذه المجلة عددًا عددًا تبعًا للترتيب الزمني حسبها فعلنا في مقالاته في المجلات السابقة ، ولكنني ارتأيت أنه ليس من المفيد أن نرتب هذه المقالات ترتيبًا تاريخيًا لمجرد اتباع القاعدة ، وأن الأفضل أن نبوب هذه المقالات على النحو الذي يفيد الباحث والقارئ اليوم وغدا وعلى هذا فسوف نبوب هذه الآثار الرائعة على النحو التالي :

□ □ المقالات الافتتاحية : سواء قبل أن تسمى حديث الشهر وبعد أن سمي المقال الافتتاحي حديث الشهر .

□ □ المقالات العلمية : وهذه تشمل :

□ المقالات التي نشرت في الأعداد الأولى وفهرست تحت عنوان «علوم» .

□ مقالات في الذرة والفضاء وبعد ذلك خصص الدكتور زكي لهذه المقالات

ركن «الفضاء والذرة» .

□ المقالات التى كتبت فى سبيل موسوعة علمية .

□ المقالات التى كتبت فى سلسلة وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه والتى مثلت بعد ذلك الجزء الأكبر من كتاب مع الله فى الأرض .

□ □ المقالات الطبية : وهذه تشمل :

□ مجموعة من المقالات الطبية فى نواح متفرقة من أول العربى وحتى ١٩٦٨

وتشمل هذه مقالاته التى شارك بها فى باب الأمراض الشائعة .

□ سلسلة من المقالات كتبها الدكتور أحمد زكى (٥/٦٧ - ١١/٧٢)

تحت عنوان «الطب المصور» ..

□ □ مقالات أخرى : فى التربية ، وفى علم النفس ، وفى التاريخ ، وتاريخ الأشخاص ،

والثقافة العامة ، وصفحة اللغة وركن الأسرة والمرأة وسنرتب هذه جميعا فى صعيد واحد .

(١) المقالات الافتتاحية :

- ١٩٥٨/١٢ □ حرية العرب لا يحول دونها إطلاق الصواريخ
- ١٩٥٩/١ □ ثالوث مقدس هو منطقة النجاة في بحر الحياة
- ١٩٥٩/٢ □ تراثنا المتراكم لا يستخف به غير محموم
- ١٩٥٩/٣ □ السخف السياسي في السياسة الدولية
- ١٩٥٩/٤ □ محنة : القومية العربية تجتاز محنا ثلاثة
- ١٩٥٩/٥ □ الحياة جسر لأبد أن يعبر
- ١٩٥٩/٦ □ النكبة الكبرى : نكبة فلسطين
- ١٩٥٩/٧ □ معركة الفقر قائمة
- ١٩٥٩/٨ □ قصة « العربي » ، كيف نشأ
- ١٩٥٩/٩ □ للغد مجتمع تذوب فيه إرادة الفرد
- ١٩٥٩/١٠ □ الشيوعية والرأسمالية طوران من أطوار الإنسان
- التقى العاهلان وتنفس العالم الصعداء إلى حين / وفرنسا حانت لها
- ١٩٥٩/١١ □ فرصة العمر لتكفر عن خطايا عهد لعين
- ١٩٥٩/١٢ □ «العربي» هذا في عيد ميلاده الأول
- ١٩٦٠/١ □ العروبة ليست رابطة دماء

- الشعوبية : هزة عنصرية وتفتيت قومية ١٩٦٠ / ٢
- الطائفية شيمتها التنازع على الأرزاق ١٩٦٠ / ٣
- لغتنا العربية - عماد القومية - هل اتسعت لحاجات هذه المدنية ١٩٦٠ / ٦
- أغلقت المدارس وبدأ الصيف ما أهدافكم؟ ١٩٦٠ / ٧
- الأمة التي فاتها أن تشكر نعمة الله ١٩٦٠ / ٨
- «العربي» هذا هو عيد ميلاده الثاني ١٩٦٠ / ١٢
- الاستعمار صنوف واثم بين أصحاب الأديان ١٩٦١ / ١
- قبلة إسرائيل : حديث تحتمه الحوادث صريح ١٩٦١ / ٢
- أزمة في الأخلاق تذهب بما نسعى إليه من خير ١٩٦١ / ٣
- الصحافة : انحرافات تذهب بسمو الرسالة ١٩٦١ / ٤
- مفارقات في الثقافة في الدول العربية ١٩٦١ / ٥
- صورة قبيحة من صور الاستعمار (البرتغال) ١٩٦١ / ٧
- متى يكون في الأرض سلام؟ ١٩٦١ / ٨
- يا تاريخ سجل ، ويا عروبة اسمعي ١٩٦١ / ٩
- حرب أم سلام؟ ١٩٦١ / ١٠
- لا بد من لغتين ١٩٦١ / ١٢
- إيماننا إيمان بالله ، وبالفكر الحر ، وبسيادة الشعب ١٩٦٢ / ١
- الديمقراطية حكم الناس بالناس ١٩٦٢ / ٢
- الأمومة ١٩٩٢ / ٣
- أقراص لمنع الحمل أم لتشتيت الشمل ١٩٦٢ / ٤
- الجزائر زحزحت مركز الثقل إلى المغرب العربي ١٩٦٢ / ٥
- يومان : يوم للإعلام ، ويوم للوقاية من العمى ١٩٦٢ / ٦

- ١٩٦٢/٨ □ حديث الصيف
- ١٩٦٢/٨ □ الأمن نعمة الحياة كالهواء أَلْفَنَاهُ حتى نسيناه
- ١٩٦٢/٩ □ التعليم كم منه للثقافة ، وكم منه للرزق؟
- ١٩٦٢/١٠ □ هذه الآراء السقيمة ، لتعويق النهضة الحاضرة
- ١٩٦٢/١١ □ لا بد للإنسان في حياته من قواعد ومبادئ
- ١٩٦٣/١ □ ٤ شموعات في الذكرى الرابعة لميلاد «العربي»
- ١٩٦٣/٢ □ كادت الحرب أن تندلع ولكن الله سلم
- ١٩٦٣/٣ □ الشعب الصغير الذي وقف صدرا بين الصدور
- ١٩٦٣/٤ □ لقمة العيش
- ١٩٦٣/٥ □ الذرة تشق طريقها إلى صناعة ، وسائر مرافق الحياة شقا حثيثا
- ١٩٦٣/٦ □ الزمان آمن به الإنسان بحكم الكيان
- ١٩٦٣/٧ □ أربعة أحداث جارية على ألسنة الناس
- ١٩٦٣/٨ □ بولاروس . . الصاروخ الذي أحدث انقلابا في أداة الحرب
- ١٩٦٣/٩ □ اتفق جبابرة الذرة
- ١٩٦٣/١٠ □ الجدل : أكثره مجهود غير نافع
- ١٩٦٣/١١ □ أمجاد العرب : العرب حملوا مشعل الفكر قرونا
- ١٩٦٣/١٢ □ أهداف الحياة
- ١٩٦٤/١ □ ٥ شموعات في العيد الخامس لميلاد «العربي»
- ١٩٦٤/٢ □ أمجاد العرب هي أم أمجاد المسلمين؟
- ١٩٦٤/٣ □ مؤتمر القمة العربي الأول

أحداث الشهر

وإبتداء من إبريل ١٩٦٤ أطلق أحمد زكى على المقال الافتتاحى عنوان: حديث الشهر:

- الربيع، مهرجان الحياة الأكبر / مجامع اللغة إنتاج مبعثر، ووحدة مفقودة/ الكيان الفلسطينى : نسمع فيه للشاكين ونرفض المشككين . ١٩٦٤/٤
- شهر آيار : شهر الورد والريحان والسد العالى ١٩٦٤/٥
- العروبة والإسلام ١٩٦٤/٦
- فقر الدولة من فقر أفرادها ، وغناها من غناهم ١٩٦٤/٧
- نهرو . . كان إذا تكلم أنصتت الدنيا ١٩٦٤/٨
- جنة النفاق ١٩٦٤/٩
- لندن فى الصيف ١٩٦٤/١٠
- ولاء المجتمع للفرد قبل ولاء الفرد للمجتمع ١٩٦٤/١١
- عدل الأرض أم عدل السماء/ من واقع الحياة : جولة عند حافة بحيرة/ عربيات سقطت قيدها ١٩٦٤/١٢
- ست سنوات مباركة من حياة العربى ١٩٦٥/١
- المذاهب والتمذهب والأحزاب والتحزب ١٩٦٥/٢
- عيدان : عيد الأمير، وعيد الاستقلال والدستور ١٩٦٥/٣
- خذعوك فقالوا : تغير الزمان وما تغير الزمان ، ولكن تغيرت أساليب البغى والعدوان ١٩٦٥/٤
- يوم فى تاريخ البشر مشهود ومذكور ١٩٦٥/٥
- النكبة الكبرى فى ذكراها السابعة عشرة ١٩٦٥/٦

- الديمقراطية اتخذت منها دول الأرض ، زورا ، لقبا محببا إلى الناس ١٩٦٥/٧
- مدينتان بينهما نصف قرن من الزمان ١٩٦٥/٨
- موازنة بين الفرد والمجتمع ، يجب أن يعتدل هذا الميزان ١٩٦٥/١٠
- طبقات المجتمع ١٩٦٥/١١
- إسرائيل من القنبلة الذرية قاب قوسين أو أدنى ١٩٦٥/١٢
- بدأنا السنة الثامنة مباركة في حياة «العربي» ١٩٦٦/١
- أرقام تدغدغ الأفهام/ خفضوا سن الزواج لا ترفعوها/ ١٩٦٦/٢
- سومرست موم/ إحراق جثث الموتى ١٩٦٦/٢
- الوحدة العربية ليست شعارا يصرخ به المعارضون ليحجب الحقائق المرة حتى تفضحها الأيام/ وزير يستنجد بربات البيوت ولا يذكر أربابها/ الحرب الفيتنامية توشك أن تتحول إلى حرب ذرية/ شبابنا حائر قلق ١٩٦٦/٣
- التشاؤم والمتشائمون ١٩٦٦/٤
- أصدقاء وأجواء : الأحداث العربية أصدقاء لأحداث الدنيا ١٩٦٦/٥
- حجر الأم أول كرسى في مدرسة الحياة ١٩٦٦/٦
- شبابنا وثقافة العصر ١٩٦٦/٧
- لندن في صيف ١٩٦٦ ١٩٦٦/٨
- الجنون فنون ١٩٦٦/٩
- ألف مصنع ومصنع تفتح الآن أبوابها الآن لتصنع الرجال ١٩٦٦/١٠
- دنيا البيض ودنيا الصفر والسمر والسود ١٩٦٦/١١
- الحوافز في حياة الناس ١٩٦٦/١٢
- في العيد الثامن من ميلاد العربي ١٩٦٧/١
- دولة افتقدت كل ركائز الوحدة القومية/ جامعات الغرب

مفتوحة الأبواب اليوم وقد تضيق في وجه أهل الشرق مسالكها غدا/

- عالم الأطفال في الدنيا عالم أحلام ١٩٦٧/٢
- عيدان: عيد أمير، وعيد شعب كريم/ الفقر.. الفقر/ أنت أم أبوك ١٩٦٧/٣
- ديمقراطية البادية أصدق الديمقراطيات/ عبادة الفرد/ المسكن المسكن ١٩٦٤/٤
- الأحكام الكاسحة لا تجتمع، والمنطق، في رأس واحد.
- ما بعد عرى الأفخاذ إلا البطون/ يستغلون الجماهير بمضاعفة أثمان العقاقير ١٩٦٧/٥
- عقل الإنسان ميزان غير ثابت على الزمان/ رعاية الفرد في الأمم
- منهج في الدنيا جديد/ استطلاعات والدول العربية ١٩٦٧/٦
- النكسة الكبرى ثالث النكسات في ٢٠ يوما ١٩٦٧/٧
- الفارس الذي سقط منه عند النزال سيفه، لا يزال سليم القلب والجسد ١٩٦٧/٨
- الرأي العام: صار بضاعة تصنع في الناس ١٩٦٧/٩
- التكنية: سبب الغنى والفقر، والعزة والمذلة.. إلخ ١٩٦٧/١٠
- المساواة؟ نعم.. ولكن في أى شيء ١٩٦٧/١١
- البرو باجنده لفظ برىء صاف كالماء في الزجاج، تدخله السياسة فيتلون ١٩٦٧/١٢
- أتممنا السنة التاسعة من عمر «العربي» ١٩٦٨/١
- المسألة العربية وتاجر الصابون/ أحب المرأة التي لا تقول لا وتقول نعم/
- الخنزوع أشقى ما تشقى به الأمم/ المعلم كالسيارة
- هي من طراز ١٩٣٠ أو ١٩٥٠/ روح العصر المتطور السريع ١٩٦٨/٢
- محنة ولا كل المحن ١٩٦٨/٣
- هذه المدنية زادت الناس تجميعة أم تشتيتا/
- التاريخ قال قائلون إنه يعيد نفسه وقال آخرون إنه لا يعيد ١٩٦٨/٤
- قصة مأساة من مآسى الحياة الدولية آذنت باختتام ١٩٦٨/٥

- حرب العصابات : رجالها فدائيون عند الأصدقاء . .
- ١٩٦٨/٦ إرهابيون عند الأعداء / أزمة الملونين
- ١٩٦٨/٧ الفن والفنانون بين العبقرية والجنون
- الأخلاق ، إذا عجز العقل عن القول فيها ،
- ١٩٦٨/٨ قامت معايير أخرى تدعم قواعد السلوك والأخلاق
- ١٩٦٨/٩ لندن في صيف ١٩٦٨
- ١٩٦٨/١٠ جارتان : صغيرة وكبيرة ، التشيك والروس
- ١٩٦٨/١١ العقل والإيمان : عينان بهما يبصر الإنسان سبيل الحياة ويهتدى
- ١٩٦٨/١٢ الدولة الخيرة ترعى أبناءها من يوم يولدون إلى يوم يسرون
- ١٩٦٩/١ نحن العرب : لا خوف علينا اليوم ولا غدا ، ولا بعد غد ولا نحن نحزن
- ١٩٦٩/٢ اشتدى يا أزمة تنفرجى
- ١٩٦٩/٣ الحرب اليوم علم وتقنية
- القبعة تغيرت وظل الرأس واحدا لم يتغير/
- ١٩٦٩/٤ شهر انتظار واصطبار وترقب لم يأتنا بجديد
- الكتاب العربى سبب التخلف الحضارى والتخلف العلمى والتكنى
- ١٩٦٩/٥ فى روضة أو مدرسة أو جامعة
- ١٩٦٩/٦ ذكرى الخامس من حزيران وما بعد الخامس من حزيران
- القوة . القوة . سياسة الأمم لا تعرف غير القوة
- ١٩٦٩/٧ الحرية فى ظل العادات وفى ظل القانون
- ١٩٦٩/٨ الزعامة والزعماء : الزعامة بعض طبائع الأشياء
- ١٩٦٩/٩ المجتمع العربى
- ١٩٦٩/١٠ بين مؤتمرين : مؤتمر القمة الإسلامى ومؤتمر القمة العربى
- ١٩٦٩/١١

- رقابة لن تزيد العرب إلا صموداً
١٩٦٩/١٢
- ١١ عاماً من حياة «العربي»
١٩٧٠/١
- الولاء
١٩٧٠/٢
- فقر وغنى
١٩٧٠/٣
- رباطان هما مساك الأمم لا ينحلان أبداً: القومية والدين
١٩٧٠/٤
- الجامعات بين قديمها والحديث
١٩٧٠/٥
- هذا شهر حزين
١٩٧٠/٦
- الطعام والجنس
١٩٧٠/٧
- الصبغات السياسية
١٩٧٠/٨
- حيثما نظرت ففي الكون غموض وإيهام
١٩٧٠/٩
- تقطبت الأرض فدارت على قطبين
١٩٧٠/١٠
- من وحي رحلة في المغرب العربي لصيف عام ١٩٧٠
١٩٧٠/١١
- اللغة العربية إن شقت الوطن العربي شقين . فشق ينطق بالضاد .
١٩٧٠/١٢
- ديمقراطية مريضة
١٩٧٠/١٢
- إن تكن ماتت الوحدة الشاملة . .
١٩٧١/١
- (١) التربية كيف تمارس على التخلف والفقر
١٩٧١/٢
- (٢) المادية والروحانية عند الفلاسفة
١٩٧١/٢
- هلموا إلى الإصلاح
١٩٧١/٣
- يطلبون الحرية والأصل في الحياة القيود
١٩٧١/٤
- ما وجدت الحكومات إلا لتحمي الحريات
١٩٧١/٥
- حريات الإنسان
١٩٧١/٦

- معركة الفقر والغنى ٥١/٣٧٥/١
١٩٧١/٧
- رجال الشرطة بين حرية الفرد وسلامة الجماعة ٥١/٣٧٥/١
١٩٧١/٨
- لندن في صيف ١٩٧١ ٥١/٣٧٥/١
١٩٧١/٩
- جامعة الهواء ٥١/٣٧٥/١
١٩٧١/١٠
- الأسرة بين عصرين زراعي قديم، وصناعي حديث ٥١/٣٧٥/١
١٩٧١/١١
- أسموه إعلاما، وما هو إلا مواصلات بين أرواح وأفهام ٥١/٣٧٥/١
١٩٧١/١٢
- من بعد مواصلات بين أجسام وأجسام ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/١
- عصر الضياع... إنها حيرة الشباب في كل عصر ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٢
- مصادر السلوك الإنساني ثلاثي: الغرائز، والعادات، والضمائر ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٣
- حرية الصحافة ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٤
- الكتاب العربي بين أفية فاشية، وقرصنة باغية ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٥
- الجامعات في الأمم المختلفة ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٦
- تربية ابنك كانت تبعتك فصارت تبعه الدولة ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٧
- بين الحرية والكسب ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٨
- الزعامة والزعماء ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/٩
- حزبان ولكن! ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/١٠
- بين التخصص والتعميم في الدراسات الجامعية ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/١١
- الأخلاق والقيم والعادات في حياة الناس ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٢/١٢
- حضارتان عريقتان يعيش العربي في ظلها ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٣/١
- حقائق عشر عن تخلف الشرق ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٣/٢
- للجدل آداب لابد من إحيائها ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٣/٣
- الدعوة، الدعاية، الإعلام، البروباغندا ٥١/٣٧٥/١
١٩٧٣/٣

- من أين وإلى أين يارجال العرب؟ ١٩٧٣/٤
- عقادة العقد/ حرية الفكر في سلام وفي حرب/ ١٩٧٣/٥
- أكبر السعادة انتفاء الآلام لا متعة الأجسام
- منطق الحوار ومنطق القوة ١٩٧٣/٦
- الحضارة الحاضرة زيت وفحم ١٩٧٣/٧
- توحد المذاهب والمشارب والعادات في الأمة الواحدة يسهل مسيرة الحياة فيها ١٩٧٣/٨
- الأجور وكيف اختلفت بين الناس ١٩٧٣/٩
- قانون الطبيعة غذى حركات التحرير كل القرون ١٩٧٣/١٠
- الحرب في أيامها الأربعة الأولى . الأساطير الكاذبة ١٩٧٣/١١
- بعد ١٧ يوما من سير القتال/ الانسجام مع الجماعة سبيل العروبة إلى الحياة ١٩٧٣/١٢
- جندوا الأمة العربية ذكورا وإناثا/ الذرة التي قضت على هيروشيما ونجازاجي
- كادت تدخل ميادين الحروب لتقضى على الجنود ألوفاً ومئات ألوف ١٩٧٤/١
- الانفتاح على الدنيا ضرورة ١٩٧٤/٢
- إذا جمعت الحرب فلا بد أن يفرق السلم ١٩٧٤/٣
- المادة والمادية والروح والروحانية وسؤال المادة والمادية في العربية ١٩٧٤/٤
- اختلاف الرأي في سبيل الخير غير اختلاف الرأي عن خبث ومكر ١٩٧٤/٥
- الحضارة الحاضرة سبقتها حضارات كثيرة ١٩٧٤/٦
- التقاليد ١٩٧٤/٧
- هيئة الأمم المتحدة تركت الكرة في الميدان،
- وجلست تشهد اللعب مع المشاهدين ١٩٧٤/٨
- الاحتكار ١٩٧٤/٩

- أهل اليمين وأهل اليسار ١٩٧٤ / ١٠
- الأسعار الأسعار ١٩٧٤ / ١١
- الفقر أكثر أسباب التخلف أصالة ١٩٧٤ / ١٢
- مكانة المرأة في سائر الأمم عبر القرون ١٩٧٥ / ١
- ميكافيلي السياسى الذى لعن الساسة ١٩٧٥ / ٢
- الضمير لفظ له معنى في اللغة لم يعرفه العرب ١٩٧٥ / ٣
- الحرب والسلم بينهما فرق شعرة ، هى الموت والحياة لآلاف من البشر /
- دنيانا هذه مريضة تزداد مرضا عاما بعد عام / حلقات الدراسة والتدريب ١٩٧٥ / ٤
- أيها العرب تناسلوا تكاثروا حتى تملثوا البر والبحر عربا ١٩٧٥ / ٥
- لا صلح بين الزعماء إذا لم يتبعه صلح بين الشعوب و صلح الشعوب أعصى /
- وفي لبنان فتنة / فيتنام لها قصة من قصص الزمان تروى ، وبها عبرة ١٩٧٥ / ٦
- هذه القضية العربية إلى أين تسير بها الأيام ١٩٧٥ / ٧
- سوق عكاظ أيكون له نشر من بعد انطواء ١٩٧٥ / ٨
- ربابة البيت أول مهنة ، وأقدم مهنة ، وأثقل مهنة ، وأكرم مهنة امتهنتها
- الأنثى في شتى العصور ولسائر المهن في حياة المرأة المكان الثانى ١٩٧٥ / ٩
- الأزل والأبد معنيان تحديا فطنة الإنسان من قديم العصور والأزمان ١٩٧٥ / ١٠
- قالوا: المصلحة أولا. وقالوا: أما العواطف من تراحم وود ،
- ومن صداقات وحب فأشياء عفى عليها الزمان ، وبش ما قالوا ١٩٧٥ / ١١
- الافتتاحية الأخيرة ١٩٧٥ / ١٢

- ١١\٥٧٦١
- ١١\٥٧٦١ •
- ٢١\٥٧٦١
- ١\٥٧٦١
- ٢\٥٧٦١
- ٦\٥٧٦١
- ٣\٥٧٦١
- ٥\٥٧٦١
- (٢) المقالات العلمية في مجلة العربي
- ١- المقالات التي نشرت في الأعداد الأولى وفهرست تحت عنوان «علوم»: لبنان
- ٧\٥٧٦١
- ٨\٥٧٦١
- إيكمان: أول من اكتشف الفيثامينات
- للنمل ذكاء
- اليد الإنسانية: تفرق ما بين الإنسان والحيوان
- شجرة مباركة: زيتونة
- طائر تحدث: المينا الطائر الناطق
- أي الألوان لونك: لكل نفس لون ترتاح إليه
- عينك تخدعك: العين أشد الحواس صدقا
- هذا الكون العجيب

- العلم يكشف الجريمة : بائعو جثث الموتى ١٩٥٩/٤
- الجراد : وجد منذ آلاف السنين ١٩٥٩/٥
- قصة الخلق : إن أكثر الحيوانات تنشأ من بيضة ١٩٥٩/٥
- قصة الخلق : كل حي يبدأ من بيضة ١٩٥٩/٦
- الانتحار له أسبابه وصداه في المجتمع ١٩٥٩/٧
- الثعابين : مخلوقات من أعجب الخلق ١٩٥٩/١٠
- ملح الطعام : قام مقام الفضة والذهب ١٩٥٩/١٠
- النحل : مجتمع ديمقراطي عجيب ١٩٥٩/١٢
- السواحل أكثر مواقع الأرض تعرضا للزلازل ١٩٦٠/٤
- قصة الخلق : إناث لم تعرف الذكور قط ١٩٦٠/٤
- فلورى وفلمنج : كاشفا البنسلين ؟ ١٩٦٠/٥
- العلم يكشف الجريمة : فتاة ، وفندق ، ودماء ١٩٦٠/٥
- قصة الخلق : عقم الرجال ١٩٦٠/٦
- أول بئر للزيت حفروها منذ مائة عام ١٩٦٠/٦
- بضبات الأصابع بدأت في أوائل هذا القرن ١٩٦٠/٧
- الذبابة أكثر الحشرات إيذاء للناس في الصيف؟ ١٩٦٠/٨
- البعوض من بعد الذباب ١٩٦٠/٩
- العلم يكشف الجريمة : عندما يتحدث الزجاج ١٩٦٠/٩
- كان يتلون تلون الحرباء ١٩٦٠/١٢
- طواحين هوائية ترفع الماء وتروى الصحراء ١٩٦٠/١٢
- الفيروسات جسر مابين الجمادات والأحياء ١٩٦١/١

- الأرض طعام نصف سكان الأرض ١٩٦١/٢
- قصة الخلق : التوائم ١٩٦١/٣
- التماثل في الوجه واليدين والخلق ١٩٦١/٥
- شجرة تعيش آلاف السنين ١٩٦١/٨
- قصة الخلق : هل يفهم الحيوان وهل يعقل؟ ١٩٦١/١٠
- قصة الخلق : من الجرثومة إلى الفريخ ١٩٦١/١
- محصول عام ٦١ من كشوف العلم ١٩٦٢/٢
- للدجاج شخصيات ١٩٦٢/٤
- منخفض القطارة ١٩٦٢/٥
- أعمار الناس ١٩٦٢/١٠
- الحصان : هل ينقرض؟ ١٩٦٢/١١
- أيها الآباء ! لا تحسبوا الأعمار بالسنين ١٩٦٣/٩
- أرق وأطرف دعاء : سلمت يداه ١٩٦٣/١١
- البيغاوات ألقتها الإنسان تعلمها الكلام ١٩٦٤/١
- هذه الأرض كم تعرف عنها ١٩٦٤/٢
- الربيع مهرجان الحياة الأكبر ١٩٦٤/٤
- القط به إباء وفضول وبه فهم وذكاء ١٩٦٤/٤
- الطب والعلم في عام ١٩٦٣ ١٩٦٤/٤
- غاز البوتان : لا البوتاجاز ١٩٦٤/٥
- رجال الهندسة عند العرب ١٩٦٤/٩
- في أعماق البحار : حياة أى حياة ١٩٦٤/١٠
- تجارة عظيمة في عظام الموتى ١٩٦٥/٢
- المرصد الطائر أكبر خطوة خطاها علم الفلك ١٩٦٥/٣

٢- المقالات التى كتبها الدكتور زكى عن الذرة والفضاء

ثم فى «ركن الفضاء والذرة»

- ١٩٥٨/١٢ □ الذرة تنافس الزيت
- ١٩٥٩/٣ □ أول سجين يهرب من الأرض
- ١٩٥٩/٨ □ الحوامة : سيارة تسير على فراش من هواء
- ١٩٥٩/٩ □ وجه القمر فضحته العدسات فإذا هو قطعة من حجر
- ١٩٥٩/٩ □ أول سفينة ذرية تحمل الناس والبضائع
- ١٩٥٩/١٠ □ أول طائرة عبرت المانش وأول حوامة
- ١٩٦٠/١ □ أول اتصال بالقمر منذ كانت أرض وكان قمر
- ١٩٦٠/٣ □ ماذا بعد القمر؟ الزهرة، أقرب الأجرام إلينا بعد القمر
- ١٩٦٠/٣ □ الإشعاع الذرى ، كيف يعكس
- ١٩٦٠/٧ □ أرضنا هذه أرض واحدة أم فى العالم أرضون ؟

- السنة القمرية ما صنعها محمد ، ولا الشمسية صنعها عيسى ١٩٦١/١
- رأيت السماء مظلمة ، والشمس طالعة ١٩٦١/٢
- الأقمار الصناعية تنبأ بحال الجو لعام أو لعامين ١٩٦١/٣
- شعاع الموت بعد القنابل الذرية ١٩٦١/٤
- رجل الفضاء الأول ١٩٦١/٦
- الذرة حررت أمما من بعد استعمار ١٩٦١/١١
- الذرة تحصى على المخلوقات أعمارها ١٩٦٢/١٢
- التلستار : ذلك القمر الدوار ١٩٦٣/١
- الذرة تشق طريقها إلى الصناعة وسائر مرافق الحياة شقا حيثما ١٩٦٣/٢
- قصة الملاح الذى أطلقوه إلى كوكب الزهرة ١٩٦٣/٤
- الذرة تشق طريقها إلى الصناعة وسائر مرافق الحياة شقا حيثما ١٩٦٣/٥
- الزهرة ربة الجمال وماسة السماء ١٩٦٣/٦
- الصواريخ تتعرض لنزوات الإنسان ١٩٦٣/٧
- بولارس : الصاروخ الذى سوف يعلن بدء خراب الدنيا ١٩٦٣/٨
- فى سبيل اكتشاف أعظم وأرخص مصادر القوة فى الدنيا ١٩٦٣/٩
- السلاح الذرى الحاسم : الإخفاق فى إنتاجه جعل خرسوف يكفر بالحرب ١٩٦٣/١٠
- السباق إلى القمر ١٩٦٤/١
- جنائز فى السماء بعد جنائز الأرض ١٩٦٤/٥
- القمر هل فيه جديد ١٩٦٤/١١
- التفجير الذرى يستخدم فى حفر القنوات ١٩٦٤/١٢
- بالذرة سوف يحلو ماء البحر ١٩٦٥/١
- الطائر الباكر: عصر فى التلفزة العالمية جديد ١٩٦٥/٧

- القمر فوهاتة أفواه براكين ١٩٦٥/٨
- المريخ خيب رجاء الإنسان فيه ١٩٦٥/١٢
- مفاعل ذرى تجريبى / مصنع ذرى يعطى الكهرباء ويحلى الماء /
- صور من الفضاء / محطة ذرية عائمة / الذرة فى علاج السرطان /
- الحنطة السوداء بعد إشعاعها ١٩٦٦/٢
- أقمار اصطناعية تدور حول القمر الطبيعى / فرنسا الدولة الثالثة / اليابان ١٩٦٦/٤
- جرمان يلتحمان فى الفضاء لأول مرة ١٩٦٦/٥
- الصواريخ الأضداد ١٩٦٦/٦
- الذرة والفحم والكهرباء ١٩٦٦/٨
- القمر ونزول «لونا ٦٩» على سطحه ١٩٦٦/٨
- أول مصنع ذرى للصناعة فى اليابان ١٩٦٦/٩
- قمر السماء يدير الإنسان حوله أقمارا ١٩٦٦/١٠
- الكوكبان التوءمان : الأرض والزهرة ١٩٦٦/١١
- القمر : صار الإنسان منه قاب قوسين ١٩٦٦/١٢
- الأرض فى التاريخ بين بسيطة ومكورة ١٩٦٧/١
- صورة للكرة الأرضية فريدة ١٩٦٧/٣
- أوضح صورة لسطح القمر ١٩٦٧/٤
- المفاعلات الذرية أصبحت تهدد العالم بأخطار جسيمة ١٩٧١/١
- المركبة الروسية بلا رجال / ألمانيا تشيد مفاعلا ذريا للأرجنتين ١٩٧١/٢
- إلى القمر - رحلة أبولو ١٩٧١/٤
- ٨١٢٢٥١
- ٨١٢٢٥١

٣- المقالات التي كتبت «في سبيل موسوعة علمية» :

١٩٦٦/١	□ المسك
١٩٦٦/٢	□ المسك أيضا: ثور المسك وفأر المسك
١٩٦٦/٣	□ الزباء، العنبر، القسطورة
١٩٦٦/٤	□ الفلفل
١٩٦٦/٥	□ العنكبوت: أدق غزال وأرق نساج
١٩٦٦/٦	□ الشيكولاتة والكاكاو
١٩٦٦/٧	□ كيف تصنع الكهرباء
١٩٦٦/٨	□ الفرن الذرى: ينتج الكهرباء، ووقود القنبلة الذرية معا
١٩٦٦/٩	□ سم الثعبان وترياقه

- الفلاحة فى الماء ١٩٦٦/١٠
- الفول السودانى ١٩٦٦/١١
- خرطوم الفيل : أنف طال ١٩٦٦/١٢
- الحياة معركة شاملة قاسية ١٩٦٧/١
- الجبن : الطعام الثانى الذى تبنى منه الأجسام ١٩٦٧/٢
- جملك سيارة الصحراء ١٩٦٧/٣
- الذرة : طب وزراعة وصناعة ١٩٦٧/٤
- عمرك أيها الإنسان وأعمار ما تألف من الحيوان ١٩٦٧/٥
- الوطاويط ، خفافيش الليل ١٩٦٧/٦
- النار ، فى سلم . . وفى حرب ١٩٦٧/٧
- المد والجزر فى بحار الأرض والمحيطات ١٩٦٧/٨
- الصحراء وما لها ، كتبائها وعواصفها ١٩٦٧/١١
- حبتان ، تسيطران على طعام الإنسان ، حبة الأرز، حبة القمح ١٩٦٧/١٢
- العناكب ١٩٦٨/١
- الطاقة ١٩٦٨/٢
- التوابل ١٩٦٨/٣
- الأسماك ١٩٦٨/٤
- الزهرة علم عنها جديد ١٩٦٨/٤
- بصمات الأصابع بين الشرطة والعلم ١٩٦٨/٦
- سمك القرش ١٩٦٨/٧

- ١٩٦٨/٨ □ مدافع الهاون . . التنظيف على الناشف
- ١٩٦٨/٩ □ السيلاحف
- ١٩٦٨/١٠ □ السمك وحفظه بالتجفيف والتعليق والتدخين
- ١٩٦٨/١١ □ البرلازل
- سلاسل البشر اختلفت أطوالا وأشكالا وألوانا وشعورا، وتطافت
- ١٩٦٨/١٢ □ فاختلفت حتى كادت تنبهم أصولها
- ١٩٦٩/١ □ الباروكة ومواضيع أخرى
- ١٩٦٩/٢ □ الخبز: وهو الطعام الأول : والأرخص الذي يأكله من الناس العدد الأكثر
- ١٩٦٩/٣ □ الطائرتان : الميراج والفانتوم
- ١٩٦٩/٤ □ الخنثافس
- ١٩٦٩/٥ □ في الطريق إلى الخماثر
- ١٩٦٩/٥ □ الإسفننج
- ١٩٦٩/٦ □ الخمائر
- ١٩٦٩/٧ □ الذرة : نبات لم يعرفه العرب
- ١٩٦٩/٨ □ الجوارح من الطير
- ١٩٦٩/٩ □ أشياء هذه الحياة : فيها "ثبوتة كثرة، وفيها النعمومة قلة
- ١٩٦٩/١٠ □ البطريرق
- ١٩٦٩/١١ □ الحرارة: كيف تصورها الأقدمون وكيف فضح سرها الأحدثون
- العجلة في خدمة الإنسان : من الساقية رافعة الماء ، ولعلها قلة شأنها في حياة الناس
- ١٩٦٩/١٢ □ إلى العجلة طاحنة الغلال ، إلى الطوريين صانع الكهرباء
- ١٩٧٠/١ □ أول إنسان دقت قدماه سطح الأرض

- ثلاثتك : كيف تعمل ؟ ١٩٧٠/١
- الألوان ١٩٧٠/٢
- الخشب وخطره في حياة الإنسان ١٩٧٠/٣
- الصابون ١٩٧٠/٤
- الخزف والفخار ١٩٧٠/٥
- الشمس أقرب نجوم السماء إلينا ١٩٧٠/٦
- نجوم السماء ١٩٧٠/٧
- حجرتنا ١٩٧٠/٨
- الجواهر الثمينة ١٩٧٠/٩
- طعام الإنسان : يختزنه له النبات اختزاناً ١٩٧٠/١٠
- البن . . والقهوة شرابه ١٩٧٠/١١
- الكيماويات البترولية ١٩٧٠/١٢
- الصاروخ : سلاح القرن العشرين ١٩٧١/١
- الأسلحة الكيماوية والأسلحة الميكروبية في الحرب العالمية الثالثة ١٩٧١/٢
- المعيز : أبناء عم الشياه وكلها أغنام ١٩٧١/٤
- الشياه : خراف ونعاج معا ١٩٧١/٦
- صور يستفاد منها عبر : إدارة الحياة ١٩٧١/٨
- صور يستفاد منها عبر : صحراء تخضر بالنبات من بعد اصفرار ١٩٧١/٨
- الأرض بين التسطح والتكور ١٩٧١/١٢
- أمنا الأرض كم مضى من عمرها المديد ١٩٧٢/١
- عمر الأرض والحياة والإنسان ١٩٧٢/٤
- الجبال ١٩٧٢/٥
- الماس ١٩٧٢/٦
- مجاهر العلم ثلاثة : الضوئي ، الإلكتروني ، الكاسح ١٩٧٢/٧

- صور وراء كل منها خبر: يريدون اللحاق بالركب/ أول لقاء ضد الجدرى
 ١٩٧٢/٨ اللغة الصينية فيها أكثر من ٥٠٠٠٠ رمز
- مريض النوم
 ١٩٧٢/٩
- المعدة تهضم اللحم ، والمعدة من لحم فلا تهضم المعدة نفسها
 ١٩٧٢/١٠
- السماء لماذا هي زرقاء
 ١٩٧٢/١١
- الإنسان : كيف قاس مكانه وكيف قاس زمانه
 ١٩٧٣/١
- التاريخ : لا نحس الزمن ومع هذا نعدده ونقيسه
 ١٩٧٣/٣
- الطائرة كيف ترتفع في السماء
 ١٩٧٣/٩
- يسألونك عن الصدى
 ١٩٧٣/٥
- كشوف فاجأت العلماء على قارعة الطريق
 ١٩٧٤/١
- سماعه الطبيب
 ١٩٧٤/٦
- غاز النفط
 ١٩٧٤/٧
- الشمس أم الطاقات
 ١٩٧٤/٨
- الجاذبية
 ١٩٧٤/٩
- الغطس والغطاسون
 ١٩٧٤/١٠

□ السلسلة الأولى : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الثانية : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الثالثة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الرابعة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الخامسة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة السادسة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة السابعة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الثامنة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة التاسعة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة العاشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الحادية عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الثانية عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الثالثة عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الرابعة عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الخامسة عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة السادسة عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة السابعة عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة الثامنة عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة التاسعة عشرة : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١
□ السلسلة العشرون : سلسلة رتب الملائكة : أياها	١٨١٢٥١

٤- المقالات التي كتبت في سلسلة وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه، والتي كونت بعد ذلك الجزء الأكبر من كتاب «مع الله في الأرض»:

□ السماء أشد دغدغة للفكر	١٩٧٠ / ١
□ الشمس أم الحياة	١٩٧٠ / ٢
□ أجسام الخلائق جميعا من هواء الجو	١٩٧٠ / ٣
□ الخلائق وغطاء الأجسام	١٩٧٠ / ٤
□ هياكل الحيوانات تكشف عن الوحدة الجارية بينها	١٩٧٠ / ٥
□ الحيوانات لابد لها من هيكل صلب يسند أجسامها	١٩٧٠ / ٦
□ المملكة الحيوانية والمملكة النباتية	١٩٧١ / ٣

١٩٧١/٧	□ التغذية . . والمواد الغذائية ، والهضم والأجهزة الهضمية
١٩٧١/٧	□ الخنائر
١٩٧١/٩	□ الهرمونات
١٩٧١/١١	□ للنباتات هرمونات كما للحيوانات هرمونات
١٩٧١/١٢	□ الهضم والتغذية لها أجهزة أربعة أعوان : الكبد والرئتان والقلب والكليتان
١٩٧٢/١	□ من هنا بدأت المسيرة مع الوحدة
١٩٧٢/٢	□ شعبة الإسفنج
١٩٧٢/٣	□ الحيوانات اللاسعة
١٩٧٢/٤	□ الديدان المفلطحة
١٩٧٢/٤	□ الديدان المدورة
١٩٧٢/٦	□ شعبة للحيوانات الرخوة
١٩٧٢/٩	□ العنكب : العنكب ليست حشرات
١٩٧٢/١٠	□ العقارب : صفات العقارب
١٩٧٢/١٢	□ وقفة بين شطرين من الحيوانات غير ذات فقار، وذات فقار
١٩٧٣/١	□ الأسماك
١٩٧٣/٢	□ الضفدع
١٩٧٣/٤	□ الزواحف
١٩٧٣/٥	□ العظايا أو السحالي
١٩٧٣/٦	□ الثعابين
١٩٧٣/٧	□ التماسيح
١٩٧٣/٨	□ الطير

- البيئة أصل الحياة ١٩٧٣/١٠
- الحيوانات ذوات الصدى ١٩٧٣/١١
- الخلية ١٩٧٣/١٢
- الوحدة كما تتراءى فى هياكل الحيوانات من ظاهره وباطنه ١٩٧٤/١
- الطعام وهضم الطعام وأجهزة هضم الطعام ١٩٧٤/٢
- الهضم وأجهزته فى ثلاث شعب ١٩٧٤/٣
- الديدان ١٩٧٤/٤
- بالوصول إلى الديدان بدأت خطة الخلق تتضح استطرادا منها إلى الإنسان ١٩٧٤/٥
- التماثل ١٩٧٤/٦
- الدورة الدموية فى الإنسان ١٩٧٤/١٢
- دم الإنسان ١٩٧٤/١٢

- ١١ - قلبك : ينقبض وينبسط ، ولا تعرف من قبضه ومن بسطه ١٩٦٠ / ٣
- ١٢ - هرمونات تعيد الشباب : قصة العقار «ه-٣» ١٩٦٠ / ٤
- ١٣ - أنت كالقاطرة : الفحم وقودها ، والطعام وقودك ١٩٦٠ / ٥
- ١٤ - الصلع : أسباب الصلع الأصلية مجهولة ١٩٦٠ / ٧
- ١٥ - شلل الأطفال ١٩٦٠ / ٨
- ١٦ - ضربة الشمس ١٩٦٠ / ٨
- ١٧ - هل يتحكم الإنسان في ذريته ، فيأتي بالبنين أو البنات ؟ ١٩٦٠ / ١٠
- ١٨ - الرمد : وأخيرا كشفوا عن فيروسه ! ١٩٦٠ / ١٠
- ١٩ - أنت تحمل جسمك ، فلا تحمل جسمًا ثقيلًا ١٩٦٠ / ١١
- ٢٠ - الروماتيزم : مرض قديم قدم الإنسان ١٩٦١ / ٤
- ٢١ - الفتق : لا يشفى منه حزام ، ولكن تحسم فيه جراحة ١٩٦١ / ٥
- ٢٢ - الإمساك : يشغل الناس إلى يوم يموتون ١٩٦١ / ٧
- ٢٣ - الدم الأحمر : كالذهب الأصفر له بنوك يختزن فيها ١٩٦١ / ٨
- ٢٤ - قد يقضى دم الأم على حياة جنينها : عامل «ريسوس» ١٩٦١ / ٨
- ٢٥ - مريض بالسكري يتحدث ١٩٦١ / ٩
- ٢٦ - هذه عينك ١٩٦١ / ١٠
- ٢٧ - للطبيعة ميزان أخل به الإنسان : تحديد النسل ١٩٦١ / ١١
- ٢٨ - العطس ١٩٦١ / ١٢
- ٢٩ - محصول عام ١٩٦١ من كشوف الطب ١٩٦٢ / ٣
- ٣٠ - منع الحمل : حبوب تعطى للرجال ١٩٦٣ / ١
- ٣١ - منع الحمل : بإجراء جراحة للرجل لا تفقده رجولته ١٩٦٣ / ٢
- ٣٢ - قرحة المعدة : علاج عجيب ثلاث ساعات يأكل بعدها المريض ١٩٦٣ / ٣
- ٣٣ - البروستاتة : مرض الأشياخ وطريق الكثير منهم إلى القبر ١٩٦٣ / ٥

- ١٩٦٣/٧ - ٣٤ - الحصبة : مرض الأطفال ، ومزيج الأمهات
- ١٩٦٣/١٠ - ٣٥ - في مرحاض عام : كاشف فليسكرى فى البول
- ١٩٦٣/١٠ - ٣٦ - نزول الأطفال قبل أوانها
- ١٩٦٤/١ - ٣٧ - المستريا لفظ له معنيان : علمى ودارج
- ١٩٦٤/٣ - ٣٨ - الطب والعلم فى عام ٦٣
- ١٩٦٤/٧ - ٣٩ - الإسبرين فى عامه الخامس والسبعين
- ١٩٦٤/٨ - ٤٠ - عرق الصيف نعمة أم نقمة
- ١٩٦٤/١١ - ٤١ - كشف رائع لمرضى السكر
- ١٩٦٦/١ - ٤٢ - أبو بكر الرازى طبيب الدولة العربية الأول
- ١٩٦٦/٧ - ٤٣ - أبوال الناس ، ما يصنعون بها فى المختبرات
- ١٩٦٦/٨ - ٤٤ - جهاز البول : كليتان وحالبان ومثانة ومخرج
- ١٩٦٧/٥ - ٤٥ - حصى فى الحويصلة الصفراوية
- ١٩٦٧/٦ - ٤٦ - الذبحة الصدرية والسدة القلبية
- ١٩٦٧/٧ - ٤٧ - السكتة المخية
- ١٩٦٧/٨ - ٤٨ - الكلرة : مرض القرون الماضية ووباء العصور الحاضرة
- ١٩٦٧/١١ - ٤٩ - الصفراء عرض ومرض
- ١٩٦٧/١٢ - ٥٠ - الجلوکوما

(٢) سلسلة «الطب المصور»

- ١- بصرك ، أعز الحواس عليك : كيف تمتحنه ١٩٦٧/٥
- ٢- الطفل رجل مكتمل الأعصاب ١٩٦٧/٦
- ٣- قلبك قلبان : أيمن وأيسر ١٩٦٧/٧
- ٤- شرطة النجدة في دم الإنسان ١٩٦٧/٨
- ٥- أول صيدلية في بغداد ١٩٦٧/١٠
- ٦- الطب والصيدلة عند قدماء المصريين ١٩٦٧/١٢
- ٧- الطب والصيدلة عند قدماء المصريين ١٩٦٧/١٢

- ٨- جالينوس ١٩٦٨/١
- ٩- كلية سليمة مكان كلية سقيمة . ١٩٦٨/٢
- ١٠- اللمس أحد الأحاسيس الخمسة ١٩٦٨/٣
- ١١- الهيكل العظمى للإنسان ١٩٦٨/٤
- ١٢- الطب في بابل ١٩٦٨/٥
- ١٣- الأحشاء ١٩٦٨/٦
- ١٤- عضلات جسمك ١٩٦٨/٧
- ١٥- الدورة الدموية ١٩٦٨/٨
- ١٦- الأوعية الليمفاوية ١٩٦٨/٩
- ١٧- أذن الإنسان ١٩٦٨/١٠
- ١٨- جالينوس / أبو الطب القديم ١٩٦٨/١١
- ١٩- كلية ميكانيكية تطيل الحياة ١٩٦٨/١٢
- ٢٠- جهاز الهضم في جسم الإنسان ١٩٦٩/١
- ٢١- كيف يقيم الإنسان جسمه ويوازن بين أجزائه فلا تميل ١٩٦٩/٢
- ٢٢- الكليتان ١٩٦٩/٣
- ٢٣- الخلية : الوحدة الأساسية في كل الكائنات الحية ١٩٦٩/٤
- ٢٤- الصدر : وفيه الرئتان وبينهما القلب ١٩٦٩/٥
- ٢٥- أسنان الإنسان ١٩٦٩/٦
- ٢٦- حركة الأجسام . . عضلات وعظام ١٩٦٩/٧

١٩٦٩/٨

٢٧- الكبد

١٩٦٩/٩

٢٨- المذاق عند الإنسان

١٩٦٩/١٠

٢٩- الطحال

١٩٦٩/١١

٣٠- ضربات القلب

١٩٦٩/١٢

٣١- جلد الإنسان

قد تم تلخيص نتائج الأبحاث

١- دراسة تأثيرات الأدوية على الكبد

٢١/٨٥٦١

٢- دراسة تأثيرات الأدوية على الطحال

١٨/٥٥٦١

٣- دراسة تأثيرات الأدوية على القلب

١٨/٥٥٦١

٤- دراسة تأثيرات الأدوية على الجلد

٢١/٥٥٦١

٥- دراسة تأثيرات الأدوية على الجهاز الهضمي

٢١/٥٥٦١

المقالات المتنوعة

- ١ - عازب يقول : أنا سعيد في عزوبيتي ١٩٥٨/١٢
- ٢ - ومتزوج يقول : أنا سعيد في زواجي ١٩٥٩/١
- ٣ - قصة رجل فشل في ترويج بضاعته ١٩٥٩/١
- ٤ - أعسر أيام الأمومة ١٩٥٩/٢
- ٥ - صوتك دليل عليك ، تأثير الصوت على الشخصية ١٩٥٩/٣

- ٦ - عالم الغيب : تعدد الوسائل في كشف الغيب ١٩٥٩/٤
- ٧ - فتاة الشرطة : ميدان جديد تقتحمه الفتاة العربية ١٩٥٩/٤
- ٨ - لا تأذن لجريمة الأمس أن تعكر صفو اليوم ١٩٥٩/٤
- ٩ - سقراط كيف مات ١٩٥٩/٥
- ١٠ - تحرر المرأة زاد نسبة الطلاق في النساء ١٩٥٩/٥
- ١١ - من أنت ؟ : درس نفساني لكشف شخصية الفرد ١٩٥٩/٥
- ١٢ - السيدة العجوز التي تحدثت إلى الحياة ١٩٥٩/٧
- ١٣ - فتاة تدخل الدير . عوامل اعتزلتها فهربت إليه ١٩٥٩/٧
- ١٤ - كونان دويل : صاحب شرلوك هولمز ١٩٥٩/١١
- ١٥ - رسالة جندي يموت إلى ولد له لم يولد بعد ١٩٥٩/١٢
- ١٦ - الغضب : أبيض وأسود وأصفر وأحمر ١٩٦٠/١
- ١٧ - التلبئة : قراءة الأفكار من مسافة بعيدة ١٩٦٠/٣
- ١٨ - وقفة عند قبور قوم نابيين ١٩٦١/٢
- ١٩ - الوشم عند مختلف الأمم ١٩٦١/٤
- ٢٠ - إذا أعطيت أحدا يدا فاجعلها يدك اليسرى ١٩٦١/٤
- ٢١ - ابن زهر الطبيب الشاعر الأندلسي ١٩٦١/٧
- ٢٢ - الحياة معركة . الوجه أكبر خادع ١٩٦٢/١
- ٢٣ - آداب السلوك ١٩٦٢/١
- ٢٤ - جورج واشنطن هزمته امرأة ١٩٦٢/١
- ٢٥ - ذكر أم أنثى ؟ الرجل لا المرأة هو المسئول عن ذلك ١٩٦٢/١
- ٢٦ - الحاج حسن تكمن سعادته في خدمة الناس ١٩٦٢/٢

- ٢٧ - مصطفى كامل : يوم وفاته ١٩٦٢/٢
- ٢٨ - آداب السلوك ١٩٦٢/٢
- ٢٩ - منع الحمل عن طريق المرأة ١٩٦٢/٢
- ٣٠ - اللغة اللغة يا مجامع اللغة !! ١٩٦٢/٣
- ٣١ - من واقع الحياة : القرية الحنون ١٩٦٢/٣
- ٣٢ - منع الحمل عن طريق المرأة ١٩٦٢/٣
- ٣٣ - آداب السلوك في الحفلات ١٩٦٢/٣
- ٣٤ - للأدب غايات ثلاث ١٩٦٢/٤
- ٣٥ - منع الحمل عن طريق الرجل ١٩٦٢/٤
- ٣٦ - أم نابليون ١٩٦٢/٤
- ٣٧ - آداب السلوك آداب السينما كيف تكون ١٩٦٢/٤
- ٣٨ - آداب السلوك . . بطاقات الزيارة ١٩٦٢/٥
- ٣٩ - إذا كرهت عملك فتحول عنه والسن طرية ١٩٦٢/٥
- ٤٠ - خصومة قديمة بين الأمواس واللحي ١٩٦٢/٦
- ٤١ - آداب السلوك ١٩٦٢/٧
- ٤٢ - أيمن أصلب عودا : نساء الأمس أم اليوم ١٩٦٢/٧
- ٤٣ - شيخ لا كالشيخ يتحدث عن المرأة ١٩٦٣/٢
- ٤٤ - المرأة أمتن بناء من الرجل ١٩٦٣/٣
- ٤٥ - ربات البيوت خرجن يعملن للحياة ١٩٦٣/٤
- ٤٦ - زوجك حافظي عليه . . سبع نصائح للزوجات ١٩٦٣/٥
- ٤٧ - مات أحمد لطفى السيد أستاذ الجيل ١٩٦٣/٥
- ٤٨ - أم خرجت بحكمة من حديثها إلى طفلها ١٩٦٣/٧

- ٤٩ - أين يتجه الطالب بعد المدرسة ١٩٦٣/٩
- ٥٠ - امرأة لا كالنساء ١٩٦٣/٩
- ٥١ - الخوارزمي رأس رياضي من أكبر الرءوس ١٩٦٣/١٢
- ٥٢ - في مخفر الشرطة : صبي هارب ١٩٦٣/١٢
- ٥٣ - التحية في قديم الزمان وحديثه ١٩٦٤/٣
- ٥٤ - إبراهيم لنكولن : يدفع دمه ثمنا لتحرير العبيد ١٩٦٤/٥
- ٥٥ - إقليدس حفظه العرب لأهل الغرب قرونا ١٩٦٤/٧
- ٥٦ - البيت والأسرة باقيا . . رغم أفلاطون ١٩٦٤/١١
- ٥٧ - رجل لا يشار إليه بالبنان ١٩٦٤/١٢
- ٥٨ - أزهار ولكنها حيوانية ، فوق صخور سموها مرجانية ١٩٦٥/١
- ٥٩ - قامتك يا سيدتي هي صحتك ١٩٦٥/١
- ٦٠ - ضمير يستيقظ ١٩٦٥/٢
- ٦١ - ضياء منزلك قبل زيتتك يا سيدتي ١٩٦٥/٣
- ٦٢ - كان لي زوجان ١٩٦٥/٤
- ٦٣ - أيتها الأم وزعي حنانك بالتساوي ١٩٦٥/٦
- ٦٤ - الطلبة أمزجة ثلاثة : واقعي ، ومثالي ، وبرجماتي ١٩٦٥/١٠
- ٦٥ - أنا وزوجتي في زيارة جيران لنا ١٩٦٦/١
- ٦٦ - لغات أهل الأرض ١٩٦٧/١
- ٦٧ - معجم عربي للمعاني ١٩٦٧/٥
- ٦٨ - ابن سينا ١٩٦٧/٦
- ٦٩ - الجهاز العصبي ١٩٧٢/١١

ثامنا : استطلاعات صحفية

اشتهرت مجلة العربى باستطلاعاتها المصورة التى بلغت حدا رائعا من الجمال والكمال ، وكان أحمد زكى صاحب فكرة الاستطلاعات وقام بنفسه ببعض هذه الاستطلاعات ، وهذه قائمة بالاستطلاعات التى قام بها أحمد زكى :

- ١ - الدجاج : تربيته رابحة فى الكويت (استطلاعات الكويت) ١٩٥٩/٥
- ٢ - لسان من نار يندلع من جوف البحر من بئر نطف (استطلاعات الكويت) ١٩٥٩/٩
- ٣ - مراكش ترقد عند جبال بعمائم بيضاء ١٩٦٠/٢
- ٤ - الرياض عاصمة السعودية ١٩٦١/٢
- ٥ - البرتقال فاكهة الشتاء ١٩٦١/٢
- ٦ - الصحراء الجزائرية تدفق الماء فيها بعد الزيت ١٩٦١/٩
- ٧ - الاستقلال (استطلاعات الكويت) ١٩٦٢/٧

تاسعا : أحاديث إذاعية

نشر الدكتور أحمد زكى عشرين حديثا من أحاديثه الإذاعية فى كتابه «سلطة علمية» الذى أصدره عام ١٩٤٨ ، ولم تكن هذه كل أحاديثه الإذاعية ، ولحسن الحظ فقد عثرت فى تراثه على قائمة بالأحاديث الإذاعية التى لم تنشر وقد أعدها أحمد زكى فيها يبدو توطئة لنشرها ، وقد رأينا من الواجب أن نطلع القارئ على هذه القائمة التى لا فضل لنا فى إعدادها :

١ - الحب والعلم ٢ - أمريكا كما وجدتها (١)

٣ - أمريكا كما وجدتها (٢) ٤ - أمريكا كما وجدتها (٣)

- ٥ - أمريكا كما وجدتھا (٤)
٧ - مشاكل الشباب (١)
٩ - لن ننساه
١١ - أفكار تتناقل وخواطر تتوارد
١٣ - أجسامنا حقول ترويبها الدماء
١٥ - هل يعقل الحيوان ؟
١٧ - الماء للحياة وعاء
١٩ - الضاحك الباكي
٢١ - قوانين مطبوعة وقوانين مصنوعة
٢٣ - عيناك
٢٥ - وطاويط
٢٧ - قصة الكفاح الأول
٢٩ - الإنسان العاجز
٣١ - القراءة في خدمتك
٣٣ - القس
٣٥ - اللسان
٣٧ - سموم
٣٩ - أصوات صارخة ، لا تسمعها الناس
٤١ - الحرب الميكروبية
٤٣ - الشيخوخة
٤٥ - الزكية التي نعيش فيها
٤٧ - عند ترعة المنصورية
٦ - خزان أسوان مصدر للثروة
٨ - مشاكل الشباب (٢)
١٠ - الآلام والتجلى
١٢ - الروح بعد الموت
١٤ - دماء الناس ليست سواء
١٦ - أكثر العلماء غفلة
١٨ - ثورة في عالم الميكروب
٢٠ - رفقا بالقوارير
٢٢ - قصة الذباب
٢٤ - شجرة مريم
٢٦ - محطة إذاعة في رأس قطرة
٢٨ - قصة الحصانة
٣٠ - حلا يخلو
٣٢ - الفلفل
٣٤ - من وحى الصيف
٣٦ - أمزجة الناس ستة ، فأين أنت منها؟
٣٨ - خروف العيد
٤٠ - لوكامين إخوان
٤٢ - الهاربون من الحياة
٤٤ - شعر الرجال وشعر النساء
٤٦ - لعنة المواقف في الشتاء البارد
٤٨ - خديجة ابنة عمران

- ٤٩- ٥٠- دعاء البحر
- ٥١- الصيف والمصايف
- ٥٢- حديث الدر والجوهر
- ٥٣- أين نحن من السماء؟
- ٥٤- العلم والضحك
- ٥٥- بـسـتـور
- ٥٦- كيف يمكن للبلاد العربية أن تستفيد من العلوم الحديثة؟
- ٥٧- كيف يمكن للبلاد العربية أن تستفيد من العلوم الحديثة؟
- ٥٨- كيف يمكن للبلاد العربية أن تستفيد من العلوم الحديثة؟
- ٥٩- الصيف والمصايف
- ٦٠- الشيوعية والمجتمع
- ٦١- أصدقاء ثلاثة

الفصل الثانى

أعمال عن الدكتور أحمد زكى

يلاحظ القارئ أننا جعلنا الأحاديث التى أجراها الصحفيون مع الدكتور أحمد زكى من الأعمال التى كتبت عنه، وضمناها هذا الفصل بالإضافة إلى التعليقات والردود التى كتبت تعليقاً أو رداً على بعض مقالاته.

أولاً : مقدمات كتب

١ - هذا المؤلف

مقدمة لكتاب « مع الناس » ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

بقلم د. فائق الجوهري

ثانيا : مقالات وأحداث صحفية وتعليقات

-الإشعاع

تعليق للأستاذ أحمد أمين الرسالة (١٥) ١٩٣٣/٨/١٥

-الحرب بالغازات الكيماوية،

س و ج مع الدكتور أحمد زكى

مجلة (هى) العدد الخامس (٣٤-٣٥).

-اسأل «مجرب» . . الكيمياء الذى يحضر الأدب

إنجيل ماركس الإثنين ١٩٥٠/٦/٢٩

-الدكتور أحمد زكى يتحدث عن حبه الأول الإثنين ١٩٥٠/٧/٢٦

-حديث الأدباء

طاهر الطناحى الهلال مارس ١٩٥١

-وزير الشئون يدعو إلى هجرة المصريين

ويطلب تحديد النسل

حيث يوجد الفقر والتعاسة الأخبار ١٩٥٢/٧/٧

- وزير العلم يكرم العلماء الإثنين ١٩٥٢/٧/٢١
- علماء في الجيش الجليل الجديد ١٩٥٢/٧/٢١
- رجل تحت الميكروسكوب
- « كاريكاتير مجسم صنع التمثال عباس الشيخ » الإثنين ١٩٥٣/٦/١٨
- إذاعات نرشحها للخلود الإثنين ١٩٥٣/٥/١١
- ندوة رمضانية في ضيافة الإثنين
- ضيوفها (أحمد زكى - عبد الجواد حسين -
- عبد الحميد عبد الحق - محمد خطاب -
- الشيخ أحمد حسن الباقورى) الإثنين ١٩٥٣/٦/١٨
- استقالة الدكتور أحمد زكى من مجلس فؤاد الأول
- المحرر ١٩٥٣/٨/١٢
- الدكتور أحمد زكى مديرا لجامعة القاهرة الأخبار ١٩٥٣/٨/١٨
- مدير جامعة القاهرة يقول : على أصحاب
- الرأى أن يدركوا خطر الحرية المعطاة لهم المصور ١٩٥٣/٨/٢٨
- مدير جامعة القاهرة يطالب
- بتهينة الاستقرار للطلبة الأخبار ١٩٥٣/٩/٦
- الرجل الذى يشرف على تعليم عشرات
- الألوف من الجامعيين يتعلم
- إلى الآن محمد خطاب الإثنين ١٩٥٣/٩/٧
- نصيحتى الأولى للشباب الإثنين ١٩٥٣/٩/٢٨
- مدير جامعة القاهرة يقول : لن يحرم
- طالب من المجانية مادام يستحقها الأخبار ١٩٥٣/١٠/١٨
- مشروع هام وخطير الإثنين والدنيا ١٩٥٥/٢/٧

- مدير جامعة القاهرة يقول :
- لن أكون طرطورا
١٩٥٣/١٠/٣٠ المصور
- هذه هى مشاكل الجامعة
كما يرويها الدكتور أحمد زكى
١٩٥٣/١١/٢٣ الجيل الجديد
- أهل الفكر فى صوامعهم ..
مع شيطان الشعر .. وأنغام بتهوفن ..
وتعاليم الشيخ محمد عبده فى صومعة
مدير الجامعة
١٩٥٣/١١/٢٧ المصور
- اسألوا أهل الفكر . الدكتور أحمد زكى
يجيب عن أسئلة قراء الإثنين
١٩٥٣/١٢/٢١ الإثنين
- الحكم الديمقراطية كما يجب أن نفهمه
١٩٥٣/١٢/٢١ الجيل الجديد
- كرسى الاعتراف ..
الإثنين تحقق مع الدكتور أحمد زكى
١٩٥٤/٢/٨
- مدير الجامعة يتكلم :
لماذا لم أستقل بعد أن هتف الطلبة بسقوطى
- مسئوليتى أمام ٢٣ ألف طالب كالعلقم
- سيأتى اليوم الذى أقدم فيه استقالتي
١٩٥٤/٣/٢٩ الجيل الجديد
- مدير الجامعة يرد على الجيل الجديد
١٩٥٤/٤/٢٦ الجيل الجديد
- مدير جامعة القاهرة يقول :
إننا نطلب الاستقلال للأمة
وننسى الاستقلال للفرد
١٩٥٤/٥/٨ أخبار اليوم

		- سهرة رمضانية مع الإثنين وضيوفاها:
		أحمد زكى ، محمد خطاب ، عزيز أباطة ،
١٩٥٤/٥/١٧	الإثنين	د. سعيد عبده ، ثروت أباطة
١٩٥٤/٨/٦	المصور	- من المسئول عن سوء نتائج الامتحانات
١٩٥٤/٩/٦	الجيل	- مدير جامعة القاهرة . . ساقط ابتدائية
		- الدكتور أحمد زكى يقول : أكثر الذين
١٩٥٥/٢/٢٤	الجيل	يتزوجون لا يعرفون مَنْ تزوجوا
١٩٥٥/٢/٧	الإثنين والدنيا	- حلم وكابوس
		- هذه هى قصة حبي أهديتها لكل
١٩٥٥/٢/١٣	الإثنين	عريس وعروس
١٩٥٥/٢/٢١	الإثنين	- ملوك الجمال يتسلمون جوائزهم
١٩٥٥/٥/٦	المصور	- ليلة رمضانية فى البيوت . . أين الفانوس ؟
		- المساعدات المطبخية طريق السعادة . .
١٩٥٥/٥/١٦	الإثنين	الدكتور أحمد زكى بين المعمل والمطبخ
		- الرجال الذين لم تعجبهم المصريات
١٩٥٥/٨/١٠	آخر ساعة	وتزوجوا أجنبيات
		- الدكتور أحمد زكى يتحدث عن الحمام . .
١٩٥٥/٩/٩	المصور	شدوذ الحمام كشدوذ الإنسان
		- فى حياتى الدراسية علقه لا أنساها . .
١٩٥٥/٩/٢٦	الإثنين	بضعة أقلام
١٩٥٥/١٠/٣١	الإثنين	- صورة وقصتها
١٩٥٦/٢/٦	الإثنين	- أخطر امرأة فى حياتى
١٩٥٦/٣/١	حواء	- عتاب (وتعليقات لأمنية السعيد)

- ١٩٥٦/٦/١١ الإثنين - تأنيب الضمير
- خمسة من النجوم الكبار ينصحون
النجوم الواعدة (عبد الحميد الحديدي،
عباس العقاد، زكي طليمات،
أحمد زكي، محمد عبد الوهاب)
- ١٩٥٦/١٠/١٣ الإذاعة
- ١٩٥٦/١٠/١٥ الجيل - شباب فوق الستين
- ١٩٥٦/١٠/١٦ أخبار اليوم - «تذكرة للقمر... من تأخذ معك؟»
- هل هناك مخلوقات في كواكب أخرى..
- تفوق أهلا لأرض ذكاء وعلمها
(تعقيب على الدكتور أحمد زكي)
- ١٩٥٩/٦/٢٧ أخبار اليوم محمد التابعي
- ١٩٦١/٢/٢٠ الأهرام - ماذا يقرءون : الدكتور أحمد زكي
- ملخص من تاريخ حياة الدكتور أحمد زكي
- ١٩٧٠ أكتوبر العربي رئيس تحرير العربي
- من أصحاب الأسلوب العلمي
- ١٩٧٣ سبتمبر الهلال د. عبد الحليم منتصر
- رحلة الدكتور أحمد زكي مع العقل والوجدان
- ١٩٧٤/٤/٢٠ الإذاعة سامح كريم
- يوميات الأخبار... لمسة وفاء
- ١٩٧٤/٩/١١ الأخبار حامد دنيا

- تحية إلى العالم الكبير في عيد ميلاده الثمانين

١٩٧٥/١

الهلل

نصرى عطا الله

- منشئ المركز القومى للبحوث يعالج فى القاهرة

١٩٧٥/٩/٢٨

الأهرام

صلاح جلال

- الدكتور أحمد زكى يقول : الجهالة عمت

مرافق الحياة

١٩٧٥/٥/١٠

أخبار اليوم

سيد نصار

ثالثاً : فى التآبين

- وفاة الدكتور أحمد زكى « أبو » العلماء المصريين		
المحرر	الأخبار	١٩٧٥/١٠/١٤
- وفاة الدكتور أحمد زكى رئيس تحرير العربى ومدير جامعة القاهرة الأسبق المحرر		
	الأخبار	١٩٧٥/١٠/١٤
- مات أحمد زكى أبو العلماء المصريين ودفن فى تراب مصر المحرر		
	الجمهورية	١٩٧٥/١٠/١٥
- أبو العلماء وعالم الأدباء الذى رحل د . عبد المنعم أبو العزم		
الأهرام		١٩٧٥/١٠/٢٧
- بعد أن انتهينا من طباعة هذا العدد مات د . أحمد زكى		
العربى		نوفمبر ١٩٧٥

د. أحمد زكى	البيان	نوفمبر ١٩٧٥
- عزيزى القارئ	العربى	ديسمبر/ ١٩٧٥
- تحية وعزاء		
عبد الرازق البصير	العربى	١٩٧٥ / ١ / ١٢
- الدكتور أحمد زكى (قصيدة)		
د. حسان حتحوت	العربى	١٩٧٦ / ١
- كلمة الدكتور إبراهيم مذكور		
في حفل تأبين الدكتور أحمد زكى	مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٧ : مايو ١٩٧٦	
- كلمة الدكتور حامد جوهر		
في حفل تأبين الدكتور أحمد زكى	مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٧ : مايو ١٩٧٦	
- كلمة الدكتور عبدالمنعم أبو العزم		
في حفل تأبين الدكتور أحمد زكى	مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٧ : مايو ١٩٧٦	
- كلمة اللواء حسن عاكف		
في حفل التأبين	مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٧ : مايو ١٩٧٦	
- كلمة للدكتور حسن إبراهيم (عند		
استقباله عضوا في مجمع اللغة)		
عن سلفه الدكتور أحمد زكى	الثقافة	١٩٧٨ / ٥
- الله في الفكر العربى . .		
أحمد زكى (من عشرة مفكرين)		
فتحى العشرى	الأهرام	١٩٨٠ / ٨ / ٨

ملحق

رسالة من الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو العزم رئيس أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا

السيد الأستاذ الدكتور محمد محمد الجوادى

تحية طيبة وبعد:

فقد أسعدنى قراءة كتابكم «أحمد زكى» «حياته.. فكره.. وأدبه» قضيت عدة أمسيات مع أسلوبكم الرفيع الذى تناولتم فيه سيرة هذا العالم الأديب المفكر. أتذكر - وكذلك غيرى ممن أسعدهم الحظ بمعرفة الدكتور أحمد زكى معرفة شخصية - الكثير من مواقف فى حياته الأخيرة بالإبداع. فقد ولد بذكاء فائق ونمى هذا الذكاء فى مراحل حياته كلها

فأوصله ذكائه إلى العبقرية التي تفتحت وأثمرت ولم يكن قد بلغ الخامسة والثلاثين - بعد - عندما حصل على درجة دكتوراه العلوم D.Sc. من جامعة لندن عام ١٩٢٨ - وهذا الإنجاز بالمقاييس المتعارف عليها في إنجلترا - دولة التقاليد والبخل الشديد في منح الألقاب - يضعه في صفوف العباقرة في العلوم - وكذلك في مصر حيث يبلغ عدد الحاصلين على هذه الدرجة من المصريين حسب إحصائيات أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا (١٩٨٤) ١٩ (تسعة عشر) من بين ١٤١١٨ (أربعة عشر ألف ومائة وثمانية عشر) من الحاصلين على درجة دكتوراه الفلسفة Ph. D في مجالات العلوم الاجتماعية والطبية والهندسية والزراعية والعلوم البحتة.



وتعددت مواهب الدكتور أحمد زكي... يمتلك ناصية الأدب - كان رحمه الله حتى في كلامه العادي يستخدم أسلوبا في الأدب لم يسبقه إليه أديب ، أسلوبا مثيرا لا يخطئه قارئ متمرس في قراءة الأدب. ولا شك في أن عبقريته في العلوم أفادته في أدبه فوائد كثيرة فتجده يدقق في اختيار اللفظ دقة لا يصل إليها إلا العالم المتمكن - وتجده يضيف دائما جديدا في كل ما يكتب .. في السياسة .. في الاجتماع .. في الشعر .. في الوطنية .. في القومية .. فيصل في هذا كله وغيره إلى عبقرية لا يدانيه فيها أحد .. وتجده يجدد في كتاباته فيتناول كل تلك الموضوعات ومنها الشائك الذي يتطلب الحرص والحذر ولكنه بعبقريته يستطيع أن يسير بقدّم ثابت فوق الأشواك فلا يصيبه منها إلا الإعجاب بعبقريته وثاقب فكره وعلو شأنه. ولعل من ذلك تعليقه على ما ذكرته بعض الصحف والكتاب عن الأطباق الطائرة وما تعرض له من هجوم من بعض كبار الكبار وقتئذ (١٩٤٧) وإهماله لكل ما قيل - والآن وبعد ٣٨ سنة يتضح لنا ثاقب رأيه ونفاذ بصيرته.

ولقد كان رحمه الله يملك ناصية الموضوع بحثا وتدقيقا وإضاءة وتجديدا فيرقى إلى الأستاذية بل يرقى إلى أن يكون أستاذ الأستاذة في كل ما كتب وأبدع. هو إذاً وبكل المقاييس العالم الموسوعة لا يباريه في هذا أحد ممن سبقوه.

لقد أوردت فى كتابك الكثير مما يؤكد ما ذهبت إليه ، وأضفت إلى عمره سنين أخرى .. لقد أعطيته حقه كاملا فى كل المجالات التى اهتم بها وحاضر وكتب فيها إلا الناحية الأساسية فى عبقريته .. ألا وهى العبقرية فى العلم .. النظرى والتجريبى .. والتفوق فى فكره عن مستقبل العلم والبحث العلمى فى مصر ثم فى البلاد العربية بل وفى العالم ..



لقد تناولت فى عجالة ما كتبه عن «مجلس فؤاد الأول الأهلئ للبحوث ماضيه القصير وحاضره ومستقبله» وهو الكتاب الذى أوجز فيه نشأة هذا المجلس وما بذله فى إنشائه وما لقيه من عنت .. حتى تحقق له بعض ما كانت تصبو إليه نفسه .. تضمن هذا الكتاب - صغير الحجم عظيم الفائدة - محاضرة له ألقاها عندما أنتخب رئيسا للمجمع المصرئ للثقافة العلمية عام ١٩٤٤ .. فى هذا الكتاب أوجز الدكتور أحمد زكى - فكره فى دور البحث العلمئ فى خدمة المجتمع - سواء أكانت البحوث أكاديمية أو تطبيقية أو تطويرية .. وكان رحمه الله قد بدأ فى تحقيق هذه الأمانئ ... فأنشأ «مجلس فؤاد الأول الأهلئ للبحوث» وكان لزاما على المجلس أن تكون له معامل ومعاهده ومراكزه التى تجرى فيها البحوث فى شتى المجالات تخدم الحياة كلها .. صناعة .. زراعة .. صحة .. تجارة .. سياسة .. أمن .. عدالة .. إنسانئ .. كلها تحتاج - إذا كنا نرغب فى التقدم - إلى بحث علمئ يساند ويدعم جميع مشروعاتها .. هو إذاً يريد للعلماء أن يكونوا متبوعين وليسوا تابعين .. كما كان الحال وما زال ..

وبدأ بإنشاء مبنى لمعمل «الكيمياء والصناعة القومئ» على أن يتبعه معامل «اللفيزيكا» ، «الطاقة» ، «الزراعة» ، «النقل والمواصلات» «الصحة» ، «العلوم الاجتماعية» وغيرها .

انظر ماذا فعلوا بكل هذا بعد أن «أخرج» من مجلسه عام ١٩٥٣ - نسى اسم «مجلس فؤاد الأول الأهلئ للبحوث» وكأنه لم يكن وسمى مبنى معمل «الكيمياء والصناعة القومئ» باسم «المعهد القومئ للبحوث» (١٩٥٤) ثم «المركز القومئ للبحوث» (١٩٥٦) وانصرف العمل لغير ما أنشئ من أجله فأصبح طابعه البحث الأكاديمئ فإن تعدئ ذلك - فى القلة القليلة منه «كان تطبيقيا يبقئ

حبس الأدرج أو على رفوف المكتبات - وتعدد فيه أنواع البحوث من صناعية وزراعية وطبية... وغيرها.

ثم انشئ المجلس الأعلى للعلوم عام ١٩٥٥ ليقوم بدور مجلس فؤاد الأول الأهلئ للبحوث .. واستبدل بوزارة البحث العلمئ (١٩٦١) ثم المجلس الأعلى للبحث العلمئ (١٩٦٥) ثم وزارة البحث العلمئ (١٩٦٨) ثم أكاديمية البحث العلمئ والتكنولوجيا (١٩٧١).

وخلال الفترة من خروج الدكتور أحمد زكئ من مجلسه حتى ١٩٧١ كان الفكر فى تنظيم البحث العلمئ ودوره فى مصر يقترب من أفكار الدكتور أحمد زكئ فى القليل ويعد فى الكثير.



وابتداء من عام ١٩٧١ اقتربت الأكاديمية من فكر أحمد زكئ. وكنت نائباً لرئيسها - وزاد القرب بدءاً من عام ١٩٧٣ عندما شرفت برئاستها... كان فكره وما وضعه من تنظيم دستوراً نهئدى به... ثم جاءت الإضافات لفكره الرفيع... فالتغيرات فى مجالات العلوم والتكنولوجيا كثيرة... تتطلب الكثير من التغيير ، ولكن لابد أن يسبق هذا التغيير وضع الأسس وتبئتها - وقد تضمن فكر أحمد زكئ الكثير منها... فالإضافة لم تكن تحولاً عن فكره... بل تأكيد لأن هذا الفكر الناضج وضع أسسا لإضافة كان لابد منها.. وهذا شأن الأستاذ العالم المتميز الذى يغرس فى تلاميذه القدرة على الإضافة..

وأذكر أنئ عندما دعوته لزيارة الأكاديمية (سبئمبر ١٩٧٤) ألتقى بعدد من رفاقه وتلاميذه ، ثم دعوته لزيارة «المركز القومئ للبحوث» ، ورافقته فى الزيارتين .. وفى طريقنا إلى المركز أذكره يقول لئ : «خرجت من مبنى المركز فى سبئمبر ١٩٥٣ وأعود إليه معك فى سبئمبر ١٩٧٤» وبعد زيارته لبعض معامل المركز طلبت منه الجلوس حيث كان يجلس قبل سبئمبر ١٩٥٣ حينما كان مديرا للمركز وجلست بجواره أمام أكثر من خمسين من أساتذة المركز ، وأذكر أنئ فى تقديمئ له قلت : «كتب علينا أن نبلغ سن الرشد فبعد ٢١ سنة من خروج الدكتور أحمد زكئ من بيته هذا قبل أن

ندعوه إليه وهو صاحب البيت بلا منازع» وقدمته ليحاضرنا فيما شاء من فكر وتحدث ساعتين بفكر صاف تناول فيها معارف جديدة فى كل ميادين البحث العلمى.. وكانت آخر مناسبة للقاءه.. وان لم تكن آخر مناسبة للاتصال به من خلال ينابيع فكره فى كتابه الشهير «العربى» الذى كنت أحرص على قراءته..



كانت وفاته خسارة كبيرة للعالم العربى.

وإذا كان العالم العربى قد كسبه كاتباً فى مجالات متعددة بأسلوب رفيع وفكر عميق يتناسب مع عبقريته.. فأنى أعتبر أن مصر خسرت عبقرى فى العلوم وتنظيمها منذ أخرج من المجلس فى سبتمبر ١٩٥٣..

وأرجو بأن تسمحوا لى بوقفه عند هذا الموضوع..

لقد وهب الله مصر فى حياة أحمد زكى العلمية عباقرة فى الأدب والسياسة وعلوم الاجتماع.. ممن أبدعوا فى تلك المجالات كتابة وقراءة.. فى المحاضرات والإذاعة وغيرها. ولكنه فى العلم النظرى والتجريبى وتنظيم البحث العلمى لخدمة المجتمع كاد أن يكون وحيداً... وكان سابقاً..

واستمحيك عذراً - وعذرى أنى انتسب إلى العلم - أن أقول بأن تعدد عبقریات أحمد زكى كانت من سوء حظ العلم.. فلو أنه كان عبقرى فى العلم وحده لكفاه هذا ذكرى ، ولأخذ بيد العلم والعلماء فى مصر أكثر من عشرين عاماً عاشها بعيداً عن المعامل التى كان يعشق الإقامة فيها..

كان لا يرضى بالإقامة بأرض الفشل - حسب تعبيره - وكان على المسئولين فى الدولة - ومنذ قيام الثورة أن تترك له اختيار الأرض التى يعشقها ، وأن تضع تحت تصرفه كل ما يحقق لها أن تكون أرض الثمار والنجاح حتى يبقى بها.

وأسرع أحياناً وأحلم - بحال بلادنا لو بقى أحمد زكى متربعا على قمة جهاز البحث العلمى

الذى نشأ وعشقه حتى لقي ربه فى عام ١٩٧٥ كما تفعل الدول المتقدمة بعلمائها العباقرة من أمثال أحمد زكى.

وقد تقول إنه أثرى ميادين أخرى - ولكنها يا أخى الأنانية التى يشعر بها كل منتسب للعلم.. والفرض غير قابل للتحقيق... وهو حلم واستدرك فأقول: بل إن موهبته فى الأدب مكنته من التعبير البليغ عن فكره وآماله وطموحه فى دفع البحث العلمى ليكون وسيلة إلى التقدم والرقى - عبر عنها حديثا للمسؤولين أدبا بكتابته لهم فمكنته ذلك من التبشير بالأمل الكبير الذى يمكن تحقيقه عن طريق البحث العلمى الهادف.



هل يتسع وقتك لمزيد من القول عن أحمد زكى.

كان من العاملين بما يعلمون ويقولون.. حذر من اتخاذ العلم مهنة... كما ذكرت فى كتابك. لذلك عندما دعى للمشاركة فى إنشاء نقابة العلميين قال قولته المشهورة «أنا لا أمتهن العلم»... نعم - رحمه الله لم يمتنه.



وعندما عدت من البعثة فى يوليو ١٩٥٤ وما أن انتظم بى المقام فى «المعهد القومى للبحوث» سعيت للقائه بمنزله فى أكتوبر ١٩٥٤ وكان قد «أخرج» من جامعة القاهرة ولقيته فى حديقة منزله وأطلعته على خطاب من أستاذى بإيجلترا (مرفق) وبعد قراءته حضر للزيارة اثنان من عمداء كليات الجامعة فأعاد قراءة خطاب الأستاذ أمامهما ، ولم يكن له حديث طوال الجلسة إلا عن هذا الخطاب وما يذكره به قبل ثلاثين سنة وهو بين جامعات ليفربول ولندن والنمسا...

ولعله أحس بأنه جامل تلميذه بأكثر مما يستحق أو بما قد يسببه له من «غرور» فكان أن قدمنى لمحاضره - بعد الزيارة بشهر تقريبا فى الجمعية الكيميائية وكان يرأسها ، قدمنى بما ذكرت فى كتابك

... يتعجلنى إنجازا لمصر حتى يحكم عدلا ... وأوفى بوعده عندما زار الأكاديمية والمركز القومى للبحوث فى سبتمبر ١٩٧٤ بعد عشرين عاما من القائمين (١٩٥٤) وعلق على إنجازهما.



يقول : الإمام الشافعى فى مقارنة بين الإمام الليث والإمام أبى حنيفة رحمهما الله « كان الإمام الليث أعلم ولكن تلاميذه أضاعوه ».

وهذا ينطبق على أحمد زكى وزميله على مصطفى مشرفه فلم يشهد النصف الثانى من الخمسينيات وطوال الستينيات أى ذكر لأحمد زكى - وكان أول من يستحق جائزة الدولة التقديرية والكثير من الإشادة من تلاميذه وكان يرد ذكر على مصطفى مشرفه لما من بعض تلاميذه. رحمهما الله رحمة واسعة.

وأسبغ عليكم الصحة والخير بقدر ما بذلته من جهد فى ذكر أفضالهما على مصر والعرب وعلى أجيال من بينهم من شغل ويشغل الآن مناصب رفيعة فى مجالات العلوم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

دكتور عبد المنعم أبو العزم

١٩٨٥ / ١ / ١٤

كتب للمؤلف

□ في التراجم

- الدكتور محمد كامل حسين (جائزة مجمع اللغة العربية) (طبعان) ١٩٧٨ ، ٢٠٠٣
- مشرفة بين الذرة والذروة (جائزة الدولة التشجيعية) (طبعان) ١٩٨٠ ، ٢٠٠١
- الدكتور أحمد زكي - (طبعان) ١٩٨٤ ، ٢٠٠٣
- مايسترو العبور المشير أحمد اسماعيل - ١٩٨٤
- سماء العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض - ١٩٨٤
- الدكتور على باشا إبراهيم - ١٩٨٥
- الدكتور سليمان عزمى باشا - ١٩٨٦
- الدكتور نجيب محفوظ باشا - ١٩٨٦
- توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية - ١٩٨٨

• اسماعيل صدقي باشا - ١٩٩٨

• سيد مرعى - ١٩٩٩

• يرحمهم الله - ١٩٨٤

• مصريون معاصرون - ١٩٩٩

دراسات أدبية ونفوية

• كلمات القرآن التي لانستعملها (طبعان) - ١٩٨٤

• على هوامش الأدب - ٢٠٠٣

• أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى (طبعان) - ١٩٩٠

• من بين سطور حياتنا الأدبية - ١٩٨٤

✳ عاشق الحرية / الفكر السياسي لنجيب محفوظ

دراسات نقدية لكتب السير والمذكرات

• فن كتابة التجربة الذاتية : مذكرات الهواة والمحترفين - ١٩٩٧

• مذكرات وزراء الثورة - ١٩٩٤

• الثورة والحرية: مذكرات المرأة المصرية (طبعان) - ١٩٩٥، ٢٠٠٣

• نحو حكم الفرد : مذكرات الضباط الأحرار (طبعان) - ١٩٩٦، ٢٠٠٣

• محاكمة ثورة يوليو: مذكرات رجال القانون والقضاء - ١٩٩٩

• الأمن القومى لمصر: مذكرات قادة المخابرات والمباحث - ١٩٩٩

- من أجل السلام: مذكرات رجال الدبلوماسية المصرية - ١٩٩٩
- الطريق إلى النكسة: مذكرات قادة العسكرية المصرية (١٩٦٧) - ٢٠٠٠
- النصر الوحيد: مذكرات قادة العسكرية المصرية (١٩٧٣) - ٢٠٠٠
- في أعقاب النكسة: مذكرات قادة العسكرية المصرية (١٩٦٧ - ١٩٧٢) - ٢٠٠٠
- على مشارف الثورة: مذكرات وزراء الملكية (١٩٤٩ - ١٩٥٢) - ٢٠٠١
- في خدمة السلطة: مذكرات الصحفيين - ٢٠٠٢

□ أعمال موسوعية

- القاموس الطبى نوبل [بالاشتراك مع د. محمد عبد اللطيف] - ١٩٩٨
- البيلوجرافيا القومية للطب المصرى (٨ أجزاء) - ١٩٨٩ - ١٩٩١
- دليل الخبرات الطبية القومية وتاريخ التعليم الطبى الحديث - ١٩٨٧
- مجلة الثقافة [١٩٣٩ - ١٩٥٢] : تعريف وفهرسة وتوثيق - ١٩٩٣

□ أدبيات التاريخ المعاصر

- التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة - ١٩٨٦
- الوزراء (طبعتان) - ١٩٩٥، ١٩٩٧
- المحافظون (طبعتان) - ١٩٩٥
- البنیان الوزارى فى مصر [١٨٧٨ - ١٩٩٦] (طبعتان) - ١٩٩٦، ٢٠٠٠
- النخبة المصرية الحاكمة [١٩٥٢ - ٢٠٠٠] - ٢٠٠١

- قادة الشرطة فى السياسة المصرية [١٩٥٢ - ٢٠٠٢] - ٢٠٠٣
- كيف أصبحوا وزراء .. دراسة فى صنع القرار السياسى - ٢٠٠٣

□ فى الفكر السياسى

- الفلسطينيون ينتصرون أخيراً - ٢٠٠٣
- المسلمون والأمريكان فى عصر جديد - ٢٠٠٣

□ فى الفكر التربوى

- مستقبل الجامعة المصرية - ٢٠٠٠
- آراء حرة فى التربية والتعليم - ٢٠٠١
- تكوين العقل العربى : مذكرات المفكرين والتربويين - ٢٠٠٣

□ فى الشؤون العامة

- القاهرة تبحث عن مستقبلها - ٢٠٠٠
- مستقبلنا فى مصر: دراسات فى الاعلام والبيئة والتنمية (طبعتان) - ١٩٨٥
- الصحة والطب والعلاج فى مصر - ١٩٨٧
- التنمية الممكنة : أفكار لمصر من أجل الازدهار - ٢٠٠١

□ وجدانيات

- أوراق القلب [رسائل وجدانية] - ١٩٩٤
- أوهام الحب [دراسة فى عواطف الأنثى] - ١٩٩٩

□ من أديب الرحلات

- رحلات شاب مسلم (ثلاث طبعات) - ١٩٨٩ ، ١٩٩٦ ، ٢٠٠٣
- شمس الأصيل في أمريكا (طبعتان) - ١٩٩٤ ، ٢٠٠٣

□ في طب القلب

- أمراض القلب الخلقية الصمامية - ٢٠٠١
- أمراض القلب الخلقية : الثقوب والتحويلات - ٢٠٠١

المحتويات

٥	إهداء
٧	مقدمة الطبعة الثانية
١١	تقديم الطبعة الأولى بقلم الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف إبراهيم
١٥	مقدمة الطبعة الأولى
٢١	الباب الأول: حياة أحمد زكي

٨٥	الباب الثاني: فلسفة أحمد زكي
٨٧	الفصل الأول: الفكر السياسي عند أحمد زكي
٩٢	• القوة أساس العلاقات الدولية
٩٥	• الأمم المتحدة كالرجل الناسك
٩٦	• الصين أخطر على أمريكا من روسيا
٩٧	• القوميات
٩٩	• أزمة الملونين
١٠٠	• مفهوم الوطنية
١٠١	• الزعامة
١٠٣	• الزعامة والديمقراطية
١٠٥	• الديمقراطية
١٠٩	• الوعي السياسي
١١٠	• المساواة
١١٤	• مصادر الفصل الأول
١١٧	الفصل الثاني: الحرية
١١٨	• معنى الحرية
١٢٣	• الحرية والمسئولية
١٢٤	• الظروف المقيدة للحرية
١٢٧	• مبدأ الحرية في العلاقات الدولية
١٢٨	• الحريات والتطور التاريخي

١٣١	• مصادر الفصل الثانى
١٣٣	الفصل الثالث: بعض ملامح الفكر الفلسفى
١٣٤	• الحقيقة
١٣٩	• ثنائية المادية والروحانية
١٤٣	• مصادر الفصل الثالث
١٤٥	الفصل الرابع: فن الحياة ومعناها
١٤٦	• الحياة فن لا علم
١٤٨	• الحياة بين البداية والنهاية
١٤٩	• معنى السعادة
١٤٩	• معنى النجاح
١٥٠	• الغاية وأهميتها
١٥١	• الاهتداء بالفطرة
١٥٢	• التوافق النفسى
١٥٤	• متعة الحياة
١٥٦	• المعاملة
١٥٧	• الإحساس بالزمن
١٥٩	• مصادر الفصل الرابع
١٦١	الفصل الخامس: العروبة
١٦٣	• الإقليمية والوحدة
١٦٤	• تقوية الأجزاء

• الشعوب والوحدة	١٦٥
• التقسيمات والمجاور	١٦٥
• الوحدة الاندماجية ليست اليوم	١٦٥
• وحدات لها أولوية	١٦٦
• الصفاء مع الفرس والباكستان	١٦٦
• هل العروبة عروبة دم؟	١٦٧
• دور اللغة في تحقيق الوحدة	١٦٧
• الانسجام مع الجماعة هو السبيل إلى الحياة	١٦٩
• ... ولكن لابد للعمل الجاد من أجل الوحدة	١٦٩
• مخاطر ضياع الوحدة	١٦٩
• مصادر الفصل الخامس	١٧١
الفصل السادس: الإسلام والعصر الحديث	١٧٣
• الضمير والولاء	١٧٧
• الإسلام والعلم	١٧٩
• الدين والقومية والعلمانية	١٧٩
• الإسلام ب	١٨١
• الإسلام والنهضة	١٨٢
• مصادر الفصل السادس	١٨٥
الفصل السابع: مكونات البناء الاجتماعي (الفرائض - العادات -	
الأخلاق - التقاليد - الضمير - القيم	١٨٧

- هل الدين مصدر من مصادر السلوك الإنسانى؟ ١٩٠
- الغرائز ١٩١
- العادات: المصدر الثانى من مصادر السلوك
- الإنسانى ١٩١
- النظرية الاقتصادية فى العادات ١٩٢
- أثر الزمن فى العادات ١٩٣
- الضمير ١٩٤
- الضمائر والتقاليد ١٩٥
- التعريف الجديد للضمير ١٩٦
- الضمير والشيطان ١٩٦
- الضمير أشمل من القوانين ١٩٧
- المبادئ التى يسير عليها الضمير ١٩٨
- كيف يتكون الضمير؟ ١٩٨
- المصادر الأخرى للضمير ١٩٩
- الضمير وتقدم الأمة ٢٠٠
- أحمد زكى (مع الزمن) يعدل بعض آرائه ٢٠١
- القيم ٢٠٣
- المجتمعات المستقرة ٢٠٣
- المجتمعات غير المستقرة ٢٠٤
- مصادر الأخلاق والسلوك ٢٠٤

٢٠٤	١- الفكر
٢٠٤	٢- الطبيعة
٢٠٤	٣- الجبلة الإنسانية
٢٠٦	٤- الدين
٢٠٦	• التقاليد بين أهل اليمين وأهل اليسار
٢٠٧	• ما هي التقاليد
٢٠٧	• معنى التقاليد
٢٠٧	• من يصنع التقاليد ؟
٢٠٨	• كيف تنشأ التقاليد ؟
٢٠٨	• التقاليد والقانون
٢٠٨	• تقاليد الزواج : مثل للتقاليد الشائعة
٢٠٩	• التقاليد والحروب
٢٠٩	• التقاليد بين الريف والحضر
٢١٠	• التقاليد والمصالح
٢١٠	• التقاليد المالية
٢١٠	• أثر التقاليد
٢١١	• التقاليد والمستقبل
٢١٣	• مصادر الفصل السابع
٢١٥	الفصل الثامن : المجتمع
٢١٥	• الفقر

٢١٧	• وما الحل
٢٢١	• مصادر الفصل الثامن
٢٢٣	الفصل التاسع: المرأة
٢٣٤	• حاجة المرأة إلى الرجل
٢٣٥	• حاجة الرجل إلى المرأة : الأمومة
٢٢٦	• ربابة البيت هي مهنة المرأة الأولى
٢٢٨	• الأسرة باقية
٢٢٨	• حرية المرأة
٢٢٩	• دفاع عن المرأة
٢٣١	• مصادر الفصل التاسع
٢٣٣	الفصل العاشر: تنظيم الأسرة
٢٣٤	• الوجهة الدينية في الموضوع
٢٣٥	• طبيعة دعوة أحمد زكى إلى تنظيم الأسرة
٢٣٦	• خفض سن الزواج لا رفع سن الزواج
٢٤٠	• لماذا دعا أحمد زكى أخيرا إلى التنازل والتكاثف؟
٢٤٢	• خاتمة
٢٤٣	• مصادر الفصل العاشر
٢٤٥	الفصل الحادى عشر: التعليم الجامعى
٢٤٦	• ضرورة الجامعة

- استقلال الجامعة ٢٤٧
- أيهما أولى: التوسع فى الجامعات أم القضاء على
الأمية ٢٤٨
- ماذا تضيف الدرجة الجامعية إلى صاحبها ؟ ٢٤٩
- الحفاظ على المستوى الرفيع لتعليمنا الجامعى ٢٤٩
- بين التخصص والتعميم فى الدراسات الجامعية ... ٢٥٠
- التعليم الجامعى والمجتمع ٢٥١
- التوافق بين إمكانات الطالب ودراسته ٢٥٢
- مصادر الفصل الحادى عشر ٢٥٤
- الفصل الثانى عشر: فى الثقافة والإعلام ٢٥٥
- مصادر الفصل الثانى عشر ٢٦٠

- الباب الثالث: القدرات والآثار الأدبية للدكتور أحمد زكى ٢٦٣
- الفصل الأول: نظرة على مكانة الدكتور أحمد زكى فى الأدب
العربى المعاصر ٢٦٥
- الفصل الثانى: بعض الخصائص الفنية فى أسلوب أحمد زكى ٢٧١
- فن المقالة عند أحمد زكى ٢٧٥
- القدرات التصويرية فى أدب أحمد زكى ٢٧٧

٢٧٩	• مكانة الشعر فى استشهاده
٢٨٠	• أساليب القصر
٢٨٢	• مدى التأثير باللغات الأجنبية فى صياغة العبارة ...
٢٨٣	• غلبة روح العلم على أدبه
٢٨٣	• مقارنات الكتب العلمية
٢٨٥	الفصل الثالث: إسهامات أحمد زكى فى أدب الرحلات
٢٨٩	الفصل الرابع: أدب التراجم
٢٩٠	• أحمد لطفى السيد
٢٩٦	• نهرو
٢٩٩	الفصل الخامس: القصص السياسى فى آثار أحمد زكى الأدبية ...
٣٠٥	الفصل السادس: القصص الاجتماعى
٣٠٥	• قصة «بيوت مسكونة»
٣٠٦	• قصة «الإسكافى الذى ملأ سمع الدنيا»
٣٠٦	• قصة «ساعات الحرج على المسارح»
٣٠٦	• قصة «فأل البيت الجديد»
٣٠٧	• قصة «القصاصه العمياء»
٣٠٧	• قصة «محنة كبرى»

- ٣٠٨ قصة «بيت من طين»
- ٣٠٨ قصة «تضحك والأحزان ملء جلدك»
- ٣٠٩ قصة «ساعة فى قطار»
- ٣١٠ قصة «حضرة فى أقصى الريف»
- ٣١١ قصة «لا بد لها من أنف جديد»
- ٣١٢ قصة «الجنة التى وعد الصابرون»
- ٢١٢ قصة «يوم مات أبوها»
- ٣١٣ قصة «طمأنينة»
- ٣١٣ قصة «شكرا لك يا جدتى»
- ٣١٤ قصة «حتى الحيوانات منها المجنون»
- ٣١٧ الفصل السابع: نموذج القصة التأملية
- ٣١٧ قصة «دينار»
- الفصل الثامن: بعض ملامح التصوير البيانى فى قصص
- ٣٢٣ الدكتور أحمد زكى
- ٣٢٤ قصة «شعاع فى الظلام»
- ٣٢٦ قصة «ونزل الستار فحجب النور ثم ارتفع»
- ٣٢٩ الفصل التاسع: بعض ملامح الدراما القصصية فى أدبه
- ٣٢٩ قصة «خطاب يا ليلته وصل»

٣٣١	 قصة «يا ليتته درى»
٣٣٣	 قصة «إنه قضاء الله»
٣٣٥	 قصة «فى أسماها تغنى»
٣٤١	 الفصل العاشر: عنصر المصادفة فى البناء الفنى للقصة
٣٤٢	 قصة «تنافس الأحباب»
٣٤٤	 قصة «مصادفة سعيدة»
٣٤٦	 قصة «تسعة تصيب ، وعاشرة تخيب»
٣٤٧	 قصة «قطعة من الفن رائعة»
٣٥١	 الفصل الحادى عشر: الظاهرة الطيبة فى أدب أحمد زكى

٣٥٧	 الباب الرابع: البيلوجرافيا
٣٥٩	 الفصل الأول: أعمال الدكتور أحمد زكى
٣٥٩	 أولاً: الكتب
٣٥٩	 ١- سلطة علمية
٣٦٠	 ٢- مع الله فى السماء
٣٦١	 ٣- ساعات السحر
٣٦٣	 ٤- بين المسموع والمقروء
٣٦٤	 ٥- مع الناس
٣٦٤	 ٦- مع الله فى الأرض

- ٧- فى سبيل موسوعة علمية ٣٦٧
- ٨ - حديث الزمان ٣٦٧
- ثانيا : تقارير ٣٧١
- ثالثا : آداب مترجمة ٣٧٢
- رابعا : كتب علمية مترجمة ٣٧٣
- ١- قصة الميكروب ، كيف نشأ رجاله ٣٧٣
- ٢- فى أعماق المحيطات ٣٧٣
- ٣- بواتق الأنابيب ، قصة الكيمياء ٣٧٣
- ٤- حيوانات نعرفها ٣٧٤
- ٥- مواقف حاسمة فى تاريخ العلم ٣٧٤
- خامسا : كتب بالاشتراك ٣٧٥
- سادسا : فصول من كتب ٣٧٦
- سابعا : مقالات ودراسات ومحاضرات ٣٧٧
- (أ) فى الكتب السنوية للمجمع المصرى للثقافة
العلمية ٣٧٨
- (ب) فى مجلة الرسالة ٣٧٩
- (ج) فى مجلة الهلال ٣٨٤
- (د) فى مجلة الإثنين ٣٩٠

- ٣٩٣ (هـ) فى مجلة الثقافة
- ٤٠٨ (و) مقالات فى مصادر متنوعة
- ٤٠٩ (ز) فى مجلة العربى العربى
- ٤١١ ♦ المقالات الافتتاحية
- ٤١٤ ♦ أحاديث الشهر
- ٤٢٢ ♦ المقالات العلمية فى مجلة العربى
- المقالات التى نشرت فى الأعداد الأولى
- ٤٢٢ وفهرست تحت عنوان «علوم»
- المقالات التى كتبها الدكتور زكى عن
- الذرة والفضاء ثم فى «ركن الفضاء
- ٤٢٥ والذرة»
- المقالات التى كتبت «فى سبيل موسوعة
- ٤٢٨ علمية»
- المقالات التى كتبت فى سلسلة «وحدة
- تتراءى فى وحدة خلقه» ، «والتي كونت
- بعد ذلك الجزء الأكبر من كتاب «مع الله
- ٤٣٣ فى الأرض»

٤٣٦	♦ المقالات الطبية
	♦ مقالات طبية فى تخصصات متعددة
٤٣٦	 (١٩٥٨ حتى ١٩٦٨)
٤٣٩	♦ سلسلة «الطب المصور»
٤٤٢	♦ المقالات المتنوعة
٤٤٦	♦ ثامنا : استطلاعات صحفية
٤٤٧	♦ تاسعا : أحاديث إذاعية
٤٥١	الفصل الثانى : أعمال عن الدكتور أحمد زكى
٤٥١	♦ أولا : مقدمات كتب
٤٥٢	♦ ثانيا : مقالات وأحداث صحفية وتعليقات
	ملحق : رسالة من الأستاذ الدكتور عبدالمنعم أبو العزم رئيس
٤٦١	أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا
٤٦٩	كتب للمؤلف
٤٧٥	المحتويات

Besides, Dr. Zaki was elected to be President of Egyptian Academy for Science, and Egyptian Academy for Advancement of Science and he was also a Full Member of Arabic Language Academy (1964).

Our book deals with the life of that great arabic thinker and scientist in the first chapter. The second one is dedicated to the presentation and criticism of his philosophy in many fields whereas the third chapter introduces & discusses the Literture of Dr. Zaki which was fortunately of high quality and great quantity. The Fourth Chapter Contains a complete bibliography for the works of and on Dr. Zaki .

As soon as his calling for the establishment of National Scientific Research Centre took place in 1946, he was appointed as the first director where he did a lot of hard creative work for a long time till he was able to introduce, to his country, this great effective and active organization.

For a very short periods of time Dr. Zaki was the "Minister of Social Affairs" (1952) , Director of Cairo University (1953 - 1954), Director of Chemistry Organization (1954) and chief editor of El-Helal, the oldest Arabic cultural magazine (1947 - 1950).

After his retirement in Egypt, Prof. Zaki was invited to establish in Kuwait a newly monthly illustrated review named "El-Arabi". It was the magazine which Prof. Zaki gave his vast experience and full time up to the last minute of his life (1975).

Dr. Zaki wrote a lot about his point of view regarding the political and social affairs as much as about Science, Medicine and Inventions in a simplified way.

This Book

Dr. Ahmed Zaki was one of the most prominent Arabic Scientists in the first half of the 20th Century. To his efforts we attribute the foundation of our national school of organic chemistry. He was the first Egyptian chemist to obtain D.Sc. in Chemistry from London University (1928).

Before his mission to Europe (1921 - 1928) he worked as a teacher in different secondary schools (in Cairo) after being graduated in the high school of teachers (1914).

Dr. Zaki was born in Sues on the Suez Canal (1894) where he spent his first years of life before departure to Cairo (1900).

As Dr. Zaki had the chance to be one of the staff of Faculty of Science, he did his best for creation of junior Egyptian Chemists as well as for the encouragement of youth scientific and social activities.

Thereafter, Dr. Zaki was chosen to be the first National Director of Chemistry Organization of Egypt where he also could achieve an outstanding success.

Ahmed Zaki

(1894 _ 1975)

His Life, Philosophy and Literature

Dr. Mohamed El Gawady

Second Edition

General Egyptian Book Organization

2003